المركز القومي للترجمة
أرسطو طاليس
ميراث الترجمة
الكون والفساد
ترجمة: أحمد لطفى السيد
تقديم: مصطفى لبيب عبد الغنى
المشروع القومي للترجمة
1200

الـكـون والـفـسـاد

المركز القومي للترجمة
المشروع القومي للترجمة
إشراف : جابر عصفور

سلسلة ميراث الترجمة
محرر السلسلة : طلعت الشايب
- العدد : ١٢٠٠
- الكون والفساد (من الشرق والغرب)
- أرسطوطاليس
- بارتملى سانتهلير
- أحمد لطفى السيد
- مصطفى لبيب عبد الغنى
- ٢٠٠٧

هذه ترجمة كتاب :

الكون والفساد

لأرسطوطاليس

يتلوه كتاب « فى ميليسوس وفى اكسينوفان وفى غرغياس »

حقوق الترجمة والنشر بالعربية محفوظة للمركز القومى للترجمة .

شارع الجبلاية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة ت : ٢٧٣٥٤٥٢٤
El-Gabalaya St., Opera House, El-Gezira, Cairo
e.mail:egyptcouncil@yahoo.com

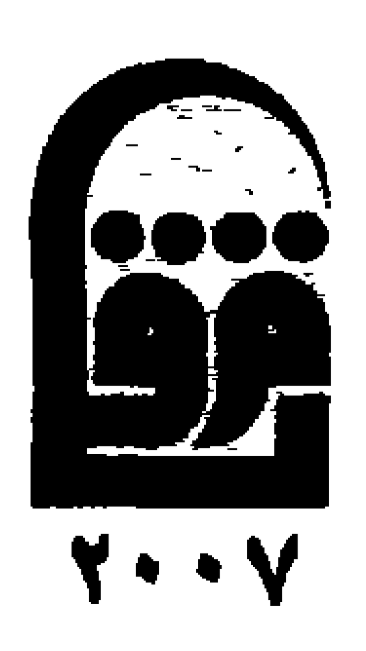
الكون والفساد

تأليف : **أرسطوطاليس**

ترجمه عن الإغريقية إلى الفرنسية : **بارتلمى سانتهلير**

ترجمه إلى العربية : **أحمد لطفى السيد**

تقديم : **مصطفى لبيب عبد الغنى**



٢٠٠٧

بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

أرسطوطاليس ، ٣٨٤ - ٣٢٢ ق.م .
الكون والفساد / تأليف : أرسطوطاليس ؛ ترجمة : أحمد لطفى السيد ؛ تقديم : مصطفى لبيب عبد الغنى ، القاهرة : المركز القومى للترجمة ، ٢٠٠٧
٢٩٦ ص ؛ ٢٤ سم - (المشروع القومى للترجمة)
١ - الفلسفة اليونانية
(أ) السيد ، أحمد لطفى(مترجم)
(ب) عبد الغنى ، مصطفى لبيب (مقدم)
(ج) العنوان ١٨٢

رقم الإيداع ٢٠٠٧/١٧٦٣١
الترقيم الدولى I.S.B.N. 977 - 437 - 445 - 2
طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

تهدف إصدارات المركز القومى للترجمة إلى تقديم الاتجاهات والمذاهب الفكرية المختلفة للقارئ العربى وتعريفه بها ، والأفكار التى تتضمنها هى اجتهادات أصحابها فى ثقافاتهم ، ولا تعبر بالضرورة عن رأى المركز .

تقديـــم

مصطفى لبيب عبد الغني

أحـمـد لطفى السـيـد عَلَمٌ زاهٍ من أعـلام الاسـتـنارة فى مـصـر، من بدايات القـرن العشرين؛ فهو مؤسسٌ لحزبٍ سياسى يُدافع عن قضايا الأمَّة وكرامتها، ومُنشئٌ ورئيسُ تحرير لجريدة رائدة من جرائد الرأيِ الحُرِّ، ومثالٌ يُحتذى بما هو رجلُ إدارةٍ وسياسة، وهو إلى جانب ذلك كُلِّه أديبٌ متميِّز وفيلسوفٌ صادق جَسَّدت شخصيتُه هذه النعم مجتمعةً ، فكان فاتحة الخير لرفقاء دَرْبه وعموم مواطنيه حتى لَقَّبَه المصريون عن جدارة بـ "أستاذ الجيل".

اتَّصَلَ الأستاذ بالجامعةِ المصريةِ منذ أنْ كانت مشروعًا يُروِّجُ له أهلُ الصَّلاح فى مصر، وشاركَ فى إدارتها ثمَّ أصبح مديرًا لها وهى جامعةٌ تابعةٌ للدولةِ بعد أنْ كانت من قبلُ أهليَّةً. ولأن العملَ الجامعى - فيما يراه الأستاذ - هو فى الأساسِ التزامٌ قِيمى وبحثٌ أكايمى فى فروع العِلْم المنوَّعة وليس قاصراً على إلقاء دروس للطُّلاَّب أو مجردِ الوفاء بحاجاتِ سوق العمل، اضطلع الأستاذ فى غمرةِ مشاغله بعبء الترسيخ للثقافة الرفيعة ، مستهدفًا، فى الوقت نفسه ، إيقاظ الوعيِ وإثارةَ التساؤلِ وبناءَ العقليةِ الناقدةِ والسَّعْى الدوبَ إلى تكوينِ جيلٍ من العلماءِ والمفكرين؛ فأقْدَم على مُهمَّةٍ جليلة ذات خطَرٍ تمثَّلت فى نقله لنصوص الفلسفة الأرسطية فى أحدث طبعاتها الفرنسيَّة المذيَّلَة بتقديماتٍ وشروحٍ تُسَهِّل على الدارسين استيعابَها وتمثل أفكارها العالية، وهى التى كان قد قَدَّمها فى الفرنسية، منذ أكثر من نصف قَرْن، الأستاذ بارتلمى سانت هلير، الذى رأى فيه أستاذُنا قُدوةً عِلميةً وقُدوةً عَمَليةً على السواء. وكان أن حَظِيت

ثقافتنا العربية المعاصرة بنقلِ كتاب " علم الأخلاق إلى نيقوماخوس ،" وكتاب "السياسة" ، وكتاب "الكون والفساد" ، وكتاب "علم الطبيعة"، وهى نقولٌ عربيةٌ رائقةٌ دقيقةٌ جاءت ثمرةً لجهدٍ رصين تنوءُ به العُصْبَةُ أولو القوة، وثمرةَ إدراك لقيمة الفلسفة وأثرِها فى صلاح الأمم، على نحو يُذكِّرنا بجُهد المترجمين العِظام فى الحضارة الإسلامية الذين نقلوا، فى القرنين التاسع والعاشر الميلاديين، ذخائر الفلسفة اليونانية إلى اللغة العربية.

* * *

فى عام ألف وتسعمائة واثنين وثلاثين ميلادية صدرت عن دار الكتب المصرية ترجمة عربية أَتَمَّها أحمد لطفى السيد لكتاب أرسطو "الكون والفساد" ، ومعها كُتَيِّبٌ بالغ القيمة حوى نقد أرسطو لأفكار ثلاثة من كبار فلاسفة اليونان، والكُتَيِّبُ موسوم "فى ميليسيوس وفى اكسينوفان وفى غُرْغياس". وكان عنوان الترجمة الفرنسية، للأصل اليونانى لهذين النَصَّين اللذين ترجمهما J. Barthélemy Saint-Hilaire فى باريس عام ١٨٨٧م هو :

Traité de la Production et de la Destruction des choses", suivi du "Traité" sur Mélissus, Xénpohane, et Gorgias".

وتزيد من نفاسةِ هذه النشرة الفرنسية المقدمةُ المستفيضةُ التى تناول فيها سانت هلير "أَصلَ الفلسفةِ الإغريقية" وأصالتها وبيان الظروف الحضارية التى أدت إلى إبداع هذا النمط المتميِّز من التفكير التأملى، الذى يَتَّجِه فيه العقلُ اتجاهًا نزيهًا إلى العلم، والذى رعته فى مراحله الأولى ثلاث مدارس خالدات ، هى : مدرسة يُونيا ، ومدرسة فيثاغورث ، ومدرسة إيليا، كما حَرِص المترجم على تحقيق ونقد النصِّ اليونانى للكتيب"

فى ميليسيوس وفى اكسينوفان وفى غُرغياس". وكانت حكمةُ الجمعِ بين هذين النَّصَّين، كما ظهر له ، هى "أنهما يُعبِّران كلاهما عن أفكار مِن قَبيلٍ واحد : ففى أوَّلهما يُعْنَى أرسطو بإيضـاح كيف تكـون الأشيـاء وكيف تنتهى، خلافًا لمـذهب وحْدَةِ الـوجـود ، < ولا تغيُّره وثباته، وهو ما عَبَّرت عنه المدرسة الإيلية>، وفى ثانيهما المناقشةُ بعينها موجهةٌ مباشرةً إلى ممثلى مدرسة إيليا : اكسينوفان مؤسسها، وميليسيوس حافظ مبادئها حتى العهد الذى قام فيه سقراط يُبَدِّل بالترددِ القديم فلسفةً جديدة حاسمة تُعنى بالإنسان < وتنزل بالفلسفة مِن السماء إلى الأرض>. فالفكرة فى الكتابين متماثلةٌ ولا فَرق بين أَحدهما وبين الآخـر إلاَّ فى الشَّكل فقط؛ فهنا توضيحٌ لمبدأ عام، وهناك نقضٌ خاصٌ للمبدأ المناقض. ولعلَّ هذا الموضوع الذى يُمثِّل محورَ هذين النصَّين، من أهم موضوعات تاريخ العقل البشرى وأكثرِها حيويةً ... وهو ليس أقلَّ مِن أن يكون ميلادَ الفلسفةِ فى عالمنا".

* * *

يَسْتوقِفُنا فى مقدمةِ المترجِم الفرنسى التفاته إلى المعنى الحقيقى لمذهب الوَحدة فى مدرسةِ إيليا التى طالما حُجِب من نورها وصُغِّرَ من قَدْرِها .. " وما الوَحدة الإيلية إلاَّ الله طلبوا معرفته يتلمسونها بين حجب الجهالة الأولى، ويدرسونها كما يمكن أنْ تُدرسَ فى تلك الأزمان ؛ إذْ العِلْمُ والمشاهدةُ العلمية لا يزالان فى بدايتهما، فلم تكن تلك الوَحدة قد وصلت بعدُ إلى ما قَرَّره أنكساجوراس من الإدراك الإلهى < أى أنَّ العالَم يُدبِّره العقلُ الإلهى> ولا ما قرَّره سقراط وأفلاطون من العناية الربَّانية ، " غَيْرَ أنَّ تقريرَ تلك الوَحدة مع ذلك كان الجرثومةَ الأولى لكل هذه المذاهب".

كما يستوقفنا أيضًا إدراك المترجم الفرنسى لمغزى استقلال الفلسفة اليونانية فى نشأتها وتطورها عن الدين، وذلك فى قوله : "إن الفلسفة الإغريقية بتمامها كانت

موضوعة فى وضع استثنائى أفادها جداً ، وهو أنها لم يكن أمامها أبداً ديانةٌ مَبْنيَّةٌ على كُتب مقدَّسة، وقد كان الأمرُ على ضدٍّ ذلك فى مصر ويهودية وفارس وفى الهند ؛ حيث لم تكن الحال قاصرةً على أنَّ الدين قد سبق الفلسفة فى تلك البلاد، كما هو الحال عادة فى كل زمان، بل إنها اعتمدت فوق ذلك على أُسسٍ مُعتبرة أنها إلهية، ومع ذلك أقامت قروناً طوالاً كاملة لسَدِّ الحاجات الأدبية والأخلاقية فى تلك الأمم ، وبعد ذلك خرجت الفلسفة من المحاريب... وما تُنْسَبُ أصالة الفلسفة الإغريقية التى لا تزال تَدْهَشنا ونتعلَّمُ منها بعد خمسة وعشرين قرناً إلاَّ إلى استقلالها المُطلق. ولو أنها كانت تحت وصاية ديانة حسنة النظام أفكانت تَظْهَر قواعدها بهذه السهولة التى ظهرت بها؟ أو كانت تحيا تلك الحياة الطيِّبة القوية؟ أوَ كانت تَلِدُ للعالَم تلك المُلَح من التآليف وتؤتى ذلك الثمر اللذيذ؟ مَن ذا الذى يَعرف ذلك ؟ لا شك فى أنَّ الجنس الهلينى كان عجيب الاستعداد ؛ فقد نجح فى ميدان الفلسفة، كما نجح فى ميادين الأعمال الأخرى، ولكن أما كانت تنبلُ هذه الخواصُ العجيبةُ لو أنَّ العُصَارة التى نُغذِّيها جَرَت فى قنواتٍ أُخرى من قبلُ وخصوصًا فى قنوات الديانة ! ولم يكن تاريخهم إلاَّ لَعِبًا تَلْعَب به الملكات، فكانت الخواص العليا للنفس فى سعة مِن أنْ تتَّخذ لها نحواً جدِّيًا آخر وتبحثَ عن غذاءٍ لها أغزرَ مادة وأدخلَ فى باب الحق، بعيدٌ عن أنْ أنكر نِعم الديانات على الناس، وأرى أنَّ مِن الخير أن تكون قد سبقت الفلسفةُ دائمًا، وعند جميع الشعوب، ولكنى لا أستطيع أنْ أحجمَ عن القول بأنه إذا كانت ديانة الهلين أكثر جدِّية مما كانت عليه لأوشكت فلسفتُهم وعلومهم أنْ تكون أَقَلَّ فى الجد مما كانت عليه بكثير، وتلك خُسارة لا تُعوَّض على الإغريق وعلينا أيضًا ؛ لأننا نحن أبناؤهم ومظهر استمرار حياتهم".

ومع دفاع المترجم الحار عن أصالة الفلسفة اليونانية وتَفَرُّدِها عما وُجد لدى بعض أُمَمِ الشرق مِن معارف لم تَتَمذْهَب ولم ترتكزْ على مبادئ معيَّنة ، فإن يذكر ما قام به كثير من فلاسفة اليونان مِن سياحات إلى الشرق وبخاصة مصر، فيقول : "إنَّ

فيثاغورث ذهب إلى مصر كما فعلَ طاليس من قبل وكما فعل هيرودوت بعده بقرنٍ ، وأقام فيها ، ويُقال إنه لُقِّنَ الأسرار الخفيةَ. وقد يمكن تصديق ذلك بسهولةٍ، لأنَّ سولون ذهب إليها أيضًا. والظاهر يدل على أنه لم يقف عند محادثة كهنة سايس في أمْرِ الأطلانديد".

ولَئِنْ كان أحمد لطفى السيد يرى فى معرفة الماضى النسيجَ الحىّ للشعور الوطنى الصادق، على نحو ما عَبَّر عنه فى قوله : " لاتتمُّ وطنيةُ المرء إلاّ إذا عرف أُمَّته قديمها وحديثها، فإنَّ مَنْ يجهل قديمَها فهو مُدَّعٍ فى حبِّها، لأنَّ مَن جَهل شيئًا عاداه" (الجريدة : ١ ديسمبر ١٩٢١)؛ فلا ريبَ أنَّه يُقَدِّر ما ذكره سانت هلير فى مقدمته وهو يتحدَّث عن الكتب ومواد الكتابة التى حفظت إنتاج حكماء اليونان، ويتحدث عن دور مصر الثقافى التى كان يجيء منها البردى منذ أقدم الأزمان إلى بلاد اليونان وآسيا الصغرى، فإن أقدم الهجرات إنما جاءت من شواطئ النيل جالبة معها إلى الهلين فى عداد ما جلبته أسماء جميع آلهتهم... وفى تلك القرون التى نحن بصددها كانت مصر متدَخِّلَةً دائمًا لمصالح شتّى فى سياسة جميع الأُمم المجاورة لها، وعلى الأخصِّ سياسة المدائن الإغريقية التى على الشاطئ". ولقد كان " من السَهْلِ على مصر أنْ تتصوَّر إنشاءَ المكاتب. ذلك ما كان هو الواقع؛ فإنَّ أوزيمندياس أحد ملوك مصر يُعتبر أوَّلَ من اقتنى مكتبةً... وتذكار هذا الحادث العجيب نقله إلينا ديودور الصِّقلى الذى زار مصر فى الأولبية ١٨٠ كما زارها هيرودوت مِن قَبْله بأربعمائة وخمسين عامًا ، ورأى بعينيه كُلَّ ما يتكلَّم عنه تقريبًا. ومن بين العمائر التى تُنْسَب إلى هذا الملك دارالكتب المقدَّسة المنقوش على وجْهَتها : "دواء النفس". وفى موضع آخر يُسَجِّلُ هذا الدورَ الرائد لمصر قائلاً : "جاءت المطبعة فجعلت النَشْرَ والنقلَ والحفظَ ألفَ مرةٍ أكثر أمانًا وألف مرة أكثر سرعةً وألف مرة أرخص ثمنًا. بيَدِ النُّساخ استُبدِل ضبط المكينة المعصوم وقوَّتها التى لا تَعْرف حدًا ورخصها الذى لا يُنافَس ، ولكن ذلك لم يكن مهما قيل فيه إلاَّ تغيُّرًا ماديًا صرفًا، فإنَّ المقصودَ متوفِّر فى الأزمانِ الغابرةِ. على ذلك يكون المخترع الحقيقى الكبير

لا يزال هو الشيخ "تُوت" أو أيُّ ساحرٍ آخر مِن السَّحَرة المصريين الذى أنطق البردى والحروف التى رسمها عليه قلُم الكاتب مغموراً فى مادةٍ مُلوَّنةٍ... وما كانت المقالة لتعيش إلا بالكتابة، ويمكنها أنْ ترجو مِن العُمْرِ ما لا ينبغى للفرد الفانى أنْ يرجوه أبداً، فإن أوراق البردى لا تزال تُكلِّمنا، وسوف تُكَلِّمُ أحفادَنا أزماناً طوالاً".

* * *

تُرجم كتاب "الكون والفساد" لأرسطو إلى اللغة العربية فى أَوْجِ ازدهار الحضارة الإسلامية فى العصر الوسيط، وحَظِى بتعليقات وشروح مِن أهمها ما قام به ابن رشد (ت : ٥٩٥هـ/١١٩٨م)، الشارح الأكبر، من : تفسير كبير وشَرْحٍ أوسط وتلخيص (أو جوامع)، على عادته فى العنايةِ بأعمال المعلِّم الأول.

وغَرَضُ أرسطو من هذا الكتاب، فيما يُبيِّنه ابن رشد - التَكَلُّمُ فى التغايير الثلاثة التى هى : الكون والفساد، والنموُّ والاضمحلال، والاستحالة، وإعطاء ما بهَ يتمُّ واحدُ واحدٌ مِن هذه التغايير وكيفَ يتمُّ ذلك. والتعريف بالمعنى العام لجميع هذه التغيُّرات على ما يقتضيه الترتيب المُنتظِم فى التعليم ؛ فيُعَرِّف بالكون البسيط، ويُعرِّف المركَّبات ، ويُعطى المبادئ والاسطقسَّات <العناصر> التى يتركَّب منها كل ما هو كائنٌ "بالفعْل".

ومَرْتبةُ هذا الكتاب، فيما يرى ابن رشد، هى بَعد كتاب "السماء والعالَم"، وذلك لأنه لَمَّا بَيَّن هنالك أن الأجسام البسائط التى هى دون فلك القمر أربعة فقط، وأنها يستحيل بعضها إلى بعض ، ويتكوَّن بعضها عن بعض شرعَ ههنا يفحص عن جهة كون بعضها عن بعض، وهل هذه الأجسام هى اسطقسات المركبات، أو واحدٌ منها، أو أكثر مِن واحد. وإنْ كانت واحداً منها أو أكثر مِن واحد ؛ فهل أيضًا بعضها اسطقسات لبعض، أو هى فى مَرْتبةٍ واحدةٍ مِن البساطة، ولذلك لَقَّبه بكتاب "الكون والفساد"؛ لأنه يتكلم فى حركة النموّ والنقص وفى الاستحالة.

وفى المقالة الثانية يَفحص أرسطو عن الأشياء التى تُدْعى اسطقسات الأجسام، ما هى، وكم عددها؟ فيقول : إنَّ الأجسامَ الكائنةَ الفاسدة صنفان : بسائطُ ومُرَكَّبات، وكلُّ واحدٍ مِن هذين الصنفين مُرَكَّبٌ مِن هيولى وصورة.

وكتابُنا هذا مصدرٌ أساسى فى التَعرُّفِ على خلاصة ما وصلت إليه "فلسفة الطبيعة" عند مختلف المدارس اليونانية. وعلى عادة أرسطو فى التأليف الفلسفى نراه يستعرض كُلَّ آراء السابقين عليه قبلَ أنْ يؤسسَ لوجهة نظره الخاصة ؛ فهو فيلسوف يُؤرِّخ للفلسفة، والفلسفة عنده لا تنفصل عن تاريخها. وإذْ يعرض أرسطو لنظرية عناصر الأجسام وعددها وتراكيب بعضها من بعض وتَبدُّلِ العناصر بعضها عن بعض نتعرَّف معه على الفلسفة الطبيعية عند الأيونيين وانبانوقليس وعلى فلسفة الفيثاغوريين والذرِّيين وصولاً إلى فلسفات أنكساجوراس والسفسطائيين وسقراط وأفلاطون. وينتهى أرسطو إلى إبطال هذه الآراء، وينقض نظرية الفعل والانفعال، ويرى عدم كفاية نظرية أفلاطون فى هذا الشأن. ويُبيِّن أرسطو أنَّ كونَ الأشياء وفسادَها مُتصلان كالحركة، ويتعلَّقان بالنُّقلة الدائرة للعالم. وهو إذ يتحدَّث عن فعل الله فى العالَم يشير إلى القوانين الثابتة التى وَضعها فى أبديةِ الأشياء، وإلى أنَّ النظام العجيبَ للعالَم يكشف عن أنَّ تَغيُّر الأجسامَ إنما هو الذى يحفظ مُدَّتَها، وأن المحرِّك الأول غيرَ المتحرِّك هو المبدأ الوحيد للحركة، وأخيراً يعرض أرسطو نظرية تعاقب الأشياء الأبدى مُقَرِّرًا أبدية الأنواع وفناء الأشخاص المُتعاقِب.

* * *

وبعد،،،

فالتحية والتقدير للمركز القومى للترجمة على إعادة نشر هذا الكتاب إحياءً لذاكرتنا الثقافية وإشادةً بفضل الروادِ من أعلامنا، وإيقاظًا لنا من غفوةٍ طالت، ابتعدنا فيها عن ينابيع المعرفة الثرَّة. وفى جهده الحميد - لا ريب - بشارةُ الوصولِ المأمول إلى الثقافة الارفع والأنفع.

والله الموفق

من الشرق والغرب

الكون والفساد

لأرسطوطاليس

يتلوه كتاب « فى ميليسوس وفى اكسينوفان وفى غرغياس »

ترجمها من الاغريقية الى الفرنسية وصدرهما بمقدمة فى تاريخ الفلسفة الاغريقية وعلق عليهما تعليقات متتابعة

بارتلمى سانتهلير

استاذ الفلسفة الاغريقية فى «كلليج دى فرنس» ثم وزير الخارجية الفرنسية

ونقلهما الى العربية

أحمد لطفى السيد

مقـــدمة المترجم

بارتلمى سانتهيلير

أصول الفلسفة الإغريقية

هذان الكتابان اللذان جمع بينهما فى هذا السفر هما حملة على مدرسة ايليا التى هى من أقدم مدارس الفلسفة اليونانية ـ مهد الفلسفة هو فى مستعمرات شواطىء آسيا الصغرى : طاليس وفيثاغورث واكسينوفان ... الخ وسابقوهم الخليقون بالاعجاب هوميروس وسافو ... الخ ـ علم الفلك والرياضيات والتاريخ والطب ... الخ ـ الاتحادات الثلاثة : الايوليون فى الشمال ، واليونان فى الوسط ، والدوريون فى الجنوب ـ جملة الحوادث الكبرى التى تدخل فى أمرها الفلاسفة من طاليس الى ميليسوس من السنة ٦٢٠ الى السنة ٤٣٠ قبل الميلاد ـ حرب يونيا مع ليديا ومع مملكة الفرس ـ الوسائل المادية التى كانت عند الاقدمين لكتابة المؤلفات ـ الكتب من طاليس الى زمن ارسطوطاليس ـ شهادات هيرودوت وطوكوديدس واكسينوفون وافلاطون وارسطو ـ الاستعمال العام لورق البردى المصرى ـ صنع الورق على قول بلاين ـ رسائل ششيرون ـ ايضاح هذه الحوادث ـ ورق البردى المحفوظ فى دور الآثار عندنا « فرنسا » ـ محابر واقلام الكتبة التى يرجع تاريخها على الاقل الى نحـو خمسة وعشرين قرنا ـ اولية الفلسفة اليونانية ـ كونهـا لا تدين بشىء للشرق ـ المقارنة بينها وبين الفلسفة الهندية ـ خلاصة القول على مدرسة ايليا ـ المعنى الحقيقى لنظرية الوحدة

جمعت عمدا بين هذين الكتابين فى هذا السفر لانهما ، كمـا يظهر لى ، يعبران كلاهما عن أفكار من قبيل واحد • ففى أولهما يعنى أرسطو بايضاح كيف تكون الاشياء وكيف تنتهى ، خلافا لمذهب وحدة الوجـود ولا تغيره • وفى ثانيهما المناقشة بعينها موجهة مباشرة الى ممثلى مدرسة ايليا : اكسينوفان مؤسسها ، وميليسوس حافظ مبادئها حتى العهـد الذى قام فيه سقراط يبدل بالتردد القديم فلسفة جديدة حاسمة • فالفكرة فى الكتابين متماثلة ، ولا فرق بين أحدهمـا وبين الآخر الا فى الشـكل فقط ، فهنا توضيح عام لمبدأ ، وهناك نقض خـاص للمبدأ المناقض • وسنعود بالاختصار فى آخر هذه المقدمة الى تقدير قيمة هـذين الكتابين اللذين يستأهلان أن يعرفا أكثر مما هما الآن • ولكننى أرغب بديا فى أن أبين بقدر ما أستطيع من البيان ماذا كانت الحركـة الفلسفية التى شاطر فيها اكسينوفان وميليسوس ، سواء فى احداثها أو فى اتباعها •

اكسينوفان وميليسوس كلاهما من الأسماء البعيدة القدم • ومن الصعب لأول نظرة الاقتناع بأن درسهما يبعث اهتماما جديا هـذه الأيام • هذان الفيلسوفان كانا يعيشان فى القرن الخامس أو السادس قبل الميلاد • وعلى هذا المدى فليس الا التنقيب وحده ، فيما يظهر ، هو

الذى ما زال يوليهما العطف الـــذى انقضى زمانه ، ويستقصى مذاهبهما المنسية منذ زمان بعيد • لست أقصد فى الحـــق الى انتقاد التنقيب ، ولكنى أدرك ما يثير تأثره من التحامل البادر عند ما يتوغل فى درس تلك الأزمان البعيدة اذ تنعدم المراجع الوثيقة فلا يبقى لنا من أعيانها الا آثار لا صور لها • على أنى فى هذا الموطن أكثر مما فى سواه أسأل أن يصغى الى التنقيب لحظة • فان الموضوع الذى يحاوله فيما يتعلق باكسينوفان هو موضوع من أهم موضوعات تاريخ العقل البشرى وأكثرها حيوية •

انه ليس أقل من أن يكون ميلاد الفلسفة فى هذا العالم الذى نحن منه •

أما من جهة الفلسفة الشرقية فاننا لا نعرف ، بـل ربما لن نعرف أبدا من أمرها شيئا معينا بالضبط فيما يختص بعصـــــورها الرئيسية وانقلاباتها • فأن أزمنتها وأمكنتها وأهلها تكـــاد تعزب عنا على سواء • انها مستعصمة دون ادراكنا ، مدعاة للشـــكوك لمـــا يغشاها من كثيف الظلمات • حتى لو عرفنا منها هذه التفاصيل مع الضبط الكافى لما أفادنا ذلك الا من جهة ارضاء رغبتنا فى الاطلاع دون أن يتصل بنـــا أمرهـــا كثيرا • ان الفلسفة الشرقية لم تؤثر فى فلسفتنا • ومع التسليم بأنهـــا تقدمتها فى الهند وفى الصين وفى فارس وفى مصر فاننا لم نستعر منهـــا كثيرا ولا قليلا • فليس علينا أن نصعد اليهـــا لنعرف من نحن ومن أين جئنا • والامر على الضد من ذلك مع الفلسفة الاغريقية ، اننا بهـــا نتصل بالماضى الذى منه خرجنا • وعلى الرغم من عمـــاية الكبرياء التى هى فى الغالب جانية الكفران يجب علينا ألا ننسى أبدا أننا أبناء اغريقا • انهـــا أمنا فى جميع أمور العقل تقريبا • فلئن ساءلنا أوائلها فانمـــــا نسائل أصولنا • فمن طاليس ومن فيثاغورث ومن اكسينوفان ومن أنكساغوراس ومن سقراط ومن أفلاطون ومن أرسطوطاليس الينا لا يوجـــد الا فرق الدرجة • نحن جميعا فى طريق واحد مستمر من قرون عديدة ، ومتصل بلا انقطاع لا يتغير اتجاهه ، بل يصير على مرور الزمان أكثر طولا وأبهى جمالا • والظاهر اننا لا نخجل من الانتساب الى أمثال هؤلاء الآباء • وكل ما علينا هو أن نبقى حقيقين ببنوتهم بأن ندرج على سننهم •

قد أمكن القول ، لا من غير حق ، بأن الفلسفة ولدت مع سقراط(١) والواقع أن لهذا الرجل العجيب من المقام مايسمح بأن يسند اليه هـــذا الشرف العالى ، بأن يقرن اسمه بهـــذه الحادثة الكبرى • ولكن سقراط

(١) راجع مقدمة تاريخ الفلسفة للكتور كوزان الدرس الثانى من دروس سنة ١٨٢٨ والتاريخ العلم للفلسفة الدرس الثالث ص ١٠٢ •

بتواضعه المعروف ما كان ليقبل هذا المجد ، فأنه كان يعلم أكثر من كل انسان أن الفلسفة قد كانت تنشأ من قبله بنحو قرنين الى أن جاء فأفاض عليها قوة وجمالا لم يفارقاها بعده • لم يكن مولد الفلسفة فى آتينا بل فى آسيا الصغرى ، لأنه يجب تأخير هذه الحادثة مائتى عام الى الوراء تقريبا ، الا أن تمحى من التاريخ تلك الاسماء العظام الاولى التى ذكرتها. ان التقدم الذى افتتح سقراط بابه لم يكن الا استمرارا لا ابتكارا وابداعا •

كل الاصول غامضة بالضرورة • يجهل المرء نفسه دائما فى أول الأمر • وان تعرف سنة هذه القرون الاولى مقرون بالشك الذى يلحق أيضا الحوادث ذاتها التى مرت كأنها غير محسوسة • ومع ذلك اذا لم يلتزم هنا الضبطغيرالممكن فأن أوائل الفلسفة اليونانية يجب أن تظهر لنا أجلى من أن يدعو للشك فى أمرها سبب محسوس •

كان طاليس من ملطية ، وقد حقق التاريخ وجوده فى جيش أحد ملوك ليديا نحو آخر القرن السادس قبل المسيح • وبعده بقليل جاء فيثاغورث الذى بعد أن عاد الى وطنه سموس اثر سياحات طويلة فر منه اتقاء لظلم بوليقراطس الذى كان يضطهده ، وذهب يحمل مذاهبه على الشطوط الشرقية لاغريقا الكبرى الى سيبارس وقروطون • أما اكسينوفان فأنه لاسباب أشبه بالمتقدمة نزح عن كولوفون • وطنه الاول ولما اجتمع ببعض المهاجرين من فوكاية ، الذين هم بين أنياب الأخطار قد وجدوا آخر الامر موئلا على شواطىء البحر التزهينى فى ايليا (هيبلا أوفيليا) ، أسس فى هذه المدينة الحديثة العهد وقتئذ مدرسة شهرت ذكرها •

أصرف القول الآن الى هؤلاء الثلاثة العظماء الذين كانوا جميعا رؤساء مدارس خالدات ، وان كنا لا نعرف منها الا الشىء القليل : مدرسة يونيا ، ومدرسة فيثاغورث ، ومدرسة ايليا • وعما قريب أستطيع أن أضم الى هذه الاسماء طائفة من أسماء أخر، لا يستطيع تاريخ الفلسفة أن يغفلها كما لا يستطيع اغفال الأولى •

ولكنى ، لا لشىء غير الفكرة فى أمر طاليس وفيثاغورس واكسينوفان أشعر بأمر يسترعى نظرى ، انهم ثلاثتهم من هذا الجزء من العالم الهلينى الذى يسمى آسيا الصغرى وانهم تقريبا متعاصرون • ان ملطية التى هى فى القارة ، وسموس فى الجزيرة التى بهذا الاسم ، وكولوفون فى شمال ايفيزوس بقليل ، تكاد لا تتجاوز الابعاد بينها خمسة وعشرين فرسخا •

على هذه المسافة الضيقة وفى وقت واحد تقريبا تجد الفلسفة مهدها المجيد • لكيلا نخرج من هذه الحدود فى المكان والزمان والموضوع نضيف

الى هذه الثلاثة الاسماء : طاليس وفيثاغورث واكسينوفان ، أسماء أنكسيمندروس وأنكسمينس اللذين هما أيضا من ملطية ، وهيرقليطس الذى هو من ايفيزوس ، وأنكساغوراس من كلازومين غربى أزمير قليلا فى خليج هيرموز . وأذكر اسم لوكيبس وديموقريطس اللذين ربما كانا من ملطية أيضا أو من أبدير مستعمرة طيوس ، واسم ميليوس الذى هو من سموس كفيثاغورث . وفوق ذلك أضيف الى هذه الاسماء أسماء بعض الحكماء الذين هم أقل استنارة من الفلاسفة ولكنهم ليسوا أقل منهم احتراما . فمنهم بطاقس من ميتيلين فى جزيرة لسبوس وهو رفيق سلاح للشاعر ألقايوس فى محاربة الطغيان ، وقد نادى به مواطنوه ديكتاتورا عليهم فلبث فيهم عشرة أعوام يعمل صالحا ثم نزل عن الدكتاتورية . ومنهم «بياس» من «بريينة» الذى لو اتبع الاتحاد اليونانى ما قدمه له من النصح لنجا كما ذكر هيرودوت . ومنهم ايزوبس الذى اقام طويلا فى سموس ثم فى سرديس عند كريزوس ، ذلك المولى الفريجى الذى لا ينبغى للفلسفة أن تنسى ذكره فى عداد ذويها ، والذى لم يستنكف سقراط من أن ينظم حكاياته شعرا (١) .

وأذكر كذلك أسباسيا من ملطية التى حدث عنها أفلاطون فى كتابه المينكسين ، والتى كانت تتحدث الى سقراط ، والتى كانت تعطى لبيركليس دروسا فى البلاغة كانت تؤلف منها أحيانا الخطب السياسية ، والتى خصص لها رفائيل محلا فى مدرسته الآتينية .

من ذلك يرى أن تيديمان الاريب كان محقا حين كنى آسيا الصغرى بـ « أم الفلسفة ووطن الحكمة (٢) . هذه الأحداث القليلة التى جئت على ذكرها والتى يمكن أن يضاف اليها كثير من أمثالها كافية فى اثبات هذه الحقيقة . منذ الآن متى عرض حديث منشأ الفلسفة فى عالمنا الغربى — بالمقابلة للعالم الاسيوى — عرفنا لمن هو ذلك المجد ، والى من يجب أن يسند عدلا .

يكفى قليل من النظر للعلم بأن من الممتنع أن تنمو الفلسفة بذاتها وحدها . من البديهى أن جميع عناصر العقل يجب أن تبلغ نماءها قبل التأمل . لان التأمل المرتب على نمط معين لا يظهر الا متأخرا وبعد سائر الملكات الأخرى . وليس بى حاجة الى التبسط فى بيان هذه الحقيقة المشاهدة فى الامم وفى الافراد على السواء . وأقتصر على أن أقرر أن مجرى الأمور فى آسيا الصغرى لم يكن مختلفا عنه فى غيرها . فان

---

(١) فيدون لافلاطون ترجمة فكتور كوزان ص ١٩١ و١٩٣ .

(٢) تيديمان (روح الفلسفة النظرية) سنة ١٧٨١ ج ١ ص ١٣٩ النسخة الالمانية .

الفلسفة على هذه الارض المخصبة لم تكن نبتا منفردا ولا ثمرة غير منتظرة . وقليل من الكلمات يكفي في التذكير بأنها كانت هي المنطقة المهيأة لهذا الانتاج الشريف وما على الا أن أسرد أجمل الأسماء وأحقها باعتراف الناس .

في رأس هذه الطائفة اسم هوميروس الذى ولد وعاش يقينا على شطوط آسيا الصغرى وفي جزرها قبل الميلاد بنحو ألف عام . وماذا عسى أن أقول في قصائده وكيف أوفي عبقريته مدحا وثناء . كل ما أقرر أن هوميروس لا يقصر أمره على أنه أكبر الشعراء بل هو أعمقهم فلسفة . وان بلدا ينتج باكرا أمثال تلك البدائع لحقيق بأن ينتج بعد ذلك عجائب العلم والتاريخ .

بعد هوميروس أقص نبأ قلينوس الايفيزوسى الذى هو حربى مثل طورطايس والذى شهد وقت اغارة القميريين وشدا بها في شعره . ثم الكمان السردى الذى حق له أن يعلم لقدمونيا وطن لوكورغس ويبهرها على ما بها من جفاء . وأرخيلوخس الباروصى والقايوس اللسبوسى ذى الربابة الذهبية كما قال هوراس . وسافو الميتيلينية أو الايريزية التى لا يكاد يستحق أحد الثناء أكثر منها الا هوميروس (١) . ثم ميمنرمس الازميرى شاعر انتصارات يونيا على الليديين . ثم فوكليديس الملطى الذى حمل الشعر قواعد الاخلاق . ثم أنا كريون الطوسى . وقريب من الشعراء تربندرس اللسبوسى مبدع الموسيقى وواضع طرائقها الثلاث الاصلية : الليدية والفريجية والدورية . ويمكن أن نضيف الى هؤلاء أريون الشاعر الذى هو من لسبوس مثل تربندرس .

ذلك في الشعر . وكم الى جانب الشعر من الكنوز التى لا تقل عنه في نفاستها وان قلت عنه في البهاء : علم الفلك والجغرافيا أبدعهما أنكسيمندروس وسكولاكس من كاروندا على خليج يسوس . والرياضيات التى أبدعها فيثاغورس وتلاميذه أسلاف أرستارخس السموسى معلم أرخميدس وهيبارخس الزودسى . والتاريخ أبدعه اكسنطس السردى وهيكاتيوس الملطى وهيلانيكوس الميتيلينى ، وعلى الاخص هيرودوت الهاليكارناسى الذى لقب منذ زمان طويل أبا التاريخ . وبودى لو أعطيه لقبا آخر لو وفقت الى لقب أجمل من هذا وأدخل منه في الحق . والطب انتقل من جزيرة سموس الى كورينا وقروطون وردس وكنيلس قبل أن يقر قراره في قوص بفضل بقراط الذى لايقل عظما في فنه عن هوميروس في شعره . وفن عمارة المدن أبدعه هيوداموس الملطى الذي كان مع ذلك

(١) ر . كتاب فيلمين على عبقرية بندار ص ١٠١ وما يليها . ر . أيضا تاريخ الآداب الاغريقية الذى ألفه أوتفريد موللر . ترجمة ايليبراندج ١ ص ٢١٨ وما يليها .

كاتبا سياسيا حلل مؤلفاته أرسطو في كتابه «السياسة» (ك ٢ب ٥) • وفن الحفر والصب أبدعهما تيودور السيموسي ابن روكوس • وفن التعدين أبدعه اتليديون ... الخ •

أقف هنا لكيلا نتجاوز بهذا التعديد الجاف أبعد ممـــا ينبغي • ولكنه يجب التنبيه الى أن هذا الخصب البالغ حـــد الاعجـــاز لم ينته بانقضـــاء تلك الازمان التي ذكرناها • فان تيوفراسط هو من ايريزا ، وأبيقور ربي في سموس وكولوفون ، وزنون فخر الرواق ولد في كتيون من قبرص ، وايفورس من كومة ، وتيوبومبس من شيوز ، وبرهاسيوس وأبيلس من ايفيزوس وكولوفون ، واســـترابون من أماسية على الجسر (البحر الاسود) مستعمرة احدى المـــدن اليونانية من الشاطىء الغربي لآسيا الصغرى ... الخ الخ •

تلقاء هذا المجد السامي الذي لم يمحه ما ظهر بعده لا يسعني الا أن أقف مأخوذا أتساءل : هل عرف الناس أن يوفوا هذه العبقرية وهـــذا الكمال وذلك الابداع حقوقها من الاعظام ؟ لا أظن ذلك • وتلك في رأينا داعية الى تعديل تاريخ هذه المستعمرات الاغريقية من آسيا الصغرى في بعض أجزائه على الاقل • تلك المستعمرات التي ندين لهـــا بكل شيء • ولكني اذا قربت هذا العمل وحاولت هنا عجالة فذلك لا لارفـــع ظلما مرت عليه القرون لضيق دائرة موضوعي ، بل ليحسن فهم الناس لتلك الحركة الخارقة للعادة والتي هي فذة في تطور العقل الانساني ، ولابين حق واضعي الفلسفة وآباء العلم •

لذلك أعرض ، دون مجاوزة الحدود المشروعة ، ماذا كانت هـــذه المستعمرات التي نزحت من آغريقا على شواطىء آسيا الغربية قبل المسيح بأحد عشر أو اثني عشر قرنا ، وماذا كانت الحوادث السياسية الرئيسية التي اعتورت تلك الاصقاع مدة قرنين اثنين من عهـــد اكستينوفان الى ميليســـوس ، ومن طاليس الى حرب بيلوبونيز • وسنرى أن فلاسفتنا أخذوا بقسط وافر من هذه الحوادث بل صرفوها في بعض الاحيان مع أنهم في الغالب كانوا لحرها صالين •

واني راجع في كل ما أقـــدم من القول الى هيرودوت وطوكوديدس واكستينوفون وما حفر على رخام باروس أو رخام آرونديل (١) •

كانت المستعمرات الاغريقية على شواطىء آسيا الصغرى مقسمة الى

---

(١) من بين المؤرخين الحديثين استند على الخصوص في تاريخ اغريقا الى ج جروت الذي هو أتم وأحسن ما أعرف :

ثلاثة أجناس متميزة تؤلف اتحادات منفصلة : الايوليون فى الشمال ، واليونان فى الوسـط ، والدوريون فى الجنوب • يقطن هؤلا وهؤلاء أوطانا متقاربة المساحة •. فاما الايوليون الذين هـم أول من هاجر من الوطن الاصلى المشترك فأنهم حطوا رحالهم واستوطنوا آسيا بعئذ فتح طروادة بقرن تقريبا اذا طردوا من بيلوبونيز عند اغارة الهيرقليديين• وأما اليونان فقد جاءوا بعدهم بأربعين سنة تقريبا • وأمـا الدوريون فكانوا آخر المهاجرين •

كان الأيوليون الذين هم أقل الشعوب الثـلاثة شهرة وأضعفها امتيـازا يقطنـون اثنتى عشرة مـدينة (١) وهى كومة فريكيون ، ولاريسافريكيون ، وليونتيكوس ، وطموس ، وكيلا ، ونوسيـون ، وايغيروسا ، وبيطانى ، وأيغاى ، ومورينا ، وغروناى وأزمير • ولكـن هذه المدينة الاخيرة قد نزعت من أيديهم وأضيفت الى الاتحاد اليـونانى بفضل الذين نفوا من كولوفون والتجئوا الى أزمير واستولوا عليها فى غفلة من أهلها • وقد ضاع من أيدى الايوليين أيضا بعض المدن الاخـرى التى أسسوها على جبال ايدا • وكان لهم خارج القـارة خمس مدائن بجزيرة لسبوس ، وواحدة بجزيرة طندوس ، وأخرى فى مجموع الجزر الصغيرة التى كان يطلق عليها اسم مائة الجزيرة منذ زمان هيرودوت • ولم يكن للمدائن الايونية من الاسم الا الخمول • وكانت أرض أيولس أحسن من أرض يونيا ولكن جوها كان أقسى من جو الاخرى خصـوصا فى سرعة التقلب •

وأما اليونان فكان لهم اثنتا عشرة مدينة كلها على التقريب مشهورة• وهى:ملطية وميوس وبربينه فى قاريا ، وايفيزوس وكولوفون وليبيدوس وطيوس وكلازومين.وفوكاية فى ليديا وايروطراى على اللسان الذى يكونه جبل ميماس • وكان لهم جزيرتان : سـموس فى الجنوب ، وشيوز فى الشمال •. ومن الغريب أن اليونان كان لهم أربع لهجات متباينة جـد التباين : لهجة سموس وكانت لاتشابه واحدة من الثلاث الاخرى، وملطية وميوس وبريينة كان لها ثلاثتها لهجة واحدة • وللمدن الست الاخـرى لهجتها ، وكان أهل شنيوز وايروطراى يتكلمون بلسان واحد •

أما الدوريون الذين جاءوا بعـد الآخرين فكان قرارهم فى الجزء الجنوبى ، وليس مدق الديوريون لهم الا ست مدن نزل عددهم الى خمس

---

(١) اتبع فى ذكر هذه المدن الترتيب الذى وضعه هيرودوت • ولكن أخذا من الجنوب الى الشمال يجب أن ترتب هكذا : طمنوس ، نيونيتكوس ، لاريسا ، كومة، ايغاى مورينا غروناى ، بيطانى ، كيلا . ولا يعرف مكان الاخيرتين •

بعد قليل ، وهى : لندوس ، ويالسوس ، وكاميروس فى جزيرة رودس، وقوص ، وكنيدس ، وهاليكارناس • على ان هذه المدينة الاخيرة قد عزلت عن الاتحاد الدورى عقابا لها على أن أحد أهلها كان اتهم بانتهـــاك بعض الحرمات المقدسة •

كل واحد من هذه الاتحادات الصغيرة كان له معبد جامــع مشترك يجتمعون فيه : فللدوريين معبـــد طريوبيون ، ولليونان معبـــد نبتون هلليكونى على رأس موكالى فى مواجهة سموس تقريبا ، وفى هذا المعبد كان يجتمع مجلس الاتحاد اليونانى المسمى بأنيونيون والذى كان يرأسه دائما شاب من شبان بريينة • ولا يعرف بالضبط معبد الايوليين • كانت هذه المعابد لاقامة الاعياد الدينية عادة ، غــير أنهم فى الظروف الخطيرة كانوا يتداولون فيها فى أمر اخطار الحلف وفيما يمس منافعهم الكبرى •

لم تك هذه المستعمرات لتشغل جغرافيا الا مساحة ضيقة • فلو أن شهرة المدائن والممالك كانت تقاس بمقدار امتدادها لظلت هذه المستعمرات مجهولة فى التاريخ ، فان مساحة المستعمرات الأيولية واليونانية والدورية لا يكاد يتجاوز مجموعها ٧٠ فرسخا فى الطول على ١٥ أو ٢٠ فرسخا فى العرض ، أى أقل من ثلاث درجات فى خطوط الطول وأقل من درجة فى خطوط العرض • ومساحة لسبوس خمسة عشر طولا على خمسة عرضا • وسموس لا يبلغ محيطها ٣٠ فرسخا • وشيوز أكبر منها قليلا •

ومن الطبيعى أن اهتم بأمر اليـــونان أكثر من الآخرين ، فانهم كانوا أكثر نشاطا وحذقا فى الملاحة والتجارة والسياسة والفنون والعلوم والآداب • ومن الامم كثيرة العدد من كان أثرهم أقل ألف مرة من أثـــر اليونان •

لما ترك اليونان أشاية الواقعة شمال بيلوبونيز على خليـــج كرسا كان لهم فيها اثنتا عشرة مقاطعة أو مدينة • واستصحابا لتذكـــار وطنهم الاول لم يشاءوا أن يؤسسوا فى آسيا من المستعمرات عددا أكثر مما كان لهم فى اغريقا • ولما طردهم الدوريون الذين أغاروا على بيلوبونيز من الشمال اجتازوا برزخ كورنتة واحتموا الى أجل ما على الاقل فى أطيقا ، وهى الملجأ العادى لجميع المنفيين كما نبه اليه طوكوديدس فى مقـــدمة تاريخه • وعما قليل ضاقت أطيقا القليلة الخصب ذرعا بأهلهـــا واضطر نازحو أشاية الى البحث عن ملجأ آخر • وصادف وقتئذ أن قدروس مات ميتة الابطال دفاعا عن وطنه ، ولما ألغى نظام الملوكية لم يتيسر لابنائه أن يقيموا فى بلد انقطع فيه رجاؤهم من ميراث أبيهم ، فرأسوا المهاجرين فى هجرتهم • فأما نيلاوس فولى وجهه شطر ملطية ، واما اندركلوس فاتجه

الى ايفيزوس · ولو صدقنا رخام باروص لقلنا أن نيلاوس هو الذى أسس المدائن الاثنتى عشرة اليونانية وأسس رابطة اتحاد تحت ظل الدين هى البانيونيون الذى لم يكن بعد من القوة على ما كان يرجو مؤسسه ·

يظهر أن المهاجرين الذين اقتفوا آثار ابنى قدروس كانوا خليطا ولم يكونوا من صميم اليونان كما يمكن أن يظن · فان الذين أتوا من أشاية الى أطيقا اختلطوا فيها بأجناس مختلفة مختلطة جد الاختلاط ليس بينهم وبين اليونان جامعة مشتركة بل لا يشابه بعضهم بعضا ، انما كانوا أبانطة من أوبويا ، ومنجينيين من أرخومنوس ، وقدميين ودريوبيين وفوكيين ومولوس وأرقديين وبلاسجة ودوريين من أبيدورس وطائفة من أجناس أخر · وكان كل هؤلاء الرحل يعامل بعضهم بعضا على حد المساواة ، ومع ذلك كان اليونان الذين هم من نسل شيوخ آتينا يعتبرون أشرف هذا الخليط وان كان ذلك لم يستتبع أية مزية عملية · وان تلقيبهم بلقب « اليونان » كان فى ذلك الحين وفيما بعده أيضا قليل الرفعة ، فكان الآتينيون يخجلون منه ، وكان الملطيون فى أوج قوتهم يحبون أن ينفصلوا من بقية هذا الاتحاد الذى كان دائما قليل الاحترام · واما اليونان فكانوا من جهتهم أيضا يفخرون بأصلهم ويقيمون مثابرين الابتوريا الآتينية ، تلك الاعياد الخاصة بالعائلة وبرابطة الأخوة الشعبية التى كانت موجودة فى آتينا ، ما عدا أهل كولوفون وايفيزوس فانهم حرموها على اثر قتل حرام ارتكبوه ·

لم تكن المهاجرة هينة ولو أنه كان يرأسها أبناء ملك · فلم يحمل المهاجرون الى ملطية معهم نساءهم واتخذوا زوجات بالاكراه ، بل عمدوا الى القاريين فذبحوا منهم الآباء والبعول والاولاد ، واستحيوا النساء واتخذوهن زوجات لهم ، ولكنهن انتقمن لانفسهن فأقسمن الايمان على ألا يطعمن مع غاصبيهن طعاما ولا يدعونهم أزواجا حتى لا يذقنهم حلاوة هذا الدعاء ، واستننت بناتهن هذه السنة مع أزواجهن عدة أجيال ·

والواقع ان البلد الذى احتله المهاجرون كان محتلا قبلهم زمانا طويلا · فقد كان فيه ، غير أهليه ، خليط من البلاسجة والتوكريين والموصيين والبيثونيين فى الشمال ، ومن الفريجيين والليديين والمايونيين فى الوسط ، ومن القاريين والليليج ··· الخ فى الجنوب · وكان هؤلاء قبائل منقسمين على أنفسهم أكثر مما هو الشأن فى الاغريق ، ولو انهم كانوا يقربون القرابين بالاشتراك ، مثال ذلك قرابينهم الى « مولاسا » فى معبد «المشترى» القارىء · فى أوائل الامر لم تكن الممالك التى كمملكة ليديا قد اتخذت نظمها بعد · ولو ان الليديين لما زحزحوا بعد ذلك الى الوسط نشروا سيادتهم بادىء الامر على تلك الجهات الى الشواطىء ،

وبعثوا منهم طوائف المستعمرين الى اغريقا الكبرى والى أمبريا وعلى شواطىء البحر الترهيني • وأما الموصيون الذين كانوا الى شمال ليديا وغربيها فكانوا انزع هذه الامم الى الحرب •• والفريجيون الذين هم أكثر توغلا فى الجهة الشمالية من هؤلاء كانوا يثرون من تربية القطعان ، يبيعون من أصوافها وأجبانها ولحومها المملحة بأثمان غالية جدا فى أسواق ملطية • وكان الليديون مشتغلين على الاخص بصناعة المعادن ، لان نصف أرضهم بركانية تخرج الذهب والفضة والحديد والنحاس •• الخ • وكانت أخلاق الفريجيين والليديين أخلاق تهيب وحياء ، ومن بلادهم يأتى أكثر العبيد •

ومع أن اليونان جاءوا الى آسيا بالبحر فلم تكن تظهر عليهم المهارة فى فن الملاحة • وعلى قول طوكوديدس لم يكن تفوق البحرية اليونانية حقيقة الا تحت حكم قيروش وابنه قمبيز ، ومع ذلك فقد كان شأنهم أن أقبلوا بجد على أن يتلقوا دروسا عن الكورنتيين الذين كانوا وقتئذ أعلم الناس بانشاء العمارات البحرية وانتفعوا بتلك الدروس • على انهم قد ألجأتهم الحاجة منذ بداية أزمانهم الى التزام الشواطىء فى ملاحتهم • كانت هذه المدائن التى تستجلب كل شىء من داخلية البلاد لا تستطيع أن تحصل على الثراء الا بتجارة كبرى فى الصادرات والواردات • فكانت كبنوك ومراكز معاوضات بين الاهالى والبلاد التى كان يأتى منها الأجانب• فلم يمض على هذه المدائن زمان حتى ظهرت ثروتها على صورة رائعة • ولما ازدحمت بالسكان وفاضت بالثراء استطاعت أن تنشىء أساطيل قوية ، وعمرت كل شواطىء البحر الابيض المتوسط شمال افريقية حيث كان لصور وسيدون من قبل منشآت فى اغريقيا الكبرى وصقلية وفى بلاد الغالة وفى أسبانيا أمام عمد هيرقليس وفيما وراءها ، وعلى الاخص فى القسم الشمالى لبحر أيغاى وفى هليسبنتس ، والبروبونتيد ، بل فى البحر الاسود الذى كان يسمى وقتئذ «الجسر» ، حتى لقد قيل ان ملطية وحدها كان لها خمس وسبعون أو ثمانون مستعمرة •

هذا النماء الاول للمستعمرات الاغريقية بآسيا الصغرى ، وعلى الخصوص المستعمرات اليونانية ، غير معروف الا قليلا مع أنه استمر على الاقل ثلاثة قرون أو أربعة ، فان التاريخ لم يبتدىء حقا الا حين دخلت المدائن الهلينية الحرب مع المملكة الليدية أى حوالى القرن الثامن قبل الميلاد ، اعنى من عهد حكم المرمنادة •

روى هيرودوت على طوله تاريخ جوجيس الذى ارتقى عرش ليديا بقتله قندولس ملكها •• وهذه الحكاية ليس عليها الا مسحة الصدق وان كانت ليست مطابقة لرواية أفلاطون التى هى بالبداهة أسطورة • فان

غضب الملكة زوجة قندولس وغدر جوجيس عشيقها ليس فيه شيء من المستحيلات . وأما حكاية الخاتم فليست الا اسطورة عامية وجدت بعد ذلك بكثير على صورة أخرى في «ألف ليلة وليلة» . ولقد حدث أرخيلوخس وهو معاصر لقندولس وجوجيس عن ذلك العسكرى الذى صار ملكا وعن اقدامه وظفره في احدى القطع الشعرية التى كان لا يزال يقرؤها هيرودوت (١) . وقد انتهت بموت قندولس العائلة الليدية الأولى التى تدعى أنها سلالة هيرقليس ، والتى دام ملكها خمسمائة وخمسة أعوام مدة اثنين وعشرين جيلا من عهد نصف الاله الذى وصلها بنسبة كبريائها . وكان جوجيس هو أول الدولة الثانية دولة المرمنادة .

افتتح جوجيس في أول القرن السابع قبل الميلاد عهدا جديدا ، اذ أخذ يغير على المدائن الاغريقية ملطية وأزمير وكولوفون . وربما كان الحامل له على ذلك أنه أراد أن يبرر اغتصابه للملك ومطاوعة لبعض الضرورات السياسية ، في حين أن ليديا كانت وقتئذ بينها وبين الاغريق ، خصوصا اغريق القارة ، علاقات أقرب ما تكون الى السلام .

وقد كان جوجيس ، كسائر الاغريق في آسيا وفي غيرها ، يعتقد وحى دلفوس ويخضع له . ولما كان محاطا بالمكايد من كل ناحية منذ تبوئه العرش ، وخائفا من سخط الليديين الذين كانوا شديدى التعلق بالملك الذى ذبحه ، أراد أن يدخل الاله في قضيته ، فاستشاره وقدم اليه الهدايا الغالية . وقد أقر الاله هذا الغاصب القاتل على عمله . ولكن بوثيا كاهنة دلفوس كانت قد أنبأت بأن عائلة هيرقليس سوف ينتقم لها من شخص الولد الخامس من ذرية جوجيس . وكان هذا الخليفة الخامس هو كريزوس السيء البخت المشهور بمصائبه أكثر من شهرته بكنوزه التى تضرب بها الأمثال . ولكن لم يك جوجيس في أوج ملكه ولا الليديون في سخطهم ليعبئوا بانذار الكاهنة ، وملك ذلك العسكرى الزانى القاتل ثمانية وثلاثين عاما آمنا مطمئنا ما عدا حروبه مع مدن الشاطىء . والظاهر أن ملطية وأزمير وكولوفون سلمت له وخضعت لسلطانه .

وقد حكم أردوس خلف جوجيس أكثر منه أيضا أى مدة تسعة وأربعين عاما . فاستولى على بريينة وهاجم ملطية بلا جدوى لانها استطاعت رد هجماته . وخلفه ابنه سدواتيس ، فلم يمكث على العرش الا اثنى عشر عاما ومات ، وكانت سنوه الست الاخيرة كلها مشغولة بمحاربة ملطية كما كان يفعل أبوه . ولكن هذه المدينة التى لم يكن يستطيع أن يأتيها من

---

(١) ر . هيرودوت ك ١ ب ١٢ ، وأفلاطون ، الجمهورية ك ٢ ب ٦٩ ترجمة فكتور كوزان .

البحر نجحت في الدفاع عن نفسها ، على رغم أن عدوها كان يهمك حرثها كل سنة وكان دائما على قدم الاستعداد ليكرر هجماته المخربة . وفي كل مرة حاول الملطيون الحرب في العراء كانت هزيمتهم أمرا مقضيا . وقد مزقهم العدو كل ممزق مرتين على أرضهم في ليمنيون وفي سهول مياندروس حيث صادف منهم غفلة وسوء احتياط .

وقد واصل أليات بن سدواتيس محاربة مدينة ملطية خمس سنين، وكان يظن وقوعها في يديه بالقحط وشيكا لولا أنه استشار وحي دلفوس ، كما كان يفعل أجداده ، فجنح لعقد الصلح معها . وساعد على ذلك مهارة طراسوبولس طاغية ملطية وقتئذ . اذ أنبأه جلية الامر صديقه بريانروس بن كوبسيلوس طاغية كورنتا ، فأخفى عن سفير ليديا حقيقة الحال السيئة التي وقعت فيها المدينة من جراء الحصار ، وأوهمه أن في باطن أسوارها من الارزاق والذخائر ما لم يجتمع لها مثله من قبل . وبذلك انخدع أليات بما خبره به سفيره المخدوع وأمضى عهد ملطية في حين أنه لم يكن بينه وبين الاستيلاء عليها الا القليل . وقد استمر هذا السلام الذي يرجع الفضل فيه الى الوحي ودهاء طراسوبولس زمانا طويلا. ومات أليات بعد أن حكم سبعة وخمسين عاما حكما مملوءا بالاضطراب . وفي هذا الزمن لم يقطع صلته الحسنة بكاهنة دلفوس . وقد اعتراه مرض طالت مدته ، فلما برىء باستشارة الوحي قدم الى اله دلفوس كأسا جميلة من الفضة قاعدتها من الحديد فنية الصنع صاغها جلوكوس الشيوزي مخترع ذلك النمط الحديث الذي بالغ الناس في الاعجاب به .

لم تكن حرب ملطية هي الوحيدة التي أجج نارها أليات ، بل استولى على أزمير مستعمرة كولوفون ، وهاجم مدينة كلازومين الواقعة على مسافة قليلة الى الغرب في الخليج بعينه ، ولكن كلازومين ردته عنها وحملته خسائر عظيمة . غير أن أليات ألهم التوفيق وخدم آسيا كلها خدمة حقيقية بأن حول قواه الى محاربة القميريين الذين استولوا في عهد جده أردوس على تلك الولايات الآمنة المخصبة . فانهم لما طردهم السيتيون الرحل من مواطنهم اضطروا الى النزوح جهة الجنوب ونفذوا من قوقازيا وولوا وجوههم جهة الغرب وجازوا هالوس وتقدموا الى قلب آسيا الصغرى ، وكانوا قد دخلوا سرديس عاصمة ليديا على حين غفلة من أهلها وأحرقوها إلا القلعة القائمة على صخرة شاهقة يجري من تحتها نهر بكتول فهي وحدها التي استعصت عليهم ، ثم ردوا عن المدينة بعد ذلك ولكنهم ظلوا يهددون الامن : يخيفون السابلة وينهبون الاماكن المجاورة ، حتى طردهم أليات من آسيا الصغرى ودحرهم الى الشرق وقذف بهم بين

الاجناس السامية التي كانت حدود أوطانهـــا تنتهي الى هالوس • ومن يومئذ يظهر أن علاقته بهم صارت من السهولة والعطف بمكان •

لكن هذه العلاقات التى كانت بين ليديا وبين السيتيين هى التى جرت على آسيا الصغرى جيوش الميديين ثم جيوش الفرس الذين هـــم أشد بأسا • فان فصيلة من السيتيين لما طردوا من اقليمهم القاسى المناخ هبطوا الى أرض ميديا فى الشـــمال الغربى من نهر الفرات ، فأحسن كواكزاريس ملك الميديين وفادتهم ، ولم تقتصر حفاوته بهم على أن مكن لهم فى وطنه ، بل دفع اليهم صبيانا من الميديين ليعلموهم لغتهم وليتعلموا فى مدرستهم فن الرماية • ولكن بعض هؤلاء المتوحشين المقربين من ملك ميديا غاظهم منه شدة فى قول وجهه اليهم ، فشفوا غليـــل صدورهم من هذه الاهانة بأن قتلوا الصبيان الذين هـــم فى رعايتهم واحتموا بمعية أليات ليتقوا شر العقاب الذى كانوا يتوقعون • فطلب كواكزاريس تسليم الجناة وأبى ملك ليديا تسليمهم • ومن ذلك قامت بين الليديين والميديين حرب لم تخب نارها خمس سنين أو أكثر • وهذا السبب كان تافهـــا جدا ، بل يظهر أن الخلاف قام على سبب آخر ، لان المملكتين متجاورتان، والاحتكاك بين أمم ما زالت متوحشة مثار خلاف لا يتقى •

هنا استوقف النظر لحادثة فى غاية الخطر من حيث تاريخ تلك الامم ومن حيث تاريخ علم الفلك ومن حيث تاريخ الفلسفة جميعا : كانت تلك الحرب فى سنتها السادسة والتقى الجمعان وجنودهم على أشـــد ما يكون التحام بين المحاربين ، واذا بالشمس قد كسفت فغشيهم ليـــل مظلم اضطرهم الى وقف القتال • ليس فى هذه الحادثة ما يبعد احتمال وقوعها ، وليس من الغريب أن تأخذ ظاهرة من هذا النوع بالعقول مأخذا عميقا • غير أن هيرودوت الذى حفظ لنا ذكرهـــا زاد على حكايتهـا أن طاليس الملطى كان قد تنبأ بهذا الكسوف الشمسى ونبأ اليونان به وبالسنة التى يقع فيها (١) •

لا شبهة لدى فى رواية المؤرخ تلك التى قد أفسحت من البحث محلا لنظريات كثيرة على غاية الخطورة • فقد بحث العلماء أخيرا فى حساب هذا الكسوف بالآلات الفلكية التى بين أيدينا الآن والتى تكاد تكون معصومة من الخطأ رجاء تعيين تاريخ صحيح ثابت بين تلك الروايات المختلطـــة المشكوك فيها ، ولكن لم يمكن الاجماع على أمر علمى محض ولا الاهتداء الى الغرض المطلوب • فان الأب بيتو قد حسب أن هذا الكسوف ينبغى أن

---

(١) هيرودوت ك ١ ب ٧٤

يكون قد وقع فى السنة الرابعة من الاولمبياد الخامسة والاربعين ، يعنى السنة ٥٩٢ قبل الميلاد • وأما سان مارتان الذى هو آخر من عنى بهذه المسألة فانه وجد أن كسوفا كليا يرى فى هالوس حيث ملتقى الجيشين لا يمكن أن يكون الا فى ٣٠ سبتمبر سنة ٦١٠ قم « ر • مذكرات مجمع الرسوم الخطية والفنون الجميلة ـ السلسلة الجديدة ـ الجزء ١٢ » واذا يكون الفرق بين التقديرين ثمانية عشر عاما • ويمكننى أن أسرد آراء آخرين من المؤلفين الحديثين ليسوا أقل اختلافا من السابقين • أما بلاين عند القدماء فانه عين هذا الكسوف بغاية الضبط فى السنة الرابعة من الاولمبياد الثامنة والاربعين وفى السنة ١٧٠ من تأسيس روما (١) • وهذا التوافق المشكوك فى ضبطه بين التاريخين يجعل ذلك الكسوف فى سنة ٥٨٠ تقريبا • ولست أريد الدخول فى هذه التفاصيل لانى لا أتطلع الى امكان الفصل فيها واستجلاء غوامضها ، بل أقف عند حد الرجاء فى أن علم الفلك يستطيع أن يضع رأيا قاطعا فى هذه المسألة التاريخية •

أما المسألة الأخرى التى أثارت هذه الحادثة ثائرتها فهى : أيكون من الممكن أن طاليس حسب حقيقة هذا الكسوف وتنبأ به كما سمع بذلك هيرودوت ؟ شك المؤرخون الحديثون فى ذلك • وفى هذه الايام أنكر ج • جروت (٢) أن العلم كان وقتئذ من التقدم بحيث يسمح بنبوءات مثل هذه وحسابات علمية الى هذا الحد • لا أبغى أن أعارض هذا المؤرخ وهو حجة ، ولكنى أنبه الى انه يؤخذ من رواية هيرودوت عينها ، صادقة كانت أو كاذبة ، انه فى زمانه أى بعد طاليس بقرن تقريبا كان الناس يعتقدون امكان حساب الكسوف • هذا وحده يكفى فى اثبات أن العلم كان متقدما الى قدر الكفاية فان مثل هذا الفرض يشهد بتقدم هو غاية فى الجد لانه لأجل أن يقبل العامى امكان حساب الكسوف ويصدقه ويتحدث به لابد من أن يكون العلماء قد وفوا الموضوع بحثا • ومما لا جدال فيه أيضا ان شهرة طاليس بين تلك الشعوب كانت من الرفعة بحيث انهم نسبوا اليه من غير تردد هذه المعجزة العلمية • ولقد قرر بلاين أن هيبارخس الرودسى أمكنه أن يضع فهرسا لكسوف الشمس وخسوف القمر مدة ستمائة عام • وفى زمن هذا الكاتب الرومانى لم تكن الحسابات الفلكية لتخطىء مرة واحدة • حتى قيل : «ان هيبارخس كان يحضر مداولات الطبيعة» • وكان هيبارخس بعد طاليس بأربعمائة عام تقريبا • وربما كانت المسافة بين علم أحدهما وعلم الآخر متناسبة مع المسافة الزمنية بينهما ، لأنه ليس فى يوم واحد

(١) بلاين • التاريخ الطبيعى ك ٢ ب ٩ ص ١٠٦ طبعة وترجمة ليترى •
(٢) ر • م • ج جروت • تاريخ اليونان ج ٣ ص ٣١١ •

يمكن الوصول الى نتائج علمية مضبوطة الى هذا المقدار • فلست أرى من المستحيل فى شىء أن طاليس فى عهد اليـــات قد فتح باب علم بلغ به هيبارخس هذه الغاية البعيدة سنة ١٥٠ قبل الميلاد •

أعود الى ما كنا فيه :

بعد قليل عقد الصلح بين الليديين والميديين بوساطة سونيزيس ملك كيليكيا ولابينيوس ملك بابل • وزف اليات ابنته زوجة الى أصطياغ بن كواكزاريس ، وأقسم الطرفان على احترام المعاهدة • واتباعا لعرف هذه الشعوب قد فصد سفراء الصلح من الجانبين أذرعهم ومص كل فريق من دم الفريق الآخر • ولكن هذه المحالفة التى عقدت على أكمل ما يمكن من الاخلاص كانت طائر نحس على ليديا ، اذ جرتها الى حرب جديدة انكسرت فيها وفقدت وجودها •

ذلك انه لما مات الملك اليات خلفه ابنه كريزوس الذى قدر عليه أن يكون آخر ملك لجنسه وحقت بذلك نبوءة هاتف دلفوس • وكان كريزوس هذا الذى صار اسمه مرادفا للغنى أميرا من خير الامراء الممتازين • ومع أنه كان شديد الاعجاب بكنوزه الوراثية التى جمعها أجداده الهيرقليون والميرمناديون لم يكن رجلا مترفا ولا ضعيفا كما يبدر للذهن عادة ، فما كاد يلى الملك حتى فكر فى أن يتم عمل أسلافه ويخضع نهائيا جميع المدائن الاغريقية على الشاطىء ، فتجنى عليها بعلل مختلفة حقا أو باطلا بادئـــا فتحه بايفيزوس ، وعما قريب أخضع الى سلطانه كل المستعمرات اذ قهر يونيا وأيولس جميعا ، ولكن كريزوس أحس أنه لم يصنع شيئا مادامت الجزر خارجة عن قبضة يده ، فجهز أسطولا ليجاوز عليه بجيشه البحر ، ثم عدل عن هذه الغزوة التى هى قليلة الجدوى عند أمة كالليديين بنصيحة بياس البرييني ، وفى رواية أخرى بنصيحة بطاقس الميتيليني اذ جاء الحكيم الى سرديس فسأله الملك عن ماجريات الحال فى الجزائر ، فأجـاب بياس : «ان أهل الجزائر يتأهبون لمهاجمة سرديس فى عشرة آلاف فارس» فأجاب كريزوس : لتشأ السماء أن يركبوا هذا الشطط • فقال الحكيم: «أيها الملك لك الحق أن ترغب فى أن أهل الجزر يرتكبون خطأ كهذا ، ولكن ماظنك بما سيقولون من جانبهم عندما تأتيهم الانباء أنك تفكر فى غزوهم من طريق البحر ؟ » • ففهم كريزوس الدرس على مرارته ، وقنع بأن عقد عهد محالفة ومودة بينه وبين يونان الجزر •

لما ارتاح كريزوس واطمـــأن من هذه الجهة بحث فى بسط سلطانه الى جهة الشرق وفى آسيا الصغرى ، وعما قليل وضع يده على جميع الشعوب النازلة الى هنا من نهر هالوس دون ما وراءه ، وهم الفريجيون والميزيون

والماريانديتيون والخالوبس والبفلاغونيون وتراقيوثينيا وبيثينيا والقاريون وانبمفيليون حتى الدوريون وانيونان والايوليون • ولم يفلت من قبضتـه الاكيليكيا وليكيا في الجنوب • وكان نهر هالوس هو أحد الثلاثة أو الاربعة الانهر التى تحدد هذه البقاع المسماة آسيا الصغرى وترويها ، فهو ينبع من جبال ارمينية ويسير من الشرق الى الجنوب الغربي وينفرج على نحو زاوية قائمة ليتجه من الجنوب الى الشمال فيصب في البحر الاسود شرقى سينوب وطن ديوجين وبعد نهر هالوس ثلاثة انهر أخر عظيمة النفع لتلك الجهات تتقاسم بينها شبه الجزيرة ، جارية كلها الى الغرب وصابة فى البحر الابيض المتوسط يوازى بعضها بعضا تقريبا ، وهى الميـانـدرس الذى يصب فى خليج ملطيـة ، والقاوصنترس فى خليج ايفيزوس ، والهرموز فى خليج أزمير الى الشمال الغربى قليلا • وكان لكريزوس أن يفخر بأنه تفرد بالملك فى آسيا الصغرى وانه وصل بالمملكة الليدية الى حد من رفاهة العيش وقوة البأس لم يكن لها مثله من قبل • ولكن ذلك هو فى الواقع كان السبب فى خرابها •

فى هذه الاثناء حصلت تغيرات وانقلابات عظيمة فى الشرق وفى البلاد المجاورة للمملكة الليدية المترامية الاطراف • فأن قيروش خرب مملكـة اصطياغ صهر كريزوس ، وقهر ملوك آشور ، وعاهد ملك هـرقانيا ، وفكر فى مهاجمة ليديا التى كان يظهر عليها انها كانت متحدة مع أعدائه • وبعد أن بسط سلطانه على جميع البلاد شرقى نهر هالوس لم يكن هناك محل للتأخر عن عبور ذلك النهر ، كذلك لم يكن لقوة الفرس الهائلة مدفع عن أن تمتد الى البحر وان تفتح شبه الجزيرة وكل ماتحويه من الشعوب سواء فى ذلك البرابرة والاغريق • ولقد أدرك كريزوس للحين خطر الموقف الذى يتهدده ، فلما علم بهزيمة اصطياغ استكمل عدته للحرب بقدر ما يستطيع •

فما كاد يتعزى عن موت ابنه الذى قتل فى حادثة فى الصيد ، حتى عزم على أن يقف تقدم الفرس بأن يحالف اغريق الشواطىء وجميـع اغريق بيلوبونيز والغرب • ولهذه الغاية أرسل بادىء الامر يستشـير الوحى ليحصل على تأييد الآلهة والاعتقاد العام • وذهبت وفوده فعلا الى دلفوس ودودون ، والى أباس فى فوكيد ، والى غار طروفو نيوس ومعبد انفياراوس ومعبد البرنشيد على مقربة من ملطية ، بل الى معبد المشترى آمون نفسه • وكان كريزوس يريد ان يضع لهم بادىء الامر اسئلة يختبر بها صدقهم ثم يستفتيهم بعد ذلك بصورة منظمة فى المسألة الكبرى مسألة الحرب مـع الفرس التى كانت تقلق باله • فوجد أن هاتفى دلفوس وانفياراوس أكثر اخلاصا ، فحمل اليهما الهدايا الباهرة التى يمكن قراءة وصفها التفصيلى فى هيرودوت الذى رأى بعض هذه النفائس الغالية فى المحاريب • وعندما

تقدم ملك ليديا تلك الهدايا الثمينة استشار الهاتفين فى أمر الحرب فكان جوابهما مبهما كله تورية ، اذ قال : « اذا اشتبك كريزوس فى الحرب مع الفرس خربت مملكة عظمى » .. أيهما ؟ أدولة الفرس أم دولة ليديا ؟ لم يقل الالهيان بالتعيين ولكنهما نصحا لكريزوس أن خير وسيلة أن يتخذ حلفاء ونصراء من أقوى الشعوب الاغريقية . فعاود كريزوس هاتف دلفوس فى هذه النقطة فعين له الهاتف اللقدمونيين من الجنس الدورى والآتينيين من الجنس اليونانى ، يعنى الهيلنيين والبلاسجة ، فأوفد سفراءه الى الاجزاء المختلفة لبلاد الاغريق يخطب ودهم فلم يجب دعاءه الا اللقدمونيون الذين هم مائلون اليه لخدم أداها لهم قبل ذلك . أما بقية الاغريق، وعلى الخصوص الآتينيين ، فلم يدركوا حقيقة الخطر المقبل ولم يجيبوا داعى ملك ليديا واستنجد كريزوس ، على ما يقول سيروبيديا ، حتى بأهل مصر . ولكن من المشكوك فيه ان مصر وجهت لمساعدته مائة وعشرين الف مقاتل كما يروى الرجل الطيب اكسينوفون .

ولقد أول كريزوس جواب الهاتف لمصلحته خطأ وأغار على كابادوس من أرض ميديا التى افتتحها قيروش قبل ذلك بقليل ، وكان من الضرورى له أن يعبر نهر الهالوس وهو فى هذا المحل واسع المجرى ، ووقع بذلك فى صعوبة كبرى لم يتغلب عليها الا بحذق طاليس الذى كان قد تبع الجيش الليدى فى عدد غير قليل من مواطنيه ، فانه اصطنع جسرا عريضا فصل النهر الى عدة فروع سهل اجتيازها . تلك هى الرواية التى وصلت الى هيرودوت فى حداثة عهدها . ولكن هيرودوت يظهر عليه أنه يعتقد أن الجيش عبر النهر بالبساطة على قناطر لم تنشأ فى رواية العامة الا بعد هذه الواقعة بزمان . ولما عبر كريزوس النهر استولى على المنطقة التى كانت تسمى بطيريا وخربها .

سارع قيروش الى لقاء الغائرين بجميع جيوشه ومن انضم اليهم من أهل البلاد ، ولكن قبل أن ينازل الليديين أرسل الى اليونان يستميلهم الى التخلى عن جيش كريزوس ، ولكن اليونان بقوا على عهدهم مع كريزوس لاعتقادهم أن خيانة مخجلة لا تأتى الا بالعار المجرد من كل منفعة ، لان الاغريق لا يستطيعون ان يقفوا وحدهم فى وجه الفرس اذا سقطت ليديا فى يده كما كانوا يتوقعون . وان هزيمة عامة لكل اجناس الاغريق خير من العار ما داموا مصرين على ألا يسلموا بلادهم الى الفرس لاول وهلة . ولما التقى الجمعان فى سهول بطيريا شرقى هالوس جرت بينهم حرب طاحنة استعرت نارها طول اليوم الى المساء لم يظهر فيها نصر نهائى لاحد الفريقين على الآخر .

ولكن اضرارها كانت على كريزوس أكبر ، لان جيشه مع بسالة قواده كان قليل العدد جدا بالنسبة الى الجيش الآخر . ولما رأى قيروش ما مس جيشه من القرح لم يشأ ان يبدأ بالقتال فى اليوم التالى ،فانتهز كريزوس تلك الفرصة للتقهقر الى سرديس وعزم على ان يبلغ من الدفاع عنهـــا غايته .

ثم استنجد حلفاءه وأما زيس ملك مصر ولابنطوس ملك بابل واستنفر لقدمونيا لنصرته ، واعتمد على انه متى اجتمعت له هذه القوى كلها يجدد الكرة على جيوش قيروش فى الربيع القادم ، وجعل ميعاد حلفائه ونصرائه على تمام خمسة أشهر من يوم الدعوة فى عاصمة ملكه . ولقد أصـــابه كريزوس الحكمة فى هذه التدابير ، ولكنه ارتكب خطأ جما فى صرف جنوده ظنا منه أن قيروش لا يستطيع ان يطلع على سرديس بجنده الذى نال منه القرح ما نال . وقد خاب ظنه لان قيروش احتفظ بجنوده وسار بهم بعد أن أخذوا قسطا من الراحة الى ليديا ، فلم يلبث أن نزل السهل الفسيح القائمة فيه مدينة سرديس .

أما كريزوس وان كان قد أخذ على غرة فأنه لم تنحل عزيمته بـــل اعتمد على ما هو مشهور عن أهل ليديا من الاقدام خصوصا كتائب فرسانهم، فأنهم كانوا مقطوعى النظير لمهارتهم فى سوس الخيل وفى حسن استعمالهم الرماح الطوال التى كانوا يعتقلونها . ولكن قيروش من جهته قد فكر فى تقليل قيمة تفوق فرسان العدو ، فسير فى مقدمة جيشه جماله كلها التى لم تعتد خيل ليديا رؤيتها ولا رائحتها فجفلت وصعبت رياضتها ، فترجل الليديون وأبلوا على الرغم من ذلك بلاء حسنا ، لكنهم بعد التحام هائل انهزموا فلم يجدوا لهم موئلا الا أسوار مدينتهم .

لما رأى كريزوس انه محصور بجنود منصورة عجل الى حلفائه وعلى الاخص اللقدمونيين ، لكن هؤلاء بعد أن تأهبوا لنصرته حسب نص المعاهدة جاءهم نبأ سقوط سرديس عنوة فى يد قيروش بعد حصار دام أربعة عشر يوما ووقوع كريزوس فى الاسر . لما وقع ملك ليديا التعس فى أيدى أعدائه مثقلا بالسلاسل وحكم عليه بأن يحرق حيا هو وبعض ابناء العـــائلات الكبرى الذين كانوا معه وسعرت له النار وكادت تصل الى جسمه ، رق له قلب قيروش وأخذته الرحمة على هذا الملك البائس الذى كان يحتمـــل تصاريف القدر بالرضا والتسليم ، والذى كان فى هذه اللحظة الرهيبة يذكر نصيحة سولون له حينما وفد عليه واقام فى معيته . وكانت سن كريزوس وقت وقوعه فى الاسر تسعة واربعين عاما حكم منها اربعة عشر عاما منذ وفاة أبيه، وبقى بعد ذلك زمنا طويلا فى معية قيروش مرافقا ومعينا له فى غزواته .

ان تاريخ سقوط سرديس ليس أقل اضطـــرابا من تاريخ كسوف طاليس . واخذا بما على رخام باروص تكون سرديس سقطت فى السنة الثالثة من الاولمبياد التاسعة والخمسين أى سنة ٥٣٧ قبل الميلاد . أما فريريت فانه يقول انه وقع فى سنة ٥٤٥ أخذا بشهادة سوسيقراط الذى استشهد به ديوجين اللايرثى فى كتابه « حياة بيرياندر » . وأما فـــولنى فانه أخره الى سنة ٥٥٧ فى كتابه « أخبار هيرودوت » . وعلى كل حالفان هذا التاريخ على خطره محوط بالشكوك ، ولا يزال محلا للتحقيق .

لما غلب الليديون على أمرهم أحست المدائن الاغريقية خطر مركزها ، فعرض الايوليون واليونان الطـــاعة على الشروط التى كانت بينهم وبين كريزوس ، فرفضتها قيروش مزدريا اياهم ، وذكر اليونان اعراضهم عنه حين خطب ودهم قبل ذلك ببضعة أشهر،فلم يبق لهذه المـــدائن الا خوض غمار الحرب بعد ذلك الرفض المهين ، فدعيت ندوتهم (البـــانيونيون) وحضرها أهل المدائن كلها الا الملطيين الذين كانوا اتخذوا للحرب عدتهامن قبل ، ولكن حظ الجميع منها لم يكن أحسن من حظ مملكة ليديا .

من المحتمل ان يكون هذا الحين هو تاريخ النصيحة التى قدمهـــا طاليس للاتحاد اليونانى ، فانه لبصره بالعواقب ارتأى ألا يكون للمدن اليونانية الا جمعية واحدة تعقد فى طيوس،لتوسط مركزها ،على ان تحتفظ كل مدينة بنظمها الخاصة ، لانهم متى اجتمعت قواهم كانوا بالضرورةأقدر على مقاومة عدوهم المشترك ، فان الاتحاد وحده هو الذى ينجيهم ما دامت المنازعات الداخلية هى التى أضعفتهم . ولكن هذا الرأى السديد لم يكن ليطاع فيهم مع أنه لم يجىء بعد الاوان ، فان حال اليونان لم يكن بعد من السوء بحيث لا يمكن اصلاحه . ولقد نصح لهم طاليس بعد ذلك نصيحة فى وقت أشد حرجا فلم تقابل الا بما قوبلت به سابقتها من الاعراض. ثم نصح لهم بعد ذلك بياس البرينى أحد أعضاء الندوة (البانيونيون) ان يترك اليونان جميعا آسيا ويتخذوا اسطولا كبيرا يركبونه الى « سردينيا » حيث يؤسسون جمهورية قوية . وأبان لهم بياس أنهم أن بقوا فى آسيا لا يستطيعون أن يحموا حريتهم . يرى هيرودوت أن اليونان لو كانوا قرروا هذا القرار الباسل لصاروا أسعد الشعوب الاغريقية كلها ، ولكنهم قنعوا بمفاوضة الايوليين ليرسلوا سفراء الى أسبرطة يطلبون باسمهـــم وباسم اليونان اعانة الجمهورية اياهم .

لم تشأ جمهورية اسبرطة أن تمدهم بقوة حقيقية ، بل ارسلت رجلا ثقة من رجالها يقال له «لقرين» الى سرديس يطلب الى الفاتح ألا يسىء الى أية مدينة أغريقية ويهدده بسخط لقدمونيا . غير أن قيروش الذى

ماكان يعرف الى ذلك الوقت ما هى اسبرطة ، أخذ يسأل بها وأعلن — وهو هازىء بهذه الشعوب التى يخالها متأنثةفىأمورها — انه أولى بهاان يشغلها الخطر المحدق ببلادها عن الخطر الذى يتهدد يونيا • فى هذا الوقت دعا قيروش اختلاف الاحوال فى بابل وبكتريان والساسيين بل وفى مصر أيضا الى التعجل بالسفر من سرديس الى اقبطانا ، وخلف على المدينة فارسيا يدعى طابالوس ، وجعل على نقل الكنوز التى جمعها ملوك ليديا منذ عدة قرون ليديا يقال له بكتياس •

انتهز بكتياس غيبة قيروش فى حصار بابل ، ووضع يده على الكنوز التى أؤتمن على نقلها ، وانتبذ بها مكانا بعيدا على الشاطىء ، ودعا الليديين الى الثورة والانتقاض على قيروش ، وألف بالمال جندا سار به الى حصر مدينة سرديس التى كان يحميها طابالوس • ولكن هذه الثورةلم تلبث حينا حتى جاء مزاريس أحد قواد قيروش بالمدد ، واضطر بكتياس الى الهرب والاحتماء فى «كومة» •فلما طلبه مزاريس هم الكوميون بتسليمه اليه بنصيحة هاتف البرنشتيد،لولا رجل شجاع منهميقال له ارسطوديقوس حمى النزيل ونجاه من الهلك واستحب عصيان الاله على انتهاك حرمات الضيافة فى حق مستجير • ونجا بكتياس الى ميتيلين حيث عادت لاهل كومة نخوتهم وأرادوا هم أيضا حمايته • غير ان هذا السيىء الحظ قد أخذه الشيوزيون بالقوة من معبد مينرفا وسلموه الى الفرس ، لان قيروش أمر بأن يحضر لديه حيا ، وقبض الشيوزيون ثمنا لهذا العار مقاطعة أطرنة الواقعة فى ميزيا تجاه لسبوس،ولكنهم لم يسعدوا فى هذه الارض التى امتلكوها بذلك الثمن المخجل ، فقد أكد هيرودوت انه مر زمن طويل على أهل شيوز لا يستطيعون أن يقربوا للآلهة قربانا ولا أن يضحوا بشىء مما كان يأتيهم من غلة ذلك البلد الملعون •

قسا مزاريس فى التنكيل بالذين خرجوا على الملك فى ثورة بكتياس وكتب الرق على سكان بريينة وباعهم بالمزاد ، وخرب بلا رحمة سهول مياندرس جميعها واباحها لنهب عسكره ، ولكن منيته صادفته أثناء هذا الانتقام • ولقد أراد الفرس بهذه الفظائع ان يغلوا أيدى المغلوبين عن الثورة ، ولكن اغريق الشاطىء ومستعمرات أيولس ويونيا ودريدا لم يخفهم ذلك بل أخذوا عدتهمواستجمعوا بأسهم الى حربغير متعادلة القوى ولا ملحوظ فى نتيجتها الا الفشل والخذلان •

بذلك يبتدىء العهد الثالث والاخير لتاريخ الاغريق فى آسيا الصغرى فان العهد الاول لبث من وقت نزوحهم اليها الى حكم جوجيس غاصب ملك ميديا ، وهو أطولها ، لانه لا يقل عن ٥٠٠ سنة •والثانى الذى كان مملوءا بالتنازع بين مدائن الاغريق ومملكة ليديا ، ويمتد الى هزيمة كريزوس

وسقوط سرديس • ولم تكن قوة ملوك الليديين تلقاء قوة الفرس شيئا مذكورا ، لان الفرس كانوا أمة حزب ملكت جزءا عظيما من آسيا ، وتقدموا تقدما كبيرا فى فنون الحرب بفضل قيادة قيروش •

أما الذى خلف مزاريس على التنكيل بالثائرين واستمرار الفتح فهو رجل خليق بكل أنواع الفظائع واقتراف الدنايا يقال له هربغوس اشتهر بعمل مقطوع النظير فى الخسة حتى فى معرض دنايا البلاط الفارسى ، ذلك أن «أصطياغ» ملك الميديين ، كان قد أزعجته رؤيا ، فكلف هربغوس امينه أن يحتال لقتل الولد الذى ولدته حديثا ابنته مندان من قمبيز ، وكان هذا الحفيد المقصود بالوقيعة هو قيروش،فقبل هربغوس هذا الامر،ولكنه لم يشأ أن يقتل الصبى بيده فوكل ذلك الى راع أخذته الرحمة من توصيلات زوجته فاستبدل صبيه الذى ولد ميتا بالذى دفع اليه ليقتله ، ودخلت هذه الحيلة على هربغوس فلما استكشف «اصطياغ» خفيـة الامر وعلم بكل ما جرى كظم غيظه ، ولكنه انتقم من هربغوس شر انتقام، فأمر بقتل ابن هربغوس سرا ، ودعاه الى طعام قدم اليه فيه لحم ابنه فأكله ثم أمر فأحضر رأس الغلام ويداه وقدمت أثناء المأدبة تحت غطاء الى هربغوس،فلما كشف عنها الغطاء رأى هذا المنظر الفظيع فلزم السكينة،فسأله «اصطياغ»فى ذلك فقال:انه تعرف اللحم الذى أكله ولا يسعه الا الثناء على الملك على ما تفضل به •

ومع ذلك فان هربغوس قد أصر على الانتقام من « اصطياغ » بأن يثل عرشه من تحته ، فحرض قيروش سرا على العصيان • ولم يصادف هـذا الامير الشاب عناء فى حمل الفرس على نبذ نير الميديين الثقيل•ولقد بلغت العماية «باصطياغ» انه لما جاء حفيده على رأس الجيش الفارسى أمر عـلى الجند هربغوس الذى كان قد نكل به ذلك التنكيل ، فلم يلبث هذا الاخير أن خانه واتخذل بالجيش ، وقهر قيروش «اصطيـاغ» ولم يقتله بل تركه يعيش فى الخزى • وسقطت مملكة الميديين بعد أن أقامت ٣٢٨ سنة من ديجوسيز بن فراورط • وبقى هذا القسم من آسيا من يومئذ تابعا للفرس الذين لم يحتفظـوا به الا أقل من تلك المدة حتى سقطت مملكتهم باغارة اسكندر •

ذلك هو هربغوس الذى رمى به قيروش مدائن الاغريق ليخضعها •

ولقد عنيت بذكر هذه التفاصيل على شهرتهـا لابين أى الامم وأى الاخلاق سيكون ليونان الشاطىء علاقة بها •

أخذ هربغوس يبتكر طرائق لفتح المدائن ، فكان كلما وصل مدينة احاط بها ثم حفر حولها خندقا يحصر اهلها فيضطرهم الى التسليم • فبدأ

بمدينة فوكاية ، تلك المدينة التى كان لها اسم كبير فى ذلك العهد والتى تهمنا بوجه خاص جد الاهمية ، لان أحد فلاسفتنا أكسينوفان كان بها منذ نفى من كولوفون وهرب مع مواطنيه على الشواطىء البعيدة لبحر طرهينيا ولقد كان أهل فوكاية اول من أزمع السياحات الكبرى المقرونة بالاخطار من جميع الجنس الهليني،فانهم أول من علم الناس ما هو البحرالادرياتيكى وبحر طرهينيا وايبيريا وطورطايس ، تلك الاصقاع السحيقة فى حدود الارض وراء عمد هيرقليس،وهم الذين حوروا طريقة صنع السفن فرغبوا عن السفن الغليظة المستديرة الى سفن ذات خمسين صفا من المجاذيف وهى المسماة «البانيكونتور» • ولما كان لاهل فوكاية صلات مودة ومعاملة ببلاد طورطايس عرض عليهم ارغانتونيوس ملك هذه الجهة أن يهاجروا اليه اذا شاءوا أن يتركوا يونيا عندما هدد الفرس مدينتهم • ونظرا الى انهم لم يكونوا قد عزموا على الهجرة بعد ، اعطاهم خليفهم الملك مبلغا عظيما من النقود ليساعدهم على اقامة سور منيع حول مدينتهم ، فاقاموا هذا السور الواسع الامتداد من احجار كبيرة محكمة الرصف جدا •

وقف هربغوس أمام هذا الحصن العظيم الذى لم يستطع النفوذ منه الى داخل المدينة ، وبقى محاصرا لها حتى أرهق أهلها ارهاقا ، ثم عرض عليهم عرضا يوافقهم وهو ان يهدموا جزءا من الحصن الامامى تحتله الفرس أشارة الى أن أهل المدينة أطاعوافطلب اليه الفوكيون الذين أعياهم الحصار جوابا على هذا العرض هدنة يوم واحد ، وأن يبتعد الجيش الفارسى عن مراكزه ،فأجابهم هربغوس الىذلك مع توقعه ما سيحصل فاغتنم الفوكيون هذه الهدنة ، وحملوا على السفن نساءهم وأولادهم وجميع ما يستطيعون حمله خصوصا الامتعة المقدسة التى جمعوها من المعابد ، وسافروا الى شيوز فلما جاء الفرس فى اليوم التالى وجدوا المدينة خلوا ليس فيها احد من أهلها :

كان الفوكيون قد رغبوا بادىء ذى بدء فى أن يشتروا من أهل شيوز الجزر التى تسمى اينوزوس ، لكن هؤلاء قد رفضوا الصفقة حتى لا يخلقوا لانفسهم مزاحمين لا يستهان بأمرهم على مرافق التجارة ، فاضطر الفوكيون الى أن يوجهوا سفنهم نحو جزيرة قورسقة (المسماة وقتئذ سيرنى) حيث أسسوا فيها قبل ذلك منذ عشرين عاما مدينة «علالية» باشارة الهاتف، ولكنهم قبل أن يذهبوا الى هذا المنفى النهائى رجعوا الى فوكاية على غرة من حرسها الفارسى وذبحوهم ، ومع ذلك فان هذا العمل الجرىء لم يمكنهم من البقاء فى وطنهم القديم بل ارتدوا الى أسطولهم • وليثبتوا أنهم لن يتركوه ألقوا فى البحر كتلة من الحديد واقسموا ألا يعودوا قبل أن تطفو هذه

الكتلة الثقيلة على سطح الماء . وعلى رغم هذا القسم زين لنصف النازحين أن ينزلوا الى البر ويدخلوا فوكاية ، وأما النصف الآخر الذى بر بقسمه فقد اعتمد على ألا يبقى تحت نير المتوحشين الذى لا يطاق ، وأبحروا الى قورسقة ،فدخلوها آمنين وأقاموا كما يشتهون فى سكينة مدة خمسةأعوام مع مواطنيهم الذين سبقوهم اليها قبل ذلك بسنين طوال . ولكن أهل طرهينيا وقرطجنة هاجموا الفوكيين ، اما حسدا من عند أنفسهم ، واما اضطرارا للكسب وحبا فى السلب والنهب . ولم يكن لدى الفوكيين الا ستون سفينة ضد مائة وعشرين لخصومهم ، ولم يبرر لهم ذلك التردد فى منازلتهم ، بل ذهبوا يبحثون عن عمارات خصومهم فى بحر سردينيا ، وتحرشوا بهم وطلبوهم للقتال ، ولكنهم خسروا فى هذا الظفر ثلثى سفنهم فرجعوا عجلين الى « علالية » ، واحتملوا عائلاتهموأموالهم ليلجأوا الى موئل آخر آمن من هذا . والظاهر أن جزءا من هؤلاء المهاجرين قد وقع فى يد الطرهينيين والقرطجنيين فقبضوا عليهم وذبحوهم ، وذهب الجزء الآخر الى رغبوم فى صقلية ، ومن هناك اتجهوا الى الشمال وأسسوا على أرض أونترى مدينة كانت تسمى فى زمن هيرودوت « مدينة هييلا » وهى المعروفة بمدينة ايليا الشهيرة بمدرستها الفلسفية التى شيدت فيها بعد تأسيسها بقليل .

فى نحو هذا الحين لجأ إكسينوفان الى ايليا هاربا من كولوفون التى وقعت فى قبضة الفرس ، وانضم الى الفوكيين الشجعان الذين كانوا مثله يكرهون العبودية . من الواضح أن ما ورد فى شعر اكسينوفان خاصا باغارة الفرس الذين ما زال يسميهم الميديين، انما يراد به واقعة هربغوس تلك لا حرب الميديين(١) ، كما ظن ذلك أحيانا . وقد يظهر أن تأسيس ايليا الذى شدا به اكسينوفان كما شدا بتأسيس كولوفون كان فى سنة خمسمائة وست وثلاثين أو خمسمائة واثنين وثلاثين قبل الميلاد ، بل قد يكون أدنى من ذلك . على كل حال فانه قبل أغارة مردونيوس وداتيس على بلاد الاغريق بثلاثين سنة على الاقل ، وليس عندنا ما يفيد أن اكسينوفان عاش الى ذلك الوقت .

ولسنا نرى فيما حفظ لنا التاريخ من التفاصيل ماذا جرى على كولوفون بخصوصها ، وهى من ليديا كمدينة فوكاية ، ولكن المفهوم ضمنا هو أنها وقعت فيما وقعت فيه فوكاية ، وأن أهلها الذين لم يقبلوا حكم

---

(١) ولقد جلا الشك فى هذه النقطة فكتور كوزان . راجع القطع الفلسفية والفلسفة القديمة طبعة سنة ١٨٦٥ ص ٣ و ٤

المتوحشين ركبوا البحر ليلجأوا الى جهات أكثر طمأنينة · حتى أن هيرودوت لم يذكر بعد أخبار الفوكيين الا اخبار أهل طيوس الذين فعلوا مثل ما فعل اولئك ، فحملوا ما قدروا عليه في سفنهم وقصدوا تراقيا حيث أسسوا مدينة أبدير ، وقد كان سبقهم في الهجرة الى تلك البلاد أحد مواطنيهم المدعو كلازومين · أضاف هيرودوت الى هذا أن بقية مدن يونيا خضعت لحكم الفرس بعد مقاومة عنيفة ، ولامانع من افتراض أن اكسينوفان كان أحد هؤلاء الابطال الذين أثنى عليهم المؤرخ ، والذين لم يلقوا قيادهم الى الفرس الا بحكم الضرورة · الا الملطيين وحدهم فانهم اتفقوا مع قيروش كما ذكر آنفا وبذلك احترم هربغوس حيادهم اكتفاء بما شتت وأذل من سائر يونان القارة · وأما أهل الجزائر فانهم بوضعهم كانوا في مأمن من الغارة ، لان الفرس لم يكن لديهم بعد أسطول يطولون به الجزائر ويلقون على أهلها نير العبودية · وأما يونيا وأيولس فأنهما أطاعتا غاية الطاعة حتى جند منهم هربغوس حين مشى الى قاريا التي وقعت في قبضته بعد قليل · وأما الكنيديون فانهم حاولوا الدفاع بالاسراع في قطع البرزخ الذي يصلهم بالقارة ، ثم بدا لهم أن يستسلموا الى الفرس أخذا بنصيحة كاهنة دلفوس · وأما البيدازيون من ضواحي هاليكارناس فأنهم قاوموا حتى حين ، ولكنهم قهروا كما قهر الليقيون الذين أبلوا بلاء حسنا في الدفاع عن وطنهم · وبذلك تم النصر لقيروش ، وكان يستطيع أن يغتبط وهو سائر الى اخضاع بابل بأن كل آسيا الدنيا ملك له الى البحر ·

كانت جزيرة سموس وقتئذ أقوى الجزر ذات مركز سام بما لها من الروابط بأغريقا وبمصر ، وبينا كان قمبيز المفتون ابن قيروش يغزو مصر ليقضي على نفسه فيها كان بوليقراطس يحكم سموس ، وقد مكن له فيها بحسن ادارته وقلة تحرجه ومبالاته ، حتى جعل الجزيرة من الرخاء محسودة الوفر من كل نظائرها · وكان من أمره أنه أقام فيها ثورة انتهت باستيلائه فيها على السلطان هو واخويه بنتنيوت وسيلوسون ، اذ اقتسم الاخوة الثلاثة حكم المدينة لكل منهم قسم معلوم · ولكن بوليقراطس لم يلبث ان تخلص من أخويه اذ قتل احدهما وشرد الثاني وخلص له الحكم واطاعه اهل المدينة · وقد أراد أن يثبت لنفسه الملك المغصوب فارتبط بأمازيس ملك مصر ، وتبادل واياه الهداية النفيسة · ولم يمض عليه حين حتى نبه ذكره ، وعمت شهرته بلاد الاغريق ،وكان سعيد الطالع موفقا في مشروعاته الى غاية المنى ، وكان أسطوله مؤلفا من مائة سفينة من ذوات الخمسين صفا من المجاذيف ، وكان يبلغ عدد رماته وحدهم ألفا·

ولم يكن مع ذلك ليرعى لجيرانه حرمة بل كان يضرب عليهم الاتاوة

بغاية الجرأة ، وكان من مبادئه السياسية ألا يبقى حتى على أصدقائه متى قضى الظرف الا انه كان يعوض عليهم بعد ذلك . وكان قد غزا عدة جزر حوالى سموس ، بل عدة مدن فى القارة . ولما ساعد اللسبوسيون الملطيين عليه حاربهم وقهرهم فى وقعة بحرية ، وسخر جميع الاسرى مصفدين بالاغلال فى حفر الخندق العميق الذى كان يحيط بأسوار المدينة . وكان من نتائج ظلمه أن بعض أهل سموس هجروها من هول ما يلقون من الجور واستجاروا باسبرطة ، فأبحر اليه اللقدمونيون فى اسطول قوى ، وحاصروا المدينة أربعين يوما ، ولكنهم ارتدوا على أعقابهم بفضل بأس بوليقراطس أو بفضل ماله . وبقى هذا الطاغية مستبدا بالحكم مهيب الجانب لا يغلب على أمره ، حتى ان من لم يريدوا من السموسيين الاستسلام لمظالمه لم يكن لهم وسيلة الا الهجرة بعيدا عن ملكه الى حيث ينزلون منزلا يرضونه . ولم يكن ليأمن على نفسه الطوارىء بذلك الخندق العميق الواسع بل اتخذ نفقا تحت الجبل سلكفيه الى المدينة ماءغدقا ، وبنى رصيفا شاهقا متقدما فى البحر ، جعل به المرفأ أكثر ملاءمة لرسو السفن ، ثم بنى معبدا اشتهر بأنه اكبر المعابد المعروفة . وقد ذكر أرسطوطاليس أيضا هذه الاعمال العظيمة التى عملها بوليقراطس .

وكان هذا الطاغية محبا للآداب والفنون ، ويقال أنه أول من أنشأ مكتبة . وكان مثل ذلك فى تلك القرون زخرفا نادرا ، كانت مصر وحدها هى صاحبة الابداع فيه . وكان يؤوى اليه الشعراء ، وكان أنقريون الطيوسى بعض جلسائه ومادحيه .

فى صدد الكلام على عهد طغيان بوليقراطس هذا ، ينبغى أن نورد خبر الصلات التى كانت لفيثاغورث به والتى لدينا عنها معلومات مضبوطة فان يمبليك وفرفريوس وديوجين لا يرث يلتقون فى هذه النقطة، وليسوا بالضرورة الا صدى كثير من المؤلفين الذين هم أقرب عهدا بزمن فيثاغورث وكتبوا ترجمته مثل أرسطوكسين الموسيقى تلميذ أرسطو وأبللنيوس الصورى وهرميب وديوجين وانتيفون .... ألخ . كان فيثاغورث بن منيزارخس يدلى بأمه الى اكبر عائلات سموس ، ويمكن ان يتصل نسبه بأنصى مؤسس المستعمرة ، ويظهر أن أباه قد جمع مالا وفيرا من تجارة القمح وكان صوريا على رأى بعض المؤرخين ، وطرهينيا على قول البعض الآخر وكان يستصحب ابنه معه فى سياحاته منذ حداثته ، فطاف الصبى مع أبيه تلك البلاد التى عنى بدرسها بعد ذلك ، فلما صار فى سن التعلم ، ورأى أبوه فيه مخايل وعليه سيما النجابة ، وصله بأعلى الرجال امتيازا فى زمنه : طاليس – على ما يقال – وانكسيمندر وانكسيمين الملطى

وفرقليد السيروسى • وقد عرف فيثاغورث فينيقيا وهو شاب اذ صحب أباه اليها • ولما أراد السفر الى مصر زوده بوليقراطس بكتاب توصية الى أمازيس ، وذلك يثبت أن رأى فيثاغورث فى بوليقراطس وقتئذ على الاقل لم يكن كرأيه فيه بعد ذلك •

لم تكن مدة اقامة فيثاغورث بمصر محل اتفاق فى التاريخ ، فمن مترجميه ، مثل يمبليك ، من حددها باثنين وعشرين عاما وان كان ذلك قليل الاحتمال لما أسر عسكر قمبيز فيثاغورث سيق الى بابل ، وهناك اتصل بالمجوس كما اتصل بكهنة مصر مدة اقامته بها ، اذ كان محل اعجاب بذكائه ورجاحة عقله وحسن روائه • ولما رجع الى وطنه وهو متقدم فى السن ، أى كانت سنة ستا وخمسين سنة على قول يمبليك ، فتح فيه مدرسة • وظل السموسيون الفخورون بمواطنهم يعقدون مداولاتهم السياسية قرونا عدة بعد ذلك فى مجلس نصف حلقى مسمى باسم فيثاغورث ، وقد قال أرسطوكسين : ان فيثاغورث لما ترك سموس فرارا من ظلم بوليقراطس لم يكن يتجاوز من العمر أربعين سنة ، وربما كان قوله أوجه ، لانه أقرب عهدا الى هذه الاحداث من يمبليك ، ومن المحتمل أن يكون أعلم بها منه ما دام انه تلميذ ارسطو الذى كان يشتغل كثيرا بفلسفةفيثاغورث • وأما شيشيرون فانهذكرفى كتابه « الجمهورية » : أن فيثاغورث وصل الى ايطاليا فى الاولمبية الثانية والستين أعنى فى سنة ٥٢٨ قبل الميلاد ، أى فى السنة التى جلس فيها طرخان العظيم على العرش • ولما كان شيشرون (على لسان سيبيون) يقصد الى تصحيح خطأ تاريخى شائع • فمن المراجع أنه يعرف حق المعرفة صحة ما ذكر وأنه غير مخطىء •

ومهما تكن حياة فيثاغورثمحجوبة عنا مع ما كان من اشتغال كثير من الكتاب الاقدمين بها ، فالظاهر ان من المحقق أنه هاجر من سموس المحرومة الحرية ليجد بلدا فى اغريقا الكبرى لا تشمئز فيه نفسه من مشاهد الظلم ويستطيع ان يتمتع فيه بالاستقلال الذاتى الذى كان فى حاجة اليه • وكذلك فعل اكسينوفان فى نحوهذا الزمن ، اذ كان يفر من اضطهاد الفرس الذين كانوا أشد ظلما من طغاة الاغريق • كان ذلك هو الحظ المشترك لامثال هؤلاء ، فليس من السهل أن يبقى المرء وطنيا أو فيلسوفا ينوء بحمل الضغط الذى يأتيه أمثال أولئك الاسياد • وعلى ذلك حمل فيثاغورث الى قروطون والى ستيباريس مذاهب عجيبة فيها بلا شك شيء من الديانات الشرقية التى اتصل بأهلها ، ولكنها حقيقة باحترام كل من يحبون الحكمة والانسانية •

ولم تصل الينا مذاهب فيثاغورث الا عن طريق الوسطاء ، اذ لم

يجتمع لنا شيء من مؤلفاته الكثيرة التى وضعها (١)فيما يظهر على مايقول هيلير قليطس ، والتى مع كون فيلولاوس أذاعها لاول مرة بعد ثلاثة أو أربعة قرون من وضعها كان يطلبها أفلاطون بأغلى ثمن .

أما بوليقراطس الذى شاطر فى أسباب تعليم فيثاغورث فانه لقى حتفه على أسوأ ما يكون بعد سنين قلائل من اعتزال الحكيم سموس التى صارت أحط من أن تكون وطنا له ، ذلك بأن أورطيس الذى رسمه قيروش مرزبانا على سرديس حاول أن يوسع سلطان الفرس ويدخل الجزائر تحته، فعزم على ان يوقع بالطاغية الذى اتى سموس الواقعة أمام حكومته قوة ومنعه ، فأرسل الى بوليقراطس سرا رسولا يخبره عنه بأنه مهدد شخصيا بغضب قمبيز البالغ حد الصرع ، وأنه يريد أن يودع ماله مكانا أمينا ويرجو السيد أن يقبل ايداعها عنده ، ولكيلا يتظنن فى قوله طلب اليه أن يرسل ثقة له ليريه خزائنه المملوءة بالذهب المضروب على شريطة أن يبقى نصف المال للمرزبان والنصف الثانى يكون لبوليقراطس ينفقه على مشروعاته الواسعة المدى الى حد فتح اغريقا كلها .

لم يطق شره بوليقراطس صبرا ، فأرسل أمين اسراره مندريوس الى « سرديس ليحقق خبر كنوز أورطيس الذى خدع الرسول وأراه صناديق مملوءة حجرا مغطاة سطوحها بالذهب ، فرجع الرسول الى سيده وقرر له مارأى ، ففرح بوليقراطس وعول على أن يذهب بنفسه لاحضار الذهب ، وعبثا حاول أصحابه وعائلته منعه ، حتى لقد كان منه أن هدد ابنته بألا يزوجها الا بعد زمن طويل حين تشبثت بمنعه وقت ركوبه الفلك . ومضى وفى صحبته عرافه المدعو هيلى الذى لم يصل علمه الى كشف هذه الاحبولة . فلما وصل الى حيث ينتظره أورطيس أمر الغادر بالقبض عليه وصلبه . ومع ان هيرودوت لم يكن به مظنة ضعف للطغاة فأنه رثى لحال بوليقراطس الذى كان من العبقرية والسؤدد بحيث لا يستحق هذه الميتة الشنعاء . وكان فى معية بوليقراطس فى هذه السفرة المشئومة ، غير ذلك العراف المغفل ، ديموكيذ الطبيب الشهير من قروطونا الذى وقع هو أيضا بهذه الاحبولة فى الرق ، ثم دعى بعد ذلك بقليل الى بلاط دارا ليعالجه من التواء مفصل أصابه ، وذلك حين أمر دارا مهلك المجوس بقتل أورطيس لارتكابه فظائع لامصلحة فى ارتكابها (٢) .

---

(١) ديوجين اللايرثى . حياة فيثاغورث ف ٦ ك ٨ ب ١ . وان الرسائل بين أنكسيمين وفيثاغورث ربما لا تكون منتحلة . ديوجين اللايرثى فيما كتبه عن حياة ذينكم الفيلسوفين

(٢) السنة ٢٣٠ من تاسيس روما أو ٥٢٣ قبل الميلاد على رأى بلاين ك ٣٣ ب ٦ص ٤٠٣ طبعة ليترى .

لما خلت سموس من بوليقراطس لم تستأخر عن الوقـــوع فى قبضة الفرس ، لان الطاغية لما ذهب الى حيث لقى حتفه كان قد خلفعلى الجزيرة أخاه مندريوس الذى هو أقل كفاية من أن يلى الحـكم ، وجاءت جنود أوطانيس المرزبان الجديد تحت قيادة سيلوسون أخى بوليقراطس الذى نال حظوة عند دارا بسبب أنه عرفه فى مصر حيث منفاه ، فهـرب مندريوس وترك الجزيرة ، فتولى أخوه شاريلاوس قيادة الحامية ، وبعـد مقاومة عنيفة سقطت الجزيرة فى أيدى الفاتحين ، ودخلها سيلوســون فوجدها خلوا من سكانها ٠

ولما انتصر دارا على بابل بفضل اخلاص زوبير وجه قواه الى محاربة السيتيين ، فصنع له مندروكليس المهندس السموسى القنطرة المشهورة التى عبر عليها جيشه بغاز البسفور ، وهى قنطرة من المراكب لم يكن طولها أقل من أربع غلوات أى نحو ٨٠٠ متر ٠ ولا بد أن يكون اتخاذ مثل هذه القنطرة من أصعب ما يكون وكانت واقعة،على رأى هيرودوت،بين بيزنطة وبين معبد قائم على مصب البسفور ٠ ولكى يخلد هذا الملك العظيم ذكرى هذا العمل أغدق على المهندس السموسى نعمـــه ، وأقام عمودين على جانبى الشاطىء كتب عليهما باللغتين اليونانية والآشورية ٠ وقـد رسم مندروكليس فى معبد جونون لوحة تمثل القنطرة وجيوش الفرس تعبر فوقها تحت نظر دارا جالسا على عرشه ٠ وقد شفع دارا جيشـه البرى بأسطول عظيم يقوده اليونان والايوليون وفريق من أهل هلسبون وأمر الاسطول أن يدخل البحر الاســـود ، ثم يدخل مجرى الدانوب ونهر الاستر ويقيم قنطرة على النهر فى محل تفرعه الاول الى عـــدة فروع ٠ واتجه دارا بجنوده فى البر من تراقيا الى تلك النقطة ، وكانت عدة جنوده البرية سبعمائة ألف مقاتل وعدة سفن أسطوله ستمائة سفينة وكانت هذه الجيوش البرية والبحرية مؤلفة من جميع الامم التى تشملها مملكة الفرس المترامية الاطراف من شواطىء آسيا الصغرى الى الهندوس

وتقدم الملك العظيم ، على بعد الشقة وصعوبة المسالك ، فى طريقه بين تلك الامم الجافلة التى كانت تولى الادبار أمامه وتستدرجه شـــيئا فشيئا الى مفازاتها الواسعة وتلك المهامة التى لا تجاز ، كمـــا وقع فى أيامنا هذه لفاتح آخر ليس أكثر منه بصرا بالعواقب ولا أقل منه نحسا فى الطالع ٠ وقد عنى دارا فى انتصاراته الموهومة بأن يقيم فى طريقـــه أعلاما وأعمدة نقش عليها بالعبارات الفخمـــة : « اخضاع الجيتيين » ٠ وكان يبنى آثارا سهلة البناء ، فانه أمر بأن يلقى كل جندى من جيشه العرمرم وهو ســـائر حجرا فى مكان معين ، فيجتمع من هذه الحجـــارة

أكمة عظيمة يخيل أنها هرم . ولقد وجد جيش دارا حتى في هـــذه المجاهل بعض آثار النفوذ الاغريقي ، فان أولئك الرحل الذين كانوا يعبدون « ذالمكسيس » الذى كان ، كما يقـــال ، عبدا لفيثاغورث بن منيزارخس في سموس ، والذى بعد أن صار حرا وغنيا عاد الى مواطنيه بشتات من المدنية الهلينية اذ نقل اليهم شيئا من عقائد سيده العالم . غير أن هيرودوت لم يقبل هذه الرواية وردها بأن «المكسيس أوغيبليزيس» كان أقدم من فيثاغورث بكثير ، وأن فيثاغورث أعجب بحكمته العالية(١) ولكن تلك الرواية المشهورة مهما كانت كاذبة تدل على الاقل على ما لاسم الفيلسوف من الاحترام منذ تلك الازمان ، فاليه تنسب الثقافة الاخلاقية والاصلاح الموفق الذى وان لم يتم كان سببا فى التهذيب من حال أهـــل تراقيا المتوحشين .

على أن دارا لما وصل الى المحل المعين على نهر الدانوب ، وجـــد اليونان نفذوا أمره باقامة قنطرة المراكب ، كما أقاموا قنطرة البسفور . ولما عبر الجنود النهر أراد دارا رفع القنطرة حتى يتبعـــه الاغـــريق فى غزوته ، ولكن قويس رئيس المتألنة كان لحسن الحظ أسد رأيا من الملك فانه وصل الى اقناعه ببقاء القنطرة لانها طريقه الوحيد عند التقهقر ، وعلى ذلك أمر دارا اليونان ان ينتظروه ستين يوما فان لم يعد فى هـــذه المدة هدموا القنطرة وسافروا .

حدث ما كان سهلا توقعه ، فان جيش دارا بعد أسفار نحو الشمال متعبة عديمة الفائدة اضطر الى أن يعود خاسرا تاركا مرضاه وجرحاه ، وكانت حاله حال ذلك الجيش العظيم ســـنة ١٨١٢ الذى كان فى تلك البلاد تقريبا يقاتل أولئك الاعداء أنفسهم الذين خدعوه الخديعة عينها . ولما انتصر السيتيون على دارا من غير حرب تقدموه الى قنطرة الدانوب ، وكان دارا سيلاقى ملاقى نابليون فى عبـــور نهر بير يزينا لولا أمـــانة الاغريق الذين وكل اليهم حراسة القنطرة ،فان السيتيين حرضـــوهم على كسرها قائلين : ان ميعاد الستين يوما قد مضى ، وانهم قد أوفوا بعهدهم . وقد نصح لهم ملتياد الآتينى الذى كان قائد أهل شرسنيز وهلسبون وطاغية عليهما والذى صار بعد ذلك فاتح مرطون ، أن يهدموا القنطـــرة وينسحبوا الى بلادهم وبذلك يهلك الجيش الفارسى ويســـترد اليونان حريتهم ، وكانت نصيحته ستجـــد آذانا صاغية ، ويكون لها من الاثر مالم يكن لاغراء السيتيين ، لولا أن اجتمع رؤساء اليونان وقرروا بنـــاء على رأى هستيا الملطى ان ينتظروا دارا ويخلصوه . وكان مع هستيا

(١) هيرودوت ك ٤ ب ٩٥

من رءوس اليونان سطراطيس الشيوزى وأوسيز السموسى ولوداماس الفوكى . وكان أرسطاغوراس الكومى وحده رئيسا للايوليين . ولم يكن الوفاء بالعهد هو الذى حمل أولئك الرؤساء على هذا القرار الغريب ، بل هى المصلحة الشخصية ، فان هستيا لم يصادف عناء فى اقناع زملائـــه الذين مصلحتهم كمصلحته بأنهم اذا فقدوا تأييد الفرس لهم لم يلبث واحد منهم سيدا على مدينته التي يحكمها، بل أن الامة متى تخلصت من حكم الاجنبى تسارع الى حكم الديموقراطية ، وتحرم رؤساءها الحاليين كل سلطان عقابا لهم على قبولهم المزايا التى خصـــهم بها الملك الكبير . وقد رجح لدى الرؤساء هذا الرأى وأمكن لدارا ، وقد اقتفى السيتيون أثره ، أن يفـر منهم بعبور النهر .

ماذا كان عساه أن يقع لو أن اليونان كسروا القنطرة وهلك بذلك دارا وجنوده ؟ تكون داهية دهياء على مملكة الفرس من غير شك ، ولكن هذه الضربة مهما كانت خطورتها لاتكون هى القاضية ، لان هزائم مرطون وسلامين وبلاته لم تكن تتكفى لهـــذا الغرض . حقا ربما كانت يونيا تستطيع أن تتنفس من ضيق الخناق بعض الزمن وتسترد استقلالها ، ولكن اغارة جديدة أكثر حدة بالضرورة من سابقاتها ترجعها الى الخضوع فلم يكن حان الوقت لسقوط الفرس الذين كانت أمتهم وقتئذ فى قـوة الشباب وطور النمو الاول ، ولكن هذا لا ينفى الاجرام عن أنانية الرؤساء اليونان فانهم كانوا يستطيعون البقاء على عهد دارا بأسـباب أشرف من الاسباب التى اتخذوها .

لما وصل دارا الى سستوس ركب البحر الى آسيا وخلف مغباز على الجنود فى أوروبا ، وليفتح تراقيا ومقدونيا . وبعد قليل دعى مغبـــاز الى صوص ، وكذلك هستيا الذى ظهر آن من علم التبصر تركه وحده فى تراقيا ، حيث أقطعه دارا اقطاعات واسعة فى مرسينة جزاء له على خدمته

ولقد منيت بلاد اليونان بجهد جديد ومصائب جدد تتخمر فى باطنها فان هستيا لما ترك ملطية نزل عن السلطة الى أرسطاغوراس صهره وابن عمه ، فجاء الى هـــذا الاخير بعض المنفيين من نكسوس يســـتنجدونه ، وأحس من نفسه قلة الحول فى أن يقوم بمشروع فتح نكسوس وحده ، فرجع فى الامر الى أرتافرن أخى دارا ومرز بانه على سرديس وجميع تلك الجهات التى هى أول مرزبانية فى المملكة ، فطمع ارتافرن فى الاستيلاء على نكسوس وما يليها من مدن السكلاد وحصـــل من دارا على الاذن بتسيير مائتى سفينة تحت تصرف أرسطاغوراس ، ولكن الشقاق قد دبت عقاربه بين الاحلاف فاستطاعت نكسوس أن تدافع عن نفسها وان

تصد هجمات محاصريها وتردهم بالخيبة بعد حصار أربعة أشهر ، وعلى ذلك لم يوفق أرسطاغوراس الى تحقيق شيء مما وعد به مرزبان سرديس فخاف من ذلك على سلطانه الخاص ، وعقد العزم على الا يكون نصف‌مذنب فغلظ ذنبه ، وأوقد نار ثورة صريحة دفعه اليها أيضا سلفه هستيا الذى كان لايزال فى صوص عند الملك الكبير ، ولكى يجتذب قلوب الملطيين اليه نزل عن حكومة الطغيان ، ورتب بدلها حكومة الشعب ، ودعا المدائن اليونانية الاخرى الى العصيان ، فاستجابت لدعائه وطردت جميع الطغاة الذين نصبوا عليها تنصيبا .

ان ما أتاه أرسطاغوراس من الاقدام الكبير كان بعد استشارة أصحابه . فأما هيقات الملطى المؤرخ فكان رأيه الا يوقدوا نار الحرب فى الحال وليس لديهم المال الضرورى ، فلما لم يستطع الاقناع برأيه ألح فى وجوب توجيه كل قواهم نحو البحر ، بفكرة أنهم فيه أقدر على الهجوم منهم فى البر ، ولهذه الغاية نصح بأن يأخذوا جميع أموال كريزوس التى جمعها فى معبد البرنشيد ، ولكنهم أصموا آذانهم عن الاستماع لهذا الرأى السديد ، وأصروا على الثورة على أى حال . وكان أرسطاغوراس يشعر تماما بضعف يونيا فذهب الى أسبرطة لتتخذها حليفة له .

ولقد عنى أرسطاغوراس ليزيد كليومين ملك أسبرطة علما بحقيقة مشروعاته بأن يبين له فى أثناء المفاوضة مواقع البلاد التى كانت موضوع الحديث وهى ليديا وفريجة وقبادوس وفارس ... الخ . بينها له مرسومة على صحيفة من النحاس حملها معه ، وكان وقتئذ من أحدث مايكون رسم خريطة جغرافية . ويظهر أن أنكسيمندروس هو صاحب هذا الاختراع البديع ، ولكن كليومين لم يفه الا بسؤال واحد : « ماهى المسافة بين بحر يونيا وبين المحل الذى يقيم فيه الملك ؟ » فأجابه ببساطة: « مسير ثلاثة أشهر » وكان ينبغى لارسطاغوراس أن يحسب وقع هذا الجواب فى نفس رجل أسبرطى ، لان كليومين بعد أن سمع هذا الجواب أمر نزيله أن يبرح لقدمونيا قبل غروب الشمس ، ورفض مع الازدراء المال الذى حمله اليه ليحاول اغواءه به . وكان ما قاله أرسطاغوراس عن المسافة حقيقة واقعية ، فان هيرودوت قد عدد بالضبط والعناية المائة والاحدى عشرة محطة الواقعة على الطريق الجميل الذى أنشأه دارا من سرديس الى صوص على نهر كواسب أوكراسو البعيد جدا من مدينة بابل نحو الشرق . فكان ١٣٥٠٠ غلوة أو ٤٥٠ برزنجا والبرزنج هو فى المتوسط ٣٠ غلوة أو بعبارة أخرى ٦٠٠ فرسخ ، فكان لابد للقيام بمشروع ضخم كهذا عبقرية اسكندر ومائتا عام حرب على مملكة الفرس

الضخمة ، ولم يكن لكليومين من خلقه ولا من زمانه مايجرئه على معاناة أمثال هذه المشروعات .

لما فشل أرسطاغوراس في أسبرطة قصد آتينا لانها صارت شيئا فشيئا أقوى مما كانت عليه منذ قلبت طغيان البيزستراتيين ، واخذت ترسل السفراء الى ارتافرن مرزبان سرديس حتى لايصغى الى مزاعم هيبياس الذى التجأ اليه . ولما لم ينجح أرسطاغوراس فى استمالة كليومين ، ونجح في استمالة سكان آتينا ، وعدتهم ثلاثون ألفا ـ كما ذكره هيرودوت بعبارة ملؤها التهكم ، اذ ذكرهم بأن ملطية كانت مستعمرة لاجدادهم ـ فتقرر أن يرسلوا الى يونيا عشرين سفينة لنصرتها. وكان ذلك ـ كما رواه أيضا هيرودوت ، بداية الحرب التى فيها لبست الجمهورية حلل الفخر بتخليص الاغريق والتى فيها لاقت دولة الفرس هزائم قاسية كانت طلائع لخرابها العاجل . وقد حمل أرسطاغوراس البيون أيضا على الثورة ، وهم أولئك الذين أخرجوا منضفافاسترايمون الى فريجة بأمر دارا ، وهربوا منها الى شيوز وسافروا منشيوز الى لسبوس ومنها الى دوريسكوس ومنها عادوا الى بلدهم الاصلى .

لما وصلت السفن العشرون الى ايفيزوس وانضم اليها خمس سفن أخرى من اريتريا لاقوا اخوة ارسطاغوراس يقودون جند ملطية لان أخاهم أقام بالمدينة يباشر بنفسه حركة التعبئة وقد ترك الجيش البرى الاسطول فى مياه ايفيزوس وتقدم هو على ساحل « قايستر » يجوس خلال طمولوس حتى وصل الى سرديس ، فأخذها من غير حرب تذكر وحرقها بغاية السهولة ، لان سطوح منازلها مغطاة بالقصب اليابس . ولم يتمكن أرتافرن الا من الاستعصام هو وجنوده بالقلعة . وقد انزعج الفرس والليديون لما رأوا المدينة غنيمة النار ، ولكنهم استجمعوا شجاعتهم وخرجوا الى المحاربين وثبتوا
أمامهم حتى اضطروهم الى التقهقر نحو الشاطىء ، ونهض الفرس المرابطون على الهالوس الى المعركة فلم يجدوا اليونان فى سرديس فاقتفوا آثارهم الى ايفيزوس حيث نالوا منهم نيلا فى واقعة كبرى .

ولقد أخذ اليأس من الآتينيين كل مأخذ من جراء هذه الهزيمة فانسحبوا على رغم رجاء أرسطاغوراس والحاحه ، ولكنه هو لم ييأس ، بل اعتمد على جنوده الخاصة وعلى مساعدة مدن هلسبون وقاريا وجزيرة قبرص العظيمة واذ ذاك كان أونيزيلوس طاغية سلامين منتقضا على الفرس .

لما علم دارا بما أتاه الآتينيون من المشاطرة فى احراق سرديس أقسم

ان ينتقم منهم ويجزيهم على هذه الاساءة شر الجزاء ، وأرسل هستيا يذيا ليعيد اليونان الى الطاعة بفضل دسائسه ، ولم تكن مع ذلك أحوال اليونان بخير • بل ان قبرص سلمت بعد مقاومة شديدة ، وقاريا التى كانت ثائرة ردت الى الطاعة وكلازومين سقطت فى قبضة أرتافرن وأوطانيس ، وكذلك سلمت كومة أوليد ، فلم يستطع ارسطاغوراس احتمال هذه الخيبة فانزوى فى مرسين بلد حميه هستيا • وكان هيكاط الملطى يرى ان الاوفق لهم الالتجاء الى جزيرة ليروس حيث يمكنهم البقاء حتى يعودوا الى ملطية فى الوقت المناسب • ولما سافر أرسطاغوراس الى تراقيا قتل امام قلعة وهلك جيشه •

ولم يكن حظ هستيا بأحسن حالا من ذلك فان ارتافرن تظنن فى أمره ، واطلع على دسائسه ففر بعد عناء من سرديس الى جزيرة شيوز فانتبذوه بفكرة انه صنيعة الفرس ، ولكنه بعد ذلك كسب جاذبيتهم بأن أظهرهم على ما فعل لاقامة ثورة اليونان فحملوه الى ملطيــة حيث قابله أهلها بفتور ، لانهم بعد أن نالوا حريتهم كانوا يخشون ان يعيد اليهم أيام طغيانه ، ولذا نفى من وطنه حصل من أهل لسبوس على بعض السفن يطوف بها جهة بيزنطة ينهب أموال الذين لا يريدونه أن ينضموا اليه •

أخذت العاصفة التى أثارتها ثورة ارسطاغوراس تهمى على رأس يونيا التى ام تتقهقر امام هذا الخطر المزعج • انعقد البانيونيون وقرر الحرب، ولم تكن هناك فكرة فى حرب برية فلم يؤلف

جيش ماوعولت ملطية على أن تتفرد بحماية أسوارها التى يهددها العدو ولكنهم رتبوا أسطولا عظيما تجتمع سفنه فى لادى وهى جزيرة صغيرة قبالة ملطية ، فاجتمعت اليه السفن من كل ناحـيـة حتى ان الايوليين ارسلوا سبعين سفينة فكان الملطيون ومعهم ثمانون سفينة فى الجنـاح الايمن جهة الشرق ، وكان مع البريينيين اثنتا عشرة سـفينة ، ومع الميونتين ثلاثة ، ومع أهل طية سبع عشرة ، ومع الشـيوزيين مائة سفينة ، ومع الاريتريين ثمان ، والفوكيين ثلاث فقط كالميونتين ، وكان مع أهل سموس فى آخر الجناح الايسر الى جهة الغرب سبعون سفينة ، فكان هذا الاسطول الكبير العدد فى طاقته أن يقاوم حلفاء الفرس الذين هم الفينيقيون والقبارصة والصقليون والمصريون ، ولكن تسلل الشقـاق بين اليونان ، وحقد بعضهم على بعض حتى يوم الوقيعة فلم يتناصروا كما ينبغى • وكان السموسيون واللسبوسيون أول من فر من حومـة القتال • ويكاد الشيوزيون اذا يكونوا وحدهم هم الذين صلوا سـعير الحرب وقاموا بواجبهم ولكنهم كانوا أضعف من الا يهزموا • وختمـت الحرب بهزيمة تامة • وكان دينيس رئيس الفوكيين بطلا مغوارا ، وكانت

عزيمته بحيث يضمن الظفر لو أطاعوا أمره ، فلما انهزم لم يجد مناصا من الهرب على شواطىء فينيقيا ، ومن هناك الى صقلية حيث يشن الغارة على القرطجنيين والطرهينيين .

بعد هزيمة لادى حوصرت ملطية برا وبحرا فأحسنت الدفاع عن نفسها ، ولكنها اخذت عنوة بعد حصار مهلك ، فذبحت رجالها وسبيت نساؤها وأطفالها ، وسيق بهم أرقاء بأمر دارا الى مصب نهر دجلة ، واحتل الفرس المدينة والسهل الذى يحيط بها وأعطوا بقية ما كان يتبعها من الارض الى بيدازيى قاريا . أما آتينا التى تخاذلت عن ملطية وتركتها ، فانها ألمت لمصائبها التى هى نذير بمصائب أدهى وأمر . ولقد صاغ هذه الواقعة المحزنة الشاعر المأسائى فرينشوس فى رواية تمثيلية أبكت جميع شهود تمثيلها ، فحكم على الشاعر بتغريمه ألف درهم ومنعت الرواية منعا باتا .

ثم قصد الفرس جزيرة سموس فلما رآهم أهلها ومعهم اقيس ابن سيلوزون طاغيتهم القديم الذى كان نفاه أرسطاغوراس تفرسوا ماسينزل بهم القدر فاستحبوا الرحيل من أوطانهم على أن يحتملوا ظلمه مرة أخرى ، فهاجروا من جزيرتهم الى قلقطة حيث كان يدعوهم الى صقلية اهل زنكل . وكان السموسيون هم وحدهم اليونان الذين هاجروا هذه المرة هم والملطيون الذين استطاعوا أن يفروا من المذبحة . ودخل أقيس سموس تحت حماية الفرس الذين استثنوا معابد هذه المدينة وحدها من الاحراق اعتدادا بجميل السموسيين الذين تخاذلوا عن اخوانهم يوم لادى .

وقد حاول هستيا أن يقاوم من جديد بعد أن انضم اليه بعض اليونان والايوليين ، ولكنه قبض عليه قرب أطرنة فى ميزيا وسيق الى ارتافرن فى سرديس فقتله صلبا واسل رأسه مصبرة بالملح الى دارا فى صوص .

ولما قضى الاسطول الفارسى فصل الشتاء فى ملطية فتح جميع الجزر شيوز ولسبوس وتندوس ... الخ فى حين أن الجيش البرى يستكمل فتح جميع المدائن الاغريقية .

ولقد كان لانتصار الفرس نتائج فظيعة ، كما انذر الفرس بذلك قبله بست سنين حين بدأت ثورة أرسطاغوراس ، فانهم كانوا يذبحون الرجال ويخصون أجمل الفتيان ويرسلونا أجمل الفتيات الى صوص ،

فيحرقون المدائن وما فيها من المعابد لينتقموا لحرق معبد سيبيل آلهة سرديس • وفى اثناء ذلك كان ارتافرن عامل اخيه دارا يدخل في اصلاح الشقاق بين اليونانيين ، وكان يضرب عليهم الجزية التى بقى مقدارها ثابتا لم يتغير الى زمن هيرودوت أى بعد ستين سنة ، ثم أخذ مردنيوس صهر دارا قيادة جيش جرار فى البر والبحر وسار به فى يونيا يقيم حكومة شعبية متجها الى أوروبا ليعاقب آتينا واريتريا على مساعدتهما فى عصيان مستعمرات آسيا الصغرى • فأما اريتريا فقد أسلمها بعض الخونة فقهرها داتيس ، وحرقت معابدها وصفد رجالها فى الاغلال يساق بهم أرقاء الى صوص • وأما آتينا التى هددها الخطر بعد اريتريا بأيام فانها اقتحمت الحرب وحدها هى والبلاتيون اقتحام الابطال ، وصدت الغازين فى مرطون • وعلى ذكر مرطون امسك عن القول لانى لا اقصد رواية عجائب الشجاعة والوطنية • وماذا أنا قائل فى الوطنية ! آتينا التى سيكون من امرها ان تنير العالم بذكائها قد خلصته وقتئذ بعزيمتها التى لا تتزعزع ، فاذا كان قدر للفرس أن ينتصروا ماكان عسى أن تصير اليه المدنية الغربية ؟ وماذا يكون مصير اوروبا ؟ الله وحده يعلم ذلك ولكن آتينا تستحق اعترافا أبديا بجميلها • وقد صيرت مرطون بلوغ الطرموفيل وأرتيميزيوم وسلامين وبلاته وميكال تجاه سوس من الممكنات • وكان أول شرط لقهر المتوحشين هو عدم الخوف منهم ، ذلك هو السنة الحسنة التى استنتها يونيا والتى اخذت بها آتينا فى هذا الظرف أمام خطر مزعج • لقد افتدتنا مدينة مينرفا (آتينا) من الاستعباد الاسيوى منذ اثنين وعشرين قرنا • نحن الذين نعرف اليوم آسيا بعلاقة أننا نمدنها نستطيع أن نرى أكثر من اغريق ملتياد وطمستوكل من أية هاوية انتشلونا • ونستطيع أن نحلف كما فعل ديمستين بأسماء الابطال شهداء مرطون !.

فى كتاب هيرودوت ينبغى أن تقرأ هذه الحكاية الخطيرة على بساطة فى سردها كتبها بعد الواقعة بأقل من ثلاثين سنة ، وانه ليخاطب فى أولمبيا رجالا اخذوا بحظ من ذلك الانتصار ومن الحوادث التى كان يمكن أن يكون هو لها شاهد عيان • فلا أريد أن أكرر ما حدث به ذلك المؤرخ الشريف من سيرة المجد ، ولكن لى بعض كلمات على يونيا لاتمشى بالحوادث الى العهد الذى كان فيه ميليسوس آخر من علم من فلاسفتنا فى سموس مذاهب مدرسة ايلى •

لما قهر اليونان اضطروا الى ان يخدموا سادتهم ويتبعوهم فى حروبهم ضد اغريقا ، ففى سلامين كان من سموس اثنان من قواد

الاسطول الفارسي ، طيومستور بن اندروداماس وفيلاقس بن هستيـــا وقد أبليا بلاء حسنا ضد سفن لقدمونيا حين كان الفينيقيون يحاربون سفن آتينا ، ولكنه مهما كان لاغريق آسيا الصغرى من العمل في تأليف جزء عظيم من أسطول دارا واكزاركسيس ، فانهم لم يكونوا الاليتربصوا الفرصة المناسبة للعصيان • بعد هزيمة سلامين جاء اسطـــول الفرس يقضي الشتاء في كومة وفي سموس بعد ان وصلت الملك المغلوب ومعيته • فلما جاءت السنة التالية حضر الاسطول الاغريقي تحت قيادة ليوتيخيدس ملك أسبرطة يبحث عن أسطول الفرس في مياه آسيا الصغرى أظهرت له جميع مدائن الشاطىء والجزر استعدادها لمظاهرته والعصـــيان على الفرس ، وعلى الاخص جزيرة سموس ، فانها كانت تلتهب شوقا الى خلع طيومستور الذي رماهم به المتوحشون طاغية عليهم • فأرسـلت لهذا الغرض رسلا الى ليوتيخيدس ســـواء في أسبرطة أوديلوس ، ليؤكدوا له استعدادها • وربما كانت هـــذه المخابرات هي التي قوت رئيس الاغريق على الحضور لمهاجمة الفرس في موضعهم ، ولكن المتوحشين منذ الدرس القاسي الذي تلقوه في سلامين لم يكونوا ليجرءوا على اقتحام حرب بحرية • وقد أذنوا للاسطول الفينيقي أن ينسحب ، ولم يكد يبقى معهم الا يونان واغريق من الشاطىء ، فغيروا مركزهم من سموس الى ميكال حيث جروا سفنهم الى البر وأحاطوها بسور يصح أن يكون خط دفاع، والى جانبها جيش مؤلف من ستين ألف مقاتل تحت قيادة تجران الذي عهد اليه اكزاركسيس في المحافظة على يونيا • وكان الفرس يظنون أنهم من موضعهم هذا في حصن حصين • ولزيادة الحيطة قد نزعوا السلاح من اهل سموس الذين كانوا يتهمونهم بأن لهم ضلعا مع ليوتيخيدس والذين كانوا منهم أن افتدوا بمالهم أسرى آتينا وردوهم الى وطنهم ، وفوق ذلك فقد كلف الفرس الملطيين بحماية الطرق المؤدية الى قمم ميكال ، وعلى ذلك لم يكن لديهم ادنى ريب في أن يصدوا من حصنهم كل هجمة عليهم من العدو ، ولكنهم مع ذلك قد أهلكهم الآتينيون والقورنتيون بفضل شجـــاعتهم وبانتقاض أهل سموس وأهل ملطية ، فدمر جيشهم تدميرا ، وقتل قائده تجران وحرق أسطولهم ورجع الاغريق ظافرين من هذه الموقعـــة مثقلين بالغنائم •

كانت يونيا قد تخلصت من حكم الاجنبي بعد واقعة ميكال ، ولكن هل تستطيع أن تقوم قائمتها بنفسها وتدفع عنها حمق المتوحشين متى تركت الى قواها وحدها ؟ • كان من المشكوك فيه أن لها طاقة على المقاومة، فاجتمع القواد في سموس وتداولوا فيما إذا كان الواجب على اليونان أن

يهجروا نهائيا سواحل آسيا الصغرى ويلتجئوا الى قسم من اغريقا يعين لهم ، فعارض الآتينيون جد المعارضة فى هــذا القرار مع أنه كان من الميسور تعويض اليونانيين على حساب الخونة الذين كانوا قد تخاذلوا عن الدفاع فى القضية العامة عند الغارة الميدية • وأما البلوبونزيون فانهـم انضموا الى هذا الرأى من غير مشقة ، ووقف الامر عند عقد معـاهدة محالفة مع السموسيين والشيوزيين واللسبوسيين وجميع الذين شاطروا فى الظفر • وقد كان الجيش الفارسى قد التجـأ الى سرديس حيث كـان اكزاركسيس باقيا منذ رجوعه المخجل ثم تركها توا الى صوص ليستر عاره ويكظم غيظه • وبذا أصبح الاسطول الاغريقى سيدا على بحر ايجه كله لايهاب فيه عدوا رجع الىجهة بيلوبونيزسائرا علىامتداد كل الشواطىء حاملا من أبيدوس بعض بقايا قنطرة اكزاركسيس المشهورة لجعلهـا فى المعابد تذكارا لذلك الانتصار •

لما أمنت يونيا شر غارات الفرس أخذت تعمر ما تخرب ووضـعت نفسها تحت حماية آتينا التى تربطها بها تذكارات الماضى ومنافع الحـال وضعا تاما بقدر الامكان ، وبهذه المثابة تحزبت يونيا مع آتينا ضد أسبرطة التى كان ملكاها ليوتيخيدس وبوزانياس موضعا للتظنن فيمـا يتعلق بعلاقاتهما مع المتوحشين • لقد كانت آتينا قوية جدا فى البحر بحيث تستطيع أن تقدم ليونيا مساعدة عاجلة مفيــدة فى حين أن اسبرطة لا تستطيع أن تقدم هذه المساعدة ولو أرادتها • من أجل ذلك اخـذ اليونان بحظ عظيم فى اتحاد ديلوس وشاطروا بمقدار وافر فى النفقات العامة التى انفقها الحلفاء للتحصن من هجوم المتوحشين كرة أخرى ،وكان ذلك على أثر حوادث بلاتة وميكال اى فى نشوة الاستقلال اشستردبحبوحة الثقة المتبادلة (نحو سنة ٤٧٧ قبل الميلاد) •

ولكن آتينا كان من شأنها أن جاوزت فى استعمال السلطـان الذى أوتيته عفوا فجرت على نفسها الغيرة والأحقاد التى سببت بعد ذلكحرب بيلوبونيز فى وقت كان عنوهم المشترك لا يزال فيه بقية • وأخذ سلطان آتينا ، كما نبه اليه ارسطو ، يثقل على نفوس حلفائها الذين هممساوون لها لا رعاياها ، وبخاصة أهل نكسوس وطاشوز الذين عوملوا معـاملة قاسية ظالمة (٤٦٧ـ٤٦٥) ولم يكونوا ليستسلموا الى غطرسة الآتينيين فى أوامرهم • غير أن الاسطول الآتينى وهو مؤلف من مائتى شراع كان يمخر دائما على شواطىء آسيا عزيز الجانب مهيبا من الاسطول الفينيقى الفارسى الذى هرب أمامه حتى بلغ مياه النيل • كانت تلك خدمة حيوية

أيونيا . من أجل ذلك كانت يونيا من جانبها تتسامح فى كثـــير من الامتهان الذى كانت تجنيه عليها حليفتها القوية فى مقـابل هذه الحماية المستمرة التى تنالها . والظاهر أن اعترافها بجميلها كان الى الغاية القصوى حين رأت ان استقلالها مضمون بمعاهدة استكرهت آتينا على عقدها الملك الكبير بعد عدة انتصارات داوت الهزيمة التى وقعت فى مصر (٤٥٥ قبل الميلاد) وهذه المعاهدة التى يرجع الفضل فى نصوصها الى دهاء سيمون وأعمـاله فى قبرص ، كانت تنص على أن فارس تترك شواطىء آسيا الصغرى التى يقطنها الاغريق حرة تمام الحرية فلا تضع عليهم جزية ولا تدنو بجنودها الى خط على مسافة معلومة من الشاطىء ، وفى مقابل ذلك يتعهد الآتينيون وحلفاؤهم الا يغزوا بعد الآن قبرص ولا صقليه ولا فينيقيا ولا مصر . وقد أرسل الاغريق سفراء الى صوص حيث صدق على المعاهدة وكان قلياس هو الممثل لآتينا (نحو ٤٤٩ قبل الميلاد) (١) .

صارت جمهورية آتينا وقتئذ فى أوج قوتها ، فانها كانت على رأس اتحاد بحرى تكاد تتصرف فيه على هواها ، مؤيدة بطائفة من الاحلاف فى القارة ، سيدة على مستعمرات عديدة على جميع سواحل بحـر ايجه وعلى الهلسبون وبحار الاغريق ، يضطلع بأعبائها رجل مثل بيريكليس . فهى لذلك كانت تتطلع الى بسط سلطانها المطلق على جميع الجنس الاغريقى . وهذا الطمع هو الذى أعماها وذهب بها . من بين حلفائها كانت سموس وهى أشدهم بطشا وكانت تحتفظ هذه الجزيرة الكبيرة تلقاء آتينا بنوع من المساواة فى المعاملة قد لا يأتلف وما تضمره الجمهـورية من مشروعات بسط سلطانها ، فحدث شجار قليل الخطورة بين سموس وبين ملطيـــة بشأن أرض بريين الصغيرة جر الى المداخلة الآتينية فان الجمهورية قــد دعت الفريقين الى التقاضى أمامها . وكانت سموس تخشى تحيز بيريكليس لملطية التى هى وطن أسباسيا فرفضت قبول هذا التحكيم المريب فأرسلت آتينا لفورها أربعين سفينة لارغام سموس على الطاعة ، فقلبت حكومتهم من الأوليجارشية الى الديموقراطية ، وأخذ خمسون من اعيان الاهالى وعدد مثله من أبناء العائلة الرفيعة رهائن وضعوا فى جزيرة لمنوس . وبقية حامية فى سموس لتحقيق نظام الحكومة الجديدة (نحو ٤٣٩ قبل الميلاد) .

كان هذا التصرف من جانب آتينا فظيعا فقوبل بمثله لان منفيى

---

(١) الح ج. جروت الحاحا شديدا فى بيان الاهمية الكبرى لهذه المعاهدة . (تاريخ الاغريق ج ٥ ص ٤٥١ وما بعده) .

سموس ذهبوا الى بيسوتنيس مرزبان سرديس يستنجدونه فأمدهم ببعض مقاتلين فقصدوا سموس وعدتهم سبعمائة رجل ، وانقضوا على حــرس الجزيرة الآتينى بياتا واسلموهم الى بيسوتنيس • وفى الوقت عينه كرة رابحة مثل الاولى على جــزيرة لمنوس ردت اليهم رهائنهم ، وفوق ذلك تحالفوا مع بيزنطة التى تكاد تكون مثلهم فى التبرم بحكومة آتينا ، وكان ذلك مفيدا لهم • كل هذا انما هو خطر جدى يتهـدد الجمهورية ، فلو احتملت عصيان سموس تذهب ذلك برئاستها وبسلطانها الذى كــانت تؤيده هدنة الثلاثين عاما التى عقدت قبل ذلك ببعض سنين مع اسبرطة عدوها الوحيد المريب ، لذلك عقدت آتينا العزيمة على التنكيل بسموس تنكيلا يمنع سواها من أن يهم بتقليدها • ستون سفينة أرسلت سراعا الى الثائرين انفصل منها ست عشرة اما لمراقبة الاسطول الفينيقى عـلى شطوط آسيا ، لأن بيسوتنيس لا يفوته أن يضعه تحت تصرف الثائرين ، واما ليأتى بالمدد من جزيرتى شيوز ولسبوس اللتين بقيتا تحت الطاعة ، ولكن من الجائز عليهما أن تنقلبا ظهر المجن • وبقى الأربع والاربـعون سفينة امام سموس تحت قيادة بيريكليس احد القواد العشرة السنويين الذين من بينهم سوفكل الشاعر الذى نشر « انتيجون » السنة الماضية • ومع أن السموسيين كانوا يتوقعون هــذا الهجوم ، فانهم كانوا ذهبوا لمحاصرة ملطية ، وكانوا عائدين اذ التقوا مع بيريكليس بالقرب من جزيرة تراجيا ، ومع أنه كان لديهم سبعون سفينه من بينها عشرون تحمل رجال حرب فان بيريكليس لم يتــأخر عن منازلتهم وانتصر عليهم ، وعوضت خسارة سفنه بالمدد الذى جاءه وقدره أربعون سفينة جاءت من آتينــا وخمس وعشرون من لسبوس وشيوز اللتين قدمتاها باخلاص •

وقد تلت الواقعة البــحرية واقعة برية ، اذ نزل الآتينيون الى الارض ، وانتصروا على الثائرين وأسرعوا فى اقامة أســوار عالية تحصر المدينة من ثلاث جهات فى حين انها مضيق عليها من جهة البحر أيضــا تضييق • وفى هذا المركز الحرج تثنى للسموسيين أن يرســلوا خمس سفن تحت أمرة استيزاغوراس يستعجل الاسطول الفينقى الذى كــانوا أحوج ما يكونون اليه • وليتدارك بيريكليس خطر تجمع هــذا الاسطول اسرع بستين سفينة مما معه أمام سموس متجهــا الى قونوس فى قاريا حيث كانت هى موطن الاجتماع كما كان يقال • فلما بعد بيريكليس خرج السموسيون مستقتلين ، ولم يكن خط دفاع الآتينيين قد تم بعد فانهزموا وخربت بعض سفنهم ودارت عليهم الدائرة فى البر والبحر ، ولكن نجاح السموسيين لم يكن ليلبث مدة فان بيريكلس لما رجع بعــد غيبة أربعة عشر يوما غير مجرى الحال ، ولكن فى تلك المــدة كانت المدينة قــد

استطاعت أن تدخر الزاد وفيرا واستعدت لمقاومة حصار جديد . عاد الحصار كما كان وقوى الحصار البحرى بستين سفينة جاءت من آتينا وثلاثين من لسبوس وشيوز فكادت تكون عدة مجموع السفن مائتى شراع تحيط بسيموس .

فى هذه الحادثة نال ميليسوس القدح المعلى فى الوطنية وسعد الطالع ، اذ كان على رأس الاسطول والجيش فانتهز غيبة بيريكليس وخرك حمية مواطنيه بغاية الاقدام وكسب الظفر الذى تكلمنا عنه آنفا . ويظهر على قول بلوتارخس فى ترجمة بيريكليس مستندا الى أرسطو : أن ميليسوس هزم بيريكليس نفسه فى واقعة بحرية أولى ، غير أن طوكوديدس الذى شهد هذه الوقائع لم يقل شيئا من ذلك فتكون هذه الرواية محلا للشك، ومع ذلك فان النجاح الاول لميليسوس لم يكن من شأنه ان يخلص وطنه، فان بيريكليس لما جاءه نبأ هزيمة جيشه عجل الى سموس فخرج ميليسوس للقائه ، ولكنه انهزم فى حرب برية ، ويمكن أن يكون هزم أيضا فى واقعة بحرية . وقد استمر الحصار على أضيق مما كان . وبقيت سموس وفيها ميليسوس تقاوم تسعة أشهر ، لان بيريكليس كان أحب اليه أن يأخذها بالاناة حتى مع انفاق المال والزمان من أن يسفك الدماء الآتينية .

فلما جاء السموسيون على آخر زادهم سلموا ودك بيريكليس اسوارهم وأخذ سفنهم واضطرهم الى دفع نفقات الحرب التى قدرت كما قيل بألف طالنطن ، أى خمسة ملايين من الفرنكات فى زمننا ، فدفعت سموس على الفور جزءا من هذا المبلغ الطائل وقتئذ ، وتعهدت بدفع الباقى مؤمنا عليه برهائن قدموها . ويقال ان بيريكليس أبدى فى هذا الظرف ما تقشعر له الابدان من الفظاعة فى معاملة بعض الاسرى الذين ماتوا تحت العصا بعد تعذيب عشرة أيام ، ولكن الذى روى هذه الفظائع مؤرخ متأخر من سموس وهو دوريس فى عهد بطليموس فيلادلفوس . ولا شك فى أن روايته تشف عن الحقد الوطنى ، فان بلوتارخس زيف هذه الرواية التى لم يجد لها أصلا فى طوكوديدس ولا فى أرسطو ولا فى ايفوريس وهم الذين استرشد بمؤلفاتهم فى ترجمة بيريكليس .

يظهر ان آتينا كانت تعلق أكبر أهمية بقمع ثورة سموس ، لان مثلها من شأنه أن يحتذى . فاذا قلد سموس غيرها تداعت مشاريع الجمهورية الآتينية رأسا على عقب . من أجل ذلك قوبل هذا الظافر فى آتينا عند عودته اليها بأجل مظاهر التحمس ، واقيمت حفلات المآتم الفاخرة لشهداء هذه التجريدة ووكلت المحكمة المقدسة أمر تأبينهم الى بيريكليس . ليس لدينا نص هذا التأبين ، ولكننا يمكن ان نأخذ عنه فكرة من التأبين الذى نقله لنا طوكوديدس من حيث المعانى على الاقل .

ذلك التأبين الذى ثقيم لشهداء حرب البيلوبونيز ، فان بين الحربين علاقة مشابهة · لان كلتيهما فتنة داخلية تمزق وحدة الاغريق · وقد قوبل مدح شهداء حرب سموس بغاية الحفاوة ، فان بيريكليس لما نزل عن منصه الخطابة قامت اليه النساء جميعهن متأثرات بالاعتراف بفضله يعانقنه ويتوجنه بالازهار والعصائب ، كما كان يصنع بالمصارع المنتصر فى حفلة الالعاب العمومية ، الا امرأة واحدة لم تشرك الجماعة فى ذلك الاعجاب المجمع عليه ، تلك هى ايليبنس أخت سيمون الذى كان زمنا طويلا منافس بيريكليس وأقبلت عليه تقول له : « حق انها أعمال مجد حقيقة بهذه الاكاليل ! ولقد أضعنا رجالنا لا فى حرب الفينيقيين أو الميديين ، كما فعل أخى سيمون ، ولكن فى تخريب مدينة محالفة تدلى بأصلها الينا وجعل عاليها سافلها » ·

لم يكن هذا الانتقاد الا مصداق الحقيقة ، ولكن الظافرين قد كانوا سكارى بخمرة الظفر · ولم يكن حظ سموس الا نذيرا بما غيبه القدر لكثير من المدائن الاغريقية الاخرى فى الحرب الكبرى التى كان يتوقعها بيريكليس · والظاهر انه هو أيضا كان متأثرا بنجاحه الى حد لا يأتلف مع اعتدال أخلاقه المعروف · فاذا صدقنا فيه الشاعر يون الشيوزى لحسبنا بيريكليس يفخر بأنه فاق أغاممنون الشهير الذى قضى عشر سنين فى فتح مدينة أجنبية ، مع انه لم يقض الا تسعة أشهر للاستيلاء على أكثر المدائن اليونانية مالا وأعزها نفرا ، ولكن كلمة بيريكليس هذه انما نقلها صديق لسيمون خصمه فهى بذلك بعيدة الاحتمال ، لان كلمة كهذه تخرج من فم رجل سياسة لا تعد الا غشما ، انها فخر شخصى سيء الذوق ومعاجزة فى غير موضعها موجهة للحلفاء ، ولكن مهما كان انتقاص هذا الشاعر له حقا أو باطلا ، فانه كاف فى الدلالة على ما علقته آتينا من الاهمية على هذه الحرب قصيرة العمر غزيرة الدماء · وعلى رأى طوكوديدس الذى هو مؤرخ شاهد عيان أن السموسيين لو كانوا انتصروا فى هذه الحرب لاخذوا من آتينا سيادة البحر ، فكانت هذه الحرب على ماهى محل للاسف حرب موت وحياة بالنسبة للجمهوريتين · فلما خضعت سموس رغم مقاومة ميليسوس العنيفة لم يبق لآتينا شيء تخشاه الا شر نفسها ، وذلك نوع من الخطر تلهو عن الشعور به المدائن كما تلهو عنه كبرياء الافراد ·

ـ لا أريد أن أجاوز بهذه الاعتبارات التاريخية الى ابعد من ذلك بل يظهر لى انها على ايجازها كافية لان تكشف بوضوح عن حالة الوسط الحقيقى الذى نشأت فيه الفلسفة والذى عاش فيه الاعيان الذين نشتغل بأمرهم وعملوا أعمالهم · وانى ملخص أبرز رسوم هذه اللوحة التى رسمتها لانعاش حياة تلك الازمان أو بعض أجزائها على الاقل ·

أجل ظهرت الفلسفة لاول مرة فى آسيا الصغرى قبل الميلاد بستة أو سبعة قرون ، انها المستعمرات الاغريقية التى خرجت من يونيا بيلوبونيز ، وهى التى أشعلت هذا المصباح فى أقطار نصفه متوحشة ونقلته الى آتينا حيث كان الاستعداد للانتفاع به تاما ، فان انكساغوراس الكلازومينى عاش مع سقراط ، وسقراط هو أب لافلاطون ، ويمكن أن يقال انه أب لارسطو أيضا ، ولكن قبل أرسطو وقبل افلاطون وقبل سقراط كانت بذور الفلسفة مبذورة على أرض أخرى ، وكان من اللازم أن تنقل الى أطيقا حيث تؤتى ثمراتها . نعم ان الفلسفة كانت مسبوقة هناك كما هو شأنها فى كل ناحية بالشعر ، فان هوميروس أنشد من قبل أن يفكر فيثاغورث بأربعمائة أو خمسمائة عام ، ولكن العلم بجميع صوره : الفلك والرياضيات والطبيعة والتاريخ والطب ، كل ذلك تبع الفلسفة وناصرها ، لان الفلسفة هى التى نفخت روح الحياة فى كل هذه الفروع واكتسبت بها قوى جديدة .

فى وسط المنازعات المدنية والحروب الاجنبية والتجارة والصناعة والملاحة الى الجهات السحيقة والوقائع والاخطار المتنوعة ، فى وسط حروب الابطال التى كان يذكى نارها فئة قليلة من الرجال الاذكياء الاحرار على دولة فخمة ، فى وسط كل ذلك يجب أن يوضع مهد الفلسفة الخاشع المجيد . لم يكن هاجر فيثاغورث واكسينوفان الى شواطىء ايطاليا والى اغريقا الكبرى الا سخطا على الطغيان أو الاضطهاد . وما لقحت ايطاليا الا بهذين الاستاذين اللذين جاءاها من الشاطىء الآخر للبحر ، ولكنها لم تثمر لان النبات الغريب لم يجد فيها الاغذية الضرورية لنضجه . فكان أن ترجع الفلسفة الى منزلها الاول الذى منه درج أوائل المهاجرين لتكسب فيه صورتها الحقيقية وتكتسى ثوب جمالها وتستوفى قسطها من العظمة وحقها من الاستقلال الذى كللها به استشهاد أهليها . غير أن هذه الفلسفة ذاتها مهما دعا الظاهر الى انها ابتدعت فى اغريقا أفلا يكون من المحتمل أن تكون اقتبست الشرارة من قبس الاختلاط مع جيران اغريقا ؟ فان طاليس قدعاش مع الليديين ، وأصل أجداده منفينيقيا . وفيثاغورث الذى يمكن أن يكون هو أيضا من أصل فينيقى زار حقيقة سوريا ومصر وكلدة ماذا تعلم هناك ؟ وماذا جلب منها ؟ أو بعبارة أخرى بماذا تدين الفلسفة الاغريقية جدة فلسفتنا وأم غربنا للعلم الشرقى ؟ هل من عليه يحل هاتين المسألتين ؟ هل العقل اليونانى بل العقل الغربى اقترض شيئا ما من العقل الشرقى العتيق ؟ هذه أيضا مسألة مظلمة على ما لدينا من النور الحديث ، وسأحاول الجواب عليها بعد ، غير انى بادىء ذى بدء

أبغى تكملة لما سبق أن أثير مسألة أقل بسطا ولو أن لها اهميتها وفائدتها فانها مع قلة تسديدها جوهرية •

نحن نعرف فلاسفتنا ونعرف بعض الحوادث الرئيسية فى حياتهم• نعرف بعض مؤلفاتهم ان لم تكن لدينا كلها • واذا كان هوميروس هـو وحده الذى وصل الينا كاملا تقريبا بفضل أفلاطون فقد كان يمكـن أن يصل الينا الآخرون اذا لم تكن المصادفة أعـدمت تآليفهم التى هى مستودعات أفكارهم • اذا فقد كتب الاقدمون ومن ذا الذى يجعـل ذلك موضعا للشك ! هذه النظرية التى اقر بها هنا ليست قاصرة على مايتعلق بطاليس وفيثاغورث واكسينوفان ومعاصريهم ولكنها تنسحب أيضـا على من قبلهم وعلى من بعدهم الى مسـافات طويلة ، كيف خرجت من أيدى مؤلفيها تلك المؤلفات التى هى الآن تحت أيدينا كاملة أو آثارا ناقصـة ومخرومة • وعلى أى مادة كتبت بادىء الامر وماذا كانت وسائط الكتابة فى عهد اكسينوفان بل فى عهد ليكورغوس أو هوميروس ولاجل ان يكون بحثنا فى حدود وضعية ضيقة نتساءل كيف كانوا يكتبون فى المستعمرات الاغريقية بآسيا الصغرى فى حاجات تجارتهم النشطة ومقتضيات سياستهم المعقدة الحازمة وشعرهم الحاد وعلمهم العجيب وبالجملة فى سائر حاجات عيشة اجتماعية راقية مليئة بالاعمال •

اظن أننا الآن بحيث نجيب على هذه المسألة بطريقة قاطعة واضحة تمام الوضوح • ولكن قبل أن نقول كلمتنا فى هذا اللغز نرى من الحسن تقديم حوادث مسلم بها لنبين أن استعمال الكتابة قبل الميلاد المسـيحى بسبعة قرون فى آسيا الصغرى بل فى فارس نصف المتوحشة كان من الانتشار والسهولة على ما هو عليه عندنا الآن • كانت موادها أشـياء أخرى ولكنها تكاد تساوى المواد التى نستعملها اليوم الا أعجوبة المطبعة• لم يكن للناس فى تلك الازمان البعيدة ورق كالاوراق التى عندنا ، ولكنهم كان لديهم ما يساويه وما يؤدى لهم المطلوب من الورق •

أفتح بالمصادفة هيرودوت وطوكوديدس واكسينوفان وأفـلاطون وأرسطو وأخذ الاشياء كما رواها بل كما راوها وكما استعملوهـا

أضمر هربغوس وهو فى معية اصطياغ ملك الميديين ان ينتقم من سيده القاسى انتقاما وينتصف لنفسه ، وأراد أن يتفق مع قيروش الذى على حداثة سنه كان له بين الفرس من النفوذ ما سيخرج منه مملـكة فسيحة الارجاء • لما لم يسع هربغوس أن يتصل مباشرة بالامير الشاب الذى يحمل هو أيضا ما يدعوه للانتقام ، أرسل خادما أمينا يحمـل اليه بعض الصيد ، وجعل فى بطن أرنب كتابا أخفاه فيه يحرض به قيروش

على الثورة ، ويؤكد له مساعدته اياه • ماذا فعل قيروش ؟ لمـــا فتح بطن الارنب بيده • كما اوصى المهذى خادمه به ، وقرأ الكتاب بمعزل ،وضـع كتابا مزورا يفيد ان اصطياغ قد عينه رئيسا على الفرس التابعين وقتئذ للميديين • وقرىء ذلك الكتاب المزور على أعضــاء عـــائلة الاشيمينيين فصدقوه ، وبهذه المثابة قادهم قيروش على غير علم منهم وحارب بهــم اصطياغ وخلعه (١) • ولم يكن هربغوس وقيروش مع ذلك الا متوحشين . ولكن ها نحن أولاء بصدد أناس متعلمين في آسيا الصغرى وفي مصر :

وهذا بوليقراطس طاغية سموس وهـــو على سرير ملـــكه متمتعا بالرفاهية الى غايتها والناس الذين يعجبون به أو يخافون بطشه يكبرون منه حذقه وسعادته • وكان له بأمازيس الحكيم ملك مصر رابطة اتفـاق بل صلة صداقة فخاف أمازيس على صاحبه ذلك الموفق المهيب مما اجتمع له من التوفيق المستمر أن يتغير له الدهر ، وهو يعلم انه لاثبات للحظوظ الانسانية فنصح له أن يحذر الغير في تقلب القدر ، كتب له بذلك خطاب عطف ونبوة أوصاه فيه أن يضرب على نفسه قربانا يتقى به سخط الحظ الخادع الخائن ان استطاع • فأجابه بوليقراطس الذى يخشى على نفسه ما يخشاه صاحبه بخطاب أرسله اليه في مصر ، ذكر له فيه الوسيلة التى اتخذها ليصيب نفسه بمحض اختياره بمصيبة موجعة • والمصادفة الخارقة للعادة هي التى صيرت قربانه عبثا • فكان أمازيس وبوليقراطس يتبادلان الرسائل بين سموس ومنفيس على نحو السهولة التى يتخاطب بها التجار في وقتنا الحاضر بين أزمير والاسكندرية (٢) • لست أدعى أن الخطاب الذى نسبه هيرودوت الى أمازيس صورة رسمية من خطابه الاصلي لايتطرق اليها الشك ولكنه لا محل لادنى شك في أن الملكين كانا يتبادلان الرسائل الكتابية •

كذلك كان بوليقراطس نفسه قد جمع مكتبة كثيرة الكتب كمـــا ذكرنا آنفا ، وقد كانت في العالم الاغريقى احدى الباكورات التى استمتع بها بوليقراطس وأنفق في جمعها مالا طائلا • ويقولون نحو ذلك بالنسبة الى بيزيسطراط المتقدم بالزمان على بوليقراطس • يقولون انه أنشأ مكتبة في آتينا وجعلها مكتبة عمومية ليلطف من حال الشعب بهذه المزية وبغيرها، ولكن ناقلى هذا الخبر الينا هم من المتأخرين ، لان أحدهما أطينى والآخر أولوجل ، غير انى لا أجد أسبابا تحمل على الشك في روايتهمــا • فاما بوليقراطس فان مصر كانت له قدوة ما كان أسهل عليه تقليدها كمـــا سنبينه بعد ، وكان في استطاعته أن يجمع آثار المؤلفين الذين يعجبون

---

(١) هيرودوت ك ١ ب ١٢٣ وما بعده

(٢) هيرودوت ك ٣ ب ٤٠ وما بعده •

سكان الشواطئ الذين يطربون للشعر ويتذوقون طعوم العلم منذ عهد هوميروس . وأما بيزيسطراط فمن المؤكد انه اذا لم يكن فتح مكتبة للجمهور فهو على الاقل قد اقتنى الكتب واشتغل بنفسه فيها لغرض سياسي محض . وروى بلوتارخس في كتابه «حياة طيسي» أن بيزيسطراط سلخ من «هيزيود» بيت شعر كان يمكن أن يجرح صلف الآتينيين ، وانه زاد على قصيدة هوميروس بيتا من شأنه أن يسرهم ، فذلك الجذف وهذه الاضافة كيف يمكن اثباتهما الا أن يكون لديه نسخ من تلك القصائد يمكن فيها التغيير والتبديل .

نرجع الى استعمال الرسائل في العهد الذي نحن بصدده .

ان أوريطيس مرزبان سرديس الذي عامل بوليقراطس بتلك القسوة الفظيعة استوجب بسلوكه الوحشي سخط كل من حوله ، فان أحد زملائه عاب عليه أحبولته التي نصبها لطاغية سموس ، فقتله هو وابنه . وكان دارا الذي ارتقى عرش الملك حديثا ساخطا على أوريطيس الذي فوق ما قارف من الآثام تلكأ في حرب المجوس والفرس بعد موت قمبيز ، وكان ذلك أكثر مما يلزم للملك الجديد من الاسباب التي تحمله على التخلص من مرزبان قوي يسوس فريجة وليديا ويوتيا جميعا ويقود جيشا عرمرما . ولان يقبض عليه جهرا بالقوة فيه ما فيه من عدم التبصر خصوصا في ابتداء حكم جديد . ومع ذلك فان أوريطيس دس على سفراء دارا الذين جاءوا يدعونه الى مقابلة الملك من قتلهم سرا ، فصار بجملة ما فعل مستحقا للعقوبة ، ولكن كان يلزم مداراته بعض الشيء وتجنب ثورة أصبح حدوثها قريب الوقوع ، فدعا دارا أكابر الفرس وطلب اليهم أن يخلصوه من ذلك العاصي اما بقتله واما بالقبض عليه واحضاره ، وفي كلتا الحالتين لا ينبغي اتباع غير طريق الحيلة ، فتقدم اليه منهم ثلاثون دفعة واحدة كلهم يعرض قيامه بهذا العمل وحده ، فلم يشأ دارا أن يختار من هذه العروض الصادرة عن الاخلاص واقترع بين أصحابه فصادفت القرعة باجي بن أرطوطيس .

ماذا فعل باجي ؟ كتب كثيرا من الاوامر تتعلق بمسائل شتى ، وختم كل واحد منها بختم دارا ، فلما وصل الى سرديس سلم هذه الاوامر الى سكرتير الملك بحضرة أوريطيس ، لان كل مرزبان كان لديه ممثل للملك ، ففض السكرتير الخاتم عن تلك الاوامر وقرأها على الضباط العظام الذين كانوا حول أوريطيس . وكانت تلك الاوامر موجهة اليهم بنوع أخص ، فتلقوا جميعا أوامر الملك بغاية الطاعة والاحترام . فسر باجي بهذه المحنة الاولى ورأى أن في استطاعته الاعتماد على طاعتهم ، فأفضى اليهم سرا ببعض الاوامر التي يأمرهم فيها دارا بالانفضاض عن أوريطيس والانقطاع

عن خدمته ، فأطاعه الضباط أيضا والقوا رماحهم دلالة على أنهم تركوا المرزبان ، فلما تحقق باجى من تأثيره فيهم جعل سكرتير الملك يقرأ عليهم أمره اياهم بقتل المرزبان ، فهجموا عليهفخر صريعا تحت طعنات سيوفهم، وبذلك أخذ منه القود لبوليقراطس ، ونال دارا بغيته من الانتقام (١) .

على ذلك كان الفرس أنفسهم فى زمن دارا يستعملون الكتب بالسهولة التى يستعملها بها الاغريق الذين هم أرقى منهم تعلما وأكثر مدنية ، فان الملك الكبير كان يرسل أوامره الى جميع اجزاء مملكته الفسيحة الارجاء . وكانت هذه الاوامر مكتوبة بالاوضاع وبالمواد التى ربما لا تزال تستعملها الى الآن تلك البلاد القليلة المدنية .

لما اتهم الاغريق بوزانياس بأن له ضلعا مع الفرس وكرهوه عزم فعلا على خيانة قضيتهم الشريفة التى طالما خدمها فى بلاتة ، فراسل اكزاركسيس بكتاب يعرض عليه فيه أن يخضع له أسبرطة وبقية بلاد الاغريق ، فقبل ملك الفرس عرض ذلك الخائن ، وكتب اليه بخط يده كتابا أرسله اليه مع أرطباز مرزبان دسكيلينس . فلما أحسن اهل ايفورس خيانة ملكهم ، كتبوا اليه ينذرونه بأن يغادر طروادة ويعود الى أسبرطة حيث يستطيعون مراقبة سلوكه . فلم يجرؤ بوزانياس على مخالفتهم ، وعاد الى مقر ملكه ، ولكنه لم يكف مع ذلك عن مراسلته الجنائية ، ولكن الرجل الذى سلم اليه آخر الرسائل خاف على نفسه لانه لم يعد ولا واحد من الرسل الذين حملوا أمثال هذا الكتاب الى دارا ، ففض غلاف الكتب بعد أن قلد الختم الموضوع عليها ليقفلها كما كانت ، فتحها ليرى ما اذا كان لخوفه محل ، واذا به يقرأ توصية على قتله ، فحمل الكتب الى أهل ايفورس وبلغهم أمر الملك الذى كان يسلم اغريقا للمتوحشين .

ان تاريخ طيميستوكل أشبه ما يكون بتاريخ بوزانياس وان كان أقل منه جناية ، لان الآتينيين كانوا حرضوه على الخيانة بأن عاقبوه بالنفى ظلما فكاتب أرطقزاركسيس . ولما هرب من أرغوص الى قرقير ومنها الى الملك أدميت ملك الملوص ، ومن عنده الى اسكندر ملك مقدونيا جاء آخر الامر الى ايفيزوس حيث كتب الى الملك الكبير يطلب اليه ملجأ أباه عليه الاغريق . وقد روى طوكوديدس صورة ذلك الكتاب ولا محل للتظنن فى صحته (٢) .

---

(١) هيردوت ك ٣ ب ١٢٦ وما بعده .

(٢) طوكوديدس ك ١ ب ١٢٨ وما بعده .

من غير النافع أن نعدد الامثلة لانها مستفيضة فى جميع المؤرخين الذين لم أذكرهم وليس من الضرورى أن نذهب بالتمثيل بعيدا ، فقد وضح أن الناس فى اغريقا وفى آسيا الصغرى كانوا يستعملون الكتب فى الاعمال العمومية والخصوصية على نحو ما نستعملها نحن تقريبا ، وبوسائل أشتبه ما تكون بوسائلنا من حيث المادة التى كان يسهل الحصول عليها من غير عناء ، وأنهم يختمون الاوراق على نحو ما نختم أوراقنا بالطوابع الرسمية ، وبالاختام التى يمكن تقليدها من غير أن تكسر... الخ

وماذا كانت تلك المواد ؟ ـ .

تجيبنا على ذلك عبارة هيرودوت الصريحة ، فان ذلك المؤرخ العظيم للازمان الاولى للعالم الاغريقى قال فى عرض حديثه عن كيفية نقل «قدموس» الحروف الهجائية من فينيقيا الى القارة عند اليونان ما يأتى :

« يطلق اليونان على الكتب من قديم الزمان اسم الدفاتر أو الجلود لانهم » « لما لم يكن عندهم ورق فى تلك الازمان كانوا يستعملون للكتابة جلود المعزى » « والغنم ، بل فى أيامنا ما يزال كثير من المتوحشين يكتبون على الدفاتر أو جلود من » « هذا النوع » (١) .

وقد أتى هيرودوت بما لا يقل عن ذلك عجبا ، فانه ذكر انه رأى بنفسه عند زيارته طيبة فى بيوسيا فى معبد أبولون الاسمينى ثلاثة نصائب منقوشا عليها بالحروف التى كانت تستعمل فى يونيا . وهذه النقوش بالغة فى القدم الى لايوس أبى أوديب أى بعد قدموس بأربعة أجيال .

ان الكلمة التى يستعملها هيرودوت عبارة عن الكتب هى كلمة «ببلوس» ودلالتها معروفة بصورة مضبوطة ، فان هذه الكلمة تدل على جزء معين من بردى مصر . ولم يترك تيوفراسط محلا لاقل شك فى هذا الصدد ، فانه فى كتابه «تاريخ النباتات» (٢) قد وصف النباتات المائية، وتبسط فى وصف البردى الذى ينمو فى ماء النيل ، وعدد الاستعمالات المهمة المتنوعة التى يصلح لها البردى ، وبعد أن قال : أن من الخشب تصنع المراكب ، قال : « ومن البيلوس تصنع الشرع والحصر والملابس أحيانا والنعال والحبال وأشياء أخرى كثيرة أهمها الكتب «ببليا» المعروفة عند الاجانب حق المعرفة . وعلى ذلك يكون معنى ببلوس الذى ذكره

---

(١) هيرودوت ك ٥ ب ٥٩ وما بعده .
(٢) تيوفراسط وتاريخ النباتات ك ٤ ب ٩

تيوفراسط هو ذلك الجزء من ساق البردى الذى لمرونته ومقاومته يقبل هذه الاستعمالات المختلفة بالنسيج والطى .

وخـــلاف مكتبتي بيزيسطراط وبوليقراطس ، فالثابت من الادلة التفصيلية التى أتى بها أفلاطون أن الكتب فى زمنه على المعنى الذى نفهمه نحن من هذا اللفظ كانت منتشرة جد الانتشار بآتينا . وقـــد روى سقراط نفسه فى كتاب « فيدون » انه سمع ذات يوم انسانا يقرأ كتاب انكساغوراس وفيه أن العقل هو نظام كل الاشياء ومبدؤها . ولما قرعته هذه الحكمة البالغة رجا أن يجد فى انكساغوراس حل كثير من النظريات بعد ما سمع من براعة الابتداء ، فجـــد فى طلب مؤلفاته وهو يظن انه سيتعلم منها علم الخير والشر ، فقرأها على شبوق الفهم ، ولكنه كلمـــا تقدم فى القراءة خاب من رجائه فألقى بها الى جانب ليعود الى تفـــكره الذاتي ، اذا كان لسقراط كتب يراجعها ويتركها ، كمايفعل بيننا عشاق العلم والحكمة سواء بسواء ، يرجعون الى كنوز دور الكتب فـــلا يجدون فيها شفاء الغلة الذى يطلبونه .

وروى أنتيفون فى أول كتابه «برمينيد» نقـــلا عن رواية فيتودور أحد أصحاب زنون الايلى قال : « لما أتى برمينيد وكان قد تقدم فى السن الى آتينا مع تلميذه أقام فى حى السيراميك خارج الاسوار فانتقـل اليه سقراط فى رفقة ليســـمع قراءة كتب زنون » وكانت تلك هى أول مرة حمل فيها زنون وبرمينيد هذه الكتب الى آتينا . وكان سقراط وقتهـا صغير السن . وكان زنون نفسه هو الـذى يقرأ كتابه لان برمينيد كان غائبا فى تلك اللحظة وكان على وشك أن يفرغ من القراءة اذ عاد فيتودور ومعه برمينيد ومستمع آخر هو ارسطوطاليس الذى صار بعد ذلك أحـد الثلاثين ، ولم يسمع فيتودور الا قليلا مما كان باقيا ، ولـــكنه أقام الى آخر التلاوة التى كان قد سمعها قبل ذلك فى جلسة أخرى .

لما أصغى سقراط الى النهاية طلب الى زنون أن يتفضـــــل باعادة القضية الاولى من الكتاب الاول فأجاب طلبه مع الارتياح ، وأخذ الكتاب وأعاد الجملة التى وقف فيهـــا سقراط والتى أراد سقراط استحضار ألفاظها حتى يدخل فى مناقشة المعاني : « اذا كانت الموجودات متعـددة لزم عليه أن تكون متشابهة وغير متشابهة فى آن واحد فيما بينها ، وهذا مستحيل لان غير المتشابه لا يمـكن أن يكون متشابها ، وما هو متشابه لا يمكن أن يكون غير متشابه أيضا » وابتدأ الجدال وتتشـد فكرر سقراط قضية زنون ، وسأله اذا كان هذا حقا هو ما يريده ؟ فأكد زنون أن ذلك هو غرض كتابه ، فالتفت سقراط الى برمينيد وقال له : « أرى واضــحا أن زنون متصل بك لا بصلات الصداقة فقط بل بكتاباته . فالواقـــع

أنكما تقولان جميعا معنى واحـــدا ، وان اختلفت العبارة ، فان أحدكما يثبت أن الكل هو واحد ، ويثبت الآخـر أن التعدد ممتنع » فاعترف زنون بأن الحق في جانب سقراط ، وانه ما كتب كتابه الا انتصارا لمذهب برمينيد ضد أولئك الذين يبـــغون جعله سخريا ، وأن كتابه جواب على نصراء التعدد ، وأن الغرض منــه أن يبين لهم ان مذهبهم نفسه له نتائج أسخف من المذهب المضاد · وزاد على ذلك زنون بقوله : « اني ألفت هذا الكتاب مدفوعا بدافع المجادلة ، فسرق مني قبل أن أسائل نفسي عما اذا كان ينبغي نشره أو لا ينبغي · على هذا كنت يا سقراط تخدع نفسك اذ اعتقدت أن هذا الكتاب انما أملته على رغبة رجل ناضج بدلا من ان تنسبه الى شاب يميل به ما لطبع الشباب من حب المغالبة » ·

واستمر حديثهم دائرا على موضوع الوحدة والتعدد بما هو معروف لديهم من المواربة والمغالطة مما أكف عن الاسترسال فيه ، فحسبنا هـذه التفاصيل دلالة على أن زنون وبرمينيد لـمـا جاءا من ايليا الى غرب اغريقا الكبرى كان في بلدهما كتب كما في آتينا ، وان هؤلاء المتناظرين كانوا يتخذون الكتب لـمـا نتخذه نحن من الاغراض يقرءونها ويعيدونها ويقفون ببعض جملها للتحقق منهـــا · ونحن في شأننا لا نقلب الا على مثالهم صفحـات ما لدينـا من الكتب التي في حجم الثمن أو الاثنى عشرى التى ليست بأكثر مطاوعة للتقليب من كتبهم ·

وفي مقدمة فدر الرشيقة قابل سقراط ذلك الشاب الـــذى خرج يتنزه في الخلاء بعد أن مضى صباحه قاعدا · فيم قضى فدر صبحه اذا ؟ في اســتماع قطعة كان يقرؤها له ليزياس بن سيفال ، وما زال مأخوذا بما قرىء عليه · وقد كان ليزياس أتى خصيصا لهذا الغرض من بيره الى مونيشيـا ، فطلب سقراط من صـديقه الشاب أن يفسر له ذلك الـكلام العجيب ، فامتنع فدر بفكرة انه أقل علما من أن يكرر مثل تلك العبارات الجميلة ، ولكن سقراط الذى كان عليما بشغف صاحبه رقيق الحاشية أكد له انه لابد أن يكون قد حفظ تلك القطعة عن ظهر قلب ، لانه لابد أن يكون استعاد من مؤلفها أن يقرأها عدة مرات وانه لم يقنع بذلك بل لابد ان يكون أخذ الكراسة المكتوبة فيها حتى يقرأها على خلاء ، وان ذلك كان شغله الشاغل الذى ألهاه عن الخروج صبيحة يومه ، فأخذ قــــدر يتنصل بحجج ضعيفة ، ولكن سقراط ألحف في المسألة فاظهره فدر على الرسالة المخطوطة التى كانت بيده مخبأة تحت طرف ردائه ، وأخــــذ الصاحبان يبحثان وهما سائران على شاطىء الالصوص حيث كان يغمر فيه سقراط قدميه نيبترد ، عن مكان يناسب القراءة بالراحة حتى وصلا الى مجلس تحت شجرة سناج عالية ظليلة بجانب شجرة كف مريم يعطر

نوزعها الهواء على مسمع من خرير عين صـــافية بين التماثيل والاصنام القائمة للحور ولنهر اخلاوس ، فجلس فدر وسـقراط فى الظل على الحشيش الغض وقرأ الشاب كتاب ليزياس فى النسخة التى معه .

فأثنى سقراط على بلاغة ليزياس ، ولكنه لم يصل الى حد أعجاب صاحبه الشاب وقال له : ان هـــذا الموضوع قد كتب عليه الحكماء فى الازمان القديمة بما لا يقل اجادة عن هذا ، وحسبك منهم الحسناء سافو الشاعرة أو الحكيم أنقريون بل حسبك اى كاتب من الكتاب ، فلم يصدق فدر من ذلك شـيئا وسأله أن يأتى بأحسن مما أتى به ليزياس ، وان يفعـل على الفور فلن يقرأ له شيئـا بعدها ، فأخذ سقراط لفوره فى مسابقة ما ظنها مستحيلة عليه . وأعاد كلام ليزياس فى نفس الموضوع على ما فيه من الشطط والاشكال ، ولكنه ارتقى كثيرا عن هـذه المنافسة التافهة فى موضوع مطروق ، وانتهز هـذه الفرصة ليعطى الشاب درسا فى الخطابة والذوق . ان ليزياس يكتب أكثر مما ينبغى فيجب تعـلم الحكم على مؤلفـاته حتى لا تعطى من القيمة أكثر مما تساويه فى الحقيقة ، وان رجال السياسـة البصراء يربأون بنفوسهم عن تأليف مؤلفات تكون بعدهم موضوعا لانتقاد الخلف انتقادا قاسيا ، فاذا كتبوا بالمصـادفة شيئا كتبوه بكل عناية حتى لا يعاب عليهم . وهـذا بيريكليس أخطب الخطباء وتلميذ أنكساغوراس العظيم لم يترك شيئا مكتوبا .

وبينا سقراط يرسم قواعد الخطابة الحقيقية اذا به يصل الى اختراع الكتابة والكتب . على حسب أسطورة محفوظة فى نقراطس ، احدى مدائن الدلتا ، وربما كان سولون قد رعاها من هناك ، أن الكتابة من اختراع الاله توت وهو أنضى بها الى الملك طاموس الذى كان يحكم فى طيبة . ولم يعجب طاموس بهذا الاختراع كما أعجب به مبدعه ، وخشى على المصريين من الكتابة التى يبعدليها أن تصيرهم أكثر حكمة بل تضرهم متى جعلتهم يعتقدون أنهـم يعلمون ما يقرءونه قراءة سطحية فى كتبهم . قال سقراط معضدا رأى طاموس : « يكون الانسان » من البساطة بمكان اذا تصور انه يمكن ابداع أى فن من الفنون فى الكتب . وأنه « يمكن تعلمه منها ، كما لو كان قد خرج يوما من الـكتب شىء بين متين ، الا ما يكون » من تنشيط الذاكرة عند الذى كان يعلم من قبل ماتحويه الكتب . وان محصلات » الكتابة أشبه بمحصـلات الرسـم . سـل لوحات الرسـم تجبك بسكوت جليـل وسل » الكتب تجبك دائما بهذا الجواب . وقد تعتقد عند استماع ما فيها أنها عليمة ، » ولكن مقالا متى كتب دار فى كل ناحية ؛ فيقع فى أيدى من يفهمونه كما يقع » فى أيدى الذين لم يكتب لاجلهم ، وأنه لا يعرف لمن يتكلم وأمام من يلزم الصمت » فاذا احتقـره او عابه أحد بغير حق التجأ

الى ابيه ليساعده ، لانه لا يستطيع أن « يقاوم ولا أن يساعد نفسه »

فسقراط يحط من شأن هذه المقالات الميتة فى طى الكتابة التى يحويها ويرفع فوقهـا قدر المقال الذى ينقشه العلم فى نفس الذى يتعلم ، ذلك المقال الحى الملىء بالحياة هو الذى يبقى فى الذهن ، وما منزلة المقال المكتوب منه الا الشبح الباهت • هذا هو ما ينصح لفدر أن يكثر العناية بمزاولته ان الشاعر والنـاثر يصححان ويحرران ألف مرة ما قد كتبـا ، يزيدان عليه أو ينقصان منه ، ولكن يلزمهما قبل كل شىء أن يثبتا بما فى نفسيهما ويرعيانه حق رعايته ، تلك هى الوسيلة لاستحقاق ذلك اللقب الجميل لقب الفيلسوف • ذلك هو الرأى الذى يمكن أن يعطيه فدر الى ليزياس . وذلك هو الرأي الذى يعرف سقراط كيف يجعل أصحابه الشبــــان يتذوقونه ، وعلى الاخص ايزقراط الجميل الذى عليه مخايل النبوغ •

أنا لا اناقش رأى الحكيم الآتينى مهما ظهر لى منه عدم ائتلافه مع ذوقه السليم المعروف ، ولكن أيا كانت قيمته فانه ينتج منه أن سقراط وفدر وجميع اصحابهما يستعملون الكتب كما نستعملها نحن ، يكتبون مقالاتهم ومؤلفاتهم كما نفعل نحن ، ويدرسونهـا ويصححونها ويهذبونها كما نفعل نحن وينتج من هـذا فوق ما تقدم انه منذ زمن افلاطون كان ينسب اكتشاف الكتابة واختراع الكتب الى مصر • ولا شـــك فى أن افلاطون وهو من ذرية سولون يجب أن يعلم أكثر من غيره شأن تلك الاسطورة التى جاء بها جده الامجد من البلد الاجنبى •

وعلى هذه الوقائع القاطعة نزيد وقائع من العصر ذاته • لما وصل اكسينوفون رئيس تقهقر عشرة الآلاف من بيزنطة الى سالميدس آخـر نقطة وصل اليها فى الشمال ، حكى أنه عند دخوله فى البحر الاسود وجد سفنا كثيرة جانحة فى الرمل تحت جرف الشاطىء وان أهل تراقيا سكان تلك المنطقة يسارعون الى نهب أولئك الغرقى التعساء ويتقاتلون على أيهم يسرق من السلب اكثر من غيره • ولذلك توجد منقولات كثيرة على هـذا الشاطىء الخبيث ينقلها الملاحون فى صناديق من الخشب ، ومن بينها كتب لا شك فى أن أولئك المتوحشين ماكانوا يفهمونها ، ولكنهم يحفظونهـــا ليبيعوها (١) • ونظرا الى أنه كان يوجد عدد عظيم من الجاليات الاغريقية فى تلك الجهات بيزنطة وغيرها ، فليس مستحيلا أن فكر اولئك الملاحون فى الاتجار بالـكتب ، وربما كانوا ينقلونها من الشواطىء الاسيوية ومن آتينا والمدائن الأخرى لليونان النازلين والمهاجرين الذين مع بعدهم عن

(١) اكسينوفون • أناباز • ك ٧ ب ٥ ف ٤ ص ٣١٣ طبعة فرمان ديدو •

وطنهم تتوق أنفسهم الى الاقتباس من نوره الذى هم أحوج مايكونون اليه فى غربتهم ٠

لا أقول بأنه فى زمن أفلاطون بل فيما قبله لم يكن يوجد فى آتينا أصلا كتبية يبيعون الكتب ويشترونها فذلك محتمل جدا ، ولكنه ليس عندنا على ذلك شهادات تقارن فى قدمها ذلك الزمن ٠ فان أول شهادة من هذا النوع تنسب الى زنون الستيومى ، فان زنون قبل أن يترك مدينة ستيوم وهى مستعمرة فينيقية فى قبرص اشترى حمولة من الارجوان ليربح فيها فى آتينا وذهب يستفتى الهاتف عن أحسن طريقة للمعيشة فنصح له الهاتف ان يصير فى لون الموتى ، وفسر زنون هذه النصيحة بأنه يجب عليه أن يعكف على قراءة كتب الاقدمين حتى يشحب لونه ٠ فلما وصل الى آتينا بعد غرق محزن دخل عند كتبى وأخذ يقرأ بلذة شديدة الكتاب الثانى من مذكرات اكسينوفون على سقراط ، فسأل الكتبى وهو مسحور بلذة ما قرأ : أين يمكنه ان يقابل المؤلفين الذين يكتبون مثل هذه الملح ؟ فأشار له الكتبى بأصبعه الى «قراطيس» الذى كان مارا وقتها فى الشارع فعجل زنون الى الاستاذ يتعقب خطاه حتى وصل اليه وتتلمذ عليه ، ولكن لما لم يستطعم ذلك الجفاء الغليظ اعتزل قراطيس اذ أصبح فى قدرته أن يضع مؤلفات لا تقل عن مؤلفات استاذه وأخصها كتابه على فيثاغورث(١) ٠ وكان عمر زنون وقتئذ ثلاثين عاما وعلى الاحتمال الغالب ان ارسطو وقتها كان لا يزال حيا فان ذلك كان فى آخر ملك اسكندر ٠

اقص حادثة أخيرة استعيرها من نظريات ارسطو فى الفصل السادس عشر الباب السادس (ص٩١٤ ف٢٥ طبعة برلين) يتساءل المؤلف : لماذا قطع الكتب يعطى هيئات مختلفة على حسب ما اذا كان هذا القطع مستقيما او بانحراف ؟ أترك التفسير الى ناحية لانه لا يهمنا هنا ، ولكن ذلك يبين ان ارسطو كان لديه كتب من جنس كتبنا وعلى الاقل من جهة كونها مقصوصة على صورة منتظمة قليلا أو كثيرا ٠ بعد ذلك فى الفصل الثامن عشر يبحث أرسطو : لماذا تنيم القراءة بعض الناس ؟ ولماذا بعضهم على الضد من ذلك يتناول الكتاب حين يريد أن يبقى ساهرا ؟ كل ذلك يعين استعمالات الكتب أشبه ما تكون بما نفعل نحن ٠ كان فى آتينا بعضهم يقرأ فى سريره وليس معدوما فيها هذا الصنف من الناس الذين يأتون هذه البدعة عندنا ٠

من أين جاءت هذه الكتب ؟ وعلى أي مادة كانت مكتوبة ؟ لا أتأخر

---

(١) ديوجين اللايرثى ك ٧ حياة زنون الستيومى ٠

في الجواب : كانت مكتوبة على ورق البردي ، وكان البردي يجيء من مصر منذ أقدم الازمان كان بين مصر وبين اغريقا روابط مستمرة ، ومن باب أولى كان بين مصر وآسيا الصغرى · وان أقدم الهجرات التي اتبع فيهما سبيل اناخوس وسكروفس وكثير غيرهم انما عادت من شواطىء النيل جالبة معها الى الهلين في عداد ما جلبته لهم أسماء جميع آلهتم المتنوعة الى اللانهاية · وبعد ذلك ضاعفت العلاقات دواعي التجارة والحروب · وفي تلك القرون التي نحن بصددها كانت مصر متدخلة دائما لمصالح شتى في سياسة جميع الامم المجاورة لها ، وعلى الاخص سياسة المدائن الاغريقية التي على الشاطىء ولما أن فتح الفرس مصر صارت هذه العلاقات أكثر توثقا واستمرارا فان اسطول المصريين وجيوشهم كانت تشهد كل حين وقائع البر والبحر ومن البديهي · ان الامم المختلطة على هذا النحو تتبادل كثيرا من الاشياء بحكم الضرورة · وكانت مصر وقتئذ الوحيدة تقريبا في انتاج البردي فكانت تصدر منه كميات وفيرة الى بقية العالم ·

قد كان من السهل على مصر وهي التي اكتشفت الكتابة وهي التي تخرج البردي وتستعمله تلك الاستعمالات الصادرة عن المهارة والذكاء أن تتصور ايضا انشاء المكاتب ، فان الكتب متى كتبت وجب جمعهما وحفظها لحفظ الذكر لكل ما اشتملت عليه · وعلى الرغم من قول طاموس وأفلاطون وسقراط فقد ظهر ان تلك المحفوظات مفيدة ونفيسة جدا · ذلك ما كان هو الواقع · فان اوزيمندياس أحد ملوك مصر يعتبر انه اول من اقتنى مكتبة أو من اوائل من اقتنوا مكاتب · وتذكار هذا الحادث العجيب نقله الينا ديودور الصقلي الذي زار مصر في الأولمبية ١٨٠ كما كان زارها هيرودوت من قبله بأربعمائة وخمسين عاما ورأى بعينيه كل ما يتكلم عنه تقريبا · بعد أن قال كلمة عن قبور الملوك التي كان عددها سبعة واربعين على رواية الكهنة والتي لم تكن الا سبعة عشر حين زارها ديودور (١) · وصف بغاية التفصيل الاثر الشهير لأوزيمندياس ، ومن بين العمائر التي تنسب الى هذا الملك دار الكتب المقدسة المنقوش على وجهتها : « دواء النفس » · ولا يستنتج من كلام ديودور نفسه أن هذه المكتبة كانت لا تزال قائمة في زمنه · فأما أنها وجدت فذلك مالا يكاد الشك يتطرق اليه · ولقد كان لدى الكهنة المصريين كتب بالغة في القدم مسجل فيها تاريخ البلاد سنة فسنة تسجيلا منتظما والوراثة غير المنقطعة على عرش مصر

---

(١) نزلت اليها بنفسي في السنة ١٨٥٤ عند سياحتي في مصر ووجدت أن اعجاب ديودور كان اقل من حقيقة الواقع بكثير · (ر · رسائل على مصر طيبة وقيلي ص ٢٧٤ وما بعدها (بارتلمي سانتهلير) ·

لاربعمائة وسبعين فرعونا وخمس ملكات ، ولم يشأ ديودور أن يكرز بالنسبة لعهد كل فرعون ما كانت تحويه هــذه الكتب التى يظهر أنه اطلع عليها ، ولكنه وضع خلاصتها وعلى تلك الوثائق بنى عمله • فاذا لم تكن هذه المكتبة موجودة قبل المسيح بخمسين عاما فلا أقل من أن يكون ذكرها واردا فى تلك السنويات الرسمية التى كان لا يزال يمكن الاطلاع عليها مهما كان مبلغها من الضبط قله أو كثرة «١» •

وعلى رأى علمائنا المشتغلين بالآثار فان أوزيمندوس الذى كان يسميه الاغريق أوزيمندياس هو فرعون من العائلة السادسة عشرة • وهذه العائلة يقترن عهدها تقريبا بعهد اباحوس اى بتاريخ نحو الفى سنة قبل الميلاد • فان الهكسوس او عرب الرعاة تكون العائلة السابعة عشرة •

مثل هذه الأحاديث ربما كانت تظهر لنا حديث خرافة ، اذ لايمكن التصديق بوجود كتب فى زمن بلغ من القدم حد الغاية ، اذا لم نكن حاصلين الآن فى متاحفنا على الادلة ، التى لاتقبل التهم ، المثبتة لهــذه الحوادث ، ففى باريس وفى طورينو وفى ليدن وفى برلين ••• الخ أوراق البردى والمخطوطات التى يصل تاريخها الى ثلاثة عشر واربعة عشر قرنا قبل الميلاد المسيحى بل الى أبعــد من ذلك • ولــكل أن يراها ولمعرفة تاريخها ليس عليه الا أن يستفتى شمبوليون ودى روجى ومارييت وأميدى بيرون وليمانس ولبسيوس ••• الخ • ان بردية طورينو الشهيرة التى تكلم عنها شمبوليون فى خطابه الى دى بلاكاس (ص٤٢) هى على الاقل من القرن الثالث عشر قبل المسيح كما بينه لبسيوس « تودتنبوخ ص ١٧» وفى كتاب الملوك نقل لبسيوس (لوحة ٦) مخطوطة يصل تاريخها الى العائلة الثالثة عشرة أو الرابعة عشرة ، وذلك مايبلغ بنا الى أقصى مما ذكرنا • ووصف مارييت فى مذكرته عن دار الآثار ببولاق (ص ١٤٨) برديا وجد فى طيبة فى نحو المترين طولا يتعلق باحــدى الثــلاث العائلات الاولى للامبراطورية الجديدة ، وهذه المخطوطة لا يقل عمرها عن ١٢٨٨ سنة قبل الميلادبل يمكن ان تكون من سنة ١٧٠٠ ومخطوطة أخرى (ص ١٥٣)طولها اربعة أمتار ونصف على ٣٥ر٠ ارتفاعا وهى من متعلقات العائلة الثامنة عشرة فتكون من سبعة عشر قرنا قبل الميلاد • ويمكن ايراد أمثلة من هذا

---

(١) يتكلم ديودور على الاقل مرتين أو ثلاثا على سياحته فى مصر • ر • المجموعة التاريخية ك ١ ب ٤٤ ف ١ ، ب ٤٦ ف ٧ • وفيما يتعلق بمكتبة اوزيمندياس راجـع الكتاب عينه ب ٤٩ ف ٣ • واذا ماحادث سولون كهنة سايس ذكروا له كتبهم المقدسـة وفيها سنويات البلد منذ ثمانية آلاف عام (طيماوس ترجمة فكتور كوزان ص ١٠٩) •

النوع الى مايشاء ، ولكن حسبنا ما أوردناه وما أظن بنا حاجة الى المجاوزة بالايضاح الى ابعد من ذلك فقد كمل .

اكثر من ذلك . قد وجد بجانب المخطوطات الأدوات التى تصلح لكتابتها فناجين تحوى المادة الملونة وقصب الاقلام ، وذلك ما يعدل عندنا المحابر والريش ، والمصاقل التى تصقل البردى قبل الكتابة عليـــه ، والمقالم التى توضع فيها الأقلام . وفى دار الآثار ببلين توجـــد الواح الكتابة ومعها دوى فيها يميز المرء بغاية الوضوح الحبر الأسود او الاحمر وقد جف فى باطنها ودوى من البرنز ... الـخ . وكل هذه الآثار انما هى سابقة على العائلة السادسة عشرة على رأى ليمانس (ص ١٠٨ ف ٢٤٥) وفى دار الآثار ببولاق توجد ألواح الكتاب ، ومعها كل لوازمهـا وهى كما قرر ماريت سابقة لعهد ابراهيم (ص ٢٠٩) وعلى ذلك يكون عمرها من ٣٥ الى ٤٥ قرنا . وفى باريس فى متحفنا المصرى أيضا جميع الادوات اللازمة للكتاب (القاعة المدنيـــة ـ دولاب P درج ×) وكذلك فى قاعة الموتى (درج LM ترى المخطوطات اما على ورق البردى أو على القماش ، كل ذلك غير أوراق البردى الكبيرة المنشورة المحبوكة بالاطر المغطاة بالزجاج والتى تبلغ أطوالها عدة أمتـــار . وفى ليدن مخطوطات تبلغ أطوالها الى اثنى عشر مترا . والواقع انه كان يمكن صنع ورق البردى الى طول غير متناه لان العرض وحده هو المحدود ولا يكاد يزيد عن ٣٠ سنتيمترا .

من التفاصيل التى تقدمت والتى يمكننا ان نزيد فى ايضاحها عند الحاجة أظن أننا نستطيع استنتاج النتائج الآتية التى هى كذلك ، كمـا يظهر لى ، حوادث ثابتة :

ان فلاسفتنا للقرن الخامس والسادس قبل الميلاد كتبوا مؤلفاتهم سواء فى آسيا الصغرى أو فى إغريقا الكبرى ، وقد وصل الينا بعض أجزاء هذه المؤلفات من خلال الصعوبات التى كانت تقترن بنقل الكتب قبل اكتشاف المطبعة واختراع الورق من القطن ومن الكتان أو استعمال الرق . وان كتب اكسينوفان وميليسوس بل ربما كتب طاليس وفيثاغورث أيضا كلها كتبت كما يكتب كل الناس وقتئذ على ورق البردى المصرى . ولابد أن تكون صورها على شكل ورق البردى المحفوظ فى دور الآثار . ومن الممكن أن تكون أوراق البردى رتبت ، منذ عهد قديم وبالتحقيق منـــذ عهد ارسطو ، بحيث يكون شكلها كشكل كتبها الحاضرة . ومن ثم تيسر جمـــع الكتب فى المكاتب ، فأما المكاتب التى ينسبونها الى بوليقراطس

وبيزيسطراط لم تكن بلا شك الا تقليدا للمكاتب المصرية التى كان أشهرها دار الكتب التى أنشأها أوزيمندياس ·

ما الذى بقى علينا تعرفه ؟ ربما كان شيئا واحدا هو الذى تقتضيه نفوسنا الطلعة بحكم عاداتنا الجديدة فى دقة التحرى وهو صنع البردى المخصص للخطابات ولمؤلفات الكتاب · ومن محاسن المصادفات ان بلاين الذى ليس أقل منا حبا للاطلاع قد نقل الينا هذه المعلومات اذ يقول لنا كيف كان يصنع ورق البردى فى زمنه · ومن المفهوم ضمنا أن هـــذه الصناعة قد نالها بعض التحسين بمرور الزمن الطويل الذى يبتدىء من عهد أوزيمندياس الى القرن الاول للميلاد ، ولكن الاصول الرئيسية لهذه الصناعة لابد أن تكون قديمة جدا بل الظاهر أنه لم يكد يدخل عليها أقل تغيـــير (١) ·

وقد عنى بلاين عناية كبرى بوصف هذا القصب المسمى برديا نظرا الى « أن المدنية وتذكار الاشياء مرتبطان باستعمال الورق ، وبهما يتعلق تخليد ذكرى الرجال » · أما فرون فانه لم يبلغ بتاريخ استعمال الورق الى أبعد من عهد اسكندر الاكبر وتأسيس مدينة الاسكندرية · وقد يكون ذلك صحيحا فيما يتعلق باستعمال الورق فى روما ، ولكننا قد رأينـــا آنفا انه لا يمكن أن يكون صحيحا بالنسبة الى مصر ولا الى اغريقا ، وبلاين لا يشاطر رأى فرون مهما كان معتبرا · وهاك ما يقـوله فى ذلك النبات النفيس الذى يريد درسه :

ينبت البردى فى المستنقعات أو مياه النيل الراكدة على عمـــــق لا يزيد على ذراعين ، جذره المعوج فى ثخن الذراع تقريبا ، وساقه مثلث الاضلاع وينذر أن يعلو أكثر من عشرة أذرع يتناقص سمكه من تحت الى فوق · فأما جذره فيستعمل وقودا وقـــد تتخذ منه بعض الآنية ، وأما ساقه الحطبى فتتخذ منه القوارب ، ومن قشرته تنسج الشرع (٢) والحصر والملابس والاغطية والحبال · وذلك ما قرأناه آنفا عن تيوفراسط ونقله عنه بلاين بلا شك · وان بردى مصر فى كل الاستعمالات التى ذكرناها خير من كل بردى آخر ، فان البردى الذى ينبت فى سوريا أو على شواطىء نهر الفرات بقرب بابل بعيد عليه أن يساوى البردى المصرى خصوصا فى صنع الورق

ـ ولصنع الورق يقسم البردى الى اشرطة رقيقة جدا وعريضة بقـدر

(١) بلاين · التاريخ الطبيعى ك ١٣ ب ٢١ وما بعده ترجمة وطبع ليترى ·

(٢) وهذا ما كان يبصره هيرودوت حينما كان يسيح فى مصر ك ٢ ب ٩٦ وعندنا فى متحف اللوفر تمثال من البردى ·

الممكن • وأحسن شريط منها هو شريط قلب النبات ثم الذى يليه على هذا الترتيب • وبهذه الطبقات الداخلية وحدها كان يصنع ورق الكتب المقدسة وسمى الورق من ثم باسم هيراتي • وبعد حين اعطى لا على درجـــة من الورق المنقى بالغسل اسم أغسطس ، كما سميت الدرجة الثانيــة من الورق باسم ليفى امرأة اغسطس ، وكان الهيراتى اذا فى الدرجة الثالثة وورق الدرجة الرابعة سمى انفتياترى نسبة الى المكان الذى كان يصنع فيه • ومن انواعه المتدركة الى أسفل ورق سايس الذى يصنع من قراطة البردى ثم وراق الطينيوطيقى من مدينة قريبة من سايس ويباع بالوزن، ثم ورق الانبوريتيك أو ورق المتجـــــر ، ولا يصلح الا للظروف أو لف البضائع ، وبعد هذه الاشرطة تأتى قشرة البردى وهى اشـــبه ماتكون بقشرة الخيزران لا تصلح الا لصنع الاحبال التى لها خاصة البقاء فى الماء •

كل انواع الورق كانت تصنع بطريقة واحدة ولا يكون الاختلاف الا في مادة الورقة ، ومتى أخذت الاشرطة بعناية تنشر على نحـــو خوان مندى بماء النيل ، فان هذا السائل الحامل للطمى يصلح كلزاق لتقوية الاشرطة وضمها بعضها الى بعض • وعلى هذا الخوان الممال نوعـــا تلزق الاشرطة على طولها وتقرض من نهايتها حتى تصير منتظمة ومتساوية فى الطول ثم يؤتى بأشرطة أخرى توضع بالعرض على شكل تعريش، ولوقاية الورق من التمزق كانوا يضعونه تحت المكبس فيحصلون منه على الورق الذى يعرضونه بعد ذلك للشمس ليجف • ثم يضعون هـــذه الاوراق بعضها فوق بعض لتكون منها فرائم الورق التى لا تتجاوز عدة الواحدة منها عشرين ورقة • وكان الورق مختلف العروض وأحسن ما كان فى عرض ثلاثة عشر اصبعا ، والهيراتى لم يكد يتجاوز عرضه الاحد عشر، وقال فانيوس أن هذا الورق الهيراتى الذى اشتق اسمه من اسم ذلك الصانع الماهر الذى أبدعه لايتجاوز العشرة • والورق المتجرى كـــان فى عرض ستة أصابع • وكان يمكنهم أيضـــا أن يصلوا الاوراق اطـــراف بعضها ببعض ليحصلوا على ورق لانهاية لطوله كما عندنا •

وكانوا يقدرون الورق كما نقدره نحن برقته ومتنانته وبياضـــه وصقلة • وقد اهتم الامبراطور كلود بتحسين ورق أغسطس الذى كان يجده أرق مما يلزم واكثر شفافية فجعل منه ورقا جديدا بأن جعل السدى من أشرطة الدرجة الثانية واللحمة من اشرطة الدرجة الاولى ، وبهذه الطريقة زيد فى عرض الورق اذ بلغ عرضـــه ذراعا فى الفرخ الكبير • وكانوا يفضلون ورق كلود فى الكتب ويستعملون ورق أغسطس فى المخاطبات •

وكانوا يصقلون الورق بقطعة من العاج أو بمحارة ناعمة ، ولكنه كان

من ألالزم الوقوف بهذه العملية عند حد معين ، والا زلق الحبر فلا يأخذ في الورق وتكون الحروف المكتوبة معرضة لان تنمحي عما قريب ، وذلك هو الذي يحصل في ورقنا حين يجاد صقله أكثر مما يلزم • وربما يكون حسن في مرأى العين ، ولكنه لا يطيب الانتفاع به • وقد كان يحدث ماء النيل الحميء ضررا من هذا النوع متى صب من غير احتراس في ابتداء العملية اذ يجعل الورق غير قابل للكتابة بل يترك فيه رائحة يعرفونها له وبقعا كان يلزم لازالتها أن يخرقوها من مواقع البقع ويرقعوها بغاية الدقة حتى لايفطن لها المشتري ، لحسن سبك الغش فيها ، الا بالاستعمال اذ يشرب الورق الحبر في مواضع الرتق ويجعل الحروف سائحة لا تقرأ الا قليلا •

لذلك قال بلاين انه لتوقي تلك العيوب المختلفة كان يلزق الورق بكيفية تجعله أطرى من قماش الكتان نفسه ، ووجد أن هذه الطرائق فعالة جدا قال : انه رأى عند أحد اصحابة وكان مغرما بخطوط المؤلفين مخطوطات لشيشيرون ولاغسطس ولفرجيل على ورق من هذا النوع ، بل رأى عنده مخطوطات لطيبريوس وقايوس غراكوس مضى عليها مائتا عام مما يدل على أن لصق الورق كان من الجودة بحيث يقاوم كر الزمن •

وبعد أن اورد بلاين هذه التفاصيل عاد ينقض رأي فرون في أن استعمال الورق حديث في ايطاليا وحاول أن يثبت ، ضد مذهب ذلك العالم ان الكتب كانت معروفة منذ زمن «نوما بومبليوس» فقد عثر في تابوت هذا الملك الذي وجد في زمن قنصلية سيتيغوس وبيبيوس طنفيلوس ، بعد موته بخمسمائة وخمس وثلاثين سنة ، على كتب من الورق • كذلك ثلاثة كتب جاءت بها العرافة الى طرخان الاجل كانت مكتوبة على ورق حرقت منها اثنين والثالث الذي قبله هذا الملك البصير قد حفظ الى عهد سيلا ثم باد في حريقة روما • واذا أريد برهان دامغ غير منقطع الاثر على استعمال الورق في الزمن القديم فما على المريد الا أن يتصفح رسائل شيشيرون فيجد فيها المعلومات المضبوطة القوية في هذا الموضوع • فان الناس مازالوا يستعملون الاوراق مع السهولة القصوى ، ويسرفون في استعمالها الى الغاية • كتب شيشيرون الى اطيقوس كل يوم بل مرات عديدة في كل يوم تارة رسائل طويلة ، وتارة أخرى تذاكر بسيطة يرسل اليه مع رسوله بعض أسطر أو صحيفة اذا لم يكن لديه مايقوله اكثر من ذلك أو سلسلة من الصحائف لا آخر لها اذا انطلق قلمه يتدفق أو اذا حضرته مناقشة مسائل هامة • ومتى كان موضوع الكتاب يهم عدة أشخاص عمل منه نسخ بعددهم أو صرح للمرسل اليه باتيان هذا العمل ، أما إذا كان

موضوع الكتاب دقيقا يشطب الكاتب غير مرة العبارات الناقصة عن تأدية المعنى المراد تماما ، ويرجع مرات على ما كتب ويهذبه ويحرزه • واذا كان الكاتب قد أخذ منه التأثر مأخذا يبكيه ترك دموعه أحيانا تمحو الكتابة ومتى فرغ من الكتاب طواه وختمه • فاذا نسى الكاتب شيئ أو أهمل تفصيل معنى من المعانى فتح الكتاب من جديد فأن كانت الورقة لا محل فيها كتبت الزيادة بالعرض • ومتى قرأ الكتاب المرسل اليه وكان لا يتضمن شيئا يراد حفظه مزقه • ولا يتساهل فى ذلك اذا كان المرسل قد أوصى بحفظ سره • فاذا طرح الكتاب مطرحا من غير أن يمزقه فيمكن رده الى مرسله اذا طلب رده اليه • فاذا لم يجد أحدهم ورقا مسح الكتابة من على ورقة اخرى وكتب عليها بعد غسلها او كشطها متى فرغ الكاتب من كتبه جمعها وسلمها الى البريد يوصل كل كتاب الى المرسل اليه بغاية الامانة • وقد تنتهز الفرصة فيكتب الى أصحاب متعددين فى جهة واحدة ، فاذا فك المرسل اليه الصرة وزع الكتب على المرسل اليهم ، وعند الحاجة قد ترسل الرسل الى الاشخاص البعيدين •

ويمكن أن يحمل الانسان بنفسه كل هذا التعب ، يكتب كتبه بيده ويختمها ويرسلها ، وقد يتخذ له سكرتيرا يكل اليه كل ذلك ، يملى عليه الكتاب ويوقع عليه بتوقيعه • فاذا كان المرء متعبا ، وعلى الاخص اذا كان به رمد اضطر الى تكليف غيره ، وفى هـذه الحالة يعتذر لصاحبه بعجزه عن أن يمسك القلم ، كما نقـول نحن فى هذا المقام • وهؤلاء السكاترة هم محـل أمانة بالضرورة متى كانوا يطلعون على أسرار العائلة والاعمال الخصوصية والسياسية • وفى الغالب يستحقون هـذه الكرامة التى يؤتون اياها ، ولكنهم أحيانا يخونون ساداتهم ويفرون بمـا معهم من الاوراق • ولما انهم عادة من الارقاء يقتفى أثرهم ويقبض عليهـم الا اذا أبعدوا فى فرارهم بحيث لا يمكن الوصول اليهم • ويخلف الخادم غـير الامين أو العاجز خادم أكثر أمانة وأوفر كفاءة ، كل ذلك على عجل بحيث لا ينقطع سير المراسلة زمنا طويلا •

وإذا كان استـعمال الكتابة فى الشئون الخصوصية من السرعة والسهولة على ما وصفنا فقد كان استعمالها فى الشئون العامة لا يقل عن ذلك الوصف ، فان تحرير جميع العقود الرسمية يحصل بغاية السهولة • ومتى استكملت هذه العقود الشرائط المطلوبة عمل منها نسخ بقدر عـدد المنتفعين بهـا • كذلك الاوامر تصـدر الى الموظفين القائمين بالاعمال التنفيذية من كل الطبقات والمخاطبات الادارية تحصـل بوسائل سريعة مأمونة يظهر انها تشبه على الاقل ما هو عندنا الآن • فالى أقاصى حدود الجمهورية تصل الاوامر العالية التى يصدرها مجلس الشيوخ ويتخذ من

هذه الاوامر صور رسمية تحفظ بمحافظ السجلات ، ولولا المحن المتنوعة التي قلبت حال العاصمة الرومانية الخالدة من فتن داخلية ونهب وحرائق وحروب خارجية وهجوم وغارات ... الخ · لولا ذلك كله لكان المرجح أن تكون بين أيدينا تلك الوثائق التي هي انفس للتاريخ منهـا لارضاء جيننا الاطلاع على ذخائر الفن · فان المادة التي كتب عليها كل ذلك يمكن حفظها بدون أن تتغير مدة ثلاثين قرنا ، كما تشهد به أوراق البردى المحفوظة في دور الآثار عندنا · فاذا أصابنا ما أصابنا من فقد معالم من ذلك القدم المحترم المخصب فانما كان ذلك من خطايا الناس لا من خطيئة الزمان ·

كذلك كان استعمال الكتب منتشرا عاما في عهد شيشيرون كاستعمال الخطابات كما هو الحال في أيامنا ، فلم يكن احد من الاهالي ذو ميسرة وعلى شيء من العلم الا له مكتبة على شكل المكاتب التي كانت لاهالي الاسكندرية وفي سائر مدائن الاغريق من قبل ذلك بقرنين أو ثلاثة قرون (١) · كان لكل امرىء في روما مجموعة من الكتب يختارها لنفسه بنفسه أو بواسطة صديق له عوضا عنه اذا كان لهذا الصديق من مركزه مكنه من ذلك أو كان معترفا له بحسن الذوق في هذا النوع · وقد كان من شيشيرون أن كلف أطيقوس اذ كان في آتينا أن يرسل اليه تماثيل وزخارف ليزين بها مكتبته التي كان يسميها الاكاديمي · ولما كان أطيقوس يريد أن يتخلص من بعض كتب نسخها ويريد بيعها رجاه شيشيرون في ألا يبيعها من غيره لانه كان معجبا بمكتبة أطيقوس ، وكانت مؤلفة بعناية خصوصية ، فطلب اليه تلك النسخ ليجعلها أساسا لمكتبته. ولا يكون عليه بعد ذلك الا أن يكملها على حسب ما تقتضيه حاجته ودراسته وهواه ، كان ذلك في سنة ٦٨٦ ولم تكن سن شيشيرون تجاوز الاربعين ، ومع ذلك يفكر في أن ينزوى من ميدان العمل الى مسكن جميل هادىء يعيش فيه مع كتبه « تلكم الصحب القدماء » التي يحب مخالطتها حبا جما ، كما كان يقول ذلك لفرون الذى هو أيضا يفوق شيشيرون في الشغف بالعلم والابحاث المتنوعة في قديميات وطنه وقديميات الامم الأجنبية · حين تمكن شيشيرون من بعض ساعات الراحة والعزلة حبس نفسه في مكتبته التي زخرفها وزينها ، واختفى وسط كتبه حتى كان يجعل منها ركاما عظيما يحيط به من كل ناحية · ومتى لم يكن لديه ما يرغب في مراجعته استنسخه عند أحد أصحابه ، فاذا كان لبعض

(١) نقل سويتون أن قيصر كلف فرون بانشاء مكتبات عامة فيها الكتب الاغريقية واللاتينية · وقد وضع فرون مؤلفا خاصا بالمكتبات ولكنه مفقود مع الاسف · راجع كتاب جستون بوازيير ص ٢٢ ، ٤٧ على فرون ·

الاصحاب مثل هذه الحاجة قضاها لهم على خير وجه فيكلف كتبته ومقربيه وسكاترته بنسخ الكتاب المطلوب ، ويجد لذة في اهدائه كما كان يسره أن يتقبل كتابا يرسل اليه · وكان من الجارى فى عرفهم أن الرجل يهدى الى صاحبه الكتاب الذى يعرف أن له فيه رغبة مستترة أو كان له به حاجة من غير أن يطلبه · واذا زار أحدهم آخر فوجد كتابا يوافقه أعير اياه فيرده بعد أن يقضى منه حاجته الخ ·

يمكننى أن أضاعف هذه التفاصيل الى غير نهاية ، ولكن ماالفائدةفى ذلك والناس يعلمون أن الرومان فى آخر الجمهورية وقبل بلاين الذى أجاد لنا فى كيفية صنع الورق بمائة وخمسين عاما كانوا قد اتخذوا من البردى كل ما نتخذه الآن نحن من الكتان ومن القطن ، فكان الناس يكتبون فى روما بمقدار ما نكتب نحن فى الاغراض الاجتماعية عينها وبنفس السهولة والحدة ، بل مع تشابه تام فى الشهوات والمباراة · كانت المادة مختلفة ولكن الموضوع واحد · ولا أجد بين الحالين خلافا الا الخلاف الكبير الذى هو المطبعة التى لم تكن لتستكشف الا بعد ذلك بخمسة عشر أو ستة عشر قرنا · كان نسخ الكتب والاوامر الادارية والخطابات أمرا غاليا وبطيئا ، وذلك يستتبع أن تكون تلك النسخ قليلة العدد وفى غاية التعرض للضياع · جاءت المطبعة فجعلت النشر والنقل والحفظ ألف مرة أكثر أمانا وألف مرة أكثر سرعة وألف مرة ارخص ثمنا · بيد النساخ استبدل ضبط المكينة المعصوم وقوتها التى لا تعرف حدا ورخصها الذى لا ينافس ، ولكن ذلك لم يكن مهما قيل فيه الا تغيرا ماديا صرفا ، فان المقصود متوفر فى الازمان الغابرة · على ذلك يكون المخترع الحقيقى الكبير لا يزال هو الشيخ توت أو أى ساحر آخر من السحرة المصريين الذى أنطق البردى والحروف التى رسمها عليه قلم الكاتب مغمورا فى مادة ملونة · وعلى الرغم مما كان يفكر فيه البصير طاموس فان المقالة المكتوبة فى الذهن لم تكن لتكفى الا الذى يحملها فى طيات نفسه لانها منعزلة وشبه صماء · وما كانت المقالة لتعيش الا بالكتابة ، ويمكنها أن ترجو من العمر ما لا ينبغى للفرد الفانى أن يرجوه أبدا ؛ فان أوراق البردى لا تزال تكلمنا ، وسوف تكلم أحفادنا ازمانا طوالا مع أن طاموس قد حبس عن الكلام منذ أربعين قرنا · من ذا الذى كان يعرف ما افتكره لو لم يكن أحد الكتبة الاقل حذرا منه قد سجل لنا أقواله التهكمية على صفحات البردى التى شد ما كان يستهين بشأنها ذلك الفرعون الحكيم المسرف فى الحكمة ·

بعد ان ثبتنا فلاسفتنا فى نصابهم من حقيقة الحوادث التى كانت تعتور حياتهم فى حال الدراسة أو فى حال الحرب ، فى حال الاقامة أو فى

حال التشريد · وبعد أن بيننا الظروف الحسية التى ألفوا فيها مؤلفاتهم صار جائزا لنا عن بينة وشيء من الاطمئنان ان نتسائل الى أى حد كانت أصالية هذه الفلسفة ؟ انها كما يظهر لنا نبتت نحو القرن السابع قبل الميلاد فى آسيا الصغرى المرتبطة بروابط وثيقة مع جميع البلدان المحيطة بها فبأى شيء هى مدينة لها ؟ وهل استعارت منها شيئــــا ؟ أم هل هى مستقلة تمام الاستقلال لم تتبع سواها ؟ وهل لم تنهل شيئــــا من غير مناهلها الذاتية ؟ اكانت مذاهب طاليس وفيثاغورث واكسينوفان محض ابداع لها من الاصلية ما لشعر هوميروس وسافو وأرخيلوكس والكايوس؟ وبعبارة اخرى هل الغرب الذى فتح صدره للحياة العلمية يدين بشيء للشرق الذى هو مخالط له والذى هو معتبر أنه متقدم عليه بكثير فى هذا الطريق الوعر الذى حده النهائى هو الفلسفة ؟

أجيب من غير تردد بالسلب وان اغريقا لم تدن لاحد غيرهــــا ، وان المساعدات التى وردتها تكاد تكون منخفة الوزن بحيث يمكن الجزم بأن اغريقا فى العلم أيضا كانت ذات احداث وابداع ، شأنها فى بقيــة الاشياء الاخرى ، واذا كانت تلقت شيئا عن جيرانها فما هو الا أصول عديمة الصور فصورتها هى وبلغت من تصويرها حد التمام بحيث يمكن القول بحق انها هى التى أوجدتها فى الواقع ·

وعلى أن أقرر بادىء ذى بدء ماذا يعنى بالفلسفة ؟ وحســــبى حدها وهو : « اتجاه العقل اتجاها نزيها الى العلم » · المشــــاهدة لاجل العلم من غير غرض آخر الا فهم العالم الذى نعيش فيه وظواهره وأصله ونهايته · هذا هو المعنى الذى تولد وقتئذ لاول مرة فى العقــل الانسانى والذى ، من طاليس وفيثاغورث واكسينوفان الى عهدنا ، لايزال ينمو من قرن الى قرن، والذى ينمو فى المستقبل بلا انقطاع مادامت القــرون ومادام الزمن الذى يقاس بها بقاء النوع الانسانى · ذلك هو ما جادت الفلسفة فى بداية أمرها عماله أن اعتنقت جميع العــــلوم بلا استثناء · وماهو الا بسبب ضعف عقلنا وضرورات البحث العـــام ان انفـــردت العلوم الخصوصية شيئا فشيئا وانعزلت أمما الفلسفة عن أولادهـــا ولكنها مازالت تغذيها وتتركها عاملها · ولم تزل الفلسفة أن حـــددت دائرتها الخاصة المتوزعة أجزاؤها فى العلوم المختلفة التى الفلســـفة أصلها وتمامها ، ولكنهـــا فى تلك الايام الاولى كانت مختلطة بجميع العلوم ، لان العلوم لم تكن بعد قد خرجت منها · من هــذا ســـمت نفسها بذلك الاسم الجميل المتواضع ، فانفيثاغورث لما سأله ليوزطاغية الفلياز (سيقونيا) أجاب بأنه فيلسوف وهو اسم لم يسمع من قبل ·

الفيلسوف ليس الا صاحب الحكمة أى صاحب العقل ذلك العقل الذى يدرس الاشياء ويدرس نفسه أيضا • وقد كان فيتاغورث يقول : « حال الناس فى الحياة يشبه فيها يشبه حال الجمهور يتقاطرون الى الاعياد الرسمية • ففى جمعيات الجمهور الفسيحة لكل واحد من الساعين اليهـا أغراض مختلفة ، أحدهم يقصدها ليبيع فيها بضائعه مدفوعا بحب الكسب وآخر لا يقوده اليها الا حب المجد والرغبة فى ان ينال قصب السبق فى القوة أو فى المهارة • وطائفة أشرف من هؤلاء لا يظهرون فيها الا لمشاهدة جمال محال تلك الاجتماعات وعجائب الصناعة المعروضة لانظار الجميع • كذلك فى الحياة ، للناس الذين تضمهم الجمعية الانسانية مشاغل متباينة • فمنهم المجرورون بجواذب الثروة والتمتع التى لاتقاوم • وآخرون مملوك عليهم أمرهم بالطمع فى السلطان والشرف وهما لا ينالان الا بالحروب الحادة والمنافسات التى تسفك الدماء ، ولكن الغرض الاسمى للرجل هو امعان النظر فيما فى هذا الكون من الجمال المتنوع الذى يقدمه لانظارنا وبذلك يستحق عنوان فيلسوف ، فمن الحسن أن ينظر المرء الى اقطار السموات الفسيحة يتتبع سير الافلاك التى تتحرك فيها على قدر غاية فى النظام ، ولكنه لا يستطاع فهمه جيدا الا بالمبدأ المعقول المجرد الذى يسير الكون ويحصى كل شىء عددا ومقياسا ، فالحكمة تنحصر فى التعرف بقدر الممكن لهذه الظواهر الالهية الأبدية الاولية التى لا تتغير • والفسلفة ليست الا التتبع المستمر لهذه الدراسة الشريفة التى تنير الناس وتصلحهم »(١) •

منذ البداية قد علمت الفلسفة ما كانت تفعل ، منذ خمسة وعشرين قرنا لم تبحث الفلسفة الا فى تحقيق الفكرة التى قامت بها عند خطواتها الاولى بالتدرج تحقيقا كاملا • ومازالت حكمة فيثاغورث هى حكمتنا وان كانت العلوم قد رقت رقيا كبيرا جدا ، ولكن الفيلسوف لم يتغير فانه سيبقى دائما هو الذى يتأمل فى الاشياء ويلاحظها ليفهمها وليفهم نفسه ، هذا هو معنى العلم والفلسفة الذى أنسب شرفه الى أغريقا دون سواها • فمن أغريقا تلقيناه من غير أن يكون افتكره أحد من قبلها فى هذا الشرق الذى كانت تعتقده ويعتقده غالب أهل زماننا ينبوع كل نور وحكمة •

ممن كانت تستطيع اغريقا أن تستعير هذا المعنى وقتئذ؟ أمن مصر

(١) يمبليك ، حياة فيثاغورث ب ٧ ف ٥٨ ، ٥٩ طبعة فرمان ديدو على أثر ديوجين اللايرثى • فبكل هذه الوثائق وثائق يمبليك وفرفريوس يمكن جمع حياة فيثاغورث المهمة وتبيئة تامة عن مذاهبه الاصلية •

ام من فينيقيا ام من الفرس ام من الهند ؟ لا ارى غير هذه الامم أحدا كان يستطيع ان يعلم الاغريق شيئا وأقول: ان هذه الامم ولو انها علمتهم أشياء كثيرة فلم تعلمهم الفلسفة أصلا • لا شك فى أن كثيرا من فلاسفتنا وفيثاغورث على الاخص ساحوا سياحات طويلة فى تلك البلاد وانهم ذهبوا اليها ليتعلموا ، فان فيثاغورث الذى ربما كان يدلى الى فينيقيا بعائلته ذهب الى مصر كما فعل طاليس من قبل وكما فعل هيرودوت بعده بقرن وأقام فيها ويقال : انه لقن الاسرار الخفية • وقد يمكن تصديق ذلك بسهولة ، لان سولون ذهب اليها ايضا • والظاهر يدل على انه لم يقف عند محادثة كهنة سايس (١) فى أمر الاطلانديد ، ومن المحتمل أيضا ان فيثاغورث جاوز مصر الى كلدة وتحادث مع المجوس كما كان قد تحادث مع الكهنة المصريين • والفضل فى ذلك يرجع الى الطريق الملكى الذى أنشأه دارا يصل به المسافر من سرديس الى صوص فى أعماق فارس وراء دجلة والفرات من غير مشقة الا طول السياحة التى تقطع فى ثلاثة أشهر • وليس يرى لماذا لا يدفع حب العلم الى أزماع مثل هذه السياحات فى حين ان السياسة ، حتى قبل فتح ذلك الطريق ، كانت تقتضى كل وقت علاقات من هذا النوع • وقد كان حكماء الاغريق مشوقين دائما الى زيارة مصر وفينيقيا وكلدة وهى البلاد الشيقة التى كانوا يؤمونها ليجدوا فيها كنوز العلم • والواقع انهم جابوا تلك الاقطار الشاسعة مع ماعليه الوصول اليها من المشقة •

ماذا جلبوا منها ؟ الآن وعلى أثر الاكتشافات اللغوية والاثرية التى جاء بها قرننا الحاضر والمعلومات الهيروغليفية والكتابات وأوراق البردى المصرية وكتب زورواستر وكتب الهند المقدسة ودين البراهمة والبوذيين ، نقول ان طريق الجواب مفتوح أمامنا ، ونستطيع أن نرى فيه أحسن مما رأى الاغريق ، نرى ماذا كانت حكمة الشرق المزعومة • تلقاء الآثار المفسرة بالضبط الكافى ان لم يكن بالكل فعلى الاقل بالجزء نعلم ماذا تساويه وماذا يمكنها ان تؤتيه ، يبحث فيها عبثا عن الفلسفة وهى عنها غائبة فكيف يكون الاغريق حتى مع تناول الاسرار الخفية قد وجدوا الحكمة فيها مادامت لم تكن فيها •

نطرح الى جانب فينيقيا ويهودة جميعا ، فان التوراة أثر ذو قيمة لا تقدر ان بما تشتمل عليه وان بما خرج منها ، ولكنى لا أرى ان اغريقا استعارت منها شيئا أيا كان ، واذا كانت كتب اليهود المقدسة قد وصلت اليها بأية

---

(٢) راجع طيماوس افلاطون ترجمة فكتور كوزان ص. ١٠٧ وما بعدها •

طريقة كانت فلماذا تخفى ذلك وهى قد اعلنت اعلانا عاليا بل عاليا فوق مايلزم حكمة مصر وحكمة المجوس ؟ أى عقبة اعترضتها فى اطراء الحكمة العبرانية اذا كانت عرفتها ؟ يمكن أن يؤسف على أنها جهلتها ، وأنا أظن أيضا أن اغريقا التى كانت مستعدة للرقى بنفسها كانت تجد من دراسة كتب موسى مساعدة قوية ، ولكنها ماعلمت منها شيئا . والقول بضد ذلك يمكن أن يكون دليلا على ايمان حاد ، ولكنه ضلال مبين لا ينهض واقفا أمام أدلة الحوادث . فلما ترجم التوراة السبعون بعد ذلك أى فى عهد بطليموس الثانى فيلادلفى (٢٧٥ قبل الميلاد) أمكن الاغريق أن يقرموها وليس يرى أنهم تحركوا لها ولا استناروا بها ، ولو قرئت عليهم فى زمن طاليس وفيثا غورث لكان أثرها أقل من ذلك أيضا ، ولو فسرت لهم لمــــا كادوا يفهمونها ولا يصغون اليها . والواقع انها لم نفدهم شيئا .

أقول عن مصر ما قلته عن فينيقيا ويهودة تقريبا ، فمن عهد الاكتشاف العظيم الذى أتاه شمبوليون ومن كل الاعمال التى تبعته وأيدته يعلم ماذا كانت أرض الفراعنة القديمة ، فقد يكون الانسان واثقا من أنه لن يصادف فيها ما يدل على الفلسفة الا بيانات غير منتظرة من نوع جــــديد . كانت الاعتقادات الدينية مستفيضة فيما ، وكانت عريقة فى أصليتها جميلة على مافيها من شذوذ ، ولكن العلم بالمعنى الخــــاص لم يكن بها ، وكل شيء نساعد على اثبات أنه لم يكن فيها أصلا بل لم يكن ممكن الوجود بها على رغم ماعاله أهلها من الذكاء الحقيقى ، ان ذلك لا يقلل من أهمية دراســــة مصر ، ولكنه لاينبغى ان ننتظر منه ما ليس فيها . لها سنويات وليس لها تاريخ . يمكن ان يكون لها مشاهدات مضبوطة لبعض الحوادث الطبيعية والفلكية على الاخص ولكنها ليس لها علم . لها مذاهب دينية وليس لهــــا فلسفة . حالها كحال فينيقيا جارتها وحال يهودة التى كانت خاضعة لهــا وتخلصت منها منذ عهد موسى . يمكن أن يكون لها معلومات كبرى ولكنها لم تمذهبها ولم تركزها على مبادىء معينة .

وللحكم على مجوس كلدة لدينا ماذكره هيرودوت وما كتبه الكتاب المعاصرون وما تعلمنا اياه الكتب الدينية المجوسية التى فتح لنا مغالقها حديثا علماء اللغات وفى مقدمتهم ايجين بورنوف .

أما على قول هيرودوت الذى يظهر أنه رأى المجوس عن كثب فانهـــم لايكادون يكونون الا عرافين . عندما أراد اصطياغ ملك الميديين ان يفسر الحلم الغريب الذى رأته ابنته منذان قصد الى المجـــوس المحترفين بتعبير الرؤيا واتبع نصيحتهم مع التحرج ، اذا امر بقتل حفيده قيروش . وعندما يريد قمبيز أنا يزمع حملته الجنونية على مصر يعهد الى مجوسى القيام بأعباء الدولة مدة غيابه فيسيء المجوسى فى ثقة الملك به ويجلس على العرش أخاه

سمرديس الكاذب ، ولكن الفرس غاظهم هذا الاغتصاب الذى يفضى الى خضوعهم للمجــــوسى ، فاتفق سبعة منهم تحت امرة الفارسى دارا بن هستاسب وذبحوا الاخوين اللذين تبوءا الملك غصبا ، وهم هم المجوس الذين يفسرون حلم اكزاركزيس ، اذ يهم بمحاربة اغريقـــا وعلى رأيهم يمشى ، وبينما هو فى الطريق على ضفاف الستريمون ، اذا بالمجــوس يذبحون الخيل البيض يستفتحون بها باب النصر • فلما شتت الاسطول (٤٨٠ قبل الميلاد) بريح عاصف على شاطىء تراقيا فى رأس سبياس ، غير بعيد من أطوس حيث هلك أسطول آخر قبل ذلك بعشر سنين ، اذا بالمجوس يقربون قرابين للريح ليهدئوا ثائرته فى اليوم الرابع • وبالجملة لا يقرب قربان الا بحضرة مجوسى لينشد ما يسميه هيرودوت تيوجونى (أنشودة الآلهة) ليتم بذلك الاحتفال الدينى •

من أجل ذلك كانت فى اغريقا القديمة وعلى الخصوص فى رومـــا شهرة للمجوس وكراهة لهم فى آن واحد ، ومن اسمهم اشتق اسم ذلك الفن الخفي الذى هو « السحر » وهو مخوف عند العامة وطالما غرر بهم • وقد أنحى عليه بلاين بالسخط فوق ماقد يستحق (١) • ومنذ عهد أرسطو كانت تلصق هذه التهم بمجوس الفرس والكلدان ، فان هذا الفيلسوف قد أفرد مؤلفا خصيصا بذلك وسماه « الماجيك » (٢) ليدفع عنهم التهم التى ظهــر له فسادها • وفى كتابه المسمى « فى الفلسفة » ظن أن من الواجب عليه أن يشتغل بأمر المجوس الذين يعتبرهم أقدم عهدا من كهنة مصر ، ولما وصل الى لاهوتهم تكلم عن الاصلين اللذين يعترفون بهما : الحسن والقبيح « أورومازـ وأريمان » • ومن الكتاب المتأخرين عن أرسطو من جعل المجوس آباء الجمنوزوفست (فلاسفة الهنـــد المتريضين) بل آباء اليهود أيضا • وفى كتاب دانيال الذى كتب فى عهد دارا أن مجوس بابل ليسوا الا منجمين وسحرة ومفسرى أحلام ، ومع ذلك كانوا يلقبـونهم بالحكماء ، ولكن الخدم التى تطلب منهم لا تكاد تدل على أنهم أرفع درجة من المحتالين والسحرة الدجالين ، فهل هم أنفسهم أولئك الذين كان لهم أرصاد فلكية فى بابل قدرها أرسطو خير تقدير (٣) •

ولكن المجوس اذا كانوا فلكيين مهرة فليسوا فلاسفة ، وكتبهـم الدينية (زند) التى نعرفها الآن بطريقة أكيدة تبين لنا ذلك بغاية الوضوح •

---

(١) بلاين التاريخ الطبيعى ك ٣٠ المخصص كله لهذه المسألة •

(٢) ديوجين اللايرتى فى مقدمته ف ٨

(١) أرسطو كتاب السماء ك ٢ ب ١٢ ف ١ ص ١٧٨ من ترجمتى •

فان الفنديداد واليسنا واليشت وجميع القطع المنســوبة الى زورواستر (زاراتسترا) تشتمل على آثار من ديانة ظاهر عليها الجلال والقوة في خلال تلك الظلمات ، ولكنها لا تشتمل على مذهب فلسفي . وهذه الكتب هي كل مايمكن اسناده الى مجوس كلدة . فاذا كان فيثاغورث قد اطلع عليها بالمصادفة فانه لم يدخل منها شيئاً في مذهبه الخـــاص : صلوات وأدعية وأناشيد وعقائد مبهمة وغير مستقرة وآثار من سير مقدســة وخرافات ليست هي خرافات الفيداس وليست كذلك من خرافات الاغريق، ذلك على الاخص هو كل ما يمكن أن يقرأ في كتبهم . وهذا في الحقيقة لا ينقص من أهميتها الكبرى ، فان تاريخ الديانات يمكن أن يكتشف فيها الاصول النفيسة للغاية ، ولكن تاريخ الفلسفة لا يجد فيها شيئا يجنيه ، وعلى ذلك لم يكن المجوس ولا المصريون قد أوحوا الى اغريق يونيا شيئا .

أفتكون الهند ؟ ولا هي أيضا .

ليل حالك لا يزال يغشى الاصول الهندية وأخبارها ، ولان هذه البلاد ماكتبت قط تاريخها نصادف أكبر العناء في ترتيب الحوادث والوقائع المتنوعة التي تتعلق بها . كذلك الحوادث الخـــاصة بالعلوم والآداب لا تخرج عن هذا الخفاء العام . ومع ذلك يبين لنا ، وسط هذا الاختباط الذي يكاد لا يخلص أبدا ، بعض الأصول الرئيسية الحقة على ما فيهمـــا من شدة الابهام ، فيمكن الجزم بأن آثارا بعينها من آثار العقل الهنـــدي أقدم أو أحدث عهدا من بعض آثاره الاخرى . من ذلك أن أنواع الفيـــدا وعلى الاخص الفيدا التاريخي الذي لقب مع التسامح بلقب « الريك » هي متقدمة على سائر البقية وجماعة الفيدا أو على الاقل تلك المتقدمة لا يكاد يقل عمرها عن خمسة عشر قرنا قبل الميلاد ، غير أن هـذه الاناشيد الشعرية ليس فيها شيء من الفلسفة . أما الخرافات الفياضة النامية فيها فانهـــا تشبه الخرافات اليونانية ، كما أن بين لغتي اليونان والهند البرهمانيـــة مشابهة أخوة ، ولكن الطابع الفلسفي معدوم منها بالمرة . وأما الاوبانيشاد التي يمكن أن يوجد فيها هذا الطابع بعد البرهمانيات فمن المؤكد أنهـــا متأخرة عن الازمان التي نحن بصـددها ، فمع أن طاليس وفيثـــاغورث واكسينوفان هم من القرن السادس قبل المسيح فان الأوبانيشاد لا يمكن ابلاغ أقدمها الا الى القرن الرابع .

وعلى ذلك لم يكن الاغريق ليستعيروا شيئا من الهند مع افتراض أنه كان من الممكن في ذلك الزمان ان يكون لهم مخالطة مستمرة بحكماء شواطي الهندوس ، بله حكماء أواسط شبه جزيرة الهند أو شرقيها . وما عرف العـــالم الاغريقي بجماعة الجمنوزوفست الا بتجريدة الاسكندر وسفارة

ميغاسبتين ، ولكن الاسكندر وميغاسبتين هما متأخران بمائتى عام عن حكماء سَموس وملطية وكولوفون .

حتى أن الهند خلافا لمصر ويهودة وفارس لها فلسفة حقيقية نعرفها فى مجموعها ونعرف منها آثارا تفصيلية .. وريثما ندرسها دراسة تامة تقرر منذ الآن أننا نعلم أن هذه الفلسفة مستوفية كل الشرائط اللازمة للعلم على النحو الذى نعنيه نحن اليوم ، والذى كان يعنيه الاغريق دائما . انها لمستقلة تمام الاستقلال ، وغرضها كغرض حكمة الاغريق تفهم العالم والانسان . ولا شك فى أنها درست كليهما على غير الوجه المفيد ، ولكنها جعلتهما شغلها الوحيد ، فينبغى أن يكون لها بمذاهبها الستة التى تتقاسمها وتؤلفها مركز عظيم فى التاريخ العام للعقل البشرى .

ماهو تاريخ هذه الفلسفة ؟ والى أى زمن تنسب ؟ ذلك هو كل مايهمنا فى هذا المقام .

قد كان يظن أن أحد هذه المذاهب الذى هو مذهب سعنخيا الملحد من كبلا كان سابقا على البوذية . ولما أن بوذا مات سنة ٥٤٣ قبل الميلاد يكون سعنخيا معاصرا لطاليس ومعاصريه الآخرين . وكانوا يقفون مذهب سعنخيا بالمذاهب الاخرى على ترتيب معين لايخلو من التحكم كثيرا أو قليلا باعتبار أن كل هذه المذاهب متأخرة عنه وبالتبع تكون متأخرة عن فلسفة آسيا الصغرى ، ولكن يظهر أن هذا الترتيب أصبح الآن معدوم النصير ، لان أغزر البراهمة علما متفقون على ترتيب سعنخيا بعد البوذية بزمان طويل . ان الفلسفة لم تظهر فى الدين القديم الا لاستئصال شأفة الالحاد أو على الاقل لتفل من غربه . وان مذهب سعنخيا الذى هو ملحد وروحانى معا ما يكون الا طليعة التوفيق بين اعتقادات الدين الجديد وبين الاعتقادات الجائية من فيدا ، ويكون « النيايا » أو المنطق جاء نفسه قبل سعنخيا لحاجات المناظرة وتكون الفيدعنتا متأخرة عن الاثنين (١) .

ليس بى من حاجة الى الدخول فى مناقشات من هذا النوع ، ولا أريد أن أجاوز بالبحث حدود ماقلته من القول ، والا كانت افاضة فى العبث فان من البين أننا حتى اذا وضعنا سعنخيا فى الترتيب الوجودى قبل ظهور البوذية وجدنا أن الاغريق لم يكن فى وسعهم أن يعرفوا من مذهبه شيئا عندما أخذوا يفلسفون لاول مرة . ومع افتراض أن سياحة فيثاغورث

---

(١) ر . مؤلف بنرجا « حوار على الفلسفة الهندسية » لندن ١٨٦١ فى قطع الثمن ص ٥٠ وما بعدها . وكان الاستاذ بنرجا أستاذا فى مدرسة بيشوب بكلكتا اهدى مؤلفه الى جون موير .

بلغت به بابل وصوص ، فأنها لم تعلمه مذاهب لم تكن خلقت في بنجاب أو على شطوط نهر الجنج.

ينبغى أن يزاد على هذا أن « داراسانا » الفلسفة الهندية على ماهى معروفة عندنا منذ كولبروك وماتلا مذكراته المشهورة من المعلومات ليس بينها وبين الفلسفة الاغريقية فى تلك الازمان الاولى علاقة مشاركة . فلا فى طاليس ولا فى فيثاغورث ولا فى اكسينوفان يمكن العثور على أثر للمشابهة أو التقليد . وهذا مفهوم بالبداهة مادام الظاهر كله يدل على أن الفلسفة البرهمانية لم تتم الا بعد ذلك بقرنين أو ثلاثة .

ومتى خرجنا بالهند من الموضوع صار من العبث أن نبلغ بالبحث الصين ، فان لاوتسو معتبر أنه عاش فى القرن السادس قبل الميلاد ، ولكن الفلاسفة الاغريق الاول لو كانوا قرءوا الثاوتى كنج وهو كتاب الطريق والفضيلة لما استطاعوا ان يجدوا فيه ما يصلح لهم (١) .

على ذلك لا الصين ولا الهند ولا فارس ولا مصر نفسها لم تلهم الاغريق شيئا من فلسفتهم . وسأبين فيما يلى أى حظ من التأثير كان للمذاهب المصرية فى مذهب فيثاغورث ، ولكنه يمكن الجزم بصورة عامة أن الفلسفة الاغريقية باعتبار أنها فى مهدها فلسفة بالغة فى الاصلية غايتها . وبأن معنى العلم على الصورة التى صورتها بها هذه الفلسفة وقتئذ كان باكورة فهم العقل البشرى للعلم ، تلك هى نتيجة كبرى اعترف بغاية الارتياح أنها ليست أمرا جديدا ، كما قد يبين من الاعتبارات التى تقدمت بل قد تقدمنى بزمان رجال ارتأوا هذا الرأى من غير أن يكون قد توفر لديهم كل مالدينا من الادلة .

فان العالم المحقق بروخر كان يكتب منذ قرن كامل فى هذا الموضوع وقبل أن يصل الى الفلسفة الاغريقية بحث عن بدايات الفلسفة فى الارض جميعها ؛ فراح يستجوب على التعاقب العبرانيين والكلدانيين والفرس والهنود العرب والفينيقيين والمصريين وطائفة من أمم أخرى ؛ فلم يعثر فيها على الفلسفة التى ينشدهم اياها عبثا ، حتى بلغ الاغريق فقال : «الآن لنبلغ الاغريق هذه الامة المشهورة منذ كانت صبية فى المهد بدرس الحكمة والفنون ، والتى عندها وجدت الفلسفة مقرها الذى بغته زمنا طويلا بعد أن تلقت هذه الامة عن المتوحشين بعض الجراثيم من المعارف الالهية والبشرية » .

---

(١) راجع مؤلف استانيسلاس جوليان « لاو - تسن - الى - كنج » المطبعة الملكية سنة ١٨٤٢

ثم بعد أن درس النظريات القديمة لانساب الآلهة التمثيلية والفلسفة السياسية للحكماء أضاف هـذا العالم الرصين مؤرخ الفلسفة الى ما تقدم مايلي محدثا عن مدرسة يونيا :

« الى هنا لم نقدر فلسفة الاغريق الا وهى صبية ترت فى مهدها ، ولكنا قد بلغنا الآن منها الطور الذى فيه بدأ العقل البشرى يزاول الفلسفة الحقة ، ويظهر بالافكار المرتبة مظهر المشغوف بالنفوذ فى حقيقة الاشياء فالى العبقرية الاغريقية ينبغى ان ننسب هـذا المجد كما بينته آنفا وفى أول هذا التاريخ عند البحث فى الاصول الصحيحة للفلسفة «١» .

واما أنا من جانبى فلا ازيد على ترديد عبـارة بروخـر ، وأعـدنى سعيدا باستنادى الى هذا الحجة المحترم المتين الذى تقدم بمائة عـام فالدينا فى هذا العصر من المعلومات البينة . نتيجتى كنتيجته . نعـم اغريقـا أصيلة على الاطلاق . اعطت كل العالم ولم يعطها العالم شيئا الا ما ربما يكون من بذور كانت عقيمة فى غيرها فعرفت هى وحدهـا ان تنبتها .

لن أتوسع فى الكلام على مذاهب طاليس وفيثاغورث واكسينوفان بل افترض انها معروفة بمقدار ما يمكن اذ تعرف من القطع النادرة التى نجت من البلى وأقف عنـد بعض الملاحظات العـامة الى غاية العـموم . من البين أن أكمل هـذه المذاهب الثلاثة على نسبـة كبيرة هـو مذهب فيثاغورث . ونحن لانستطيع ان نتعرفه الا من خـلال الشروح التى وضعتها عقـول قليلة التفوق جاءت بعد المصنف بستة أو سـبعة قرون ، ولـكنها مع ذلك كافية فى بيان أن الدراسـة التى كان يزاولهـا حكيم سموس شد ماكانت أفسح ميدانا وأكثر ضبطا من دراسـات معاصريه ، فيها الفلسفة بتمامها تقريبا مع اجزائها الاصلية التى تتألف هى منها . وفوق ذلك فان دراسة العلوم وعلى الاخص العلوم الرياضية بلغت فيهـا شأوا بعيدا . ومن البلية أن شخص فيثـاغورث كمذهبـه لا يزال يحيط به من الظلام حجـاب لا شيء يمزقه ، ولا شك فى أن هذا الحجاب العظيم انمـا جاء كبره من السكوت الذى التزمه فيثاغورث والزم اياه تلاميذه الذين بقوا محتفظين بتنفيـذ أمره مدة عدة أجيـال . وكان فيلولاوس السابق لافلاطون بقليل هو أول من علم القاعدة ـ عـلى مايؤكدون ـ ونشر المذهب بل ربما نشر كتب الاستاذ أيضا .

ومما لا يقل عن هذا مطابقة للواقع هو أن فيثاغورث على فلسفته

---

(١) بروخر تاريخ الفلسفة سفر (١) ص ٣٦٤ ، ٤٥٧

لان يحتفظ في نظرنا بشيء من النحـو الديني ان لم يكن في أفكاره فعلى الاقل في الجمعيـه التي ألفهـا والتي لا يدخل اليها الا بعد امتحـان قاس يجوزه المريد ، فليست انفيثاغورية مفتوحـــة للكافة كالمذهب الطبيعي لطاليس ، ولا كمذهب ماوراء الطبيعة لاكســـينوفان · لفيثاغورث تلاميذ ، ولكنهم بعض أعضاء لجمعية منتظمة خاضعة لملاحظة شـــديدة ومحصورة في حدود لا تجتاز ، انها نوع من مدينة فلسفية دينية سياسية قاسية وضيقة الحدود · فلم تلبث ان ارتاب في أمرها جيرانهافخربوها بالحديد وبالنار وماكان أسهل عليهم ذلك نظرا الى ان هذه الجمعية من الوداعة بمكان · ومن البديهي أن نظام المدرسة الفيثاغورية كان على مثال مدارس الكهنة المصريين ، وربما كانت على مثال مدارس المجوس أيضا وان تناسخ الارواح هو عقيدة شرقية صرفة لم تتأقلم في العالم الهليني مع أن أفلاطون وضعها تحت أشرافه · كان فيثاغورث مؤسس مدرسة ورئيس جمعية معا ومبدع مذهب لا يتلقاه الا أشياعه ، وبهذه المثـابة كان بين فلاسفة الاغريق وحيدا في هذا الباب · وينبغي ان يرجع ان سياحاته في مصر وكلدة هي التي أوجدت في نفسه مقاصد من هـــذا النوع فنقلها الى بلاد قلما توافقها وتنجح فيها ، ولكنها مع ذلك جعلت لفيثاغورث مركزا قدسيا علميا معا فبقي به علما فردا متميزا عمـــن قبله ومن بعده · مذهبه العلمي غير تام ، ولكنه عظيم جليل · ومذهبه الأخلاقي طاهر لا غبـار عليه حتى أن مذهب افلاطون مع كونه أشـد منه تعمقا لم يرجع عليه في طهره ·

ولندع الى جانب شخصيات الفلاسفة وننبه الى ان الفلســـفة الاغريقية بتمامها كانت موضوعة في وضع استثنائي أفادها جدا وهو أنها لم يكن أمامها أبدا ديانة مبنية على كتب مقدســـة ، وقد كان الامر على ضدذلك في مصر ويهودة وفارس وفي الهند حيث لم تكن الحال قاصرة على أن الدين قد سبق الفلسفة في تلك البلاد ، كما هو الحال عادة في كل زمان · بل انها اعتمدت فوق ذلك على أسس معتبرة انها الهية ، ومع ذلك اقامت قرونا طوالا كافلة لسد الحاجات الادبية والاخلاقية في تلك الأمم ؛ وبعد ذلك خرجت الفلسفة من المحاريب فمثلا في بلاد الهند البرهمانية أو البوذية استطاعت الفلسفة أن تنمو نموا كبيرا متحللة من القيود الاولى وان كان نجاحها لم يكن عظيمـا · اما في بلاد الاغريق فلم يكن ما يشبه ذلك ، لأن الاغريق لم يكن لهم كتب الهية ولا موحى بها · وقد كان أرفي ولينوس وسائر المرتلين الاقدمين الذين كانوا ينشدون آيات الاسرار الاولى كلهم ما كان يتكلم الا باسمه هو دون ان يسند ما يقول الى الاله · ولما كان الاشراك بالله متغير الصور منثورا في البـلاد لا ينتظمها على حال واحد لم يستطع

الوصول الى تأليف جسيم من المذاهب قد يصير ديانة ذات قوام خاص فلم يكن للكهنة نقابة قوية ذات سلطان وكان الناس يحترمونهم ولكن لا يطيعونهم ، ولم تكن الروابط بين الهيئتين الا مفككة العرى ، لانها انما تبحث عن معتقدات عامة يغير من عمومها في كل جهة أساطير محلية لانهاية لها ، وعن بعض احتفالات عامة لم تكن إلزامية ، وهواتف يستشيرها الناس وقتما يريدون ؛ وألعاب عمومية . والكتاب الوحيد الذي أخذ بمجامع قلوب الاغريق انما هو قصيدة حماسية . ان قصيدة من شعر الحماسة تسحر العقول ولكنها لا تهديها ، تأخذ بالقلوب ولكنها لاتوجب الايمان ، انها تنمي الاحساسات الشريفة بما تقدم من التذكارات الوطنية ، ولكنها لا تسوي سبل السلوك . فما قصيدة حماسية بالتوراة ولا هي بالزاندافستا ولا بمنتراس البراهمة ولا بالقربان المثلث عند البوذيين . فالواقع ان الفلسفة كانت هي وحدها دين الهلين

وما تنسب عظمة الفلسفة الاغريقية التي لاتزال تدهشنا ونتعلم منها بعد خمسه وعشرين قرنا الا الى استقلالها المطلق . ولو أنها كانت تحت وصاية ديانة حسنة النظام أفكانت تظهر قواعدها بهذه السهولة التي ظهرت بها ؟ أو كانت تحيا تلك الحياة الطيبة القوية ؟ أو كانت تلد للعالم تلك الملح من التآليف وتؤتي ذلك الثمر اللذيذ ؟ من ذا الذي يعرف ذلك ؟ لا شك في أن الجنس الهليني كان عجيب الاستعداد فقد نجح في ميدان الفلسفة ، كما نجح في ميادين الاعمال الاخرى ، ولكن أما كانت تذبل هذه الخواص العجيبة لو أن العصارة التي تغذيها جرت في قنوات أخرى من قبل وخصوصا في قنوات الديانة ! ولم يكن تاريخهم الخرافي الا لعبا تلعب به الملكات ، فكانت الخواص العليا للنفس في سعة من أن تتخذ لها نحوا جديا آخر وتبحث عن غذاء لها أغزر مادة وأدخل في باب الحق ، بعيد على أن أنكر نعم الديانات على الناس ، وأرى أن من الخير أن تكون قد سبقت الفلسفة دائما ، وعند جميع الشعوب ، ولكني لا أستطيع أن أحجم عن القول بأنه اذا كانت ديانة الهلين أكثر جدية مما كانت عليه لاوشكت فلسفتهم وعلومهم أن تكون أقل في الجد مما كانت عليه بكثير وتلك خسارة لا تعوض على الاغريق وعلينا أيضا لاننا نحن أبناؤهم ومظهر استمرار حياتهم .

ولئن انسب الى آسيا الصغرى وتلك الجمهوريات الاغريقية الصغيرة التي كانت مقيمة على شواطئها كل المجد الطارف في اختراع الفلسفة والعلم والشعر والموسيقى وكثير من الفنون الاخرى ، فاني لااقصد الى أن أغمط آتينا حقا من المجد المقطوع النظير ، ذلك لانه من آتينا لخرج في زمن قدروس أهل بعض هذه المستعمرات التي جمعت بين النشاط

والذكاء والشاعرية والحرية ، وفى آتينا اجتمع اليونان ٠٠ بل يمكن القول بأن آتينـا أعطت من دمهـا ومن روحها تلك الجاليات التى لم تستطع ان تظلها تحت سمائها بعد أن أقاموا بها زمنا طويلا ٠ ثم أن تلك المستعمرات لم تستطع ان تحتفظ فى أوطانها جراثيم للفلسفه التى تمخضت عن حبها ، فانه اذا كان طاليس بقى فى ملطية فان فيثارغورث قد هاجر من سموس الى سيباريس وقروطون ، واكسينوفان ترك كولوفون الى ايليا ٠ فلما نفيت الفلسفة مؤقتا من اغريقا الكبرى بما فيها صقلية وجدت سلطانها الحقيقى فى آتينـا آخر مطافها ، وجدته بسقراط وأفلاطون فى عهـد انكساغوراس وبريكليس وفيدياس وسوفكل ، على ذلك تكون آتينا قد حوت اسمى مظهر للذكاء الاغريقى ، وتكون الام المخصبة التى ولدت المنح من كل نوع ، فان الفلسفه لما اقتلعت مرتين رجعت الى الارض الاولى التى منها خرجت المستعمرات اليونانية لتؤتى فيها اجمل زهرها وأنضج ثمارها ٠ ولم تكن الفلسفة فى آسيا الصغرى الا عارضا جاءت به المصـائب السياسية ، فأقامت فيها قليلا ولكن بعد ان انبعث نورها الساطع ٠ فلما استقرت بآتينا مكثت بهـا أكثر من ألف سنة من عهد بريكليس الى عهد جستنيان فهى معلمة روما وجدة الاسكندرية ومنافستهـا الجديرة دائما بالاحترام ٠

من اجل ذلك يظهر لنـا ان آتينا ويونيا او بلفظ واحد اغريقا كان لها على من عداها فضل وسؤدد لا يطاول ، ومن اجل ذلك تضع منزلتها من سماء المجد فى أوجها ، لايقاربها فيه ولا على مسافة كبرى تلك الامم التى حاربتها ومزقتها ولكنها لم تقهرها مع انها تربى عليها فى العـدد الف مرة ٠ فمن ذا الذى يقام له وزن بجانب الاغريق فى باب الشعر والفنون والعلم والفلسفة ؟ لست أعنى السيتيين ولا سائر تلك الشعوب الرحل فى شماليهـا ، ولـكنما أعنى الفرس والهنود بل المصريين أيضـا ماذا عسى أن تكون القرون الاولى لولا الهـلين ؟ ما هى تلك المعـارف الانسانية التى ليس لهم فضل فى أمرها ؟ ولقد أراد مؤرخوالانسانية ومنهم هردر أن يتلمسوا أسباب هـذا التفوق الخارق للعادة من ظروف وأوضاع كلها مادية كشكل ارضهم وخال جوهم وحاجات تجارتهم ٠٠ الخ ، ولكن مع ان تأثير هذه الظروف لا ينكر الا أنها لاتستطيع أن تحل لنا مشاكل هذه النظرية الدقيقة ولا أن تفسر لنا سر هذا التفوق تفسيرا مقنعا ، فان شواطىء آسيا الصغرى وضفاف بحـر ايجه وأطيقا ، وبيلوبونيز واغريقا الكبرى لم تتغير عن أصلها ، ومع ذلك أين هى تلك الروح التى كانت تنعش الهلين فى تلك العصور الخصيبة ؟ ماذا صارت روح تلك الشعوب التى لم تتغير أوطانهـا المخصبة الجميلة منـذ ذلك

العهد الى اليوم فان أخلافهم لايعدون الآن شيئا فيما يتعلق بارتقاء المدارك الانسانية .

لا نكاد نجد لهذا السؤال جوابا ممكنا الا الواقع نفسه ، فانا لنرى كيف كانت اغريقا فوق كل الامم حتى بالبقايا القليلة التى وصلت الينا من أعمالها ، ولكن لماذا اصطفى هذا الشعب الصغير فى زمن معين خلال قرون عديدة ليكون عنوان النور الابدى الهادى لجميع الامم فيما يتعلق بالمعقولات ؟ ذلك سر من أسرار العناية الالهية ليس لنا بالنفوذ فى كنهه يدان ، بل هو كسائر أسرار الله تنال اعجابنا ولا ينالها فهمنا . ان الاغريق، الذين لم يكن لهم على النوع الانسانى سعة النظر التى تقدمها لنا اليوم فلسفة التاريخ مدعمة بشتى الملاحظات ، قد حاولوا مع ذلك أن يفسروا لانفسهم أعجوبة عبقريتهم . وانى اوثر ايضا فى هذا المقام ان استجوبهم بدل ان أجيب عنهم فى هذه المسألة ، أولئك هم ثلاثة شهود عدول من عصر واحد تقريبا وهم بقراط وأفلاطون وارسطو ، يشهد أحدهم باسم علم وظائف الاعضاء ، والثانى باسم الفلسفة والوطنية ، والثالث باسم السياسة ، ولا بأس من ان نتخذ بجانب هؤلاء شاهدا على الشعر ايشيل الذى كان يقاتل فى مرطون .

فمن كتاب بقراط على الاهوية والمياه والاماكن ، ذلك الكتاب الذى يتخيل قارئه كأنما مدده فيما أتى به من النظريات هو العلم الحديث ، استطرد فيه المؤلف بحكم ضرورة استيفاء موضوعه الى المقارنة بين الجنسين والوطنين اللذين يعرفهما حق المعرفة ، لانه عاش فيهما فقال :

« أريد بالمقارنة بين آسيا وأوروبا أن ابين كيف ان كلتيهما تخالف الاخرى » « فى كل شىء ، وانه ليس بين الامم التى تقطن كلتيهما أية مشابهة فى البنية . وقد » « يكون من التزام مالايلزم تعديد جميع الفروق ، بل أكتفى بأكثرها أهمية ، واشدها » « بروزا للعيان ، لاعرض رأيى الذى ارتأيته فى ذلك ، فأقول : ان آسيا تختلف عن » « أوروبا اختلافا عظيما بطبيعة حاصلاتها جميعا ، سواء فيها ما تخرج الارض وما يخرج » « من ظهور الناس الذين يزرعونها . فكل مايتولد فى آسيا يفضل مايتولد فى أوروبا » « فضلا كبيرا فى الجمال وفى بسطة الجسم . جوها أكثر اعتدالا ، وأممها أدمث » « أخلاقا وأسهل قيادا ، والعلة فى ذلك هى التوازن التام بين الفصول ... فان الماشية » « التى ترعى فى أرض آسيا حسنة المنظر خصبة التكاثر الى حد مدهش ، وتربيتها » « ناجحة الى الغاية . وأما الناس فيها فنموهم عظيم يمتازون عن الاجناس

الاخرى » « بجمال صورهم وفضل قامتهم ، ولا يختلف بعضهم عن بعض في الرواء ولا في الصورة . » « ويمكن أن يقال : ان مثل هذه الجهة بينها وبين الربيع نسب يكاد يكون متصلا » « بالنظر لتأليف فصول السنة ولطف آثارها ، ولكن لا شجاعة الرجولة ولا مصابرة » « المشاق ولا اجهاد النفس في العمل ولا شدة البأس كل هذه الصفات لا تنمو » « في مثل هذه الطبيعة ، سواء فيه الوطنيون والمستوطنون ، بل ان حب الملاهي » « عندهم يتغلب على ما عداه من الميول الاخرى » .

« أما من جهة ضعة النفس وعدم الشجاعة فان الاسيويين اذا كانوا أقل ميلا » « للحرب وأكثر سلاما في الطبع من الاوروبيين فعلة ذلك انما هي على الخصوص » « في حال اقليمهم حيث لاتوجد تقلبات شديدة لا في الحر ولافي البرد بل » « قليلا مايشعر بتغير الجو ، وحيث لايعترى العقل صدمات ولا يعرو الجسم » « تغيرات . وتلك انفعالات من شأنها أن تكسب الخلق وحشة وتمزج به ميلا » « للجماح والعصيان أكثر مما تفعل الحال الجوية دائمة التماثل . الا انها التغيرات » « من النقيض الى النقيض هي التي تنبه العقل الانساني وتمنعه من أن ينام » « في ظلال السكون . تلك هي الاسباب التي يتعلق بها على مايظهر لي ضعة » « نفوس الاسيويين » .

« ينبغي ان يضاف الى ذلك حال النظامات ، فان جزء آسيا الاكبر خاضع للملوك . » وحيثما كان الناس لا يملكون حرية أشخاصهم لا يعنيهم المرون باستعمال السلاح ، بل » « يصرفون كل عنايتهم في أن يظهروا بمظهر العجزة غير الصالحين للخدمة العسكرية . » « ذلك بأن الخطر ليس مقسوما بينهم قسمة عادلة ، اذ يسعى الرعايا الى خوض غمار » « الحرب يذوقون فيها من المتاعب ألوانا يموتون فيها من أجل أسيادهم بعيدين عن » « أبنائهم وعن نسائهم وعن كل ماهو عزيز عليهم . وفي حين أن كل مايأتونه من » « ضروب النشاط والبسالة انما يجنى أسيادهم ثمرته يكبر به قدرهم وتشتد به عصبيتهم ، » « فان أولئك المحاربين لا يجنون من وراء كل ذلك الا الاخطار والهلاك . وفوق ذلك » « فان هؤلاء الرعايا لابد لهم من أن يروا في الغالب دخول الاعداء وانقطاع الاشغال » سببا لجعل غيطانهم حصيدا جرزا . بهذه المثابة ترى الذين آتتهم الطبيعة في هذه » « الامم قوة في القلب وميولا حسنة قد تمنعهم تلك النظامات السياسية من الانتفاع بها . » « وان أكبر برهان على ما اقدم هو أن في آسيا جميع الامم الاغريقية والمتوحشة » « المتحللة من نير السيادة والتي تضع قوانينها بنفسها لنفسها وتشتغل لحسابها هي أكثر » « الامم

الاسيوية ميلا الى الحرب • « لما أنها كانت تتعرض لاخطـــار الحروب لحسابها » الخاص فكانت تتمتع بثمرة شجاعتها أو تحتمل سوء نتائج جبنها ليسوا كالاسيويين » « المحكومين بالملوك ، فان الشجاعة تفقـــد وجودها بالضرورة فى قلوب الرجال الخاضعين » « لحكم الملوكية ، نفوسهم مستعبدة فلا يكادون يهتمون بمعاناة الاخطار بمحض » « ارادتهم من اجل توسيع سلطان غيرهم • ولكن الامر على ضد ذلك اذا كان الانسان » « غير خاضع الا الى قوانينه الذاتية واذا كان يعرض نفسه للخطر من أجـــل منفعته » « الخاصة لا من أجل منفعة غيره • من هذا شأنه يقتحم المخاوف طائعا مختارا ويلقى » « بنفسه بكل قلبه فى جميع مهاوى المصادفات لانه سيجنى لنفسه ثمرة انتصاره • » « من أجل ذلك كانت القوانين مساعدة عن سعة على تكوين الشجاعة » •

« تلك هى المقارنة العامة التى يمكن تقريرها بين أوروبا وآسيا فى كل الاشياء • (١) » ذكر أفلاطون فى كتابه المينكســين حيث لايريد سقراط على أن يكرر مقالات اسباسيا الشاعرة الملطية تمجيدا للاغريق الذين قهروا قبائل آسيا مانصه •

• « لما جاء الفرس الذين هم سادة آسيا وحكامها يســعون لاذلال أوروبا قابلهم » « آباؤنا أبناء هذه الارض فقهروهم ودحروهم • ولتقدير قيمة هذا العمل العظيم ينبغى » « أننا ننتقل بالفكرة الى العصر التى كانت فيه آسيا كلهـا خاضعة الى مدها الثالث » (٢) » « فأولهم قيروش الذى لما مكنته عبقريته من تحرير مواطنيه الفرس اخضع اليه » « سادتهم الميديين ، وحكم بقية آسيا الى حدود مصر • ثم فتح ابنه مصر وسائر الاقطار » « الافريقية التى استطاع ان يصل اليها • وثالثهم دارا قد بسط حدود مملكته » « ومدها الى سيتيــا بفتوحات جيشه البرى » « وأما أساطيله فجعلته سيد البحر والجزر ، » « واذ كان لا يجرؤ أحد على مقاومته قد ذلت له هامات الامم فكم من أمة قوية » « حربية القت عنانها الى الفرس ودخلت تحت نير سلطانهم • • • ! اذا استحضر » « الانسان هذه الظروف فى ذهنه أمكنه أن يقدر حقا البسالة التى أتاها يوم مرطون » « أولئك المقاتلون الذين صبروا على مهاجمة المتوحشين ، وعاقبوا تبجح آسيـا وكبرياءها ، » « والذين أثبتوا للاغريق بما جاءوا به من الانفال والغنائم

---

(١) بقراط كتاب الا هوية والمياه والاماكن ب ١٢ ؛ ١٦ ؛ ٢٣ ؛ ص ٥٣ ؛ ٦٣ ؛ ٨٧ طبعة ليترى ج ٢

(٢) ايشيليس (الفرس البيت ٧٦٥ وما يليه) يذكر عدد آخر يرى أن آسيا فى عرف ايشيل وأفلاطون كان حدها الشرقى أرض فارس

أن قوة الفرس لا تستعصى » « على المقاومة ، وانه لاشيء من كثرة العدد ولا من سعه الثروة يقف أمام الشجاعة ... » و لذلك ينبغي أن يسند ثناء هذا النصر الاول الى اولئك المقاتلين . وأما الثاني فثناؤه » « مسند الى الظافرين فى الوقائع البحرية بسلامين وأرطيميس . وقــد ضرب بطال » « مرطون مثــلا للاغريق عامة أن فئــة قليلة حرة تكفى لرد غارة جيوش المتوحشين » « البرية ، مهما كانت لاتحصى عددا ، ولكنه لم يدر ليثبت أن ذلك ممكن ايضا » « فى البحر كما أمكن فى البر حتى وقعــت الواقعات البحرية فاستحق بها أولئك » « البحارة المهرة ما أحرزوا من المجد لتخليصهم الإغريق من الخوف الاكبر ، ولانهم » « صيروا الاصاطيل الفارسية لا تزيد مهابة على الجنود الفارسية . أما الواقعة الثالثة من » « وقائع الاستقلال الاغريقى من حيث الترتيب التاريخى ومن حيث شــدة الاقدام » « فهى واقعة بلاتة ، وهى أول واقعة اشترك فيها اللقدمونيون والآتينيون وباءوا » « بمجــدها جميعــا ، وقد كان اللقــاء فيهــا حرجا والخطر محيقا فتغلبوا على كل شىء . وباله » « من فصل يستأهل مدائحنا ومدائح قرون المستقبل » .

الى أى شىء فى الاغريق نسبت أسپاسيا هذه الشجاعه وهذا المجد ؟ الى علة واحدة ، الى الحرية التى كانت تتمتع بها آتينا . قالت . « ها أنتم هؤلاء ترون كيف أن اجداد هؤلاء المقاتلين واجــدادنا وهؤلاء المقاتلين أنفسهم الذين ولدوا بالطالع المسعود وربوا فى مهد الحرية قد أتوا هذه الفعال الجميلة العمومية والخصوصية لغرض واحد هو خدمة الانسانية(١) » .

وما كان هذا النشيد الا اليق مايكون بالاعمال التى يشيد بها وحقيق بأسپاسيا أن تمتدح آتينا وأبناءها . ولما قام مينكسين يشكر سقراط عند انصرافه لم يتمالك نفسه من أن يجهر بهذا القول : « وبحق المشترى ان اسپاسيا لسعيدة بأنها وهى امرأة تقدر على كتــابة مثل هذه المقالات » .

ولا شك فى أن هذا الشاب قد أصاب فيما قال ، الا أنه فاته ان هذه المرأة كانت من ملطية وأن أجدادها ، مع انهم كانوا لايزالون اضعف من الآتينين ، قد حاربوا الفرس غير مرة من قبــل أن تتولى آتينا أمر قهرهم .

---

(١) مينكسين أفلاطون ترجمة فكتور كوزان ص ١٩٦ وما بعدها . ذلك هو الذى ذكره أيضا ايشيل على لسان جماعة المتشلون يجيبون آتوسا أم اكزار كسيس : « لايستطيع مخلوق أن يقول أن الآتينين عبيده أو رعاياه » الفرس البيت ٢٤٢ .

وأخيرا فان أرسطو يشرك أفلاطون وبقراط في رايهما ، فانه لما تكلم على الصفات المطلوبة في سكان المدينة في حكومة منظمة قال :

« لكي يلم المرء بهذه الصفات ماعليه الا أن يطرح نظره الى أشهر المدائن » « الاغريقية والى بقية الامم المختلفة التي تتقاسم سطح الارض ليرى أن الامم التي » « تسكن الاقاليم الباردة حتى في أوروبا هي على العموم مملوءة بالشجاعة ولكنهم » « على التحقيق أقل ذكاء في العقل ومهارة في الصناعة ، وبهذه المثابة يحتفظون » « بحريتهم خير احتفاظ » ولكنهم من الجهة السياسية غـــير قابلين للنظام ، ولم يستطيعوا » « مطلقا أن يقهروا جيرانهم . أما في آسيا فالأمر على ضد ذلك ، فان أممها اكثر» « ذكاء وقابلية للفنون ، ولكنهم تنقصهم قوة القلب ويصبرون على البقاء تحت نير » « العبودية المؤبدة . اما الجنس الاغريقي الذى هو بموقعه الجغرافي وسط بين هؤلاء » « وهؤلاء فانه يجمع صفات الطرفين ويجمع بين الذكاء » والشجاعة » يعرف كيفا يجمع بين حفظ الحرية وبين تأليف حكومات» « غاية في النظام . فهو جدير اذا توحدت كلمته في حكومة واحدة أن » « يفتح العالم (١) » .

هـــذا رأى ثلاثة رجال ، أولئك هم ارسطـو وافلاطون وبقراط في عبقرية اليونان ، انهم لم ينفوا عن الاغريق المؤثرات الخارجية التي آثرها اظهر من ان تخفى ، ولـكنهم اهتموا على الخصوص بالاسباب الاخلاقية . وما ضلوا فيما ذهبـــوا اليه ، لاننا نحن الآن مع اننا أكثر تنورا ، بما أصبنا من التجربة الطويلة ، لانستطيع أن نزيد شيئا على هذه الاعتبارات الصادقة المستمدة وجـودها بنوع ما من الحس ، فلتبق اغريقـــا اذا ما كانت في العصور الاولى مدفونة في طيات مجدها ، ولكن خالدة ما خلدت اعمال الانسان التي تقع في يوم من الايام ثم تتلقفها أيدى البلى مهما كان موضعها من الجمال والكمال .
بلى

كنت أريد أن أفرغ من هذه المقدمة التي طالت اكثر مما ينبغي ، ولكنها من هنا لا تكون كاملة اذا لم أرجع بها الى الكلام على الكتـــابين اللذين تتقدمهما واذا لم أبسط القول على المسألة الكبرى التي تشبثت بها مدرسة ايليا ، تلك المدرسة التي يمثلها اكسينوفان وميليسوس أعني بها وحدة الموجود وعدم تغيره . وما أدراك ماهي تلك المناقشة التي ثار ثائرها في بداية الفلسفة وقام بها رجال تقلبوا في الاعمال الحيوية من

(١) ارسطو . السياسة ك ٤ ب ٦ ف ١ من ترجمتي ص ٢١٧ من الطبعة الثانية .

حرب وسياسة وسياحة واستعمار ؟ واذ نراهم فلاسفة ونظريين نراهم جميعا يزاولون المقاصد العملية بهمــــة مدهشة ، وانى لنا ادراك التوفيق بين الحالين اذا لم نلم بالاخلاق والعادات والضرورات التى كانت فى تلك الازمان المضطربة ! كان طاليس فى جيش الياط وكان أحد المؤتمرين فى البانيونيوم ، وفيثاغورث يجوب البلاد الاجنبية زمنا طويلا على كثرة الاخطار وبعد الشقة ، واكسينوفان الذى نفى نفســه طوعا من وطنه المقهور بالفرس يذهب للانضمام الى الفوكيين فيما وراء البحـــــــار ، وميليسوس يدافع عن سموس ضـد الآتينيين بعزمة لم يتغلب عليها بيريكليس الا بعد طول العناء ، أولئك قواد وساسة يشتغلون بمـــا وراء الطبيعة ! أمر شديد الندرة دائما ! وفوق ذلك فانهم يظهر عليهم انهم فنوا فى دقة التدليل ، تلك الخاصة التى كانت تتهم بها عن بينة مدرسة ايليا • اذا سلمنا بما ذكره أفلاطون فى كتابه المسمى « برمينيد » فان ذلك الانتقاد والتهمة كانا من النصحة بمكان ولا شك أن من الغريب أن تملك التدقيقات المنطقية على مثل هؤلاء الرجال عقولهم ، غير أنه يجب التنبيه الى ان برمينيد مع كونه تلميذ اكسينوفان وخليفته قد شرع لنفسه طريقا غير طريقه فمسخ من أفكاره وغلا فيها ، وربما كان ذلك أثرا من آثار الروح العامة المنتشرة وقتئذ فى اغريقا الكبرى ، تلك الروح التى كانت وقتئذ تبدع فى صقلية فن الخطابة والتى غلت فى نظريات فيثاغورث على العدد الى حد الافراط •

ليست تلك روح اكسينوفان التى تتجلى فى المقطوعات التى بقيت لنا من آثاره وفى الكتاب الذى أترجمه الآن فى هذا المجلد • وعلى رأيى ان هذه النقطة هى التى ينبغى أن توجه النظر الى الامعان فيها للاصابة فى تقدير قيمة هذه المذاهب الناشئة وقتئذ ، والتى لم تكن لتأخذ بعد مركزا ثابتا فى العقل الانسانى فى بداية هبوبه من سباته •

أول نظرة فى الطبيعة التى تحيط بنا تظهر لنا بادىء الامر وحدة الوجود ، وما يكون الا بعد ذلك بالزمان ان نميز بالجهد والتحليل اجزاء مختلفة فى هذا المجموع العام الذى يسحر جلاله أبصارنا ويعيى ادراكنا• ولم تستطع الهند لاقبل الفلسفة الاغريقية ولا بعدها أن تخــــرج من تأثير فكرة الوحدة بل فنيت فيها بكليتها وبقى العلم على المعنى الخـــاص غريبا عنها على الاطلاق طول حياتها ، كان لها نظريات للتهجم فيها نصيب قليل أو كثير ، وتصورات للعقل فيها حظ وفير أو ضئيل ، كلها قائمة على الاصل العام للاشياء ، ولكن لم يكن فيها دراسة خاصـــة وضعية للظواهر الطبيعية ، ذلك هو أساس العبقرية الهندية وعظمتها • لا يوجد

شيء أكثر من ذلك في الفيدا والبرهمانا والاوبانيشاد · والاناشيد الحماسية والقوانين في الدراسات الفلسفية · أما العبقرية الاغريقية فانها إتقت ان تسحرها ظواهر النظرة الأولى في الوجود ، ودفعت بذلك الخطر عن نفسها ، ولئن كانت قد اتجهت وقتا ما الى فكرة الوحدة فانها قد عرفت لحسن الحظ كيف تتخلص منها لتدرس عن قرب دراسة منتجة بعض الاجزاء الاصلية لهذه الوحدة التي ليست في الواقع الا صورة اللانهاية عينها ·

ذلك هو الواقع حتى أن طاليس حين بحثه في التعبير عن ماهية العالم كان يدرس الاصل المادى الذى تكون منه ، ومع أنه قد أخطأ هذا الاصل الذى ظنه الماء فانه على كل حال كان يعتمد على ما يشاهد بالحس في الطبيعة ليتعرف أسرار الاشياء · يشتغل بالهندسة ويتتبع جريان الكواكب في أفلاكها مادام أنه كان على وشك أن يتنبأ بكسوف الشمس· وعلى رأى أرسطو ، وشهادته قاطعة في هذا المعنى ، أن طاليس كان يسلم بأن العالم مملوء بالآلهة القائمة بأمر النفس وبالحركة ، وليس فيثاغورث بأقل استمساكا بفكرة الوحدة مع أنه كان يجزئها ، ولم تلهكه استكشافاته الرياضية والفلكية لحظة واحدة عن النظر في توافق النظام العالمى ، فكان يعترف بوجود طوائف متخالفة في هذا النظام ، ولكنه مع ذلك يعترف على وجه الخصوص بوحدة عجيبة ، وعلى رأيه أن الاضداد اثنين اثنين تكون كلا واحدا يكون أرقى منها · وأن الوحدة هي الاصل الحقيقي في العالم المادى كما هي في العدد ، وبذلك ارتقى فيثاغورث الى تعريف الله دون أن يميزه تمييزا تاما عن العالم الذى ينظمه ويسيره ·

أما عند اكسينوفان فان فكرة وحدانية الله وقدرته هي ظاهرة بغاية الوضوح دون أن يتعمق فيها كما تعمق فيها أفلاطون من بعده وكما هو الحال على الخصوص في اللاهوت المسيحى ، وأظن أن هذه النظرة الاولى في الوحدة الالهية هي التي ألقت جلالها الباهر وخفاءها في نظريات مدرسة ايليا · وعندي أن ذلك هو الذى يفسر أغلاط هذا المذهب الشريف · أن نظر اكسينوفان لم يكن بعيد المدى ، ان شئتم ، ولكنه على الاقل لا يضل · أما برمينيد فان به ميلا الى السفسطة التي حملت تلميذه ذنون على أن ينكر الحركة وحملت غرغياس على تأييد أبعد مذاهب العدمية ضلالا وأقلها تنزها · وأما ميليسوس فانه لزم الحد الوسط بين الاستاذ صاحب المذهب وبين الذين غلوا به حتى وقعوا في المحال · وانى مقارب بين اكسينوفان وميليسوس وذاكر الفروق الاساسية بينهما على ما يظهر لى : ـ

لقد كان اكسينوفان مليئا باحترام هذا المذهب الذى لم يدركه

أحد من قبله بمثل ما أدركه هو من الوضوح والجلاء ، لذلك نفى عنـــه خيالات الشعراء اللطيفة التى تحط من مقامه كما نفى عنه الانتروبومورفيزم الجافى الذى هو مذهب العوام (تصور ذات الله تعالى على صورة الانسان) •. تعالى الله عما يصفون من النقائص وعن صور الكائنات الفانية وعن صور هؤلاء التعساء الذين يجعلونه على صورتهم • ليس كمثله شىء فى الوجود لانه لماذا يكون المثيل خالقا بدلا من أن يكون مخلوقا ؟ وان الله الذى لا يمكن أن يأتى من موجود يشابهه لا يمكن من باب أولى أن يأتى من شىء يكون دون مقامه • اذا هو لم يخلق من شىء فيكون بالضرورة أزليـا • وأخذا بنتيجة ليست أقل ضرورية من الاولى يكون قديرا على كل شىء • لو كان آلهة متعددون لكانوا أقوى أو أضعف بعضهم من بعض ، وعلى ذلك لا يكون اله ، لان خاصة الاله أن يملك كل شىء ولا يملكه شىء أيا كان • ولما كان الله أزليا قديرا على كل شىء لزم على ذلك أن يكون واحدا ، لانه لو كان له منافسون لما أمكنه أن ينفذ أحكامه ويحقق ارادته العليا•

من ذلك ترى أن فى اكسينوفان بعض مبادىء جليلة لم يرفضها اللاهوت المسيحى بل تقبلها بالعناية قبولا حسنا ، ولكن نظر اكسينوفان قد اضطرب فى هذه النقطة ، وليس فى ذلك مايوجب الاستغراب • ولقد أراد أن ينفذ نظره فى حقيقة الذات الالهية فأخذه العثار فى هـــذا الطريق الوعر الذى ضل فيه كثير غيره ، فانه يقول : الله الذى لايشابهه شىء من الحوادث هو على الاقل يشبه ذاته ، وهو هو فى جميع أجزائه وهو بكله هو فى كل جزء منها • قد يكون ذلك مقبولا ولكن اكسينوفان لما وقع فى الاستعارات التى لا تســـاوى قيمتها الا ما تســـاويه الأنتروبومورفيزم التى انتقدها بحق أخذ يشــبه الله بفلك ، وكانت النتيجة عنده أن الله لا يمكن أن يكون لا لا متناهيا ولا متناهيا ، وأنه لا يمكن أن يكون له حركة ولا سكون ، كما أنه لا أول له ولا وســط ولا آخر • ومع ذلك فان اكسينوفان لم يخدع نفسه فى أمر الصعوبات غير المتناهية التى تقف فى حل هذه المسألة ، ودليل ذلك ماقاله فى هذه الابيات الجميلة التى نقلها الينا سكستوس أمبيريكوس •

« لا أحد من الكائنات الهالكة يستطيع أن يرى جليا فى هذه الاعماق ولن » « يستطيع أحد أن يعرف حقيقة ماهية الآلهة والعالم ، تلك الماهية التى أحاول الكلام عليها • فاذا لقى أحد يوما بالمصادفة الحقيقة التـامة لما عرف هو نفسه أن يقدر ما وصل اليه منها ، وليس فى كل ما يقال فى هذا الشأن الا محض تشبيه وتقريب » •

والظاهر أن برمينيد لم يتمش بالبحث فى هذا الموضوع الكبير الى الحد الذى وصل اليه أستاذه • وأما ذنون تلميذ برمينيد وواضع

فن الجدل فانه ، على ماقال ديوجين اللايرثى نقلا عن أرسطو ، قد وصل فى هذا الموضوع الى لا أدرية غلا فيها غرغياس الى أقصى حد ، ولـكنى أكرر أنى لا أشتغل بذنون ولا ببرمينيد بل أتخطاهما الى ميليسوس فهو الذى أقصد درسه بعد اكسينوفان •

مع أن ميليسوس يفصله عن رئيس المذهب ثلاثة أو أربعة قرون، فانه أحرص الناس على أن يحذو حذوه ويلتزم تعاليمه ، الا انه ، عوضا عن أن يبقى متمسكا باله اكسينوفان الواحد الازلى القادر على كل شىء بل والمدرك لكل شىء أيضا ، زاغ عن الطريق ووضع الموجود موضع الاله فاشتغل بالموجود آخذا اياه فى كل تجرده وفى كل عقمـه • غير أن التأملات الميتافيزيقية مهما قل فيها الضبط فان ذلك لا يقلل من جمالها ولا من تعمقها الاستثنائى •

الموجود لا يأتى من الموجود والا لزم عليه أن يتقدم نفسه وهـذا تناقض • ومثل ذلك فى التناقض أن يتولد الموجود من المعدوم • على ذلك لم يكن الموجود قد وجد فى زمن ما ، وعليه يكون الموجود أزليـا وفوق ذلك لا يعتريه الفسـاد ولا الانتهاء ، لأنه اما ان يتغير الى معدوم وهذا محال ، واما أن يتغير الى موجود آخروإذا فلا يكونمنعدما ، فالموجود على ذلك كان دائمـا ويكون دائمـا ، وما دام أنه لم يوجد من العدم فهو لا أول له ، وما دام لا يمكن فناؤه فهو لا آخر له ، وما دام لا أول له ولا آخر له فهو حتما لا متناه ، وما دام لا متناهيـا فهو واحد ، لان اللانهاية منافية للتعدد ، اذ لا يمكن تصور اثنين أو عدة لا متناهية • ومتى كان الموجود أبديا واحدا لا متناهيا كان بالنتيجة غير متحرك ولا قابل للتغير ، لانه فى أى مكان غير ذاته يمكنه أن يتحرك ؟ ولما كان موصوفا بالوحدانية المطلقة فأى تحول أو تبدل أو تغير يمكن أن يلحقه ؟ ولو أمكن أن يتبدل بغيره أيا كان لانتفى أن يكون شبيه نفسه ولانعدمت صـورته الاولى وجاءته صورة أخرى • ومع تقدم الزمن ينعدم هذا الموجـود الابدى واللانهائى ويتحول الى لا شىء • ولما كان الموجود أبديا لا متناهيا واحدا كان لا يمكن أن يكون له جسـم ، فلا يمكن أن يكون ماديا ، لانه اذا كان ذلك لزم عليه أن يكون ذا أجزاء متميزة بعضها عن بعض ، وهذا ينافى وحدانيته ولا نهايته وأبديته • لاشى كائن حقيقة الا الموجود • وجميع الاشياء التى تؤكد لنا حواسنا وجودها ليست الا مظاهر خداعة متحولة كثيرا أو قليلا ، فهى غير موجودة بالمعنى الخاص مادامت متغيرة ومادام أنها تهلك بعـد أن تولد • أما الموجـود الحقيقى فانه لا يتحول ولا يتغير أبدا ولو أن الاشياء التى تظهر امام حواسنا كانت

موجودة كما نظنها للزم على ذلك أن تكون غير قابلة للتغير وأبدية كالموجود نفسه ، فلا شيء بموجود الا الوحدة ، وأما التعدد فلا وجود له أصلا · أما أنا فانى أجد أفكار ميليسوس هذه خليقة به ، وبالمدرسة التى هو أحد أعضائها · لاشك فى أنها متناقضة من بعض الوجوه ، ولكننا من خلال هذه الرسوم البالية والمقطوعات القليلة نشعر لها بعظمة وقوة لم يوفهما تاريخ الفلسفة حقهما من حسن التقدير ، وربما كان هذا الغمط منذ أرسطو ·

وانى أعترف بأن انكساغوراس مفهوم خير فهم بعد اكسينوفان وميليسوس ، فان أنكساغوراس الذى هو معـــاصر لقائد سموس (ميليسوس) هو الذى جلا الغوامض عن علم الطبيعة وقواعد نظام الكون فى عصره بأن أدخل عليها تلك الفكرة الصالحة : أن العالم يديره العقل المدبر ·

ولقد أعجب سقراط بهذا المذهب مع أنه يرى أن أنكساغوراس لم يكن ليستقصى كل نتائجه ، كما أننا نعلم ماصرح به أرسطو من الثناء الجميل على انكساغوراس اذ يقول : لقد جاء أنكساغوراس بعد كثير من الضلالات ، أشبه مايكون برجل سليم العقل يتكلم وسط المجانين (١)· فمن البغى أن ينتقص فضل أنكساغوراس أو أن ينازع فيه بعد ما كان من شهادة سقراطوأرسطو ، فان له الفضل الاوفى فى هذا المذهب ، وليس شاذا عن المألوف أن كلمة من عبقرى تكشف القناع عن المغيبات العلمية · قد يقال أن اكسينوفان وميليسوس هما اللذان وطآ لهـــذا المذهب بنظرياتهما التى هى أقرب ما يكون منه · ولا مشاحة فى ذلك فان لهما نصيبهما الوافر من ذلك الفضل ·

ذلك هو المعنى الحقيقى لمذهب الوحدة فى مدرسة ايليا التى طالما حجب من نورها وصغر من قدرها على نسب غير مضبوطة ، وما الوحدة الايلية الا الله طلبوا معـــرفته يتلمسونها بين حجب الجهـــالة الاولى ويدرسونها ، كما يمكن أن تدرس فى تلك الازمان اذ العلم والمشاهدة العلمية لايزالان فى بدايتهما · فلم تكن تلك الوحدة قد وصلت بعـــد الى ماقرره أنكساغوراس من الادراك الالهى ولا ماقرره سقراط وأفلاطون من العناية الربانية · غير أن تقرير تلك الوحدة مع ذلك كان الجرثومة الاولى لكل هذه المذاهب · ومهما يكن من صدق الانتقادات التى يمكن

---

(١) ارسطو الميتافيزيقا ك ١ ب ٣ ترجمة فكتور كوزان · وقطع فلسفية الطبعة الخامسة ص ٢٠٤

توجيهها الى المذهب الذى يرأسه اكسينوفان ، فلا شك فى أن تلك التوجيهات السليمة هى التى آتته عظمته وخطره فى تاريخ الفلسفة ٠

أقف عند هذا الحد وألخص بيان أوفى تلك المعانى التى جئت على ايضاحها بشىء من الضبط ربما كان أقل مما كنت أريد ٠

قد ظهر لى أن مجىء الفلسفة الى عالمنا الغربى حادثة من الخطر بحيث أردت أن أحيطها بكل مايجلو خفاءها معتمدا فى ذلك على استجواب التاريخ عن الامم وعن الظروف التى اعتورت هذه الحادثة ٠ ومما ينبغى التنبيه اليه أن هذه الحادثة انما كانت من احتكاك أوروبا بآسيا ، وان كان ذلك قد حصل من قبل فى حرب طروادة الا أن ظروف هذه الحرب مطروحة جانبا لانها خرافية أو لقلة العلم بها ٠ ذلك الاختلاط حصل فى بقعة من الارض ليس فيها من السعة الا بمقدار ما يلزم لتحرك الجاليات الاغريقية وفى عصر يعتبر نسبيا عصر توحش ولكنه كان مملوءا بالخصب الذى لم يتجدد بعد من وقتئذ الى الآن ٠ على ذلك كانت آسيا الصغرى هى السابقة على آتينا التى فاقتها من بعض الوجوه ، كما يشهد بذلك هوميروس ، ولكن آسيا التى حملت بهذا الاصل العجيب تحت تأثير أمم غريبة عنه لم تستطع تعهده وانماءه ، فعاد منها يستكمل قوته وكماله الى الارض العتيقة التى كان قد خرج منها منذ خمسة أو ستة قرون ٠

ولقد تصديت فوق ذلك لتبيين أن العبقرية الاغريقية هى التى دانت العالم بهذا النفع العلمى الجليل دون أن تكون مدينة فيه لغيرها ٠ فاذا كانت الشعوب المجاورة لها آتتها شيئا من العلم فما هو الا مدد مبهم غاية فى الابهام ٠ لا مراء فى أن المصريين والكلدان والهنود لهم فى ماضى الانسانية مقام كبير ، ولكنهم مع ذلك فى الفلسفة أو فى العلم بعبارة أعم ليسوا شيئا مذكورا فى جانب الاغريق الذين لم يكونوا ليتعلموا منهم ٠ ولقد أثبتت مقارنة اللغات فى أيامنا هذه أن لغة الالياذة ولغة الفيدا كانتا فى الاصل لغة واحدة ، وأن اللسان الاغريقى والسنسكريت أخوان ولدتهما أم واحدة ، ولكنه اذا كان الاصل الذى اطرح فى أزمان ماقبل التاريخ واحدا ، فان ماقدر على الاخوين كان مختلفا جد الاختلاف ، لان العالم الاغريقى قد أنتج الآداب والعلوم والفنون التى ننسج الآن على منوالها ، وشاطر بحظ عظيم فى تقدم المدنية المسيحية حتى وصلت الى ماهى عليه الآن ، فى حين أن العالم الهندى ما أنتج الا البرهمانية والبوذية ، فهو نازل عنا بمراحل على الرغم من المزايا المتعددة التى يكون من الظلم عدم الاعتراف له بها ٠ بين العالم الاغريقى وبين العالم الهندى تأتى بلاد فارس التى توسطت بين العالمين فى المكان كما هى فى الزمان ، ولكنهما لم تشغل مركزا يذكر

لها ولم تستفد منها الاغريق الا المجد الخالد الذى أحرزه أمثال ملتياد وليونيداس وطيمستوكل والاسكندر .

ومع ذلك فان الهند وفارس واغريقا ومصر ويهودة نفسها . مهما كانت الفروق بينها في المعقولات ، كلها هى الخمسة فروع متفرعة عن جنس واحد . فان علم أنساب الشعوب ووصفها الذى لا ينبغى أن يكون له أهمية عظمى في هذه الابحاث ، لكنه مع ذلك لا ينبغى أن يغفل أمره فيها قطعا ، هذا العلم قد كشف الغطاء عن مشابهة تامة بين هذه الشعوب منطوية تحت فروق فى الاخلاق وفى العقل وفى اللغة ، وهذا الجنس الرفيع الذى يجمع الخمسة الشعوب المذكورة هو مايسمونه بالجنس الهندى القوقازى . وان الامم السامية نفسها متفرعة منه أيضا كالاخرى وان كانت قابلياتها تخالف قابليات الاخرى على الاطلاق فهى قوية فيما يتعلق بالدين عقيمة فيما عداه تقريبا ، ولكن فى هذه العائلة الكبرى الجميلة التى كأنها احتكرت لنفسها الذكاء الحقيقى يقف الاغريق بجملتهم فى صفها الاول . وحينما كانوا يسمون من عداهم بالمتوحشين لم تكن كبرياؤهم بالغة من السوء الحد الذى كان يظن بهم . ومع أنه كان خيرا أن يكونوا أكثر تواضعا فان الهلين المدفوعين الى هذه الكبرياء بدواعى غرائزهم الصادقة لم يكونوا مخدوعين على شرف مقامهم اكثر مما ينبغى . والآن ونحن فى وسعنا ان نحكم حكما خلوا من الغرض نقول انهم أحق من سواهم بقصب السبق . ومهما يكن من حال المستقبل فليس من الهين عليه أن ينزعهم من هذا المقام . أما أنا فلست أتردد فى إسناد هذا المجد اليهم ، مع انى لا أنكر ما كان لمنافسيهم من العظمة بل من التفوق فى بعض الوجوه ، ولكن من الذى يمكننا أن نضعه فى حلبة المجد فى مستوى فوق مستوى الهلين وقد جاءونا يقدمون بين يدى دعواهم الشعر والآداب والفنون والعلوم والفلسفة والتاريخ ؟.

ولقد بينت ، على مهد الفلسفة الناشئة ، مقام مدرسة أيليا وما لاكسينوفان وميليسوس من الاهلية الخاصة بين طاليس وفيثاغورث.

ينبغى أن نكرر أن كل ما نسرده من هذه الحوادث التاريخية انما هو تاريخنا ولو كان منذ خمسة وعشرين أو منذ ثلاثين قرنا ، ذلك بأننا أبناء الاغريق ، ولولاهم لما وصلنا الى ما وصلنا اليه ، فان اغريقا هى التى علمت روما ، وبواسطة روما واغريقا فتحت المسيحية بلادنا ومدنتنا بعد أن انتفعت بكل ما تقدمها ومهد لها السبيل . وان العلم على جميع صوره كان معدوما فى الشرق ، فاخترعه الاغريق ونقلوه الينا (١) . وما كان من

(١) راجع مقدمتى لكتاب السماء لارسطو ص ٧٩

روما والعالم الحالى بتمامه منذ اغارة المتوحشين الا أن اقتفوا هـذا الاثر الذى عفا رسمه أحيانا ولكنه لم ينعدم أبدا ٠

وانى اذ عنيت بايضــــاح هذه الآثار الاولى أردت أن أوفى أجدادنا حقهم وأن أذكر بما علينا من الواجب نحوهم بأن بينت مراكزهم وخدماتهم للانسانية ٠ ان العقل الانسانى بطىء فى سيره فيحسن به وهو سائر فى طريقه غير المتناهى أن يلقى نظره الوقت بعد الوقت الى الوراء ليرى من أين ابتدأ سيره وليسدد خطاه فى المستقبل نحــو المحدود الــذى ينتظر قدومه ! ٠

الكون والفساد

الكتاب الاول

الباب الأول

الموضوع العام لهذا الكتاب – تمحيص المذاهب السابقة – آراء مختلفة – تمحيص نظريات انكساغوراس ولوكيبس وديمقريطس – نقض خاص لمذهب امبيدقل – الاستشهاد ببعض أبياته – المعاني المختلفة التي يحمل عليها كون الاشياء تبعا لما يسلم به من الوحدة أو التعدد للعناصر الاولية .

١ – لاجل أن ندرك الكون والفساد فى الاشياء التى تتولد وتهلك بالطبع يلزمنا ، كما هو الحال فى البقية ، أن نقدر على حدة عللها ونسبها. وسننظر أيضا عند معالجة النمو والاستحالة ماهى كل واحدة من هاتين

– ك ١ ب ١ – أخذ فيلوبون يثبت أن هذا الكتاب متصل جد الاتصال بكتاب السماء ودليله الاصلى فى ذلك أن كتاب السماء ينتهى بجملة فيها أداة استدراك لا يوجد معادلها الا فى هذا الكتاب . وهذا الدليل ليس قاطعا جدا . ولكن من المحقق أن مواد الكتابين مرتبط بعضها ببعض فضل ارتباط ، وان أرسطو بعد مادرس السماء والخواص العامة للاجرام اللامتغيرة التى تؤلفها أمكنه أن يفكر فى اتمام هذه الدراسة بدراسة الاجسام التى من شأنها فى الطبيعة أن تتولد وتهلك تابعة فى ذلك قوانين منتظمة . الصلة اللغوية بين الكتابين موجودة كما نبه اليه فيلوبون ولكن الصلة المنطقية بينهما هى أيضا أحق .

§ ١ – بالطبع – أراد أرسطو ، وهو لا يشتغل الا بالاجسام المكونة أو الهالكة بفعل الطبيعة ان يخرج جميع الاجسام التى تكونها أو تهلكها الصناعة الانسانية . فان هذه الاجسام يمكن ان تكون موضوع دراسة خاصة . – عللها ونسبها – اللفظ اليونانى الذى عبرت عنه بالنسب هو أيضا مبهم جدا . وقد حاول فيلوبون أن يوضحه فلم يوفق الى ذلك . وربما كان لفظ «تحولات» صالحا أيضا . – النمو والاستحالة – ينبغى الرجوع الى تعريف هذين اللفظين فى كتاب الطبيعة لارسطو ك ٤ ب ٣ ف ٧ و ك ٥ ب ٣ ف ١١ وما بعدها . فان النمو هو حركة فى الكم وأما الاستحالة فانها حركة فى الكيف . – الكون والاستحالة أما الكون بالمعنى الخاص فهو الانتقال من اللاوجود الى الوجود . واما الاستحالة فهى ليست الا مجرد تغير فى الكائن الموجود من قبل . – بالحقيقة – زدت هذا اللفظ لاتمام الفكرة . لاجل تبيين الفرق بين الكون وبين الاستحالة أستشهد فيلوبون ببيت شعر لهوميروس ولكن هوميروس لا يكاد يصلح حجة ذات وزن فى هذه الفروق اللفظية والميتافيزيقية .

الظاهرتين ونبحث ما اذا كان طبع الكون وطبع الاستحالة همـــا واحدا بعينه أو هما متميزان بالحقيقة كما هما متميزان بالاسم الـــدال على كليهما ؟ .

٢ ـ من القـدماء من رأوا أن ما يسمى كونا مطلقا ليس الا استحالة والآخرون منهم رأوا أن كون الاشياء . واستحالتها ظاهرتان مختلفتان. فالذين يزعمون أن العالم كل ذو صورة واحدة ويجعلون الاشياء كلها تخرج من مبدأ واحد بعينه هؤلاء يلزمهم بالضرورة أن يروا الكون مجرد استحالة وأن يفترضوا أن ما يولد بالمعنى الخاص انما هو يستحيل . وعلى ضد ذلك الذين يسلمون بأن المادة تتألف من أكثر من عنصر واحد كأمبيدقل وأنكساغوراس ولوكيبس . هؤلاء يجب أن يكون لهم رأى مضاد للاول تماما .

٣ ـ ومع ذلك فان انكساغوراس فى هذا قد نكر التعبير الخاص

§ ٢ ـ من القدماء ـ سيرى أن أرسطو يعنى بهم أمبيدقل وأنكساغوراس ولوكيبس وديمقريطس ..... الخ . ـ كونا مطلقا ـ يعنى الانتقال من العدم الى الوجود . ـ ليس الا استحالة ـ يعنى ادماج ظاهرتى الكون والاستحالة . ـ ظاهرتان مختلفتان هذا الرأى هو وحده الصحيح فان الكون والاستحالة معنيان لا يمكن ادماجهما أحدهما فى الاخر . ـ أن العالم كل ذو صورة واحدة ـ أو أنه لا يوجد الا عنصر واحد بعينه هو الذى يكون كل شىء بلا استثناء . وهؤلاء الفلاسفة هم على العموم اليونان واصحاب مدرسة ايليا التى كانت تؤيد مذهب وحدة الجوهر ووحدة الموجود . ـ مجرد استحالة قد زدت على المتن كلمة مجرد . ـ ما يولد بالمعنى الخاص ـ هو الذى سماه التولد المطلق كما نبه اليه فيلوبون . ـ المادة تتالف من أكثر من عنصر واحد ـ أو أنه « يوجد أكثر من مادة واحدة » . ولقد سمى هنا أنصار تعدد العناصر وأما أنصار الوحدة فلم يسمهم . أقام فيلوبون نفسه مقام أرسطوطاليس وذكر بأن طاليس لم يك ليقبل الا الماء عنصرا أوحد ، وأنكسيمين وديوجين الابلونى يقول كلاهما بانه الهواء . وأنكسيمندروس يقول بانه عنصر وسط بين الهواء وبين الماء . وكان هيرقليطس يقول بانه النار . أما فلاسفة التعدد فان أمبيدقل كان يقبل القـــول بالعناصر الاربعة كما قال به أرسطو النار والهواء والمـاء والارض . وأما أنكساغوراس فانه كان يفترضها تلك الاجسام المتجانسة المتشابهة الاجزاء واللا متناهية . وديمقريطس ولوكيبس كانا يفترضان هذا الفرض بالنسبة لذراتها اللا متناهية فى العدد وفى اختلاف أشكالها . (ر . الفقرات الآتية) .

§ ٣ ـ نكر أنكساغوراس التعبير الخاص ـ فى عهد أنكساغوراس لم تكن لغة الفلسفة قد تكونت كما حصل ذلك بعد . ـ كما يفعل فلاسفة آخرون ـ يعنى المذكورين بعد ذلك . ـ العنصرين المحركين ـ هذان العنصران المحركان اللذان يقول بهما أمبيدقل هما التنافر والعشق أولهما يفرق الاشياء والثانى يجمعها ـ ستة عناصر ـ يعنى عنصرى الحركة مضافة اليهما العناصر الاربعة العادية الارض والماء والهواء والنار . وعلى رأى أمبيدقل أن هذه الاربعة الاخيرة منفعلة فقط وأما الآخران فانهما فاعلان ومحركان . ـ من أجزاء متماثلة المتشابهة الاجزاء (هومومريس) ـ أحد هذين التعبيرين ليس الا ترجمة للآخر ـ كل جزء منها مرادف للكل ـ قال جزء العظم يسمى عظما وجزء من اللحم يسمى لحما فى حين أن جزء اليد لا يسمى يدا .... الخ . وعلى ذلك يوجد من العناصر الاولية المتشابهة بمقدار ما توجد من الجواهر المختلفة ولذلك كانت عناصر انكساغوراس غير متناهية فى العدد .

وغلب في لغته الخلط بين ولد وهلك وبين تغير • على انه يعترف بتعدد العناصر كما يفعل فلاسفة آخرون • كذلك قال أمبيدقل ان عناصر الأجسام كانت أربعة وانه باضافة العنصرين المحركين يكون المجموع ستة عناصر • أما انكساغوراس فانه ارتأى انها غير متناهية في العدد كما كان يرى لوكيبس وديمقريطس • والواقع أن أنكساغوراس كان يعتبر عناصر الاجسام المركبة من أجزاء متماثلة : المتشابهة الاجزاء ، مثل العظم واللحم والنخاع وجميع المواد الاخرى التى كل جزء منها مرادف للكل •

٤ — ويزعم ديمقريطس ولوكيبس ان جميع الاجسام مركبة فى البداية من أجزاء لاتتجزأ اوذرات وهى غير متناهية لا فى عددها ولا فى أشكالها • وأن الاجسام لا تختلف فى اصلها بعضها عن بعض الا بالعناصر التى تتركب منها وبوضع هذه العناصر وترتيبها •

٥ — ويظهر هنا ان انكساغوراس من رأى معارض لرأى امبيدقل لان هذا الاخير يقول بأن النار والماء والهواء والارض هى الاربعة العناصر وأنها أبسط من اللحم أو العظم او اى عنصر آخر من العناصر المتشابهة فيما بينها أى الاجسام المتشابهة الاجزاء • ولكن أنكساغوراس على الضد من ذلك يزعم أن الاجسام المتشابهة الاجزاء هى بسيطة وأنها هى العناصر الحقيقية بينما أن الارض والنار والهواء مركبة وأن جراثيم العناصر منتشرة فى كل مكان •

٦ — على ذلك متى أدعى أن جميع الاشياء تخرج من عنصر واحد لا

---

§ ٤ — أجزاء لا تتجزأ أو ذرات — كلا الاسمين مرادف للآخر تماما • واسم الذرات أكثر استعمالا وقد بين فيلوبون هنا وجه الخلاف بين مذهب أبيقور فى الذرات وبين مذهب ديمقريطس فان ابيقور يقول بعدم تناهى الذرات فى العدد ولكنه لا يسلم بانها غيرمتناهية فى الاشكال • — الا بالعناصر التى تتركب منها — او بعبارة أخرى « التى هى منها » هذ من أجل التخالف غير المتناهى فى طبيعة الذرات • — بوضع هذه العناصر وترتيبها — هذا لعدم التناهى فى الاشكال •

§ ٥ — من رأى معارض — لا يجد فيلوبون بين رأى انكساغوراس ورأى أمبيدقل من منافاة التعارض ما تدل عليه عبارة أرسطو • — النار والماء والهواء والارض — ذكرتها بهذا الترتيب لان ارسطو ذكرها كذلك • — انها أبسط من اللحم — قد يؤخذ من صوغ هذه الجملة ان امبيدقل كان يعلم مذهب أنكساغوراس وينتقده • ولكن التاريخ الزمنى لا يسمح بذلك • ولعل المراد هنا هم اتباع أمبيدقل كما يدل عليه تعبير النسخة الاغريقية لا أمبيدقل نفسه • — جراثيم العناصر — هذه الجراثيم شد ما تقارب اذا الذرات التى هى منتشرة فى كل مكان على حسب مذهب ديمقريطس •

§ ٦ — أدعى ان جميع الاشياء تخرج من عنصر واحد غير — هذا مذهب لم يقبله ارسطو أبدا • — كمجرد استحالة — رف (١) آنفا • — الموضوع للظواهر — زدت على النص اللفظ الاخير • — يعانى استحالة — يلزم فى الواقع وجود موضوع دائم حتى يمكن ان يكون على

غير لزم ضرورة اعتبار كون الاشياء وفسادها كمجرد استحالة • فيكون اذا الموضوع للظواهر دائما واحدا ودائما هو بعينه • فاننا على موضوع من هذا القبيل يمكن أن يقال انه يعاني استحالة ولكن متى سلم بأنواع متعددة للجواهر وجب التسليم أيضا بأن الاستحالة تخالف الكون • لأن كون الاشياء وفسادها حينئذ يحصلان باتحاد العناصر او بافتراقها •

وفي هذا المعنى أمكن لامبيدقل أن يقول :

ليس لشيء من طبع ثابت ، وما الكل الا اختلاط وافتراق

§ ٧ — هذا تعبير ، كما يرى ، يلائم تماما فرض هؤلاء الفلاسفة • وتلك هي أيضا طريقة تعبيرهم • واذن فان هؤلاء الفلاسفة أنفسهم مضطرون الى الاعتراف بأن الاستحالة أمر مخالف للكون • ومع ذلك فان من المحال أن توجد استحالة حقيقية على حسب المبادىء التي يقررونها • على أنه من السهل الاقتناع بصحة الرأى الذى نقرره هنا • فالواقع أنه كما ان الجوهر في حال السكون نجده يعتريه في ذاته تغير في العظم يسمى النمو والنقص كذلك أيضا يمكننا أن نشاهد فيه الاستحالة •

§ ٨ — ولكن من جهة أخرى ليس أقل من ذلك في باب المحال ايضاح الاستحالة على حسب ما يقوله الذين يسلمون بأكثر من عنصر واحد • لان التأثرات التي تجعلنا نقول بوجود الاستحالة هي فصول للعناصر ، أريد أن أقول ، الحار والبارد ، والابيض والاسود ، والجاف والرطب ،

التعاقب محلا للاستحالة التي تتتابع اذا يمر من البارد الى الحار ومن الابيض الى الاسود •• الخ أو على التبادل • — بأنواع متعددة للجواهر — عبارة النص بالضبط « أجناس متعددة » • — باتحاد العناصر أو بافتراقها — تحت تأثير العشق والتنافر كما يريد أمبيدقل •

§ ٧ — فرض هؤلاء الفلاسفة — الذين يقولون بتعدد العناصر • — وتلك هي أيضا طريقة تعبيرهم — أو بعبارة أخرى « أن الفرض الذى تسنده اليهم هو الذى يسلمون به » • — مضطرون الى الاعتراف — لا يظهر أن أمبيدقل انكره بالضبط ، ومن حق هذا القول أن يوجه الى ديمقريطس وأنصار الوحدة • — أن توجد استحالة حقيقية — النص أقل من هذا ضبطا في التعبير • نجده يعتريه — انما يستشهد أرسطو الى المشاهدة الحسية وعلى رأيه ان الاستحالة ليست ظاهرة أقل وضوحا من النمو او الذبول اللذين تدركهما حواسنا بغاية السهولة • أن الفكرة في هذه الفقرة لا تزال مضطربة خافية ولم أستطع جلاءها كما أردت على الرغم من تفسير فيلوبون وتفسير اسكندر الافروديزى الذى نقله بجانب تفسيره • — نشاهد فيه الاستحالة — أو تغير الكيف •

§ ٨ — الذين يسلمون بأكثر من عنصر واحد قد يظهر من هذا أن الفقرة السابقة موجهة الى الفلاسفة الذين يقولون بوحدة الجوهر ولكن النص لا يساعد على هذا التفسير • — التأثرات — أو التغيرات • — فصول للعناصر — أو بعبارة أوسع « الفروق التي توجد بين العناصر » • — الحار والبارد — بطريقة عامة كل المتقابلات بالتضاد التي تتوارد وتتعاقب على موضوع واحد بعينه • — ينتج من ذلك — ليست هذه نتيجة تنتج بالضرورة من مذهب أمبيدقل • — وهذا بالضبط اذا ما كان يعنى بالاستحالة — ولايظهر أن أمبيدقل ينكره •

واللين والصلب ، وجميع الخواص الاخرى المشابهة كما يقوله أيضا أمبيدقل : الشمس فى كل مكان بيضاء مملوءة بالحرارة وفى كل مكان المطر ينشر غشاءه وبرده ٠

انه يقرر المميزات عينها لسائر الأشياء ٠ وينتج من ذلك انه اذا كان الماء لا يخرج من النار ، ولا الارض من الماء ٠ فان الاسود لا يمكن أن يخرج من الابيض ، ولا الصلب من اللين ٠ وهذا التدليل بعينه قد ينطبق على جميع التغيرات الاخرى ٠ وهذا بالضبط اذا ما كان يعنى بالاستحالة ٠

§ ٩ ــ ولكن أليس من البين انه يلزم دائما افتراض وجود مادة واحدة لا غير لاجل الاضداد ، سواء أتغيرت بالنقلة في الاين أم تغيرت بالنمو أو النقص أم تغيرت بالاستحالة ؟ يلزم ألا يكون الا عنصر واحد ومادة واحدة بعينها لاجل جميع الكيوف التى تتبدل بعضها ببعض ٠ واذا كان العنصر واحدا فهناك أيضا استحالة ٠

§ ١٠ ــ وعلى ذلك يظهر لنا أن أمبيدقل يناقض الحوادث الاكثر واقعية ويناقض نفسه معا ٠ لانه يزعم معا أن العناصر لا يمكن أن يجىء بعضها من البعض الآخر بل على الضد يأتى منها سائر الاشياء ، وفى الوقت عينه بعد أن رد الى الوحدة الطبيعة كلها كاملة ما عدا التنافر ، قد استخرج بعد ذلك كل شىء من الوحدة التى تخيلها ٠ فعلى رأيه الاشياء بانفصالها عن هذه الوحدة العنصرية بواسطة بعض فصول وبعض تغاير فهذا الشىء بعينه صار ماء وآخر صار نارا ٠ وبهذه المثابة يسمى الشمس

---

§ ٩ ــ ولكن اليس من البين على هذه النظرية راجع كتاب الطبيعة ك ١ ب ٧ ف ٩ وكتاب المقولات ب ١١ ــ بالنقلة فى الاين ٠٠ بالنمو ٠٠ بالاستحالة ــ تلك هى انواع الحركة الثلاثة التى يقول بها ارسطو وقد شرحها فى كتاب الطبيعة ٠ ــ مادة واحدة بعينها ــ عبارة النص ليست من البيان على هذا القدر ٠ ــ التى تتبدل بعضها ببعض ــ والتى هى بناء على ذلك اضداد ، فان الجسم بعينه هو الذى يكون بالتناوب حارا أو باردا او ابيض او اسود ٠٠٠٠ الخ ٠

§ ١٠ ــ يناقض الحوادث الاكثر واقعية ــ بانكاره وجود الاستحالة وهى ظاهرة مشاهدة بغاية السهولة ٠ ــ رد الى الوحدة ــ ذلك هو (سفيروس) اله المادة المظروف فيه العناصر على راى أمبيدقل بفعل العشق الى أن يأتى التنافر فيكشفه عنه من جديد بأن يفصل العناصر ٠ ــ ما عدا التنافر ــ ما دام هو الذى يجب أن يقطع من جديد الوحدة التى أوجدها العشق ٠ ــ فعلى رأيه ــ يظهر ان ما يلى هو نقل حرفى لعبارة أمبيدقل ولكن البيان غير جلى وفيه الغموض العادى الذى يوجد فى نقوض أرسطو ٠ ــ فهذا الشىء بعينه صار ماء ــ لا يظهر أن هذا هو مذهب أمبيدقل الحقيقى فان رأيه هو ان العناصر كلها مكونة ولا تتغير ، بل هى فقط تجتمع او تفترق تحت التأثير القدير للعشق والتنافر ٠ ــ ويمكن ان تمحى ــ قد لا تكون هذه هى فكرة أمبيدقل الحقيقية ٠ ــ ما دامت متولدة فى وقت بعينه ــ يظهر ان أمبيدقل على الضد من ذلك يعتقد ان هذه الفروق أبدية ٠ ــ بل التى تتغير ايضا فى هذه اليوم فى مذهب ارسطو ولكن لا فى مذهب أمبيدقل ٠

بيضاء حارة والارض كثيفة صلبة . ولكن متى محيت هـــذه الفصول ، ويمكن أن تمحى ما دامت متولدة فى وقت بعينه ، أمكن للارض بالبداهة أن تلاقى اذا من الماء كما يمكن أيضا للمـــاء أن يأتى من الارض . كذلك الحال بالنسبة لجميع الأشيـــاء الاخرى التى جرى عليهـا التحول والتغير . لا فى الزمن الذى يتكلم عنه فقط بل التى تتغير أيضا فى هذا اليوم .

§ ١١ ـ زد على ذلك أن فى مذهب أمبيدقل توجد مبادىء منها يمكن أن تتولد الاشياء وتنفصل من جديد ، وعلى الخصوص متى سلمنا بالتنازع الابدى المتبادل بين التنافر والعشق . فانظر كيف أن الاشياء فيما يظهر تتولد إذا من مبدأ واحد . لان النار والماء والارض وهى لا تزال مجتمعة لم تكن لتكون كل العـالم . ولـكنه بهذه النظرية لا يعرف ان كان يلزم الاعتراف بأن لهن مبدأ واحدا أو مبادىء متعددة وأعنى بهن الارض والنار والعناصر التى من هذا القبيل . ذلك بأنه فى الواقع من جهة ما يفترض كمادة مبدأ منه تأتى الارض والنـــار متغــيرتين بالحركة المتحصلة فأنه لا يوجد اذا الا عنصر واحد لا غير . ولكن من جهة أن هذا العنصر عينه هو متحصل من اجتماع هذه الجواهر التى تتحد ينتج أن هذه الجواهر قبـل اجتماعها هى بذواتها أشد عنصرية وسابقة بطبيعتها .

§ ١٢ ـ ولكن يلزمنا فى دورنا أن نتكلم بطريقة عامة على كون الأشياء وفسادها على معناهما المطلق ، وسنعيد البحث فيما اذا كان هــذا الكون أو لم يكن وسنقول كيف يكون هو . ثم نتكلم أيضا على الحركات البسيطة كالنمو والاستحالة .

---

§ ١١ ـ زد على ذلك ان فى مذهب أمبيدقل ـ ليس النص بهذا الضبط من البيان ، فان المعارضة الجديدة تنحصر فى أنه فى مذهب أمبيدقل توجد مبادىء سابقة على العناصر وعلى ذلك تكون هذه العناصر ليست عناصر حقيقية .

ـ التنافر والعشق ـ هما مبدآن سابقان للعناصر يجمعانها ويفرقانها . ـ من مبدأ واحد ـ حينما يتكشف (سفيروس) اله المادة من جديد بفعل التنافر . ـ مبدأ واحدا أو مبادىء متعددة ـ يكون على الاقل الاثنان التنافر والعشق . ـ كمادة ـ يمكن ألا تكون هذه أيضا فكرة أمبيدقل ، فان التنافر والعشق لا يكونان بالضبط العناصر وانما يفعلان بها فقط ـ أشد عنصرية ـ هذه هى عبارة النص نفسها .

§ ١٢ ـ فى دورنا ـ زدت هاتين الكلمتين للدلالة على الانتقال الذى لم يذكر بالنص هنا ، فانه بعد أن استعرض أرسطو على التوالى مذاهب الاخرين سيبين مذاهبه وسيتكلم أولا على الكون مرجئا الكلام على نمو الاشياء واستحالتها الى ما بعد .

الباب الثاني

عدم كفاية نظرية افلاطون ـ عود على نظرية ديمقريطس ولوكيبس ـ نظرية جديدة على كون الاشـياء وفسادها ـ النمط المتبع ـ اهمية مسألة الذرات ـ رأى ديمقريطس ولوكيبس ـ رأى افلاطون فى كتابه طيماوس ـ خطأ هؤلاء وهؤلاء ـ وجوب الاخذ بملاحظة الاحداث على الاخص ـ فضل ديمقريطس من هذه الجهة ـ الكلام فى قابلية الاشياء للقسمة ـ يمكن افتراض القسمة لا متناهية ـ صعوبات هذه النظرية ـ صعوبات ليست أقل خطرا من نظرية الذرات ـ نقض هذه النظرية ـ المعنى العام الذى يحمل عليه كون الاشياء.

---

§ ١ ـ لم يدرس اذا أفلاطون الكون والفســاد الا من حيث طريقة وجودهما بالاشياء بل لم يكن ليدرس الكون فى كل عمومه بل اقتصر على كون العناصر • ولم يقل شيئا على تكون جميع الاجسام التى هى من جنس اللحم والعظم وسائر الاجسام المشابهة لها ولم يتكلم على الاســتحالة ولا على النمو ولم يبين كيفية ادراكه اياهما فى الموجودات •

§ ٢ ـ على أنه يمكن الجزم بأنه لم يتكلم أحد على هذه الموضوعات الا بطريقة سطحية جدا ما عـدا ديمقريطس فانه يظهر انه فكر فى كل المسائل ولكنه يخالفنا فى ايضاح الطريقة التى بهـا تحدث الاشياء • ولم يفكر أحد كما قلنا آنفا فى ايضاح النمو الا ما ربما يكون على المعنى الذى تفهم الكافة به هذه الظاهرة • أعنى بأن يقال ان الاجسام تنمو لان الشبيه يأتى فينضاف الى الشبيه • أما كيف تحصل هذه الظاهرة فذلك ما لم يوضحه أحد البتة حتى الآن •

---

§ ١ ـ لم يدرس اذا أفلاطون ـ رجع أرسطو الى فحص مذاهب أسلافه • ـ اذا ـ هذه الكلمة موجودة فى النص دون أن يكون لها وجه يبررها • ـ طريقة وجودهما بالاشياء ـ يحتمل أن أرسطو يريد أن يقول ان أفلاطون لم يدرس الكون الا فى الحـال الراهنة للأشياء من غير أن يحاول الصعود الى الاصل • فاذا كانت هـذه هى فكرته فقد لا تكون صادقة تماما اذ قد يوجد فى طيماوس ما يناقضها • ـ على كون العناصر ـ دون كون الكيوف التى تنتاب العناصر • ـ على الاستحالة ولا على النمو ـ يعنى النوعين الآخرين للحركة •

§ ٢ ـ ما عدا ديمقريطس ـ مدح ديمقريطس هذا يمكن أن يظهر عظيما جدا بعد ذلك الانتقاد السابق الموجه الى أفلاطون • ـ كل المسائل ـ ليست عبارة النص فى هـذا القدر من الضبط • ـ التى بها تحدث الاشياء ـ هذا ليس تام الوضوح • ولكن عبارة النص ادق من ترجمتنا • ولاشك فى ان ارسطو يريد أن يقول أن ديمقريطس موافق له فيما يتعلق بكون الاشياء ولكنه يخالفه فى كيفية حدوث هذه الظاهرة • فى ايضاح النمو ـ لا يرى أن أرسطو نفسه قد سد هذا النقص (ر • الطبيعة ك ٦ ب ١٦ ف ٥ من ترجمتنا) •

§ ٣ — ومع ذلك فلم تدرس ايضا بعد مسألة الاختلاط ولا اية واحدة من المسائل التى من هذا القبيل ولا مثلا مسألة معرفة كيف تفعل الاشياء وتنفعل وكيف ان شيئا بعينه يفعل الاحداث الطبيعية وآخر بعينه ينفعل بها.

§ ٤ — لما لم يهتم ديمقريطس ولوكيبس الا بصور العناصر استخرجا منها استحالة الاشياء وكونها • وعلى هذا فمن انقسام الذرات ومن اتحادها يأتى الكون والفساد ومن ترتيب الذرات ووضعها تأتى الاستحالة • ولكن لما كان هؤلاء الفلاسفة يحسبون الحقيقة فى مجرد الظاهر وكانت الظواهر متضادة ولا متناهية بالعدد معا اضطروا أن يجعلوا أشكال الذرات لا متناهيا أيضا بحيث ان الشيء الواحد يمكن أن يظهر ضد ما هو لنظر هذا الرائى أو ذلك تبعا لتغيرات وضعه ويظهر متغير الصورة بمجرد أن تختلط به أو تزاد عليه أصغر جزئية أجنبية • ويظهر أنه صار غير ذاته جملة بتغير موضع جزء واحد من أجزائه • ذلك كما انه يمكن أن تستخدم الحروف بعينها لتاليف مأساة أو فكاهة حسبما يختار •

§ ٥ — ولكن لما كان كل الناس من غير استثناء تقريبا يعتقد بوجه العموم أن كون الاشياء واستحالتها هما ظاهرتان مختلفتان جدا ، وان الاشياء لتكون أو لتفسد يجب أن تتحد أو تنفصل فى حين انها تستحيل بتغيرات فى خواصها ، وجب علينا من أجل ذلك أن نقف على هذه المسائل التى يعرض منها فى الواقع صعوبات حقيقية متعددة • اذا لم يجعل كون

---

٣ — ومع ذلك فلم تدرس أيضا — بعض هذه المسائل قد درس أعاق كتاب الطبيعة واما فى الكتاب الرابع من الميتيرولوجيا (الآثار العلوية) ولكنى لا اعرف اذا كان أرسطو قد تعمق فى البحث فيها الى أبعد مما فعل اسلافه •

§ ٤ — لما لم يهتم ديمقريطس ولوكيبس الا بصور العناصر — ليست عبارة النص على هذا القدر من الضبط • وهذا المعنى هو معنى فيلوبون وقد يمكن ترجمته هكذا : « بعد أن تخيل ديمقريطس ولوكيبس صور العناصر » • — الذرات — أضفت هذه الكلمة لان مذهب ديمقريطس معلوم تماما ومذهب الذرات لا يقبل فى الحقيقة الا القسمة والاتحاد والترتيب والوضع عللا لجميع الظواهر • — يحسبون الحقيقة فى مجرد الظاهر — هذا هو المذهب الذى اعتنقه بعد ذلك السفسطائيون وطالما حاربه سقراط (ر • بروطاغوراس لافلاطون) • — اشكال الذرات — اضفت أيضا هاتين الكلمتين • — تبعا لتغيرات وضعه — مثل فيلوبون لذلك بطوق الحمامة فانه تبعا لمسقط الضوء وموضع الرائى يتلون بالالوان المختلفة •

— جزء واحد من أجزائه — ليست عبارة النص على هذا القدر من الضبط • — تستخدم الحروف بعينها — أو بعبارة أصرح « حروف الهجاء » •

§ ٥ — كل الناس — يشمل أنكساغوراس وأمبيدقل : — كون الاشياء واستحالتها — من الصعب فى الواقع خلط الظاهرتين وجعل احداهما الاخرى • وان عبارة النص فى التمييز جلية غاية الجلاء • — وجب علينا أن نقف — سيكون ذلك موضوع هذا الباب والابواب التالية • — طائفة من النتائج غير القابلة للتاييد — هذا مبهم •

الاشياء ، مثلا ، الا اتحادا فان لهذه النظرية طائفة من النتائج غير القابلة للتأييد • ولكن هناك براهين أخرى قاطعة على صحة المعنى المضاد ، ومن الصعب جدا نقضها ، تثبت أن كون الاشياء لا يمكن أن يكون شيئا آخر الا مجرد اتحاد وانه اذا كان الكون ليس اتحادا فمن ثم لا يوجد كون أصلا وانه ليس الا استحالة • لذلك يجب أن نعالج حل هذه الصعوبات مهما كانت خطورتها •

§ ٦ ــ النقطة الاصلية فى ابتداء هــذه المناقشة هى معرفة ما اذا كانت الاشياء تكون وتستحيل وتنمو أو تعانى الظواهر المضادة لهــذه الظواهر بسبب وجود ذرات أعنى أعظاما أولية غير قابلة للقسمة أو ما اذا كان لا يوجد أصلا أعظام غير قابلة للقسمة • هذه النظرية هى من الخطورة بالمكان الاعلى • ومن جهة أخرى بفرض وجود الذرات يمــكن أن يتساءل أيضا عما اذا كانت ــ كما يريد ديمقريطس ولوكيبس هذه الاعظام غــير المنقسمة هى أجساما أو ما اذا كانت مجرد سطوح كما ذكر فى طيماوس •

§ ٧ ــ ولكن من غير المعقول ، كما بينا فى غير هــذا الموضع ، أن نجاوز بتحليل الاجسام الى حد تصييرها سطوحا • وعلى ذلك يكون أقرب الى المعقول القول بأن الذرات هى أجسام • على انى لاعترف أن هذا الرأى هو ايضا قليل الشبه بالمعقول • ومع ذلك يمكن فى هذا المذهب كما قد قيل أن تفسر استحالة الاشياء وكونها بتبدل الجسم الواحد تبعا لدورانه او لتماسه او تبعا لاختلاف اشكاله • ذلك ما يفعل ديموقريطس وهذا هو الذى أدى به الى انكار حقيقة اللون ما دام اللون فى عرفه انما يكون من حركة الاجسام حول مركزها • ولكن الذين يقبلون قسمة الاجسام الى سطوح أولئك لا يمكنهم بعد ذلك أن يدركوا اللون • لانه بجمع السطوح ذوات السعة بعضها مع بعض يمكن الوصول فقط الى تكوين جوامد ولكن لا يمكن الوصول الى ايجاد أى كيف جسمانى •

§ ٦ ــ هى معرفة ــ ما اذا كان يوجد ذرات أو لا يوجد • ــ تكون وتستحيل وتنمو ــ تلك هى الانواع الثلاثة للحركات التى الاشياء قابلة لها • ــ الظواهر المضادة لهذه ــ يعنى الفساد والاستحالة الى كيف مضاد والنقص • ــ أعنى ــ أضفت هذه الكلمة • ــ هذه النظرية هى من الخطورة بالمكان الاعلى ــ لذلك عاد أرسطو الى الكلام عليهمــا مرات عدة ــ كما ذكر فى طيماوس ــ ر كتاب السماء ك ٣ ب ٧ ف ١٤ •

§ ٧ ــ فى غير هذا الموضع ــ فى كتاب السماء ك ٣ كما يقول أيضا فيلوبون • ــ الى حد تصييرها سطوحا ــ هذا الرأى ليس هو رأى أفلاطون فى طيماوس الى حد مايظهر على أرسطو أنه يذهب اليه هنا • ــ على أنى لاعترف ــ عبارة النص أقل وضوحا مــن هذه • ــ كما قد قيل ــ يرى فيلوبون أن الالفاظ التى يستعملها أرسطو فى هذا الموضع على قول ديمقريطس هى ألفاظ مأخوذة على الاخص من لهجــة أبدير • ــ دورانه ••• تماسه ــ هذا التعبيران ليسا بالفرنسية أكثر ضبطا فى أداء المعنى من نظيريهما باليونانى • الذين يقبلون قسمة الاجسام الى سطوح ــ مثل أفلاطون أو فلاسفة آخرين • ــ أن يدركوا اللون ــ أو أى كيف آخر للاجسام • عبارة النص أقل ضبطا من هذه •

§ ٨ — والسبب الذي جعل هؤلاء الفلاسفة يرون ، أقل من الآخرين، الظواهر التي هي محل وفاق بين الناس جميعا هو عدم المشاهدة • وعلى ضد ذلك الـذين استزادوا من فحص الطبيعة ، أولئك أحسن حالا في استكشاف هذه المبادىء التي يمكن أن تنسحب بعد على حوادث ما أكثر عددها • ولكن هؤلاء الذين هم تائهون في نظريات معقـدة لا يلاحظون الاحداث الواقعة وليست أعينهم موجهة الا الى عدد قليل من الظواهر وهم يحكمون بسهولة كبرى •

§ ٩ — ها هنا أيضا يمكن أن يرى كل الفرق الـذى يفرق بـين الدراسة الحقة للطبيعة وبين دراسة منطقية محضة • لان هؤلاء الفلاسفة من أجل أن يبينوا مثلا انه يوجد ذرات أو أعظام غير قابلة للقسمة يدعون انه اذا لم تكن تلك الذرات فان المثلث نفسه ، المثـل الاعلى للمثلث ، يكون مؤلفا مع أن ديمقريطس في هذه المسألة يظهر انه لم يعول في حلها الا على دراسات خصوصية وطبيعية محضة • ومع ذلك فان ما سيلي من هذه المناقشة سيبين لنا ما نريد أن نقول بأوضح من ذلك •

§ ١٠ — من الصعوبة الكبرى افتراض أن الجسم يوجـد وانه عظم قابل للقسمة الى ما لا نهاية وانه من الممكن تحقيق هـذه القسمة • فماذا يبقى في الواقع في الجسم الذى يمكن أن يخلص من قسمة كهـذه ؟ فاذا افترض أن شيئا قابلا للقسمة مطلقا وانه يمكن حقيقة قسمته هكذا فـلا

§ ٨ — محل وفاق بين الناس جميعا — عبارة النص مبهمـة قليلا فلست واثقا مـن أني حصلت المعنى جيدا • عدم المشاهدة — يوصى أرسطو هنا بمشاهدة الاحداث كما يوصى به دائما ولكنه لم يكن في موضع آخر مبينا وجازما كما هو في هذا الموضع • و • مقدمة ترجمتي للمتيرولوجيا ص ٤٢ وما يليها • — التي يمـكن ان تنسحب بعـد — أو بعبارة فيلوبون وهي : «التي يمكن أن تشمل عددا من الحـوادث ما أكثره • » والفـرق بين العبارتين عديم القيمة • — تائهون في نظريات معقدة — عبارة النص تفيد أيضـا لكن هؤلاء الذين هم بعيدون عن الافكار العامية ... الخ » • — بسهولة كبرى — وبخفـة أكثر •

§ ٩ — الدراسة الحقة — أضفت هذه الكلمة الاخيرة • — هؤلاء الفلاسفة — يعني أفلاطون ومدرسته • — اذا لم تكن تلك الذرات — أضفت هذه الكلمات التي يظهر أنها ضرورية • — المثلث نفسه المثل الاعلى للمثلث — هذه الكلمات الاخيرة ليست الا تفسيرا لما سبقها • فان المثلث نفسه في لغة مذهب أفلاطون هو المثل الاعلى للمثلث • — مؤلفا — أي قابلا للقسمة وهذا يناقض تماما نظرية المثل • — ما يلي من هذه المناقشة سيبين لنا ... بأوضح من ذلك — يشعر ارسطو نفسه بأنه لم يقل هنا قدر الكفاية ليكون بينـا تماما • يدافـع فيلوبون عن افلاطون ضد ارسطو الذى لم يحصـل جيدا فكرة استاذه • ويظـن فيلوبون أن هذه النظرية قد يمكن أنها موجودة على الاكثر في مذاهب أفلاطون غير المكتوبة •

§ ١٠ — من الصعوبة الكبرى — كل المعنى في هذه الفقرة غامض • واليكها بأبسط عبارة : « من الصعب ان يفهم أن الجسم يمكن أن يقبل القسمة الى ما لا نهاية وان لا توجد فيه الاجزاء التي لا تتجزأ • لان هـذه القسمة تفني الجسم عن آخـره ولا يبقى منـه شيء =

يكون من المحال في شيء أنه أمكن قسمته مطلقا مع أنه لم يقسم في الواقع ولا أنه قد قستم فعلا • والامر كذلك اذا فيما اذا يقسم الشيء بالنصف • وعلى العموم لو أن شيئا قابلا بالطبع للقسمة الى اللانهاية قد قسم لما كان ذلك محالا البتة • كما لا يكون محالا أن يفترض امكان قسمته عشرة آلاف مرة مضروبة في عشرة آلاف مع أنه لا أحد يستطيع المجاوزة بالقسمة الى هذا الحد •

§ ١١ — ما دام الجسم معتبرا انه حائز لهذه الخاصة فلنسلم انه يمكن قسمته مطلقا على هذا النحو • ولكن اذا ماذا يبقى بعد هذه التقاسيم ؟ هل سيكون عظما ؟ لكن ذلك غير ممكن لانه اذا يوجد شيء خر من عملية التقسيم وكان الفرض ، على الضد ، أن الجسم قابل للقسمة من غير أي حد ومطلقا • ولكنه اذا لم يبق جسم ولا عظم وظلت القسمة مستمرة فاما أن القسمة لا تقع الا على نقط واذا تصير العناصر التي تركب الجسم عديمة العظم واما ألا يبقى هناك شيء أصلا •

§ ١٢ — ينتج من ذلك انه سواء أكان الجسم يأتي من لا شيء أم يؤلف من أجزاء فالامر على الحالين تصيير الكل الى ألا يكون الا ظاهرا • حتى مع التسليم بأن الجسم يمكن أن يأتي من نقط فلا يكون هناك أيضا كم • وفي الواقع لو أن هذه النقط كانت تتماس لتؤلف عظما واحدا وان العظم كان واحدا وانها كلها فيه فان جميع هذه النقط المجتمعة ما كانت لتجعل الكل أكبر لان الكل بانقسامه الى نقطتين أو عدة لا يكون

= وبذلك يوصل الى أن الجسم مؤلف من مجرد نقط ليس لها ابعاد أصلا » • — وأنه من الممكن تحقيق هذه القسمة — عبارة النص أقل من ذلك ضبطا • — الذي يمكن ان يخلص من قسمة كهذه — لانها ستعدم نهائيا كل ما تركب منه الجسم • — فلا يكون من المحال — هذا فرض يمكن دائما فرضه ولا يلزم عليه شيء من المحال • — اذ يقسم الشيء بالنصف — يعني اذا قسم دائما الى اثنين كل ما يبقى من الشيء في التقسيم المتتابع أو اذا قسم الى أجزاء غير متساوية ، بكلتا الطريقتين يوصل الى اعدامه كله بهذا التقسيم غير المتناهي • — المجاوزة بالقسمة الى هذا الحد — لعدم كفاية الآلات التي يستعملها الانسان •

§ ١١ — معتبرا أنه حائز لهذه الخاصة — عبارة النص أقل ضبطا من هذا التعبير • — ماذا يبقى — تكرار للمسألة الموضوعة في الفقرة الماضية • — بعد هذه التقاسيم — زدت هذه الكلمات لبيان الفكرة قليلا • عظما — يكون أيضا قابلا للقسمة • — من غير اي حد ومطلقا — ليس في النص الا كلمة واحدة • — عديمة العظم لان النقط الرياضية مفروض انها لا عظم لها البتة •

§ ١٢ — يأتي من لاشيء — أعني من نقط ليس لها أي امتداد • — ألا يكون الا ظاهرا — تلك هي النتيجة التي استنتجها السفسطائيون من مذهب ديمقريطس • — بأن الجسم يمكن أن يأتي من نقط — النص ليس بهذه الصراحة •

— كم — لان النقط لا تمثل كمية ما • — لا اكبر ولا أصغر من ذي قبل — مهما كان عدد نقط القسمة • — عظم حقيقي — اضفت لفظ حقيقي •

لا أكبر ولا أصغر من ذى قبل ، بحيث انه مهما جمـــع من تلك النقط فلا يمكن الوصول أبدا الى تأليف عظم حقيقى منها •

§ ١٣ – اذا قيل انه يوصل بالقسمة الى ألا يحصل منها الا كنشارة الجسم فحتى على هذا الفرض لا بد من ان الجسم يأتى من عظم ايا كان ، وتبقى المسألة كما كانت وهى كيف أن هذا الجسم الاخير قابل للقسمـــة فى دوره • فاذا قيل ان ما انفصل ليس جسما بل هو صـــورة ما قابلة للانفصال أو خاصة ما فينتج من ذلك أن العظم يتـــحول الى نقط والى تماسات محولة بهذه الطريقة • واذا يكون من غـــير المعقول الاعتقاد بأن العظم يمكن أبدا أن يأتى من أشياء ليست أعظاما •

§ ١٤ – ولكن فوق ذلك فى أى مكان تكون هـــذه النقط سـواء افترضت عديمة الحركة أم افترضت متحركة ؟ انه لا يوجد أبدا الا تماس واحد بين شيئين فلا بد أيضا من افتراض انه يوجد شىء ليس هو التماس ولا القسمة ولا النقطة •

لو قبل اذا أن كل جسم أيا كان مهما كان امتداده يمكن دائما أنه يقبل القسمة مطلقا لكانت تلك هى النتائج التى يوصل اليها :

§ ١٣ – كنشارة الجسم – عبارة الاصل دقيقة ويظهر أن الفكرة غامضة ولو أنهـــا فى الحقيقة واضحة • فان أرسطو يفرض أنه يراد اثبات وجود الذرات وان قسمة الجسم لا يمكن أن تتمشى الى اللا نهاية • فاذا وصل بالتقسيم الممكن غاية الامكان الى تصيير الجسم مسحوقا كنشارة الخشب عند قطعه ولكن قطع النشارة مهما دق حجمها فان لها امتدادا وترجع المسألة بالنسبة لهذه الاجسام الصغيرة الى ما كانت عليه بالنسبة للجسم الذى كانت تؤلفه باجتماعها من قبل • – عظم أيا كان – فان قطع النشارة مهما صغر حجمها لها دائما عظم قابل للتقدير • – فى دوره – زدت هاتين الكلمتين • – ان ما انفصل – أى بالقســـمة البالغة اقصى حد لها • – قابلة للانفصال – قال فيلوبون ان فى هـــذا رواية أخرى وأن فى بعض النسخ المخطوطة عبارة « غير قابلة للانفصال » بدل عبارة « قابلة للانفصال » • والسياق يقتضى على الظاهر أوفقية العبارة الاخيرة • ومع ذلك فان فيلوبون يفضل معنى عبارة « غير قابلة للانفصال » لان الصورة فى الواقع غير قابلة للانفصال عن الجسم بمعنى أنها تنعدم بانعدامه ولا يمكن أن تكون شيئا بدونه • ولقد أثبت فى ترجمتي عبارة الرواية المشهورة ولكن الاخرى هى مناسبة أيضا • – الى نقط والى تماسات – نظريات أبطلت آنفا • – أشياء ليست أعظاما – ما دام أن النقط والتماسات لا يمكن ان يكون لها على ما هو المفروض أى امتداد الى أية جهة ما •

§ ١٤ – فى أى مكان – يعنى : « فى أى جزء من الجسم ؟ » – افترضت متحركة – كما يفعل الرياضيون اذ يسلمون بان النقطة متى تحركت أحدثت خطا كما أن الخط يحدث السطح والسطح الجسم • وقد نبه فيلوبون الى أنه يمكن اعطاء هذه الجملة صورة الاستفهام أو صورة الايجاب على السواء • – أنه يوجد شىء – يعنى الجزأين الماديين اللذين يتماسان أو أنهما متقاسمان فى نقطة تفصلهما • – لو قبل اذا – ر • ما سبق ف ١٠ هذا هـــو ملخص القسم الاول من كل هذه المناقشة • فانه اذا لم تقبل الذرات وقبل القول بأن كل جسم قابل للقسمة مطلقا فتلك هى النتائج غير المعقولة التى تؤدى اليها هذه النظرية • فيستنتج من هذا مع ديمقريطس حقيقة نظرية الذرات • ومع ذلك فان هذا المخلص يمكن أن يظهر أنه سابق لوقته •

§ ١٥ — من جهة أخرى اذا أمكنني بعد انقسمة أن أركب الخشب الذى نشرته أو أية مادة أخرى بأن أعيد اليها وحدتها الاولى وأن أجعلها مثل ماكانت تماما فمن الواضح أني استطيع أن أفعل ذلك فى أية نقطة بلغتها فى كسرى الخشب • اذا فبالقوة الجسم قابل دائما للقسمة مطلقا وبدون حد • ماذا يوجد اذا ها هنا خارجا عن القسمة وبمعزل عنها اذا قيل انها خاصة للجسم ؟ يمكن دائما أن يسأل كيف ان الجسم يتحلل الى خواص من هذا القبيل وكيف يمكن أن يتألف منها وكيف أن هذه الخواص يمكن أن تنفصل عن الجسم •

§ ١٦ — اذا كان اذا محالا أن الاعظام تتكون من مجرد تماسات أو نقط فانه يلزم ضرورة أن يوجد أجسام وأعظام لا تتجزأ • ولكن هذا الافتراض عينه للذرات يخلق محالا لا يمكن تخطيه ولو أن هذه المسألة قد فحصت فى غير هذا الموضع الا انه يلزم أن يحاول حلها هنا أيضا • وللوصول الى ذلك يلزم أخذها من جديد بتمامها من البداية •

§ ١٧ — نقول اذا بادىء بدء انه ليس من غير المعقول فى شىء تقرير أن كل جسم محسوس هو معا قابل للقسمة وغير قابل للقسمة فى نقطة ما ما دام انه يمكن أن يكون قابلا للقسمة بالقوة المجردة وغير قابل

§ ١٥ — من جهة أخرى — برهان جديد لايضاح وجود الذرات • — مثل ما كانت تماما يظهر أن هذا مناقض لما قيل سابقا ف ١٣ — فى أية نقطة بلغتها فى كسرى الخشب = — وعدد النقط يمكن ألا يتناهى ما دامت النقط مفروضا أنها عديمة الامتداد • — فبالقوة — ان لم يكن بالفعل لعلة واحدة هى عدم كفاية الآلات التى يستخدمها الانسان • — خارجا عن القسمة وبمعزل عنها — لا يوجد فى النص الا كلمة واحدة لهذا المعنى • — الى خواص من هذا القبيل — تكرير لما قيل آنفا ف ١٣ •

§ ١٦ — اذا كان اذا — تلخيص لتأييد نظرية ديمقريطس • — أجسام وأعظام لا تتجزأ — أو بعبارة أخرى ذرات كما كان يقرره ديمقريطس • للذرات — أضفت هذه الكلمة لزيادة البيان • — غير هذا الموضع — ر • كتاب السماء ك٣ ب٤ ف٥ وراجع كتاب الطبيعة فى مواطن عدة حيث نظرية الذرات ملمع اليها الماعا لا مبينة بيانا وضعيا • ويستشهد فيلوبون على الاخص بالكتاب السابع من الطبيعة حيث لا اجد فيه انا شيئا من هذا القبيل • ويستشهد أيضا برسالة الخطوط غير المنقسمة التى ينسبها الى تيوفراسط بدلا من أرسطو اتباعا لرأى بعض المؤلفين •

§ ١٧ — معا قابل للقسمة وغير قابل لها — بالفعل هذا محال ولكن يمكن أن أحدهما امكان مجرد والاخرى قسمة بالفعل • واذا فالجسم فى الذهن قابل للقسمة الى اللا نهاية • ولكن فى الخارج تقف القسمة عند حد بسرعة • — قابل للقسمة بالقوة المجردة وغير قابل لها بالفعل — عبارة النص اقل ضبطا • — يكون قابلا للقسمة وغير قابل لها معا بالقوة يعنى منقسما وغير منقسم فى آن واحد بالقوة • وعلى رغم تفسير فيلوبون ومجهوداتى فان هذه النقطة فيها من الغموض ما لم استطع ان ازيله بالمرة • واليك البيان الذى يمكن فهمها به : « ان جسما لا يمكن أن يكون معا قابلا وغير قابل للقسمة حتى بمجرد القوة لانه اذا كان كذلك بالقوة كان كذلك أيضا بالفعل • وهاتان القابليتان فى الخارج لا يجتمعان مطلقا • فكل الذى يمكن حقيقة هو أن الجسم يكون قابلا للقسمة فى نقطة ما • وهاذا لا =

للقسمة بالفعل • ولكن الذى يظهر انه محال تماما هو أن جسما يكون قابلا للقسمة وغير قابل لها معا بالقوة لانه اذا كان ذلك ممكنا فلا يكون أبدا بهذا الوجه أن الجسم يجمع بين الخاصتين بأن يكون غير قابل للقسمة وقابلا لها معا بالفعل • بل انه يكون فقط قابلا للقسمة بالفعل فى نقطة ما • واذا لا يبقى منه شيء مطلقا ويتحول الجسم الى شيء غير جسمانى • ومع التسليم بأنه يمكنه أن يكون ثانية اما بأن يأتى من النقط أو أن لا يأتى من شيء أبدا على الاطلاق فكيف يصير كون الجسم من جديد ممكنا •

§ ١٨ — أما ما هو بين فهو أن الجسم ينقسم بالفعل الى أجزاء متميزة ومنفصلة والى أعظام أصغر فأصغر دائما تتباعد بعضها عن بعض وتنعزل • ولكن من المحقق أيضا أن هذه التجزئة البعضية لا يمكن أن يجاوز بها الى اللانهاية وانه ليس من الممكن أيضا قسمة الجسم فى آية نقطة ما لان هذه القسمة غير المحدودة ليست ممكنة الاجزاء ولا يمكن أن تتمشى الى حد معين •

§ ١٩ — يلزم اذا أن توجد ذرات أو أعظام لا تتجزأ خصوصا اذا سلم أن كون الاشياء وفسادها يحصلان أحدهما بالتفرق والآخر بالاجتماع ذلك هو الاستدلال الذى يظهر انه يبين ضرورة وجود الاعظام غير القابلة للقسمة أو الذرات • ونحن نتكفل باثبات أن هذا الاستدلال يرتكز من حيث لا يشعر على سفسطة مستورة بستار سنكشفه عنها •

= يفيد أنه قابل للقسمة مطلقا لانه حينئذ لا يبقى بعد القسمة شيء أصلا ويتحول الجسم اذا الى شيء غير جسمانى • — الجسم ••• غير جسمانى — هذا التقابل موجود بلفظه فى النص • — من النقط — التى هى ليست محسوسة ما دامت مفروضة عديمة الامتداد • — من شيء أبدا على الاطلاق — أو ربما كان « من العدم • من لا شيء • » — كون الجسم من جديد — عبارة النص ليست بهذا الضبط •

§ ١٨ — ينقسم بالفعل — أضفت هذه الكلمة الاخيرة لبيان المعنى تماما • — أصغر فأصغر دائما — على حسب المادة التى هى موضوع القسمة والآلات التى تستخدم لذلك • — تتباعد — هذه عبارة النص وربما كانت غير مناسبة • — وتنعزل بعد عملية القسمة • — التجزئة — أو التصغير أى تصغير الشيء الى أجزاء دقيقة ثم الى أدق منها وهكذا • — الا الى حد معين — فى الخارج مع أنها فى الذهن ممكنة الى ما لانهاية •

§ ١٩ — يلزم اذا — حيثما لا يؤخذ الا بالظواهر المحسوسة القابلة للمشاهدة يكون مذهب الذرات مذهبا حقا جدا • لان التجزئة فى الواقع يجب أن تقف عاجلا ثم تصادف على ما يظهر عقبة كؤودا فى الجزئيات التى لا تستطيع أن تنالها التجزئة — بالتفرق لعناصر لا تقبل النقص ولا الزوال • بالاجتماع — بين هذه العناصر بعينها • — الذرات — أضفت هذه الكلمة لان الذرات غير قابلة للقسمة كما يدل عليه اسمها وفوق ذلك فانها غير قابلة للقسمة بالنسبة لنا بسبب دقتها • — ونحن نتكفل — عبارة النص أقل ضبطا من هذه ولكنى أردت بهذا التعبير تأدية معنى الجدة التى استعملها المؤلف فى عبارته • — سنكشفه عنها — ان البيان الآتى قد يبين عليه عدم مطابقته تمام المطابقة لهذا الوعد •

§ ٢٠ ـ كما أن النقطة لا تتصل بالنقطة فقابلية القسمة المطلقة تكون من جهة متعلقة بالاعظام ومن جهة أخرى غير متعلقة بها • ومن يسلم بهذه النظرية يظهر أنه يسلم أيضا بأنه لا يوجد بعد الا النقطة التي هي في كل مكان وفي كل اتجاه • وبنتيجة ضرورية فان العظم بالتجزئة يصير لا شيء لان النقطة ما دامت في كل مكان فالجسم لا يمكن أن يتركب الا من التماسات أو من النقط •

§ ٢١ ـ وحينئذ فمعنى هذا هو الرجوع الى القول بأن الجسم قابل للقسمة مطلقا ما دام يوجد في كل محل نقطة ما وأن كل النقط مجتمعة هي ككل واحدة منها على حدة وانه في الواقع لا يوجد أكثر من واحدة لان النقط ليست متتابعة بعضها لبعض • والنتيجة أيضا أن الجسم ليس قابلا للقسمة مطلقا • لانه اذا كان الجسم قابلا للقسمة في وسطه فانه يكون قابلا لها في النقطة التي تتصل بهذا الوسط • ولكن الآن غير متصل بالآن كما أن النقطة لا تتصل بالنقطة • على أنه في هذا تنحصر قسمة الاجسام وتركيبها بحيث انه يوجد أيضا اجتماع وافتراق للاجزاء • ولكن الجسم مع ذلك لا يتحول الى ذرات وانه لا يأتي من ذرات • تلك النظرية التي تشمل صعوبات عديدة لا يمكن حلها • كذلك لا يمكن أن يتركب الجسم بطريقة بها تكون التجزئة ممكنة لا الى حد ما • فاذا كانت النقطة تتبع في الواقع النقطة كان الامر كذلك ولكن الجسم ينحل الى أجزاء متدرجة في الصغر وأن الاتحاد حصل بين أصغر الاجزاء •

---

§ ٢٠ ـ لا تتصل بالنقطة ـ ما دامت النقط معتبرا أن ليس لها أقل امتداد • ـ ومن يسلم بهذه النظرية ـ التي هي أن الجسم قابل للقسمة مطلقا • بالتجزئة ـ في النقط التي يقال انه مركب منها • ـ الا من التماسات أو النقط ـ ر ما سبق ف ١٦

§ ٢١ ـ بأن الجسم قابل للقسمة مطلقا ـ هذا هو المعنى الذي اتخذه فيلوبون وهو مع ذلك يجد أن المعنى ليس واضحا على قدر الكفاية • وان هذه المناقشة كلها هي في غاية الاضطراب ومن الصعب الوقوف فيها على الفكرة الحقيقية للمؤلف • ـ يوجد في كل محل نقطة ما ـ يعني أن التجزئة يمكن أن تحصل في أي نقطة كيفما اتفق • ـ لا يوجد أكثر من واحدة ـ في الواقع انه يوجد من النقطة بقدر ما يراد ولكنها كلها متشابهة فلا يمكن أبدا أن يؤخذ منها في الدفعة الواحدة الا نقطة واحدة • والنتيجة أيضا ـ النص ليس كذلك من حيث ضبط العبارة ولكني اضطررت الى زيادة لضبط لاوفق بينه وبين الترديد المذكور في الفقرة السابقة • ـ الآن ••• ••• النقطة ـ الكلمتان المقابلتان لهما في النص اليوناني أكثر تقاربا بينهما من الكلمتين اللتين اضطررت لاستعمالهما في الترجمة • ـ للاجزاء ـ أضفتها من عندي • ـ صعوبات عديدة لا يمكن حلها ـ عرض بعضها في الكلام السابق • ـ ممكنة لا الى حد ما ـ وذلك يهدم مذهب الذرات • على هذا يكون أرسطو يرفض الكل ويقبل هذا المذهب لانه يجد من كل ناحية صعوبات لا يمكن التغلب عليها • ـ فاذا كانت النقطة تتبع في الواقع النقطة ـ هذ يظهر عليه أنه تذييل دسه في النص بعض المفسرين

٢٢ ــ الكون المطلق الكامل للاشياء لا يقصر كما زعموا على اجتماع العناصر وتفرقها كما أن الاستحالة ليست مجرد تغير فى الكتلة • بل ذلك خطأ تام يقع فيه كل الناس • ونكرر مرة أخرى انه لا يوجد كون وفساد مطلقان للاشياء باجتماع العناصر وافتراقها • انما يوجدان فقط متى يتغير شيء بكلة عند ما يأتى من شيء آخر بعينه •

§ ٢٣ ــ وقد يظن أيضا أن الاستحالة هى تغير ما من هـــذا القبيل ولكن ها هنا فرقا عظيما • فان فى الموضوع جزءا يرجع الى الكنه وجزءا يرجع الى المادة فمتى فقط حصل التغير فى هذين الامرين فهناك حقا كون وفساد • ولا يكون الا مجرد استحالة متى حصل التغـــير فى الخواص والكيوف العارضة للشيء •

§ ٢٤ ــ فما هو الا بافتراق الاشياء وباجتماعها انها تصـــير قابلة للفساد بسهولة مثال ذلك متى تجزأ الماء الى نقيطات صغيرات تتحـــول بأسرع ما يكون الى هواء ، فى حين أنها اذا بقيت كتلة تصير هواء بأبطأ من ذلك •

§ ٢٥ ــ على أن هذا سيتضح فيما يلى • ولكن ها هنا أردنا فقـــط اثبات أن من المحال أن يكون كون الاشياء مجرد تأليف كمـــا زعم بعض الفلاسفة •

---

§ ٢٢ الكون ــ كل آخر هذا الباب هو استطراد يبعد المؤلف به شيئا فشيئا عن الفكرة التى كان يظهر عليه أول الامر متابعة القـــول فيهـــا • ــ اجتمـــاع العناصر وتفرقها ــ لان العنصر حينئذ هى أسبق من المركب الذى يتركب منها • ــ عندما يأتى من شيء آخر بعينه ــ عبارة النص ليست محكمة فان هناك أيضا لا يوجد كون بالمعـــنى الخـــاص •

§ ٢٣ ــ الاستحالة ــ الاستطراد مستمر • عظيما ــ أضفت هذه الكلمة • ــ فى الموضوع أو فى الشيء • ــ الى الكنه ــ الحد والماهية • ــ هذين الشيئين ــ أضفت علامة التثنية وصيغة النص صيغة جمع • ــ حقا ــ أضفت هذه الكلمة •

§ ٢٤ ــ فما هو الا بافتراق الاشياء وباجتماعها • ر ما سبق فى آخر الفقرة ٢٢ ــ متى تجزأ الماء ــ المشاهدة صحيحة وقد حصلت من زمان بعيد لان هذه الظاهرة تقـــع تحت النظر فى غالب الاحيان (الميتيرولوجيا ك ٢ ب ٢ ف ١٨ من ترجمتى) • ــ تتحول بأسرع ما يكون الى هواء ــ أو بعبارة أخرى تتبخر •

§ ٢٥ ــ على أن هذا سيتضح فيما يلى ــ ذلك بأن المؤلف نفسه أحس أنه لم يكن دائما مبينا بقدر ما يطلب منه • ــ مجرد تأليف ــ سواء أكان اجتمـــاعا أم افتراقا • راجع ما سبق ف ١٩

الباب الثالث

فى الكون المطلق وفى فساد الاشياء ـ صعوبة هذه المسألة ـ الكون والفساد الاضافيان ـ النمط الذى يتخذ فى هذا البحث ـ شواهد من كتاب الحركة ـ أبدية الكائنات وتعاقبها المستمر ـ تبادل الكون والفساد ـ تمييز لفظى مهم ـ استشهاد بيرمينيد ـ الفرق بين الكون المطلق والكون الاضافى ـ فروق الفساد باعتبار هذين الوصفين ـ الرأى العامى فى هذا الموضوع فى أن شهادة الحواس تعطى أكثر مما تستحق ـ توضيحات مختلفة ـ طريقة فهم ابدية الظواهر ·

---

١ ـ متى تقرر هذا يلزم البحث أولا فيما اذا كان يوجد فى الواقع شىء يولد ويموت بطريقة مطلقة أو ما اذا كان لا يوجد شىء يولد ويموت بالمعنى الخاص · وفى هذه الحالة يلزم فحص ماإذا كان أى شىء مالا يأتى دائما من شىء آخر هو يخرج منه : مثال ذلك من المريض يأتى الصحيح ومن الصحيح يأتى المريض أو كالصغير يأتى من الكبير والكبير يأتى من الصغير وكل الأشياء بلا استثناء «تكون» بهذه الطريقة عينها · اذا سلم بكون مطلق يلزم حينئذ أن الموجود يأتى مطلقا من اللاموجود أى من العدم بحيث يحق التأكيد بأن العدم يتعلق ببعض الموجودات · والكون الاضافى يمكن أن يأتى من لا موجود اضافى · ومثال ذلك الابيض يمكن أن يأتى من اللا أبيض أو الجميل يأتى من اللاجميل · لكن الكون المطلق يجب أن يأتى من اللاوجود المطلق ·

٢ ـ حينئذ المطلق ها هنا يدل اما على الاولى فى كل مقولة للموجود

---

§ ١ ـ بطريقة مطلقة ـ أعنى من غير أن يوجد شىء يسبقه ومنه يمكن أن يخرج ـ بالمعنى الخاص ـ يعنى بالمعنى المطلق للكلمة · ـ وفى هذه الحالة ـ يعنى فى حالة افتراض أن لا يوجد كون مطلق · وأن الموجود الكائن يخرج دائما من موجود سابق عليه· ـ وقد قطعت الجملة لانها فى النص قد طالت أكثر مما يلزم ، من المريض يأتى الصحيح ـ يعنى أن الموجود المريض يرجع صحيحا · أو بالعكس يصير الصحيح مريضا · فالموجود اذا لا يكون بالمعنى الخاص · بل هو فقط يتغير حاله ويمر بكيفيات مختلفة · ولكنه كائن أولا ومن قبل أن يلحقه التغير · ـ يكون مطلق ـ يعنى أن الشىء الذى لم يكن من قبل قد وجد وهو يخرج من العدم حيث كان فيه قبل الوجود ·· ـ من اللاموجود من العدم ـ ليس فى النص الا كلمة واحدة وعلى هذا لمعنى يقال عن شىء ما أنه مغمور فى العدم ـ وان «العدم يتعلق ببعض الموجودات » كما هى عبارة النص · ولقد يظهر على العبارة صورة التناقض على أنها صادقة · ـ الابيض يمكن أن يأتى من اللا أبيض ـ أعنى أن شيئا لم يكن أبيض يمكن أن يصير أبيض · وليس ذلك هو الكون بالمعنى الخاص بل هو مجرد تغير أو مجرد استحالة · ـ الكون المطلق يأتى من اللاوجود المطلق ـ يعنى ان شيئا يكون بعد أن لم يكن ، خارجا من العدم الذى كان فيه ·

§ ٢ ـ حينئذ المطلق هاهنا يدل اما على الاولى ـ المطلق يظهر انه لا يمكن استعماله فى هذا المعنى الضيق ولكن هذا هنا هو مجرد تمييز لفظى كله تحكم · فى كل مقولة للموجود ـ يعنى فى جميع المقولات الا فى مقولة الجوهر فان الاولى هو الحد الاعلى وعلى ذلك =

وأما على الكلي أعني الذى يشمل ويحوى كل شيء • فاذا كان الاولى هو مدلول المطلق فهناك كون للجهورات مما هو ليس بجوهر • ولكن ماليس له جوهرية وما ليس البتة شيئا معينا بذاته لا يمكنه بالبداهة أن يكون لاى واحدة أخرى من المقولات كالكيف والكم والاين ••• الخ لانه حينئذ يكون معناة التسليم بأن كيوف الجواهر يمكن ان تنفصل عنها • فاذا كان اللاموجود هو بصورة عامة مدلول المطلق فذلك هو النفى الكلى لجميع الاشياء وعلى ذلك فما يولد وما يكون يلزم ضرورة أن يولد من لا شيء •

٣ — على اننا قد تكلمنا على هذا الموضوع فى موضع آخر وبحثناه بأطول من ذلك ولكننا نلخص هاهنا فكرتنا ونقول فى قليل من الكلمات ان من وجه يمكن أن يوجد كون مطلق لشيء آت من انعدم اللاوجود • ومن وجه آخر لا شيء يمكن أبدا أن يأتى الا مما هو موجــود • ذلك فى الحق ان ماهو بمجرد القوة وليس بالفعل يجب أن «يكون» أولا وبالضرورة على الوجهين اللذين بيناهما آنفا ولكنه لابد مع ذلك من العناية الكبرى فى فحص هذه المسألة التى يمكن أن صعوبتها تدهشنا حتى بعد الايضاحات التى أسلفناها • وتلك المسألة هى كيف أن الكون المطلق يحصــل سواء اكان يأتى مما هو بالقوة أم يأتى بأى وجه آخر •

٤ — يمكن البحث فى الحق فيما اذا كان يوجد فقط كون للجــوهر ولشيء معين بالفعل أو ما اذا كان لا يوجد أيضا كون للكيف وللكم وللاين

= ففى مقولة الكيف ليس المقصود واحدة من الكيوف الخاصة بل هو الكيف نفسه • — وأما على الكلي — يعنى الجوهر والى هذا المعنى ينصرف عادة لفظ المطلق • — يشمل ويحوى كل شيء — ليس فى النص لا كلمة واحدة • ونعنى ذلك أنه يلزم أولا أن يوجد الشيء حتى يمكن بعد أن يوصف بأى كيف أتفق • — فاذا كان الاو لى هو مدلول المطلق — اضفت الكلمات الثلاثة الاخيرة لجعـــل الفكرة اكثر ضبطا وجــلاء • — فهناك كون للجوهر — التعبير لا يظهر أنه على ما ينبغى • فان المقصود ليس هو الجوهر بالضبط بل هو مجرد وجود مكيف تبعا لكل مقولة فان شيئا يصير أبيض بعد أن لم يكن أبيض من قبل • — الخ — وضعت هذه الــكلمة للدلالة على أن جميـــع المقولات ليست مذكورة هنا • — كيوف — عبارة النص أعراض • مدلول المطلق — رأيت من الواجب تكرير هذه العبارة لتكميل النص • — النفى الكلى لجميع الاشياء — ولعل أحسن من ذلك أن يقال : « النفى الكلى لجميع المقولات » بما فيها مقولة الجوهر • — ما يولد وما يكون — ليس فى النص الا أحد الفعلين •

§ ٣ فى موضع آخر — يعنى فى الكتاب الاول من الطبيعة بـ ٨ ف ١ وما يليهــا ص ٤٧٣ من ترجمتنا كما نبه اليه فيلوبون • — آت من العدم من اللاوجود — ليس فى النص لا كلمة واحدة • — لاشيء يمكن أبدا أن يأتى — ليست عبارة النص بهذا التقدر من البيان • — ماهو بمجرد القوة — الممكن ليس موجودا على التحقيق ولكنه يكفى امكان وجوده لاجل أن يكون له وجود بنوع ما • — على الوجهين اللذين بيناهما — زدت هاتين الكلمتين الاخيرتين ، وبعبارة أخرى الممكن كائن وغير كائن معا •

§ ٤ — اذا كان يوجد فقط — أضفت الكلمة الاخيرة • — كون للجـــوهر — ويمكن ترجمتها بهذه العبارة « اذا كان الكون يتعلق بالجوهر » • — بالنسبة الى الفساد — الذى =

... الخ . وهذه الاسئلة عينها توجه على السواء بالنسبة الى الفساد . وانه اذا كان بالفعل شيء يكون أو يولد فمن الواضح انه يجب وجود جوهر ما بالقوة على الاقل ان لم يكن بالفعل وبالكمال منه يخرج كون الشيء وفيه يتغير بالضرورة متى فسد .

٥ ـ هل من الممكن أن واحدة من المقولات الاخرى التي هي بالفعل وبالكمال المحض تتعلق بهذا الموجود بالقوة ؟ أو بعبارة أخرى هل يمكن تطبيق معاني الكيف والكم والاين على هذا الذي ليس شيئا الا بالقوة وبالقوة فقط بدون أن يكون شيئا بذاته بطريقة مطلقة حتى ولا أن يكون مطلقا أبدا ؟ لانه اذا كان هذا الموجود ليس أي شيء بالفعل ولكنه كل الاشياء بالقوة فان اللاموجود المفهوم على هذا النحو يمكن أن يكون ذا وجود منفصل وحينئذ يوصل الى هذه النتيجة التي هابها الفلاسفة الاولون أكثر من كل شيء وهي ايجاد الاشياء من العدم المحض ولكنه اذا لم يسلم أن هذا يكون موجودا حقيقيا أو جوهرا وأنه شيء آخر من المقولات المذكورة فحينئذ يفرض كما قلنا آنفا أن الكيفيات والاعراض يمكن أن تكون منفصلة عن الجواهر .

§ ٦ ـ تلك هي النظريات التي يلزم مناقشتها هنا بالقدر المناسب كما انه يلزمنا البحث عما هي العلة التي تجعل كون الموجودات أبديا سواء الكون المطلق أو الكون البعضي . مادام لا يوجد على رأينا الا علة واحدة أو أحد منها ينبعث مبدأ الحركة وما دام لا يوجد أيضا الا مادة واحدة او أحد يلزم ايضاح ما هي هذه العلة .

= هو ضد الكون . أفلا يوجد كون وفساد :لا في مقولة الجوهر ؟ أيوجد أن أيضا في المقولات الاخرى . ـ بالفعل ـ زدت هذه الكلمة . ـ جوهر ما ـ كلمة جوهر بعينها موجودة في النص ولكن يظهر أن الجوهر يجب دائما أن يكون بالفعل لا أن يكون ممكنا مجرد امكان . ـ بالفعل وبالكمال ـ ليس في النص الا كلمة واحدة .

§ ٥ واحدة من المقولات الاخرى ـ يعني احدى المقولات الاخرى غير مقولة الجوهر . ـ بهذا الموجود بالقوة ـ النص ليس بهذا الوضوح . ـ والاين ـ أو أي مقولة أخرى . ـ ذا وجود منفصل ـ وهذا تناقض . ـ التي هابها الفلاسفة أكثر من كل شيء ـ الفلاسفة الذين لم يستطيعوا أبدا أن يقبلوا بأية صورة معنى العدم . من العدم المحض ـ عبارة النص بالضبط هي « من العدم السابق :لوجود » . ـ كائن حقيقي ـ يمكن أن يضاف « متميز » فاذا كان الممكن ليس جوهرا أفيقال أنه واحدة أخرى من المقولات . ـ المذكورة آنفا ـ كما قلنا آنفا ـ ر ف ٢ .

§ ٦ ـ بالقدر المناسب ـ لهذا الموضوع الخاص الذي ندرسه في هذا الكتاب . ـ العلة التي تجعل كل الموجودات أبديا ـ ليس هذا شيئا آخر الا الإسناد الى الله الذي هو خالق الاشياء وحافظها كما هو مبين بعد . ـ سواء الكون المطلق ـ يعني الذي يخرج الاشياء من العدم . ـ أو الكون البعضي ـ يعني كون الكيفيات المتعاقبة على الاشياء . ـ علة واحدة أو أحد ـ هي المحرك الذي لا يتحرك . ـ مادة واحدة أو أحد ـ فيها يفعل المحرك الاول . ما هي هذه العلة ـ ما هنا عبارة النص ينقصها قليل من الجلاء ، لان السياق يقتضي علتين لا علة واحدة وهما علة فاعلة وعلة مادية .

§ ٧ ـ ولكنا سبق بنا ان تكلمنا عليها فى كتابنا «الحركة» اذ قررنا فيه أنه يوجد من جهة شيء غير متحرك طول الابد كله ومن جهة أخرى شيء على ضد ذلك واقع فى حركة أبدية • فدراسة المبدأ غير المتحرك للاشياء تتعلق بفلسفة أخرى عليا • وأما المحرك الذى يحـــرك كل البقية ، لانه هو نفسه قد حرك بحركة مستمرة ، فاننا سنتكلم عليه فيما بعد عندما نوضح ما هى علة كل واحدة من الظواهر الخاصة • وهنا نقتصر على علاج هذه العلة التى تظهر بصورة مادة والتى تجعل أن كون الاشياء وفسادها لا يتخلفان فى الطبيعة • ولكن هذه المناقشة قد تجلو أيضا الشك الذى أثرناه آنفا وسيرى كيف ينبغى أن يعنى أيضا بالفساد المطلق وبمطلق كون الاشياء •

§ ٨ ـ ومع ذلك فانها مسألة محيرة أن يعرف ماذا عسى أن تكون العلة التى تدبر وتسلسل تناسل الاشياء اذا فرضنا أن ما يفسد يرجـع الى العدم وان اللاوجود ليس شيئا لان ما ليس موجودا ليس جوهرا ولا كيفا ولا كما ولا أينا الخ لانه حينئذ مادام فى كل آن واحد من الكائنات يبيد وينعدم كيف يتأتى أن العالم بتمامه لم يكن قد فنى منذ زمان طويل ألف مرة اذا كان المنبع الذى يأتى منه كل واحد من هذه الكائنات محدودا ومتناهيا ؟ فى الحق اذا كان هذا التوارث الابدى لا ينقطع البتة فليس ذلك بأن الينبوع الذى تصدر منه الكائنات يكون غير متناه لان ذلك محـال

---

§ ٧ ـ فى كتابنا « الحركة » هذا العنوان يدل على كتاب الطبيعة • ـ اذا قررنا فيه ـ ر • الطبيعة ك ٨ ب ٣ ف ٢ من ترجمتنا • ر • أيضا أوائل كتاب الطبيعة والتحقيق الخاص للعنوانات المختلفة لهذا الكتاب • ـ بفلسفة أخرى عليا ـ يعنى ما بعد الطبيعة • ر • الكتاب السابع من ترجمة كوزان • ـ سنتكلم عليه فيما بعد ـ ر • ـ الباب العاشر من الكتاب الثانى من هذا المؤلف • ـ الظواهر ـ او الكائنات • ـ العلة التى تظهـــر بصورة مادة يعنى العلة المادية • ـ لا يتخلفان ـ هــذا هو التعاقب الابـدى للكائنات • ولـــكن فى مذهب ارســطو لما أن العالم ليس له أول ولا ينبغى ان يــكون له آخر فتعاقب الكائنات يجب أن يستمر كما ترى • وهــذه المسألة قد بحثت أيضا فى الكتاب الثامن من الطبيعة ب ٧ ف ٤ وفى الكتاب الثالث ب ٥ ف ٤ ـ بالفساد المطلق وبمطلق كون الاشياء • ـ يعنى امكان أن شيئا يجيء من العدم ويرجع اليه •

§ ٨ ـ التى تدبر وتسلسل ـ ليس فى النص الا كلمة واحدة • ـ يرجع الى العدم ـ او « ينهب الى العدم » • ـ ليس جوهرا ولا كيفا ـ ـ أعنى فى أى مقول من المقولات • ـ ولا أينا ـ ليس هنا الا أربعة مقولات معدودة عوضا عن عشرة • لذلك وضعت لفظ ... الخ • ـ العالم بتمامه ـ عبارة النص بالضبط « الكل » • ـ محدودا ومتناهيا ـ ليس فى النص الا كلمة واحدة • هذا التوارث الابدى ـ عبارة النص ليست بهــذا الوضوح • ـ وقد وضحنا ـ ر • الطبيعة نظرية اللانهاية ك ٣ ب ٥ ف ٤ • وب ٢ ف ٥ • ـ اضعف فاضعف ـ ذلك فى الحق هو نظرية أرسطو فى الطبيعــة • ولــكن يظهر أنه يمكن أن يكون نمو الاشياء غير متناه وكذلك قسمتها ما دام الموضوع من كل وجه تخيلية محضة • ـ بهذا السبب وحده أن فساد شيء ـ هذا الفرض عينه موجود فى كتاب الطبيعة ك ٣ ب ١٢ ف ٢ من ترجمتنا •

تماما ما دام أنه في الواقع لا شيء غير متناه . وأنه انما يكون فقط بالقوة أن شيئا يمكن ان يكون غير متناه في القسمة . وقد وضحنا ان القسمة هي وحدها محل عدم الانقطاع وعدم الفوات لانه يمكن دائما الحصول على كمية أضعف فأضعف . ولكنا ها هنا لا نرى وجها للمشابهة . أفلا تصير أبدية التعاقب ضرورية بهذا السبب وحده أن فساد شيء هو كون شيء آخـــر وان العكس بالعكس كون هذا موت ذلك او فساده ؟ .

٩ — وبهذا تلغى علة يمكنها أن تكفي لتوضيح كل شيء بالنسبة لكون الاشياء وفسادها ، هاهنا في عمومها وهناك في كل فرد من الكائنات بخصوصه . على أنه مع هذا يلزم البحث في أنه لماذا عند الكلام على بعض الاشياء يقال بطريقة مطلقة انها تكون وتهلك في حين انه عند الكلام على بعض أشياء أخرى لا يقال ذلك على اطلاقه ، اذا كان حقا أن كون موجود بعينه هو عين فساد آخر واذا كان العكس بالعكس فساد هذا هو كون لذاك .

§ ١٠ — هذا التباين في التعبير يقتضي أيضا أننا يفسر ما دام اننا نقول عن كائن في حالة بعينها أنه فسد مطلقا لا انه فسد من وجه بعينه فقط وما دمنا نصرف الكون الى معنى مطلق كما نصرف الفساد ســـواء بسواء . على ذلك فشيء بعينه يصير شيئا آخر بعينه ولكنه لا يصير على الاطلاق . أنظر مثلا كيف نقول عن شخص يتعلم انه يصير عالما ولكننا لا نقول من أجل ذلك انه يصير ويكون على الاطلاق . وبادكار ما قلناه غالبا من أن بعض الاسماء تدل على جوهر حقيقي والبعض الآخر لايدل عليه يمكن معرفة من أين تأتي المسألة المطروحة ها هنا . لأنه يهم كثيرا أن يعين فيم يتغير الشيء الذي يتغير ، مثال ذلك تحول الشيء الذي يصير نارا يمكن أن يسمى كونا مطلقا ولكن أيضا فسادا لشيء للارض مثلا . وكذلك كون الارض هو بلا شك أيضا كون ، ولكنه ليس كونا مطلقا مع انه فساد مطلق ومثلا فساد النار .

---

§ ٩ — ها هنا في عمومها — النص ليس بهذه الصراحة . — بطريقة مطلقة — من غير تحديد ولا تقييد من أي نوع .

§ ١٠ هذا التباين في التعبير — عبارة النص هي : « هذا » فقط . — انه فسد مطلقا — يعني أنه يمر من الوجود الى اللا وجود بوجه تام وينقطع عن الوجود بعـــد أن بقي فيه زمنا ما . — من وجه بعينه فقط — يعني مثلا أن شيئا يصير أبيض بعد أن كان أسود فانه لا ينقطع بذلك عن أنه "كائن مطلقا" وفقط انه انقطع عن كونه أبيض . وانه فسد من حيث أنه أبيض دون أن يفسد حقيقة . — عن شخص يتعلم — وانه على ذلك لم يكن بعد عالما ثم يصير اذا عالما . ولكن لا يمكن أن يقال بوجه مطلق أنه يصير كما لو انه وجد مثلا انه يصير ويكون — ليس في النص الا كلمة واحدة . ما قلناه غالبا — يمكن أن يراجع كتاب المقولات ب ٤ ف ١ . — بعض الاسماء — عبارة النص غير محدودة . — جوهر حقيقي — عبـــارة

§ ١١ — بهذا المعنى كان برمينيد لا يعترف الا بشئين فى الدنيـــا الموجود واللا موجود وهما عنده النار والارض • على انـه ليس من المهم افتراض هذه العناصر أو عناصر آخرى مشابهة لها لاننا لا نبحث الا فى الطريقة التى بها تحصل الظواهر لافى موضوعها • اذا التغيير الذى يوصل الاشياء الى اللا وجود المطلق انما هو فساد مطلق وبالعكس ما يوصلهـــا مطلقا الى الوجود هو كون مطلق • ولكن مهما كانت الجواهر التى يعتبر فيها الكون والفساد سواء النار أو الارض أو أى عنصر آخر مشابه فان الكون والفساد لا يزالان أحدهما للوجود والآخر للا وجود •

§ ١٢ — هذا اذا هو فرق أول فى التعبير يمكن تقريره بين الكون والفساد المطلقين وبين الكون والفساد اللذين ليسا مطلقين • وفرق آخـر يمكن أن يميزها وهو المادة التى يحصلان فيها أيا كانت هذه المادة فالتى تدل فصولها دلالة أكثر على هذه الحقيقة بعينها أو تلك هى أيضا ادخل فى الجوهرية والتى تدل فصولها دلالة أكثر على العدم هى أدخل فى اللاموجود • وعلى ذلك فالحرارة مقولة ما ونوع حقيقى وعلى الضد البرودة فانها ليست الا عدما • وبهذه الفصول بعينها تتميز الارض والنار •

§ ١٣ — عند العامى ، انما يقرر الفرق على الاخص بين الكون وبين

النص بالضبط « شيء » « معين » •— فساد الشيء للارض مثلا —يعنى أن الارض يجب أن تفسد لتصيرنا ر مع التسليم بان هذا التحول ممكن كما يفترضه برمينيد • — فساد النار — الملاحظة بعينها •

§ ١١ — الموجود واللاموجود —فى كتاب الطبيعة ك١ ب٦ ف١ هو البارد و الحار لا الموجود واللا موجود اللذان اعتبرهما برمينيد العنصرين الاولين • ومع ذلك فان البارد والحار هما مرادفا أيضا فى ذلك الكتاب للارض والنار • — على أنه ليس من المهم — يحس أرسطو هاهنا أن تحول الارض الى نار او النار الى ارض فرض غريب فى بابه •— لافى موضوعها — يعنـى الموضوع الذى فيه تتحقق الظواهر والذى يمكن أن يكون على السواء الارض أوالنارأوأى جسم آخر كيفما اتفق • فان الجوهر يمكن ان يتغير ولكن الظاهرة هى دائماهى بعينها • ومع ذلك فان ارسطو قد بين عبارته بيانا وضعيا فيما يلى •

— التغير الذى يوصل — ليس النص بهذه الصراحة •—سواء النار أو الارض — كما يريد برمينيد • — أحدهما للوجود — وهو الكون أو التولد • — والآخر للاوجود — وهو الفساد أو التلف •

§ ١٢ — فرق اول فى التعبير — ليست عبارة النص على هذا الضبط •— التى يحصلان فيها — أضفت هذه الكلمات لايضاح الفكرة •— هذه الحقيقة بعينها أو تلك — عبارة النص هى بالبساطة « شيء بعينه » •— وعلى ذلك فالحرارة مقولة — قد لا يكون هذا المثل مختارا اختيارا حسنا • فاذا كان البرد هو عدم الحرارة فقد يمكن القول ايضا بان الحرارة عـــدم البرودة • فان الحرارة والبرودة هما على السواء بيان أحدهما ضد للآخر •— تتميز الارض والنار — ر• الفقرة السابقة • وعلى حسب تفسير فيلوبون ان النار أدخل فى الجوهرية من الارض • فاذ بها الايجاب أو الملكة فى حين أن الارض ليست الا العدم •ر• آخر الفقرة الآتية :

§ ١٣ — الفرق بين الكون وبين الفساد — الترجمة أضبط من النص • —فمتى وجد

الفساد هو أن الواحد مدرك بالحواس وان الآخر ليس كذلك . فمتى وجد تغير في مادة محسوسة قال العامي ان الشيء يولد ويكون كما يقول انه يموت ويفسد حينما يتغير الى مادة غير مرئية . ذلك بأن الناس يعرفون على العموم الوجود واللاوجود تبعا لما اذا كانوا يحسون الشيء أو لا يحسونه . كما انهم يعتبرون الموجود مايعرفونه واللاموجود مايجهلونه . فحينئذ . الحس هو الذى يؤدى وظيفة العلم . وكما أن الناس لا يدركون حقيقة حياتهم وكونهم الا لانهم يحسون أو يمكنهم أن يحسوا ، كذلك أيضا ادراكهم لوجود الاشياء اذ يبحثون عن حقيقتها وما هم بواجديها فيما يقولون .

§ ١٤ ــ ذلك أن الكون والفساد المطلقين هما متغايران تماما تبعا لاعتبارهما على حسب الرأى العامي أو لاعتبارهما فى حقيقتهما الواقعية . اذا الهواء والريح أقل من سواهما فى مراتب الوجود من حيث كونهما جسمين اذا كان المرجع فى ذلك الى مجرد شهادة الحواس . ومن أجل ذلك يظن أن الاشياء التى فسدت مطلقا تفسد بالتحول الى هذين العنصرين فى حين أنه يعتقد أن الاشياء تولد وتكون متى تحولت الى بعض عناصر يمكن لمسها أى الى أرض مثلا ولكن فى الحق ذانكم العنصران هما جوهر ونوع أكثر من الارض نفسها .

§ ١٥ ــ اذا قد وضح ما يدل على أنه يوجد الكون المطلق من حيث كونه فسادا لشيء والفساد المطلق من حيث كونه كونا لشيء أيضا . وهذا

تغير ــ الترجمة اضبط من النص . ــ يولد ويكون ... يموت ويفسد ــ ليس فى النص فى كلا الطرفين الا كلمة واحدة . ــ ادراكهم لوجود الاشياء . ــ يعنى على حسب ان الاشياء محسوسة او غير محسوسة أولا يمكن أن تحس .

§ ١٤ ــ على حسب الرأى العامي ــ يمكن ترجمتها أيضا هكذا : أخذا بمجرد الظاهر ــ أقل من سواهما فى مراتب الوجود من حيث كونهما جسمين ــ عبارة النص هى بالضبط «اقل» فقط ــ الى مجرد شهادة الحواس ــ ما دام ان الهواء والريح يحسان اقل من العناصر الكثيفة مثل الارض والماء .
ــ الى هذين العنصرين ــ الهواء والريح . ــ مثلا ــ زدت هذا اللفظ لتمام الفكرة . ــ ونوع ــ أو صورة . وليس لفظ النص باكثر ضبطا من اللفظ الذى التزمت استعماله . ــ أكثر من الارض نفسها ــ ربما كان اللازم بيان علة هذه النظرية التى يظهر لاول وهلة انها مشكلة . اما فيلوبون فيزعم ان الهواء على الحقيقة اكثر جوهرية من الارض لانه يحيط بها وان له فوق ذلك خاصة الحرارة التى تزيد فى تمدده .
§ ١٥ ــ اذا قد وضح ــ ليس هذا الايضاح جليا كالمرغوب . وربما كان هذا الملخص الذى اثبت هنا سابقا لوقته . ــ انه يوجد ــ يظهر ان الاحسن هو ان يقال : «انه يظن ان يوجد» .
ولكنى لم اجرؤ على المخاطرة بهذا التغيير . ــ المادة ــ عبارة النص هى غير معينة ايضا كاللفظ الذى استعملته فى الترجمة فانه يمكن أن يتساءل : مادة أى شيء هى ؟ . ــ الواحدة ــ يعنى من هذين الشيئين .

يتعلق ، فى الواقع ، بأن المادة مختلفة اما لان الواحدة جوهر فى حين ان الأخرى ليست جوهرا واما لان الواحدة هى أكثر وان الاخرى أقل واما لان المادة التى يأتى منها الشىء والتى يذهب اليها هى أقل او اكثر حسية. ويقال على الاشياء تارة انها تولد وتصير بالاطلاق وتارة يقال بالتعيين انها تصير هذا الشىء بعينه أو ذاك من غير أن يأتى واحد من الآخر بالتكافؤ على النحو الذى نعنيه هاهنا . ونحن نقتصر فى الواقع الآن على ايضاح لماذا — ما دام أن كل كون هو فساد لشىء آخر وان كل فساد هو كون لشىء آخر أيضا — نحن لانسند على هذا الوجه عينه الكون والفساد الى الأشياء التى تتغير بعضها فى البعض الآخر .

§ ١٦ — على أن هذا لا يحل المسألة التى كنا وضعناها لانفسنا حلا نهائيا . بل هو يوضح لماذا يقـــال عن واحد يتعلم انه يصير عالما لا أنه يصير مطلقا فى حين أنه بالنسبة لشىء ينشأ طبيعة يقال بطريقة عامة انه يولد ويصير . تلك هى التعايين أى المقولات المختلفة التى بعضها يدل على الموجود الحقيقى والجزئى والآخر يدل على الكيف والآخر على الـــكم . وبالتالى لا يقال البتة على كل الأشياء التى لا تدل على جوهر انها تصـــير بطريقة مطلقة بل انها تصير كذا أو كذا من الاشياء . ومع ذلك فان الكون فى كل الاحوال على السواء لا ينطبق انطباقا صريحا الا على الأشيـــاء الداخلة فى احدى المجموعتين . مثلا فى مقولة الجوهر يقال ان الشىء يصير اذا تكون نار . ولا يقال ذلك اذا كان الذى يكون هو أرضا . وفى مقولة الكيف يقال عن الشىء انه يصير اذا صار الكائن عالما لا اذا صار جاهلا .

= — جوهر — يعنى شيئا شخصيا وخاصا . — هى أكثر — أو بعبرة أخرى « الواحدة لها وجود أكثر بروز وللاخرى وجود أقل حسية » . — تولد وتصير — لا يوجد الا كلمة واحدة فى النص الاغريقى — بالتعيين — أو فقط . — الذى نعنيه هاهنا — اذا نقول أن التولـــد المطلق هو فساد شىء آخر وان الفساد المطلق هو أيضا تولد . — نحن لا نسند على هذا الوجه عينه — كل هذه القيود دقيقة وغامضة . — الى الاشياء التى تتغير بعضها فى البعض الآخر — تلك هى الاحوال المختلفة التى بها يمر جسم بعينه كما يفهم من سياق الكـــلام الآتى . وليس هذا بالمعنى الخاص فسادا لكيف أو كونا له بل هو مجرد تعاقب .

§ ١٦— التى كنا وضعناها لانفسنا حلا نهائيا — على الروابط الحقيقية بين الكون المطلق وبين الفساد المطلق . — أنه يصير عالما — اذ أن جهله ينقلب علما كما أن علمه يمكن أن ينقلب جهلا اذا نسى ما حفظه . — ينشأ طبيعة — كلمة النص يظهر لى ان لها ما لهذا اللفظ الذى استخدمته فى الترجمة من القوة . — انه يولد ويصير — لايوجد فى النص الا كلمـة واحدة . — بعضها ... الموجود الحقيقى والجزئى وهو مقولة الجوهر . والنص اقل ضبطـا من ذلك . — والآخر على الكم — لا يوجد ها هنا الا ثلاث مقولات على التعداد مع أن المقولات عشرة . ر . كتاب المقولات ب٤ ص٥٨ من ترجمتنا . — انها تصير كذا أو كذا من الاشياء يعنى انها تتغير بالكيف او بالوضع ما دام المفروض ضرورة ان الجوهر هو ثابت تحت جميع

§ ١٧ – اذا فانظر كيف نوضح لماذا بعض الاشياء يكون بطريقة مطلقة وكيف أن البعض الآخر لا يكون لا بطريقة مطلقة ولا أصلا حتى فى الجواهر أعيانها • وقد قلنا أيضا لماذا الموضوع من حيث هو مادة هو علة الكون المستمر الابدى للاشياء نظرا الى أنه يمكن على السواء أن يتغير فى الاضداد وانه بالنسبة للجواهر كون ظاهرة هو دائما فساد لاخرى وبالتكافؤ أن فساد هذه كون لتلك •

§ ١٨ – على أنه لم يبق محل لان يتساءل لماذا ان هذا الفساد الدائم للموجودات هو الذى يجعل ان شيئا يمكن ان يكون • لانه كما يقال ان شيئا هو فاسد مطلقا حينما يمر الى اللامحسوس والى اللاموجود كذلك يمكن أن يقال انه يكون ويأتى من اللاموجود متى أتى من اللامحسوس • والنتيجة أنه سواء أكان هناك موضوع أولا أم لم يكن فان الشىء يأتى دائما من العدم بحيث ان الشىء فى آن واحد حين يكون يأتى من اللاوجود وحين يفسد يعود الى اللاوجود أيضا • وهذا هو الفاعل فى أنه ليس يوجد انقطاع ولا خلو • لان الكون هو فساد اللاوجود والفساد هو كون العدم •

§ ١٩ ولكن قد يتساءل عما اذا كان هذا اللاموجود المطلق هو ثانى

المقولات • – فى احدى المجموعتين – اللتى احداهما موجبة والاخرى سالبة • ومع ذلك فانما يلى كفيل بايضاح هذه الفكرة وان كانت الحدود التى اتخذت امثلة ربما لا يكون قد توافر فيها حسن الاختيار • – اذا تكون نار – لان النار معتبرة حدا ايجابيا فى حين ان الارض معتبرة حد سلبيا • – اذ كان الذى يكون هو ارضا – ر • ما سبق ف١٤ – اذا صار الكائن عالما – هذا هو الحد الايجابى فى حين أن الجاهل حد سلبى ولكن فى الحالة الاولى والاخرى يقال ايضا انه يصير عالما او يصير جاهلا • وكل هذا هو غاية فى الدقة •

§ ١٧ – حتى فى الجواهر أعيانها – يعنى فى حالة ما اذا كان شىء مع كونه موجودا أقل فى مرتبة الوجود من آخر لانه تابع له • ر • ما سبق ف ١٥ • – الموضوع من حيث هو مادة – الموضوع يبقى لانه ماديا محل الاضداد التى تحل فيه وتتعاقب عليه • فالموضوع يبقى مع تغيره • – المستمر الابدى – لا يوجد فى النص الا كلمة واحدة • – كون ظاهرة او بعبارة اخرى تغير الكيفيات • فان كون الاسود هو فساد للابيض وكون الابيض هو فساد للاسود • والموضوع الذى يصير على التناوب اسود وابيض لا يزال باقيا •

§ ١٨ – ان هذا الفساد الدائم للموجودات – ليس النص على هذا القدر من الصراحة فى كل هذا الموطن • – حينما يمر الى اللامحسوس – ر • ما سبق ف ١٣ • – فان الشىء يأتى دائما من العدم – قد اتخذت عبارة كعبارة النص فى انها عامة غامضة • وبعبارة اخرى سواء كان هناك مجرد تغير فى الكيف فالظاهرة تأتى دائما مما لم يكن • – انقطاع ولا خلو – ليس فى النص الا كلمة واحدة • ومع ذلك فمن فرط التعمق أو بالحرى من الاسراف اللغوى أنه يمكن التكلم عن كون العدم أو فساده •

§ ١٩ – هو ثانى الضدين – الذى ليس كائنا بالفعل ولكنه يمكن ان يكون بان يشغل محل الضد الذى هو كائن • – لما ان الارض وكل ما هو ثقيل هو اللاموجود – ضد الرأى

الضدين • ومثلا لما ان الارض وكل ما هو ثقيل هو اللاموجود اذا كانت النار وكل ما هو خفيف هي أو ليست هي الموجود • ولكن يمكن أن يقال أيضا ان الارض هي الموجود وان اللاموجود هو مادة الارض كما أنه هو مادة النار على السواء • ولكن هل مادة أحد هذين العنصرين ومادة الآخر هي اذا مختلفة ؟ وهل من المحال أن يأتي أحدهما من الآخر كما هو الحال في الاضداد • لأن النار والارض والماء والهواء لها أضداد أو هل أن مادتها هي واحدة من وجه وهل ليست مختلفة الا من وجه آخر ؟ لان ما هو موضوع من وجه ومن آخر هو واحد ولكن شكل الوجود هو وحده الذي ليس واحدا • على أننا نقف عندما قلناه في هذا الموضوع •

العامي الذي يسند الى الارض وجودا أكثر من وجود الهواء والنار بحجة ان الحواس تدركها أكثر •ر• ما سبق ف١٣ •

ـ ان الارض هي الموجود ـ يظهر في الحق انه من الصعب انكار ذلك •ـ وأن اللاموجود هو مادة الارض ـ لا يظهر ان اللا موجود يمكن أن يكون مادة لاى شيء ما الا أن يصرف ذلك الى المعنى المجرد المحض حيث كان القول فيما مر • ـ وهل من المحال أن يأتي أحدهما من الآخر ـ هذا ما يشبه أن لا يعتمد الا على شهادة الحواس • ـ لها أضداد ـ قد يكون ضبط من ذلك بيانا ان يقال انها بعضها لبعض ضد •ما هو موضوع ـيعني المادة مأخوذة على معناها المجرد لا على المعنى الحقيقي بالفعل • ـ شكل الوجود هو وحده ـ هذا = = تمييز من لازمات ارسطو وهو في الغالب غاية في الصحة والضبط •ـ نقف ـلايظهرمع ذلك إن الموضوع قد انتهى ولا انه على الخصوص قد وضح بقدر الكفاية من الايضاحات التي سبقت •

الباب الرابع

فصول الكون والاستحالة ـ تمييز الموضوع ومحمول ـ الموضوع حد الاستحالة ـ امثلة مختلفة ـ حد الكون المطلق وامثلة متنوعة ـ آخر المقارنة بين الكون والاستحالة .

§ ١ ـ يجب الآن توضيـــح بماذا يختلف الكون والاستحالة لاننا نرى أن هذين التغيرين للاشياء هما متميزان تماما احدهما من الآخر نظرا الى أن الموضوع الذى هو كائن حقيقى والتكييف الذى هو طبعا محمول على الموضوع هما فى غاية الاختلاف وانه يجوز أن يقع التغير بأحدهمـــا وبالآخر .

§ ٢ ـ توجد استحالة متى كان الموضوع ، وهو باق بعينه وهـــو دائما محسوس ، يلحقه تغير فى خواصه المخصوصة التى يمكن أن تكون مع ذلك أضدادا أو أوساطا . على ذلك مثلا الجسم هو صحيح ثم هو مريض مـــع بقائه هو بذاته . وكذلك أيضا النحاس هو تارة مستديرة وتارة ذو زوايا مع بقائه جوهريا هو بعينه .

§ ٣ ولكن حينما الموجود يلحقه التغير بكليته دون أن يبقى منه شىء محسوس من جهة أنه موضوع واحد وبعده وأن الدم مثلا يتكون بأن يأتى

§ ب ٤ ف ١ ـ الكون والاستحالة ـ الكون او التولد هو الحركة فى الجوهر يعنى الحركة التى تسير مما ليس موجودا الى ما هو موجود اى من اللا وجود الى الوجود . وأما الاستحالة فهى الحركة التى تغير فى الموضوع كيفياته وتعقبها اضدادها . ر . الطبيعـــة ك ٣ ب ٣ ف ٨ وك ٧ ب ٤ ف ٣ من ترجمتنا .

ـ التغير باحدهما وبالآخر ـ لفظ تغير مصروف هنا الى معنى الحركة .

§ ٢ ـ توجد استحالة ـ حد الاستحالة هذا لا يبعد فى شىء عن الحد الذى اعطى فى كتاب الطبيعة .

ـ وهو دائما محسوس ـ اوبعبارة اخرى : حقيقة متميزة وشخصية يمكن ان تدركها حواسنا اضدادا او اوساطا ـ مثلا الجسم وهو يمر من الاسود الى الابيض او وهو يمر بجميع الالوان المتوسطة التى بين ذينك اللونين . ـ مع بقائه هو بذاته ـ من حيث الجوهر . وهذا هو الشرط الاساسى وبدونه لايمكن ان تقع الاستحالة . ـ جوهريا ـ اضفت هذه الكلمة لزيادة بيان المعنى .

§ ٣ ـ ولكن حينما الموجود يلحقه التغير ـ حد للكون او لصيرورة الاشياء . ـ بكليته هذا هو الشرط الاساسى للتولد والا فلا يكون التغير الا استحالة . ـ الدم يتكون بأن يأتى من كل النطفة ـ الامر على العكس النطفة هى التى تأتى من الدم الا اذا كان لفظ النطفة هو هنا له معنى خاص .

ـ كون للواحد وفساد للآخر ـ اتخذت تعابير مبهمة كتعابير النص . ـ بالمقـــارنة ـ زدت هذه الكلمة .

من كل النطفة وأن الهواء يأتي من كل الماء أو بالعكس الماء من كل الهواء . حينئذ يوجد في هذه الحالة كون للواحد وفساد للآخر . وهذا حق على الخصوص متى كان التغير يمر من اللامحسوس الى المحسوس سواء بالنسبة لحاسة اللمس أو بالنسبة لجميع الحواس الاخرى مثلا حينما يوجد كون الماء أو حينما يوجد تحلل الماء الى هواء لان الهواء هو بالمقارنة غير محسوس تقريبا .

§ ٤ — ولكن في هذه الأشياء اذا بقى لحدى التقابل كيف ما متماثل في الموجود الذي يتولد وفي الذي يفسد واذا كان مثلا حينما يتكون الماء بأن يأتي من الهواء وهذان العنصران هما على السواء شفافان وباردان فاذا لا يلزم بعد أن أحد هذين الكيفين فقط يتعلق بالجسم الذي فيه يحدث التغير ومتى لم يكن الامر كذلك فلا يكون الا مجرد استحالة . مثلا في حالة ما الرجل الموسيقى ينعدم والرجل غير الموسيقى يكون ويظهر ، ولكن الرجل لا يزال دائما هو بعينه . وحينئذ اذا لم تكن أصلا خاصة هذا الموجود أو كيفه الا المهارة في فن الموسيقى أو الجهل به فاذا يوجد كون لاحدى الظاهرتين وفساد للاخرى . من ذلك يرى لماذا أن تلك ليست الا كيفيات للرجل في حين أن هذا هو كون وفساد للرجل الذي هو موسيقى وللرجل الذي لا يعرف الموسيقى فليس هناك الا تكيف للموضوع الذي هو ثابت وهذا هو بالضبط ما يسمى استحالة .

---

§ ٤ — ولكن هذه الاشياء اذا — يرى مفسرو جاءة « كويمبر » بحق أن المعنى في هذه الفقرة مغلق وتوضيحات فيلوبون لا تجلو غموضه . ويظهر ان ارسطو يقصد الرد على اعتراض لم يبينه بالضبط . « في الكون يتولد الكائن بكليته والتغير يلحقه بكليته . أما في الاستحالة فالكيفيات وحدها هي التي تكون محلا للتغير واذا متى وقع كون عنصر جديد يمكن ان يتساءل اذا كانت كيفيات الاول يجب ان تزول هي ايضا جميعها معه ». يجيب ارسطو بالسلب متى كن الكيف مشتركا بين الكائن الذي يزول وبين الكائن الذي يتولد بالتغير . وعلى ذلك فالماء مع انه يأتي من الهواء الذي انعدم له خواص الهواء من جهة انه مثله شفاف بارد . هذا هو تفسير المفسرين نقلته هنا . وقد كان من المرغوب فيه أن يكون النص أكثر توسعا . — فقط — زدت هذه الكلمة . — ومتى لم يكن الامر كذلك — يعني متى لم يكن للشيء الكائن الكيفيات عينها التي للشيء الفاسد . — فلا يكون الا مجرد استحالة — عبارة النص أقل ضبطا . الاستحالة مجرد تغير في الكيف وليس تغيرا جوهريا . — في حالة ما الرجل الموسيقى ينعدم . حفظت أسلوب عبارة النص مع أنه في اللغة اليونانية شاذ كما تراه في الفرنساوية . — ولكن الرجل — يعني الموجود الجوهري الذي هو تارة موسيقى واخرى غير موسيقى . — خاصة ... أو كيفه — ليس في النص الا كلمة واحدة . — الا المهارة في فن الموسيقى او الجهل به — النص في غاية من الايجاز لم تبلغه عبارتي في الترجمة .

— كون ... وفساد — كما في الجواهر . — كيفيات — او تغيرات . — للرجل — الذي يبقى كما هو مع هذه التغايير المختلفة . — للرجل الذي هو موسيقى — والذي ليس بعد مجرد رجل على المعنى المطلق والجوهري .

§ ٥ — وأذا حينما يكون تغير حد ضد لآخر حادثاً في الكم فتلك زيادة ونقص ٠ ومتى كان ذلك في الاين فتلك هي نقلة ٠ ومتى كان في الملكية الخاصة والكيف فتلك استحالة بالمعنى الخاص ٠ ولكن متى لم يبق شيء مطلقا من الموضوع الذى أحد أضداده هو تغير أو عرض فذلك انه يوجد كون من وجه وفساد من وجه آخر ٠

§ ٦ — وحينئذ فالمادة التى هى على جهة الأولوية وبالافضلية الموضوع القابل للكون وللفساد ٠ وبوجه ما هى أيضاً التى تعانى أنواع التغيرات الاخرى لان كل الموضوعات مهما كانت فهى قابلة لتقابلات ما بالاضداد٠
على أنا نقف هنا فيما كنا نريد ان نقول على الكون والفساد وعلى الاستحالة أيضاً لنوضح ما اذا هى تكون أو لا تكون وكيف تكون ٠

---

§ ٥ — حد ضد الآخر — عبارة النص الضدية ر ٠ المقولات ب ١٠ و١١ ص ١١٩ من ترجمتنا لتعرف الفرق بين المتقابلات والاضداد ٠ — فتلك زيادة ونقص — فان الموجود يتغير اذا فى الكم ٠ فتلك هى نقلة — فان الموجود اذا يتغير فقط فى المكان ٠ — فى الملكية الخاصة او فى الانفعال ٠ — بالمعنى الخاص — اضفت هاتين الكلمتين لضبط المعنى ٠

§ ٦ — المادة — مأخوذة على وجه غير معين البتة كما هو فى الكتاب الاول من الطبيعة ب٨ ص٤٧٣ من ترجمتى ٠ — على جهة الاولوية — أو «على الخصوص» ٠ — للكون وللفساد — تبعاً لانها تكون اولا تكون ٠ — وبوجه ما — بطريقة ملتوية لا بالطريقة الخاصة ٠ — انواع التغيرات الاخرى — الزيادة والنقص والنقلة والاستحالة ، وقد لاحظ بحق فيلوبون أن أرسطو لم يكن بيانه فى اى موضع آخر اجلى منه فى هذا الموضع فيما يتعلق بحد المادة الذى هو دائما من الصعوبة بمكان ٠

الباب الخامس

نظرية النمو – الفروق بينه وبين الكون والاستحالة سواء في موضوع النمو أو في الكيفية التي يحصل بها النمو – نقلة الشيء النامي غير المحسوسة – صعوبة ادراك من اين ياتي النمو في الجسم – كل اجزاء الجسم تنمو دفعة واحدة – الشروط الاصلية للنمو هي ثلاثة – المقارنة بين النمو والاستحالة – نظرية جديدة للنمو – تمييز ما بالفعل من ما بالقوة – يلزم ان ما بالقوة يتحقق حتى يوجـد النمو – عـلاقة العنصر الجـديد التي يحدث نمو الجسم بالجسم النامي ·

---

§ ١ – علينا أيضا أن نتكلم على النمو وان نقول فيماذا يختلف النمو عن الكون وعن الاستحالة وكيف يمكن الاشياء التي تنمو أن تنمو والتي تنقص أن تنقص ·

§ ٢ – يلزم اذا أولا أن نفحص ما اذا كان الفرق بين هذه الظواهر بعضها والبعض الآخر ينحصر فقط في الموضوع الذي تتعلق به · ان تغيرا يقع من موجود الى موجود آخر ، مثلا من الجوهر بمجرد القوة الى الجوهر بالفعل وبالكمال هل هو كون وتولد ؟ والتغير الذي يقع في العظم هل هو نمو ونقص ؟ أو ذلك الذي يحصل في الكيف هل هو استحالة ؟ ولكن الظاهرتين الاخيرتين اللتين ذكرناهما أليستا دائما تغايير أشياء تمر من القوة الى الفعل والكمال ؟ أو أيضا أليست طريقة التغير هي التي تختلف ؟ وحينئذ الشيء الذي يستحيل بمنزلة الشيء الذي يتولد ويصير لا يظهر أنه يجب لهما التغير بالمكان لزوما · ولكن الذي ينمو والذي يذبل يجب أن يتغير بالحيز تغيرا مخالفا لتغير الشيء الذي يتحرك في الاين ·

---

§ ب٥ف١ – النمو – على تقدير «وعلى النقص» الذي هو ضد النمو كما أنه تكلم على الفساد بعد الكون · وليس هناك حد يقابل الاستحالة لانها يمكن أن تقع على الوجهين·وآخر هذه الفقرة يثبت مع ذلك ان أرسطو يتصدى للكلام على النقص كما يتصدى للكلام على النمو

§ ٢ – في الموضوع الذي تتعلق به – هذه العبارة غامضة قليلا كعبارة النص،ويمكن ترجمة عبارة النص ايضا هكذا : في الموضوع الذي تحصل فيه» ·– من الجوهر بمجرد القوة من الجوهر الذي ليس موجودا الى جوهر حقيقي موجود بالفعل كما يخرج حيوان من حيوان بلده · – هل هو كون وتولد – ليس في النص الا كلمة واحدة ·– الذي يقع في العظم –على وجه أو على وجه آخر ·– الظاهرتين الاخيرتين – زدت لفظ «الاخيرتين» زيادة في البيان · · – الى الفعل والكمال – ليس في النص الا كلمة واحدة · وان الكلمتين اللتين ذكرتهما ليست احداهما الا ترجمة للاخرى ·

– التي تختلف – من الكون ومن الاستحالة الى النمو والى النقص – يتولد ويصير – ليس في النص الا كلمة واحدة ·– يجب لهما التغير بالمكان – بان ياخذ اكثر أو أقل من الحيز تبعا لحالي النمو والنقص ·

– الذي يتحرك في الاين – او «الذي تلحقه نقلة» ·

§ ٣ — لان الشيء المتحرك فى الاين يغير مكانه بكليته فى حين أن الذى ينمو لا يتغير الا كشيء ينزلق ويمتد · والموضوع وهو باق فى مكانه أجزاؤه وحدها تغير مكانها · ولكن هذا ليس كحال أجزاء الكرة الدائرة على نفسها لان هذه الاجزاء تغير محل جسم الكرة كله مع بقائه فى الحيز بعينه · وعلى الضد من ذلك أجزاء الجسم النامى تشغل حيزا اكثر فأكثر كما أن اجزاء الجسم الذابل تشغل حيزا أقل فأقل ·

§ ٤ — يرى حينئذ أن التغير فى شيء يتولد وفى الذى يستحيل وفى الذى ينمو هو يختلف لا بالشيء الذى يقبل التغير فحسب بل ايضا بالطريقة التى يحصل بها التغير · ولكن أما من حيث الشيء ذاته الذى يلحقه تغير النمو وتغير الذبول — من جهة ان النمو والذبول يظهر أنهما لا ينطبقان الا على عظم — كيف ينبغى ادراك انه ينمو ؟ هل يجب أن يفهم انه يتكون فى هذه الحالة جسم وعظم فعلى مما ليس هو جسما ولا عظما الا بمجرد القوة والذى هو بالفعل وبالكمال ليس له جسم ولا عظم حقيقى؟ غير أن هذا الايضاح نفسه يمكن أن يحمل على معنى مزدوج ويمكن ايضا أن يتساءل على أى الوجهين يجب أن يحصل النمو · هل هو يأتى من المادة التى تكون منعزلة ومنفصلة فى ذاتها ؟ أم هل يأتى من المادة التى تكون فى جسم آخر ؟ ولكن هذين الوجهين لفهم النمو أليسا هما مستحيلين على السواء ؟ فانه اذا كانت فى الواقع مادة النمو منعزلة فاما الا تشغل اى

---

§ ٣ — مكانه بكليته — يميز المفسرون هاهنا حالين · اما ان الجسم ينتقل بكليته مارا من مكان الى آخر واما أن أجزاءه هى التى تغير مكانها كحال أجزاء كرة تدور على نفسها دون ان تغير مكانها كما هو مذكور بعد ·

— ينزلق ويمتد — ليس فى النص الا كلمة واحدة ليست على هذا القدر من الضبط · — اجزاؤه وحدها — أضفت الكلمة الاخيرة — الدائرة على نفسها — · ر · الطبيعة ك ٨ ب ١٤ ف ١ ص ٥٥٤ من ترجمتنا ·

— الكرة — زدت هذا اللفظ · — حيزا اكثر فأكثر — دون أن تغير مكانها ·

§ ٤ — فى شيء يتولد ·· والذى يستحيل ·· والذى ينمو — تلك هى الانواع الثلاثة الممكنة للتغير · — بالطريقة التى يحصل بها التغير — كما بين هذا فى الفقرة السابقة · أما من حيث الشيء ذاته — أضفت هذه الكلمة الاخيرة · — أنه ينمو — أضفت هذه العبارة لانه ظهر لى أنها ضرورية لتكميل الفكرة · وربما يلزم أن يزاد أيضا «ويذبل» كما فعل ذلك عدة من المفسرين · بالفعل وبالكمال ·

ليس فى النص الا كلمة واحدة · — يحمل على معنى مزدوج — هذا التحليل ربما كان مجاوزا الى حد أبعد مما يلزم ويظهر عليه أنه دقيق بعض الشيء · — منعزلة ومنفصلة ليس فى النص الا كلمة واحدة ومع ذلك لا يرى كيف ان المادة يمكن ان تنعزل وتنفصل دون ان تؤلف جسما · — لفهم النمو — اضفت هذا لتكميل الفكرة · — اى جزء فى الاين — أو «اى حيز» لا يمكن ان تكون موجودة — ليس النص على هذه الصراحة · — فى اين ما — ليس النص على هذه الصراحة · — ما يأتى : منها — التعبير مبهم ولكن النص ليس أقل ابهاما · — بحيث أن هذا الجسم — أو بالاولى : «هذه المادة» المنعزلة التى منها يجب أن يخرج الجسم الحقيقى — ...

جزء فى الاين واما أن تكون كنقطة أو ألا تكون الا من الخلو وتكون جسما لاتدركه حواسنا • ففى أحد هذين الفرضين لا يمكن أن تكون موجودة • وفى الثانى يجب ان توجد ضرورة فى أين لان ما يأتى منها يجب ان يكون فى أين ما بحيث ان هذا الجسم يكون فيه أيضا اما بنفسه او بالواسطة •

§ ٥ ـ ولكن اذا فرض ان المادة هى فى جسم وانها انفصلت عنه بحيث انها لا تؤلف البتة جزءا من هذا الجسم لا بذاتها ولا بالعرض فينتج من هذا الفرض طائفة من المستحيلات البينة • وتوضيحه : مثلا اذا تكون هواءات من الماء فذلك ليس لان الماء يتغير بل لان مادة الهواء تكون محوية فى الماء الذى يكونه كما لو كانت فى آنية ما لانه لا شىء يمنع من أن تكون المواد غير متناهية فى العدد بحيث يمكنها أيضا أن تكون بالفعل وبالحقيقة يلزم أن يضاف زيادة على هذا انه ليس كذلك ان الهواء يظهر انه يأتى من الماء كما لو انه كان يخرج من جسم يبقى دائما على ما كان عليه •

يحسن حينئذ افتراض أن المادة هى غير قابلة للانفصال فى جميع الأجسام وهى واحدة ومتماثلة عدديا ولو أنها ليست واحدة ولا متماثلة فى نظر العقل •

§ ٦ ـ وبالاسباب عينها لا ينبغى افتراض أن مادة الجسم ليست الا

= أو بالواسطة ـ عبارة النص بالضبط «أو بالعرض» ويلزم دائما أن يذكر ان المقصود هنا هو مادة النمو لا المادة على العموم •

§ ٥ ـ فى جسم ـ عبارة النص غير معينة وهى «فى شىء ما» ومع ذلك فانه يجب تقدير ان المادة هى فى جسم ينمو كما يدل عليه المثل الآتى الذى فيه الهواء يتكون بخروجه من الماء •• ـ لان الماء يتغير ـ وهذا هو التفسير العامى والطبيعى • ـ كما لو كانت فى آنيـــة ما ـ ليس عليها الا أن تخرج منها جاهزة دون أن تعانى تأثيرا جديدا ـ المـــواد ـ التى يمكنها أن تفعل النمو • ـ غير متناهية فى العدد ـ أو فقط غير متناهية » كعبارة النص • ـ بالفعل وبالحقيقة ـ ليس فى النص الا كلمة واحدة • أن الهواء يظهر أنه يأتى من المـــاء ـ بمعنى انه يوجد تغير فعلى يصير الماء هواء وان الهواء لا يخرج تماما من الماء •
ـ أن المادة ـ أى مادة النمو • ـ فى جميع الاجسام ـ ربما يكون الاحسن قصر الفكرة والقول «فى الجسمين المذكورين» • ـ عدديا •• فى نظر العقل ـ هذه من التمايز التى اعتادها رسطو •

§ ٦ ليست الا نقطا أو خطوطا ـ وهذا ما يؤول به الى لا يكون له حقيقة فعلية أكثر من حقيقة الموجودات الرياضية • ـ نهايات ـ لان النقط نهايات للخط والخطوط نهايات للسطوح • ـ بدون خاصية ما تصيره مدركا بحواسنا وتجعل منه جسما حقيقيا • ـ ولابدون صورة اسهل للادراك من مجرد خاصية • ـ شيئا ـ أو «كائنا» • ـ كما سبق بيانه فى غير هذا الموضع ـ يحيل فيلوبون على الكتاب الاول من الطبيعة حيث درس هذا الموضوع كما يقول وفى الحق انه يوجد فى الطبيعة ك١ب٨ف٩ص٤٧٨ من ترجمتنا مناقشة مشابهة لهـــذه • ـ بالفعل وبالكمال ـ ليس فى النص الا كلمة واحدة • ـ من صورته ـ او «من نوعه» • ـ من مجرد كيف الصلب ـ ليس النص هكذا صريحا • فان الصلابة تختص بجســـم حقيقى ولا يمكنها بذاتها أن تنتج شيئا • ـ مشتركا • ـ كالمثل التى قال بها أفلاطون فانهـــا مشتركة

نقطا أو خطوطا لان المادة هى بالضبط ما تكون النقط والخطوط نهايات لها • فهى لا يمكنها أبدا أنه تقوم بدون خاصية ما ولا بدون صورة • وعلى ذلك حينئذ فان شيئا يأتى دائما من شيء آخر مطلقا كما سبق بيانه فى غير هذا الموضع • وهو يأتى من شيء موجود بالفعل وبالكمال اما من جنسه أو من صورته • مثال ذلك النار هى تكون بالنار والرجل هو يكون بالرجل أعنى بحقيقة ، بكمال ، لان الصلب لا يمكن أن يأتى من مجرد كيف الصلب • والمادة هى المادة لجوهر جسمانى أعنى مادة جسم خاص معين مادام الجسم لا يمكن أبدا ان يكون شيئا مشتركا • وهى هى ذاتها سواء فى العظم أو فى كيف العظم قابلة للانفصال فى نظر العقل لكن غير قابلة للانفصال فى الاين الا ان يفترض أن الخواص يمكنها ان تنفصل عن الاجسام الحائزة لها •

§ ٧ — بين حينئذ على حسب هذه المناقشة أن النمو فى الاشياء ليس تغيرا يأتى من عظم بالقوة المحضة دون ان يكون له امتداد ما بالفعل وبالكمال لان الكيف المشترك حينئذ يكون قابلا للانفصال • وقد سبق فيما تقدم فى غير هذا الموضع أن هذا كان شيئا محالا • وفوق ذلك فان تغيرا من هذا القبيل ينطبق على الخصوص لا على النمو بل على الكون • لان النمو ليس الا ازديادا فى عظم موجود من قبل كما أن الذبول ليس الا انتقاصا له • فأنظر لماذا يلزم أن يكون أولا للجسم الذى ينمو عظم ما • وبالنتيجة لا يمكن أن النمو الذى يمر الى واقعية العظم يأتى من مادة مجردة من كل عظم لان هذا أولى به أن يكون كونا لا ان يكون نموا حقا •

بين جميع الكائنات التى تشترك فيها — الا أن يفترض — كما يزعم ارسطو أن أفلاطون افترضه فى نظريته فى المثل • — الخواص — أو الكيوف •

§ ٧ — من عظم بالقوة المحضة — ر • ما سبق فى آخر الفقرة الثانية • — الكيف المشترك — لاحظ فيلوبون انه يوجد هاهنا رواية اخرى وان فى بعض النسخ الخطية تحريفا فى حرف واحد به يكون اللفظ دالا على « الخلو » بدل « الكيف المشترك » • وقد حاول فيلوبون أن يبرر استقامة التعبيرين جميعا • ولكن التعبير الذى اتخذته يظهر لى أنه الافضل • و « الكيف المشترك » هاهنا يجب أن يصرف الى المثل • والتعبير الثانى يمكن أن يستند الى آخر الفقرة الآتية • — فى غير هذا الموضع — على رأى فيلوبون فى الكتاب الرابع من الطبيعة ، ولكن لم أجد فى ذلك الكتاب الرابع هذا المعنى، بل يوجد فى الكتاب الاول منها شىء من هذا القبيل ر • ب ٥ ف ١٢ ص ٤٦٠ من ترجمتنا — تغيرا من هذا القبيل — يعنى يمر من القوة الى الفعل ، من الامكان المحض الى الوجود الحقيقى • وفى الحق أن هذا يكون كونا لا نموا • فان الشيء يولد لا انه ينمو • — أولا — أضفت هذه الكلمة لتكميل الفكرة • — واقعية العظم — يعنى الذى يدفع عظم الشيء الى أبعد ما يمكن أن يبلغه فى النظام الطبيعى للاشياء • — أولى به أن يكون كونا — تكرير لما قيل آنفا •

§ ٨ ــ فالأفضل حينئذ أن نأخذ بهذا البحث من جديد كما لو كنا في البداية تماما وأن نبحث ثانيا عما يمكن أن تكون هي أسباب نمو الاشياء ونقصها بعد ان اثبتنا ماذا يعني بنما او نقص . في شيء ينمو يظهر اذا ان جميع الاجزاء بلا استثناء تنمو . كما انه في النقص جميع اجزاء الشيء يظهر أنها تصير أكثر فأكثر صغيرة . وفوق ذلك فان النمو يظهر أنه يحصل بأن شيئا ينضم الى الجسم والاضمحلال بأن شيئا يخرج منه . ولكن النمو لا يمكن أن يحصل بالضرورة الا بشيء مالا جسماني أو جسماني فاذا كان باللاجسماني فالجزء المشترك يكون قابلا للانفصال ومن المحال أن توجد مادة منفصلة عن كل عظم كما قيل آنفا . واذا كان بشيء ما جسماني حصل النمو فينتج عنه أن هناك جسمين في حيز واحد بعينه أي حيز الذي ينمو وحيز الذي يفعل النمو وذلك هو أيضا محال .

§ ٩ ــ بل لا يمكن أن يقال ان نمو الاشياء ونقصها يمكن حصولهما بالطريقة عينها التي بها يأتي الهواء من الماء مثلا مادامت حينئذ كتلة الهواء

---

§ ٨ ــ فالافضل حينئذ ــ يظهر ان المناقشة كانت الى الآن من الجد بحيث لا محل لاعادتها بل يكفي الاستمرار فيها . ــ بعد أن أثبتنا ماذا يعني ــ النص ليس على هذا القدر من الصراحة ولكن الترجمة التي أعطيها تستند الى شرح فيلوبون . ــ يظهر إذا ــ سبك العبارة يؤيد تفسير المفسر الاغريقي للفقرة السابقة . ــ الجزء المشترك ــ ر . ما سبق في الفقرة السابعة وما سيلي في الفقرة التاسعة . فان الجزء المشترك لا يمكن هاهنا ان يدل الا على اليهيولى مجردة عن كل صورة ومشترك بالنتيجة لجميع الاجسام . وهذا تجريد محض . وفي هذا الموضع أيضا يوجد في بعض النسخ الخطية تحريف في حرف واحد فيقرأ « الخلو » بدلا من « الجزء المشترك » وقد عولت على هذه العبارة الاخيرة كما سبق . ويحاول فيلوبون ان يؤول العبارتين كلتيهما مع أن الاصل الذي تحت نظره يظهر انه يوجد فيها لفظ « الخلو » لا « الجزء المشترك » . ــ كما قيل آنفا ــ في الفقرة السابقة . وهذا التفصيل يظهر أنه يؤيد التعبير الذي اخترته ــ جسمين في حيز واحد بعينه ــ مبدأ قرره ارسطو مرارا في الطبيعة . وقد احتفظ به علم الطبيعة الجديد في نظرية عدم قبول الاجسام للمداخلة .

§ ٩ ــ التي بها يأتي الهواء من الماء ــ يعني متى أخذ الماء لاى سبب ما أن يتبخر ويتغير الى هواء . ر . الميتورولوجيا ك ١ ب ٩ ف ٢ ص ٥٥ من ترجمتنا . ــ كتلة الهواء ــ المشاهدة مضبوطة ولكن لا يظهر لي أن القدماء كان عندهم طريقة ما لتحقيقها . ــ لجسم جديد ــ ليس النص على هذا القدر من الضبط . ــ لضده . ــ لأن الماء مفروض ضدا للهواء . ــ لهذا الذي هو مشترك هذا يؤيد ترجمتنا للجزء المشترك في الفقرتين ٧ و ٨ . ــ هذا الجزء المشترك ــ زدت قليلا على عبارة النص ايضاحا لها . ــ فلا الماء ... ... نما ــ لانه في الواقع قد باد لينقلب الى هواء .

ــ يلزم أن يكون هناك جسم ــ وهو اذا « الجزء المشترك » أي الهيولى التي ليست مع ذلك جسما فعليا .

قد صارت أعظم مقدارا • اذا ليس في هذا مجرد نمو للماء بل هذا هو كون لجسم جديد فيه تغير الجسم الاول وهذا هو فساد لضده • وليس ذلك نموا لا لأحدهما ولا للآخر • ولكن اما أن ليس هذا نموا لشيء واما انه نمو لهذا الذى هو مشترك بين الشيئين الذى كان والذى فسد على السواء وهنا الجزء المشترك هو جسم أيضا • فلا الماء ولا الهواء نما وفقط أحدهما باد وانعدم فى حين أن الآخر كان ويلزم ان يكون هناك جسم ما دام انه وجد نمو •

§ ١٠ ــ ولكن هناك أيضا محال جديد لانه يلزم عقلا حفظ الشروط الضرورية التى يلونها لا يمكن ادراك الجسم الذى ينمو أو الذى ينقص وهى ثلاثة أحدها هو ان كل جزء ما يصير أكبر فى عظم ينمو • مثلا اذا كان من اللحم فان جزءا ما من اللحم ينمو • والشرط الثانى هو ان النمو يحصل بانضمام ما الى الجسم • وثالثا واخيرا يلزم أن الشيء ينمو وأن يبقى معا ، وفى الواقع حينما شيء يكون أو يبيد مطلقا فهو لا يبقى البتة • ولكن حين يعانى استحالة أو نموا أو نقصا فان هذا الشيء مع أنه ينمو او يستحيل يمكث ويبقى هو بعينه • فها هنا انما هو كيف الشيء وحده هو الذى لا يبقى بعد هو هو • وهناك انما هو العظم نفسه الذى لا يبقى هو بعينه • وحينئذ اذا كان النمو هو بحق ما قد زعم فان الشيء النامى يمكن اذا ان ينمو بدون أن شيئا يأتى وينضم اليه وبدون أن هذا الشيء يبقى كما انه قد يمكن أن يفنى بدون أن شيئا يخـرج منه وبدون أن الشيء النامى يبقى • ولكن يلزم مطلقا حفظ هذه الشروط مادام انـه افتراض أن النمو هو فى الواقع كما قد ذكر •

§ ١١ ــ وقد يمكن أيضا أن يسأل ما هو بالضبط هذا الذى ينمو ؟

---

§ ١٠ ــ محال جديد ــ أضفت هذه الكلمة الاخيرة ما دام أنه قد نبه آنفا الى محالات أخرى • ــ عقلا ــ عبارة النص بالضبط هى : « بالعقل فى نظر العقل » • ــ الشروط الضرورية ــ عبارة النص ليست بهذا الضبط تماما • ــ الجسم الذى ينمو ــ عبارة النص أدخل فى بابه عدم التعيين لانه يقول : « هذا الذى ينمو » • ــ وهى ثلاثة ــ وهذه الثلاثة الشروط هى حقيقية جدا ولا يكاد يمكن اليوم أن يقال أحسن من هذا • ــ وأن يبقى ــ يعنى أن يبـقى هو ما هو كمـا كان من قبل الا من حيث امتداداته فانها تكبر أو تصغر • ــ يكون أو يبيد ــ تلك هى حركة الكون والفساد أعنى المرور من اللاوجود الى الوجود أو من الوجود الى اللاوجود • ــ يمكث ويبقى ــ ليس فى النص الا كلمة واحدة • ــ حفظ هذه الشروط ــ التكرير ليس فى النـص على هذا القدر من التمام •

§ ١١ ــ ما هو بالضبط هذا الذى ينمو ــ يظهر هاهنا أنه لا محل للشك وانه هو الجسم عينه الذى ينمو بتمثله هذا الذى يأتى وينضـم اليه • ــ فى جسم انسـان ــ

هل هو الجسم الذى اليه يأتى وينضم شيء ؟ مثلا متى فعل سبب بعينه نمو الفخذ فى جسم انسان فهل الفخذ نفسه هو الذى يصير أسمن ؟ ولماذا هذا الذى يسمن الفخذ أعنى الغذاء لا ينمو هو أيضا ؟ وفى الواقع لماذا أن الاثنين لا ينموان معا ؟ لان هذا الذى ينمو وهذا الذى ينمي يكونان أعظم كما هى الحال عند مزج الماء والنبيذ فأن كمية كليهما تصير أعظم على السواء • أليس يمكن أن يقال ان هذا يرجع الى ان الجوهر فى حالة يمكث ويبقى فى حين أنه فى الحالة الاخرى الجوهر ، وهو هاهنا ، جوهر الغذاء يبيد ؟ وها هنا أيضا انما العنصر الغالب هو الذى يعطى اسمه للمزيج كما هى الحال حين يقال على المزيج انه من النبيذ لان المزيج كله يفعل فعل النبيذ لا فعل الماء •

١٢ — والامر كذلك أيضا بالنسبة للاستحالة فاذا ، مثلا ، بقى اللحم ومكث دائما ما هو واذا طرأ على اللحم كيف أصلى لم يكن من قبل

= أيضفت هذه الكلمات • — لاينمو هو ايضا — قد يمكن : لا يعطى هذا الجزء من القضية صورة الاستفهام فيقال : « فى حين ان هذا الذى يسمن الفخذ لا ينمو » — يكونان أعظم — العبارة مبهمة لان المزيج من الاثنين هو فى الحق اكبر من كليهما على حدة • ولكن كليهما على حدة لم يكبر الا ان يكون المقصود هو ذلك المعنى الملتوى فى المثال الآتى — كمية كليهما — هذا ليس صحيحا فان كمية النبيذ وكمية الماء تبقيان كما كانتا • ولكن مزيجهما وحده هو الاعظم فاذا قيل انه يوجد من الماء أكثر أو من النبيذ أكثر فليس ذلك الا تجاوزا فى اللفظ • — العنصر الغالب هو الذى يعطى اسمه للمزيج — وهذا أيضا ليس من الصحة بمكان اذ لا يقال للمزيج انه من الماء او من النبيذ بل يقال انه ماء ممزوج

§ ١٢ — والامر كذلك أيضا بالنسبة للاستحالة — يعنى أن فى ظاهرة الاستحالة توجد أيضا الشروط بعينها كما فى ظاهرة النمو • — بالبساطة قد استحال — هذا هو المعنى الحق للاستحالة • فان الكيف وحده قد تغير ولكن الجسم بقى هو بعينه • — فى جوهره الخاص الذى لم يستحل — هذه الجملة لا توجد فى بعض النسخ الخطية • وليست أيضا فى شرح فيلوبون • ولكن يظهر لى أنه يمكن قبول المعنى الذى أعطيه فى ترجمتى منه • — هذا الذى يحيل — أو بعبارة أخرى أكثر ضبطا « علة الاستحالة » • — شأنه كشأن مبدأ الحركة — الذى يفعل أن الشيء ينمو ويتبدل • — فى الشيء النامى وفى الشيء المستحيل — هذا تطابق أيضا بين النمو وبين الاستحالة • — المبدأ المحرك — هنا للحركة وهناك للاستحالة • ولم يقبل الشراح الاغريق هذه النظرية بتمامها فعلى رأى فيلوبون أن الاسكندر الافروديزى كان ينازع فى أن مبدأ الاستحالة والنمو موجود دائما فى الجسم الذى يستحيل أو الذى ينمو • وهذا المبدأ هو غالبا فى الجسم الغريب الذى يجلب للآخر النمو أو الاستحالة • — يصير فيه هواء — هذا موجز أكثر مما يلزم ولا يزال غامضا • وكان يلزم أن يزاد عليه أن الماء بصيرورته هواء مثلا يتمدد وما دام أنه صار أعظم فقد انقطع عما كان هو ما هو من قبل • — وهو يعانى هذا التغير — ليكون المعنى أبين من ذلك كان يلزم ايراد مثال خاص ما كان ليترك أقل شك • — والمبدأ المحرك لا يكون فيه بعد — فانه فى ذلك الجسم الذى يسبب التغير الذى يعانيه

فاللحم حينئذ بالبساطة قد استحال ولكن أحيانا هذا الذي يحيل الشيء اما أنه لا يعاني شيئا هو نفسه في جوهره الخاص الذي لم يستحل واما أحيانا أنه يستحيل هو أيضا • ولكن هذا الذي يحيل شأنه كشأن مبدأ الحركة هو في الشيء النامي وفي الشيء المستحيل لانه فيهما يوجد المبدأ المحرك • وقد يمكن أيضا أن هذا الذي يدخل في الجسم يصير فيه أعظم كالجسم الذي يقبله ويستفيد منه سواء بسواء مثلا اذا كان العنصر الذي يدخل يصير فيه هواء • ولكنه وهو يعاني هذا التغير يفسد والمبدأ المحرك لا يكون فيه بعد •

§ ١٣ ـ بعد أن بلغنا الكفاية من بسط هذه الصعوبات يلزم محاولة استكشاف حل هذه النظرية مع التسليم بالشروط الآتية دائما :

ان النمو ليس ممكنا الا بأن يمكث الجسم النامي ويبقى وانه لا شيء يمكنه أن ينمـــو بدون أن شيئا ينضم اليه ولا أن ينقص بدون أن شيئا يخرج منه • وانه فوق ذلك كل نقطة محسوسة حيثما اتفق من الجســـم النامي أو الناقص تصير أكبر أو اصغر • وأن الجسم ليس خلوا وان جسمين لا يمكن البتة أن يشغلا حيزا واحدا بعينه وأخيرا أن الجســم الذي يحصل فيه النمو لا يمكنه أن ينمو باللاجسماني •

§ ١٤ ـ وسنصل الى الحل المطلوب بقبولنا بادىء بدء ان الاجسام

---

§ ١٣ ـ بعد أن بلغنا الكفاية من بسط هذه الصعوبات ـ يرى فيلوبون ان ارسطو لم يبسط الى الآن الا الآراء العامية في علل النمو والذبول وانه يشرع منذ الآن في بسط مذهبه الخاص • ـ استكشاف حل هذه النظرية ـ على ما يفهمها ارسطو • ـ بالشروط الآتية ـ ليست عبارة النص على هذا المقدار من الصراحة • ومع ذلك فان هذه الشروط قد سبق عدها آنفا ف ١٠ • ـ محسوسة ـ يعني مادية • وقد الح فيلوبون في أهمية هذه الكلمة التي بدونها على رأيه لا يستقيم المعنى • ـ أن الجسم ليس خلوا ـ لا يظهر أن هاهنا روايات اخرى كما كان فيما سبق في الفقرة السابقة • ـ ان جسمين لا يمـكن البتة ان يشغلا حيزا واحدا بعينه ـ ذلك ما نسميه الآن علم مداخلة الإجســام • ـ باللاجسماني ـ قد حافظت على عموم اللفظ الإغريقي وهو مفهوم •

§ ١٤ ـ الاجسام ذوات الاجزاء غير المتشابهة ـ يمثل لها الشراح الاغريق بالوجه واليد ••• الخ • التي تنمو بنحو اللحم والدم والعظم التي هي أجسام متشابهة الاجزاء لا انها تنمو بأن وجـــها او يدا تأتي فتنضم اليها ر • ما يـــلي ف ١٥ • ر لأن الاولى ليست الا مركبة من الثانية ـ معلوم أن هذا هو مذهب أنكساغوراس في « متشابهات الاجزاء » ويمكن الاطلاع أيضا على أول « تاريخ الحيوانات » • فان الاجسام المتجانســـة الاجزاء هي التي فيها الاجـــزاء دائما هي بعينهـــا والتي هي مشـــابهة للكل • على ذلك جزيئة من الدم هي دائما دم • وجزء من العظم هو عظم دائما • ولكن جزء اليد ليس يدا وجزء الوجه ليس وجها • لذلك ترى لماذا ان هذه الاجســام مكونة من اجزاء غـــير متجانسة • ـ بمعنى مزدوج سيوضح فيما بعد فانه يمكن أن يعني بها على السواء أن المادة هي التي تنمو او انها الصورة فقط • ـ نوعها وصورتها ـ ليس في النص :لا =

ذوات الاجزاء غير المتشابهة يمكن أن تنمو لانه انما هي الاجسام ذوات الاجزاء المتشابهة هي التي تنمو لان الاولى ليست الا مركبة من الثانية ويلزم بعد هذا التنبيه الى انه متى ذكر اللحم والعظم وأي جزء آخر مشابه لهما من الاجسام فذلك يمكن أن يؤخذ بمعنى مزدوج كما هي الحال بالنسبة لجميع الاشياء الاخرى التي لها نوعها ولها صورتها في المادة ، لان المادة والصورة هما مسميان على السواء لحما وعظما • فالقول بأن كل جزء كيفما اتفق من جسم ينمو وبأن عنصرا جديدا يأتي وينضم اليه فذلك بيان ممكن باعتبار الصورة ولكنه ليس كذلك باعتبار المادة • ويجب أن يرى أن الحال هاهنا كالحال حينما يقاس الماء بمقياس يبقى هو بعينه فان الماء الذي يجيء بعد هو آخر ودائما آخر • كذلك بهذه المثابة تنمو مادة اللحم ولا يوجد ضم الى كل جزء كيفما اتفق • ولكن الجزء الفلاني يسيل والجزء الفلاني ينضم • فليس يوجد ضم ولا يحصل الضم الا الى كل جزء كيفما اتفق من الشكل ومن النوع •

§ ١٥ — ولكن بالنسبة للاجسام المركبة من اجزاء غير متشابهة مثلا بالنسبة لليد فمن الاشد وضوحا أن كلها ينمو بحالة متناسبة لانه في هذه الحالة ما دامت مادة النوع مختلفة فهي أسهل تميزا عما يكون بالنسبة للحم وبالنسبة للاجسام ذوات الاجزاء المتشابهة • من أجل ذلك حتى على ميت يظهر انه لايزال يعرف اللحم والعظم بأكثر سهولة من أن يميز فيه اليد والزراع وحينئذ فمن وجه يمكن أن يقال ان كل جزء كيفما

= كلمة واحدة • — المادة والصورة هما مسميان على السواء — يظهر ان المادة أولى بهذه التسمية من الصورة • — باعتبار الصورة — في الحق أن الصورة النوعية تبقى ولكن يلزم ايضا ان المادة تنمو • — باعتبار المادة — هذا يظهر عليه اثر الدقة أكثر من أثر الصحة • — بمقياس يبقى هو بعينه — فان الماء الذي يمر على التعاقب من هذا المقياس يمكن ان يختلف ولكن صورة المقياس لا تختلف وهذا حق ولكن المثل لم يجود حسن اختياره لان المقياس لا يمكن أن ينمو القول وارد بصدد ايضاح النمو • — الماء الذي يجيء — عبارة النص « الذي يجيء » فقط • فاردت تحرير الفكرة برفع بعض الشيء من عموم العبارة • — تنمو مادة اللحم — يظهر أن هذا يناقض ما اثبت سابقا وهو ان النمو لا يقع الا باعتبار الصورة لا باعتبار المادة • — لا يوجد ضم الى كل جزء كيفما اتفق — على رغم ما يعتقد العامة • — الجزء الفلاني يسيل — والواقع ان الاجسام الحية هي في سيلان دائم للجزئيات التي تفقد منها وللعناصر الجديدة التي تقبلها بلا انقطاع • — الا الى كل جزء كيفما اتفق من الشكل — وضعت لفظ « شكل » لا لفظ « صورة » لان تعبير النص مختلف أيضا •

§ ١٥ — المركبة من أجزاء غير متشابهة — المثل المعطى في النص كاف في البيان فان اليد لا تتركب من ايد كما يتركب الدم من الجزئيات الدموية • — بحالة متناسبة — هذا ليس من الضبط على الغاية • — مادة النوع — أو مادة « الصورة » • مادة اليد =

اتفق من اللحم ينمو ومن وجه آخر لايمكن انا يقال ان كل جزء ينمو . فبحسب الصورة قد انضم شيء ما لكل جزء كيفما اتفق ولكن لا بحسب المادة . ومع ذلك فان الكل صار أعظم لان شيئا جاء وانضم اليه . وهذا الشيء يسمى الغذاء ويسمى أيضا الضد . ولكن هذا الشيء لا يزيد على أن يتغير فى النوع بعينه كمثل ما يأتى الرطب ينضم الى اليابس وبانضمامه اليه يتغير بأن يصير هو نفسه يابسا . وفى الواقع يمكن معا أن الشبيه ينمو بالشبيه وبجهة أخرى أن يكون ذلك باللاشبيه .

§ ١٦ ــ وقد يمكن ايضا ان يتساءل عما هو بالضبط ذلك الشيء

ــ متضاعفة التركيب . جلد أوتار ودم وعظم وادربعة دعضـلات الخ ــ فهى أسهل تميزا ــ ليس النص على هذا القدر من الصراحة . ــ اليد والذراع ــ (عبارة مشابهة لهذه فى كتاب النفس ك ٢ ب ١ ف ٩ ص ١٧٦ من ترجمتنا) لان اليد والذراع هما عضوا عمل فمتى تعطلا عن العمل فكأنهما غير موجودين . ــ ولـكن لا بحسب المادة ــ بنفس السبب الذى ذكر فيما سبق فى آخر الفقرة ١٤ . ــ الكل ــ مركب معا من صـــورة ومادة . ــ الضد ــ هذا التعبير ليس واضحا جـــدا . والاولى أن تنمو الاجسام بالمشابه كما سيجيء . ــ يأتى الرطب ينضم الى اليابس ــ مثال ذلك أن يسقط الماء على سطح جاف ويتبخر عليه . ــ أن الشبيه ينمو بالشبيه ــ تكاد هذه أن تكون قاعدة فى الفلسفة القديمة . ولكن هذا العموم مبهم قليلا . ومع أن الاجسام فى الحق تنمو بتمثل العناصر الجديدة فان هذا الايضاح ليس كافيا لتعبير ظاهرة النمو المعقدة .

§ ١٦ ــ الشيء ــ تعبير النص هو ايضا أقل تعيينـــا من ذلك . وان ما ينمى الجسم يجب أن يكون له صفة خاصة بها يمكن أن يتمثل فى الجسم وينقلب الى جوهره . ــ هذا العنصر الجديد ــ ليس النص على هذا القدر من الضبط . ــ الجسم بالقوة ــ يعنى بعبارة اخرى انه يمكن ان يصير الجسم بتمثله فيــه . ــ أذا كان اللحم هـــو الذى ينمى ــ كالاغذية التى نأخذها فتتحول الى دم ولحم لتقويم حياتنا وانماء جسمـــنا . ــ بالفعل وبالكمال ــ ليس فى النص الا كلمة واحدة . ــ أن يفسد ــ أو « يفنى » . كذلك الخبز الذى نطعمه هو بالقوة دم ولحم . ولكنه فى حقيقته الخاصة لم يكن يعد أحدهما ولا الآخر ــ يحصل كون ــ أو « تولد » ــ فى ذلك الشيء ــ هـــذه هى عبارة الاصل بنصها ويظهر أن فيها مبالغة لأنه لا يمـــكن ان يقال أن اللحم هو فى الخبز ولو أن الخبز بعملية الهضم يتغير جوهريا ويصير دما . ومع ذلك زدت كلمة « بالضبط » . ــ بهذا العنصر الجديد ــ عبارة النص ليست على هذا القدر من الصراحة . ــ أعانى اختلاطا ــ اضطررت هنـــا الى ان ازيد النص بيانا . ــ يمـــكن ان يبقى نبيذا ــ ذلك ممكن فى الواقع اذا كانت كمية الماء المصبوب قليلة بحيث لا تغير طبيعة المزيج تغـــيرا محسوسا . ــ أم ــ كلمة النص « و » . ــ كما أن النار تحرق ــ المقارنة غاية فى الصحة على الاكثر مما كان يعتقده أرسطو . ان الفسيولوجيا فى أيامنا هذه قد وجدت فى تمثيل الاغذية نوعا من الاحتراق فان القوى الحيوية هى نوع من النار يحيل الاغذية التى تدخل فى أجسامنا . ــ بالفعل وبالكمـــال ــ ليس فى النص الا كلمة واحدة . ــ الجوهر الباطن الذى له قوة الانماء ــ عبارة النص مبهمة جدا وقد اضطررت الى زيادة ضبطها فى الترجمة ــ بالفعل وبالكمال ــ هنـــا ايضا ليس فى النص الا كلمـــة واحـــدة =

الذى يحدث النمو • واضح أن هذا العنصر الجديد يجب أن يكون الجسم بالقوة • مثلا اذا كان اللحم هو الذى ينمى يجب ان يكون لحما بالقوة مع انه بالفعل وبالكمال شيء آخر • وهذا الشيء الآخر وجب أن يفسد ليصير لحما • على ذلك حينئذ ليس هو فى ذاته ما يصير اليه • لانه اذا يحصل كون لا مجرد نمو • ولكن الشيء الذى ينمو هو بالضبط فى ذلك الشيء فماذا لقى الجسم بهذا العنصر الجديد حتى انه نما هكذا؟ اعانى اختلاطا كما يصب الماء فى النبيذ بحيث ان المزيج كله يمكن ان يبقى نبيذا ؟ ام كما ان النار تحرق متى تلامس شيئا قابلا للاحتراق ، كذلك الامر فى الجسم الذى ينمو والذى هو لحم بالفعل وبالكمال ، الجوهر الباطن الذى له قوة الانماء هل يفعل لحما حقيقيا بالفعل وبالكمال من اللحم بالقوة الذى اقترب منه ؟ يلزم اذا ان يكون هذا العنصر الجديد مع الآخر ومقترنا به فى الوجود لانه لو كان منعزلا لحصل كون حقيقى • وعلى هذا النحو يمكن ايجاد نار من النار الموجودة من قبل بالقاء الخشب فوقها • وهذا بهذه الطريقة ليس الا نموا فى حين انه متى كان الخشب نفسه يحترق فهاهنا كون حقيقى •

§ ١٧ – لكن الكم مأخوذا على معناه الكلى لا يكون هاهنا الا كما قد يمكن أن يكون الحيوان الذى لا هو انسان ولا أى حيوان خاص • وبالفعل الحال هاهنا بالنسبة الى الكم كالحال هنالك بالنسبة الى الكلى • فحينئذ اللحم والعظم أو اليد أو الاعصاب والاجزاء المتشابهة من هذه الاعضاء

= هذا العنصر الجديد – ليس النص على هذا القدر من الضبط • – مع الآخر ومقترنا به – قد زدت على الاصل بل فصلت الجملة لان النص هنا غاية فى الايجاز • ولكنى لا ارى المعنى جليا تماما • فان « المس والاقتران »قد يفهم بحسب المكان بل وبحسب الجوهر وعلى هذا المعنى الاخير يكون مجرد تمثل – كون حقيقى – أضفت هذه الكلمة الاخيرة • – من النار الموجودة من قبل • – ليس النص على هذا القدر من التوسع • – متى كان الخشب نفسه يحترق – ليس التعبير واضحا قدر الكفاية لان الخشب لا يحترق بنفسه بل يلزم دائما تقريبه من النار • – فها هنا كون حقيقى – زدت أيضا هذه الكلمة الاخيرة • فان هذا الكون انما هو كون ظاهرة جديدة •

§ ١٧ – مأخوذا على معناه الكلى – عبارة النص أقل تعيينا • ومن الصعب جدا تحصيل ذلك الفرق الدقيق ويمكن ترجمته أيضا هكذا : ولكن ليس الكلى هو الذى يصير هنا كمية ما » – الحيوان – على طريق العموم لا الخصوص • فان الحيوان بوصف انه مفهوم كلى لا يوجد ولكن الذى يوجد هو هذا الحيوان الفلانى الخاص او ذاك الذى فيه يتحقق المعنى الكلى للحيوان • – الى الكم – بالمعنى الكلى • – الى الكلى – يعنى « المثال » • فان الكم مفهوما على المعنى لكلى لا يوجد الا كما يوجد الحيوان بالمعنى المجرد • – الاجزاء المتشابهة – أى الاجزاء العنصرية التى لا تفترق بعضها عن بعض والتى هى جميعا متشابهة • – كمية ما من مادة – كل هذه التمايز يمكن ان تظهر دقيقة بل غاية فى الدقة ولكنها صحيحة والظواهر نفسها من الدقة بحيث يلزم الا يدهش من صعوبة وصفها وتقريرها – كمية مقدرة – أضفت هذه =

تنمو لان كمية ما من مادة تأتى فتنضم اليها بلا شك ولكن بدون ان تكون هذه المادة كمية مقدرة من لحم ، فمن جهة أن العنصر الجديد هو الواحد والآخر بالقوة ومثلا كمية معينة من لحم بهذا المعنى فهذا العنصر على هذا الوجه ينمى الجسم لانه يلزم أن يصير من اللحم ، ومن اللحم بكمية معينة . ولكن فقط من جهة أن العنصر المضاف هو من اللحم انه يمكنه تغذية الجسم . وبذلك كان الغذاء والنمو يختلفان أحدهما عن الآخر عقلا . من أجل ذلك ايضا الجسم هو مغذى كل الزمن الذى يعيشه ويمكنه بل الزمن الذى يفناه ولكنه لا ينمو بلا انقطاع . فى الحق ان التغذية هى مماثلة للنمو وتشتبه به ولكن كونهما مختلف . على ذلك حينئذ بما أن العنصر الذى يأتى فينضم هو بالقوة فكمية ما من اللحم يمكنها أن تنمى اللحم . ولكن فقط من جهة أنه لحم بالقوة يمكنه أن يكون غذاء .

§ ١٨ — وهذه الصورة أو هذا النوع بلا مادة هو فى المادة كقوة لا مادية . ولكن اذا تجىء فتنضم الى الجسم مادة ما هى لا مادية بالقوة

= الكلمة الاخيرة لبيان الفكرة . وبتطبيق هذا على الاغذية التى نتغذى بها نجد فى الحق أن الخبز هو كمية تأتى فتضاف الى لحمنا . ولكن فى الحق ايضا انه لم يكن بعد من اللحم تماما العنصر الجديد — ليس النص على هذا القدر من الضبط . — الواحد والآخر بالقوة — يعنى أخذا بشرح فيلوبون ، من اللحم بالقوة بطريقة عامة وأيضا كمية ما من اللحم بالقوة أيضا او بعبارة اخرى يلزم ان العنصر الجديد يمكن ان يصير معا لحما وكمية ما من اللحم بانضمامها الى الجسم يمكنها ان تعطيه النمو الذى يأخذه . — العنصر المضاف — ليس النص على هذا القدر من الصراحة . — يمكنه تغذية الجسم — عبارة النص هى «انه يغذى» . — عقلا — أو بما « بحديهما » . — الذى يفناه — ويمكن ترجمته أيضا هكذا : «بل الى أن يفسده» . — فى الحق — ضفت هاتين الكلمتين . — ولكن كونهما مختلف — تمييز معروف وغالب الاستعمال فى مذهب ارسطو . — على ذلك حينئذ — تلخيص للنظرية السابقة التى يظهر انها دقيقة جدا وصحيحة جدا معا .

§ ١٨ — هذه الفقرة كلها غامضة جد الغموض . ومن المحتمل ان النص فيها محرف فيما يظهر . على انه وارد فى النسخة التى شرحها فيلوبون فيما يظهر على ما هى عندنا اليوم وانه لم يجد فيها صعوبة ما غير ان شرحه لم يأتنا ببيان خاص يجلو غوامضها . — بلا مادة ... فى المادة ... لا مادية — كل هذه التكارير موجودة فى الاصل . — الكم ... هذه النقط التى وضعتها هنا تقليدا لبعض الناشرين من شأنها ان تدل على احتمال وجود بياض فى الاصل ولكن الواقع انه ليس لدينا الا مجرد ظن لم يقم عليه دليل ما . — فهذه الاجسام اللامادية — فى النص استتم اشارة لجمع مذكر يظهر أنه لا يتعلق بشىء مذكور ويثير فى النفس الظن بوجود النقص الذى أشرت اليه . وقد افترض مفسرو جامعة كويمبر وجود رواية أخرى تنحصر فى علامة على حرف متحرك . ولكن هذه الرواية الاخرى لا تكاد تجلو غموض النص . فعلى رأيهم ان القصد هنا هو التمثيل بالمزمار حيث يمكن تمييز الصورة زيادة على المادة كما فى كل آلة اخرى . وهذا الفرض لا يمزق حجاب الظلام عن هذه الجملة ويجب تركها كما هى مع الاعتراف بانه لا يمكن تصحيحها . —

مع أن لها أيضا بالقوة الكم ... ، فهذه الاجسام اللامادية ستكون اذا أعظم . ولكن اذا كانت هذه المادة المضافة تصل الى حد الا تستطيع أن تكون شيئا واذا كان الماء كذلك بامتزاجه أكثر فأكثر بالنبيذ يصل الى أن يصيره اكثر فأكثر مائيا والى أن يحيله أخيرا تماما الى ماء فحينئذ يمكنه أن يجر الى فساد الكمية ولكن الصورة والنوع يبقيان كما كانا .

= هذه المادة المضافة — عبارة النص غاية فى عدم التعيين وقد ظننت أن من الواجب أن أكون اكثر تعيينا وضبطا فى الترجمة . — تكون شيئا — هاهنا حافظت على عبارة النص فى كل عمومها لانى خفت أن أحرفها اذا حاولت أن اجعلها اقل عموما . فان « الا تكون شيئا » تفيد من غير شك ان المادة المضافة لن يمكنها ان تتمثل فى جوهر الجسم الذى تضاف اليه — فساد الكمية — يظهر أن الاولى ان يقال « فساد الكيفية » ولكن ليس هنا رواية اخرى . الصورة والنوع — ليس فى النص الا كلمة واحدة . — يبقيان كما كانا — يظهر على ضد ذلك تبعا لنفس المثل الذى اورده المصنف ان الصورة والنوع يفنيان ما دام النبيذ ينقلب نهائيا الى ماء باضافة السائل الذى صب فيه .

الباب السادس

الفعل المتكافىء للعناصر بعضها فى بعض – فى اختلاطها – راى ديوجين الابلونى – لاجل ادراك أن العناصر تفعل او تنفعل بعضها ببعض يلزم توضيح ما يعنى بتماسها – المعانى المختلفة لهذه الكلمة – الفرق بين الحركة والفعل – المحرك غير المتحرك لا حاجة به ضرورة الى مس الشىء الذى يحركه – الشىء المحرك يمكن الا يمس شيئا هو ايضا فى دوبته – آخر نظرية التماس ·

---

§ ١ – لما انه يلزم عند دراسة المادة وبالنتيجة العناصر أن يقال بادىء بدء ما اذا هى تكون أو لا تكون واذا كان كل واحد منها أزليا أو اذا كانت مخلوقة بأى وجه ما · ومع أنها مخلوقة اذا كان يمكنها كلها أن تتكاون بطريقة واحدة أو اذا كان أحدها هو أسبق من الآخر فينتج من ذلك أن من الضرورى أن تعين جيدا بادىء الامر الاشياء التى لم يتكلم عنها حتى هذه الساعة الا بطريقة جد مبهمة وغير كافية جدا ·

§ ٢ – وفى الحق كل أولئك الذين يقبلون الخلق للعناصر أنفسها كما يقبلونه بالنسبة للمركبات التى تنتج عنها يقتصرون فى ايضاح كل شىء على الاجتماع والافتراق وعلى الانفعالية وعلى الفعل · ولكن الاجتماع ليس الا اختلاطا ولم يحد لنا جليا ما يجب علينا أن نعنى باختلاط الاجسام · ومن جهة أخرى ليس من الممكن كذلك أن تحصل استحالة ولا افتراق أو اجتماع بدون موضوع يفعل وينفعل · لان أولئك الذين يقبلون تعدد العناصر يجعلونها تولد من الفعل والانفعال المتكافئين بين العناصر بعضها والبعض الآخر ·

---

§ ١ – لما انه يلزم – قد حافظت على اسلوب الجملة فى النص الاغريقى كما هى مع انها طويلة فى الترجمة فيما يظهر · – اذا كانت مخلوقة – او «تكون» · – التى لم يتكلم عنها – يحتمل ان يكون المقصود بهذه العبارة فلاسفة من اسلافه وان ارسطو لم يقصد الكلام عن نظرياته الخاصة · – جد مبهمة وغير كافية جدا – ليس فى النص الا كلمة واحدة ·

§ ٢ – يقبلون الخلق – عبارة النص هى « الذين يخلقون » الذين يولدون ، الذين يكونون ·

يقتصرون فى ايضاح كل شىء – ليس النص صريحا بهذا القدر · – على الانفعالية – لكيلا أقول «الانفعال» · – ليس الا اختلاطا – ربما لا يكون المعنى محكما · – لم يحد لنا جليا – عبارة النص اشد ابهاما قليلا · – بدون موضوع يفعل وينفعل – هذا الموضوع هو ذلك الذى من غير أن ينقطع كونه يمكنه على التعاقب أن يقبل الاضداد كما سيجىء بيانه فى الفقرة التالية ·

§ ٣ – ومع ذلك يلزم دائما الوصول الى القول بأن كل فعل يأتي من مبدا واحد أحد • فانظر كيف أن ديوجين كان عنده الحق اذ يقرر انه اذا كانت كل العناصر لم تكن تأتي من واحد فلا يمكنها أن يكون بينها لافعل ولا قابلية للفعل على طريق التكافؤ وان الحار مثلا قد لا يمكن أن يبرد ولا البارد أن يسخن من جديد • وكان يقول ليست الحرارة ولا البرودة هي التي تتغير احداها في الاخرى بل من البين بذاته أن الموضوع هو الذي يعاني التغيير • وبالنتيجة كان يستنتج ديوجين أن في الاجسام التي فيها يمكن وجود فعل وانفعال يلزم بالضرورة أن يكون لها طبيعة واحدة هي موضوع لهاتين الظاهرتين • ولا شك في أن تقرير أن جميع الاشياء هي في هذه الحالة قد لا يكون تقريرا صحيحا فان هذا لا يلاحظ في الواقع الا في الاجسام التابعة بعضها لبعض •

§ ٤ – لكن اذا أريد استيضاح الفعل والانفعال والاختلاط بجلاء لزم بالضرورة أيضا دراسة ماهو التماس بين الاشياء • ان الاشياء لا يمكنها حقيقة الفعل والانفعال أحدها بالآخر حين لا يمكنها التماس على التبادل • واذا لم تكن قد تلامست سابقا بأي وجه ما فلا يمكنها أبدا أن تختلط أحدها بالآخر • فيلزم اذا اولا حد هذه الظواهر الثلاث التماس والاختلاط والفعل •

§ ٥ – فلنصدر عن هذا المبدأ : وهو أنه بالنسبة لجميع الاشياء

---

§ ٣ – كل فعل – عبارة النص غير محددة ولكني اضطررت كما فعل المصنف الى أن اكرر الكلمة عينها التي استعملت آنفا • – ديوجين – على تقدير الابلوني • – كل العناصر لم تكن تأتي من واحد – عبارة النص تستخدم بالبساطة ضمير جمع فالتزمت زيادة البيان في الترجمة • – لا فعل ولاقابلية للفعل – يعني فعل بعضها في بعض بالتكافؤ هذه • تحتمل الفعل التي تفعله تلك • – وكان يقول – اضفت هذه الكلمات لان أسلوب النص يسمح باضافتها • – الموضوع – يعني الجسم بعينه الذي يكون بالتناوب باردا أو حارا والذي مع بقائه يمكن ان تتغير حاله وكيفية وجوده • – كان يستنتج ديوجين – اضفت هذه الكلمات للسبب السابق • – موضوع لهاتين الظاهرتين – ليس النص على هذا التوسع • – التابعة بعضها لبعض – بمعنى أنها يمكنها ان يفعل بعضها في بعض • وربما امكن ترجمة العبارة هكذا: « في الاشياء التي يوجد فيها تكافؤ بين بعضها والبعض الآخر » •

§ ٤ – بجلاء – اضفت الكلمة المفهومة بالسهولة من السياق والتي تتم الفكرة • – بين الاشياء • – أضفت هاتين الكلمتين •

– هذه الظواهر الثلاث – قد يمكن ترجمتها هكذا : « هذه الكلمات الثلاث » فان عبارة النص غير محددة تماما •

§ ٥ – بالمعنى الخاص – معنى هذا في شرح فيلوبون أن المقصود هنا هو التماس المادي المحض وقد يقال ان نميمة تمس الذي وجهت اليه ولكن هذا المساس هو معنوي محض =

التي فيها الاختلاط يلزم مطلقا انها يمكنها أن تتلامس بينها • واذا كان الواحد يفعل والآخر ينفعل بالمعنى الخاص فيلزم أيضا أن يكون هذا التماس ممكنا • هذا هو ما نبينا في الكلام بادىء بدء على التماس •

§ ٦ – لكن كما أن أكثر الكلمات الاخرى هي مأخوذة على عدة معان تارة بطريق التواطؤ وتارة بالاشتقاق من كلمات أخرى سابقة عليها كذلك يقع هذا التنوع في الاطلاق اللفظي بالنسبة للفظ التماس • ومع ذلك فان التماس بالمعنى الخاص لا يمكن أن ينطبق الا على الاشياء التي لها وضع ولا وضع الا للأشياء التي لها مكان لانه يلزم أن يعنى بالتماس وبالمكان كما يعنى الرياضيون سواء أكانا أي المكان والتماس منفصلين عن الاشياء أم كانا يوجدان بأي وجه ما • وحينئذ اذا كان كما بين سابقا أن تماس هو أن تجتمع النهايات فيمكن أن يقال ان هذه الاشياء تتلامس على التي ، وهي ذات أعظام وأوضاع معينة ، نهاياتها مجتمعة معا •

§ ٧ – ولكن لما كان الوضع خاصا بالاشياء التي لها أيضا أين وكان الفصل الاول للاين هو الفوق والتحت مع المقابلات الاخرى من هذا القبيل، ينتج منه أن جميع الاشياء التي تتلامس يجب أن يكون لها ثقل أو خفة

= وليس هذا هو المعنى الذي يقصده ارسطو من المماس أو التماس اذ يطبقه على الاشياء •ر• ما سيجيء ف١٠• – أن يكون هذا التماس ممكنا – عبارة النص بالبساطة هي : «وبالنسبة لهذه الاشياء يلزم ان يكون الامر كذلك » فآثرت زيادة البيان •

§ ٦– تارة بطريق التواطؤ – ر• اول المقولات ب١ف١ ص٥٣ من ترجمتي • – بالاشتقاق هذا هو ما يسمى بالمشتقة اسماؤها •ر• المقولات ب١ف١ص ٥٤ • – سابقة عليها – يعني أبسط وأعم وقد يمكن حمل هذا المعنى على مجرد التقدم بالزمان • فان أصل الكلمة متقدم على المشتق الذي يخرج منه • – هذا التنوع في الاطلاق اللفظي – ليس الاصل صريحا هكذا كما يعنى الرياضيون – كان حق هذا ان يوضح وكان يلزم ان يقال بالضبط كيف يفهم الرياضيون التماس والمكان • – المكان والتماس – اضفت هاتين الكلمتين ليكون البيان أجلى أكانا منفصلين عن الاشياء – يرى فيلوبون أن هنا كان مذهب فيثاغورث الذي اتخذه افلاطون مذهبا له اذا صدقت الانتقادات التي وجهها ارسطو الى نظرية المثل • – أم كانا يوجدان باي وجه ما – مثلا في الاشياء التي لا تكون منفصلة عنها جوهريا • – كما بين سابقا –ر• الطبيعة ك٥ب٥ف٤و١٤ ص ٣٠٠و٣٠٤ من ترجمتنا • – أن تجتمع النهايات – عبارة النص هي : «معا» وهذه الكلمة تطلق على الاجتماع في المكان كما تطلق عليه في الزمان • – نهايتها مجتمعة معا – الشأن في هذه الجملة كما هو في التنبيه السابق •

§ ٧ – الفصل الاول – يعني الفصل الاظهر والذي يقرع الحواس بادىء الامر • ر • الطبيعة ك٣ب٧ف٨ص١١٤ من ترجمتنا • – مع المقابلات الاخرى من هذا القبيل – يعني اليمين واليسار والامام والخلف الخ • – ينتج منه – هذه النتيجة ليست حتمية فيما يظهر ولكن في نظريات ارسطو لما أن الحركة الى الفوق تستدعي الخفة والحركة الى التحت تستدعي الثقل فالجسم لا يمكن أن يكون له مكان الا اذا كان ثقيلا أو خفيفا • – او هاتان الخاصتان =

أو هاتان الخاصتان معا أو على الاقل احدى الاثنتين ٠ وهذه الاشياء من هذا النوع انما هى القابلة للفعل وللانفعال فبـــين اذا بذاته أنه يجب إستنتاج أن تلك الاشياء تتلامس بالطبع وانها بما هى أعظـــام منفصلة ومتمايزة فنهاياتها واقعة طرفا لطرف ويمكنها أحدها أن يحرك والآخر أن يتحرك على التكافؤ أحدهما بالآخر ٠ ولكن لما أن المحـــرك لا يحرك بالطريقة عينها التى بها الشىء المحرك يحرك فى دوره وان هذا الاخـــير لا يمكن أن يحرك الا بما هو واقع فى الحركة هو نفسه فى حين أن الآخر يمكنه أن يحرك مع بقائه هو نفسه غير متحرك فمن البين انه يمـــكننا تطبيق هذه التمايز عينها على الجسم الذى يفعـــل لانه حتى فى اللغة العامية يقال أيضا على السواء أن الذى يحرك يفعل وأن الذى يفعـــل يحرك ٠

§ ٨ – ومع ذلك يوجد هنا فصل ما ٭ فينبغى التمييز : ذلك أن كل مايحرك لا يمكنه دائما أن يفعل كما سنرى بالمقابلة بين مايفعل وبين

= معا – هذا غير مفهوم الا على طريق المقارنة ، فان جسمنا هو ثقيل بالنسبة لجسم معين وخفيف بالنسبة لآخر ٠ – احدى الاثنتين – على هذا فى نظريات ارسطو ان الارض ليس لها الا الثقل والنار ليس لها الا الخفة ٠ وأما الهواء والماء فلهما فى آن واحد الخفة والثقل تبعا لمقارنتهما بهذين العنصرين الآخرين اللذين هما طرفان ٠ – طرفا لطرف – عبارة النص هى «معا» كما سبق ٠ – احدها ان يحرك والآخر ان يتحرك – عبارة النص على هذا الايجاز وليست اكثر وضوحا ٠ – مع بقائه هو نفسه غير متحرك – ٠ر٠ كل نظرية المحرك الاول غير المتحرك فى الطبيعة ك٨ب٧و٨ص ٥٠٧ وما بعدها من ترجمتنا ٠ر٠ أيضا ما بعد الطبيعة ك٧ب٨ص٢٠٣ ترجمة كوزان ٠ – هذه التمايز عينها على الجسم الذى يفعل – ليس النص صريحا بهذا القدر ٠ – وان الذى يفعل يحرك – هذا الخلط بين الفعل وبين الحركة لا يفهم جد الفهم الا اذا أدركت أنواع الحركة الثلاثة التى قررها أرسطو وهى النقلة والاستحالة والنمو ٠ وبين انه يوجد فعل فى الثلاثة جميعا ٠ ومع ذلك فان ارسطو فى الفقرة التالية قد عين فرقا بين فعل وبين حرك ٠

§ ٨ – التمييز – أو أيضا « أن يكون الحد مع التحديد » هذا هو معنى التعبير الاغريقى فى قوله ٠ – بالمقابلة – المعنى هاهنا ليس واضحا جدا ٠ وهاكه اكثر تفصيلا وبيانا : الفعل والتحريك ليسا حدين متساويين ومتكافئين فيلزم تمييزهما ٠ ولاجل ان يفهم جيدا الفصل الذى يفصلهما يلزم مقارنة حدين آخرين : الفعل والانفعال ٠ – كما سنرى ٠٠٠ فان جسمنا لاينفعل – عبارة النص غير محددة فلزم أن تكون الترجمة أكثر ضبطا ٠ – تأثرا أو شهوة – ليس فى النص الا كلمة واحدة ٠ – مجرد استحالة – يعنى بدون ان يكون هناك نقلة ولا تغير فى العظم بالزيادة أو بالنقص ٠ – فى حالة ما يصير حارا – النص اقل صراحة ٠ فان الجسم يكون فى مجرد استحالة متى صار حارا بعد ان كان باردا أو أبيض بعد ان كان أسود ٠ – له من السعة أكثر – فان الحركة يمكن أن تكون بالنقلة أو الاستحالة أو النمو واما الفعل فلا ينطبق الا على الاستحالة وحدها ٠ – وحينئذ من البين – هذه النتيجة ليست من البيان على ما يظن المؤلف فيما يظهر ولا تنتج بوضوح مما تقدم

ما ينفعل فان جسما لا ينفعل الا فى الاحوال التى فيهـــا تكون الحركة تأثرا أو شهوة • ولا توجد شـــهوة الا فى حالة ما يكون بالجسم مجرد استحالة ، مثلا فى حالة ما يصير حارا أو يصير أبيض • ولـــكن معنى التحريك له من السعة أكثر مما لمعنى الفعـــل • وحينـــئذ من البين أن المحركات أحيانا يجب أن تلامس الاشياء التى تحركها وأحيانا لا تلامسها •

§ ٩ — حد التماس مأخوذا على أعم معناه ينطبق على الاجسام التى لها وضع بما أن أحد الجسمين فى التماس يمكن أن يحرك وبما أن الآخر يمكن أن يتحرك وبما أن المحرك والمتحرك ليس بينهما نسبة الا نســـبة الفعل والانفعال •

§ ١٠ — فى الاحوال الاكثر عادية الشىء الـــذى لمس يلمس الشىء الذى لمسه لان كل الاشياء تقريبا التى يمـكننا مشاهدتها هى واقعة فى الحركة قبل أن تحرك أيضا فى دورها • وفى كل الاحوال يظهر أن هناك ضرورة الى أن الشىء الذى لمس يلمس الشىء الذى يلمسه • ولكنا نقـول انه قد يجوز أحيانا أيضا أن المحرك وحده يلمس الشىء الـــذى يعطيه

---

§ ٩ — مأخوذا على اعم معناه — وفى الوقت عينه على معناه الاخص • — ينـــطبق على الاجسام التى لها وضع — ر • ما سبق ف٦ — احد الجسمين فى التماس — النـــص ليس صريحا هكذا • — الانسبة الفعل والانفعال — عبارة النص هى : فى الاشياء التى بينها فعـل وانفعال •

§ ١٠ فى الاحوال الاكثر عادية — يظهر ان كل هذه الفقرة استطراد لا يتصل لزوما بما تقدم • — التى يمكننا مشاهدتها — أو «التى هى أمامنا» • — قبل أن تحرك أيضا فى دورها — ليس النص صريحا هكذا ولكن المعنى لا ريب فيه • — لا يلمس الآخر هذا ممكن معنـويا كما يثبته المثل الوارد فى آخر الفقرة ولكن من الجهة المادية يتلامس الشيئان بالتبادل • ومن المحال ان شيئا يلمس آخر من غير ان يلمسه هذا الآخر • وان الفعل قد يأتى مـن جهة واحدة دون ان يقابل بمثله ولكن التماس كما يدل عليه لفظه هو دائما متكافىء • وان مثل المحرك غير المتحرك ليس قاطعا لان ايصال الحركة يمكن ان يقع على مسافة ومن غـــير تماس حقيقى الاجسام المتجانسة — هذا التعبير مبهم قليلا • وقد فسره فيلوبون بأن فهم أن المقصود هو الاجسام المركبة من مادة واحدة بعينها لانها بذلك تستطيع أن ترد الفعل الذى تقبله ر • ما سيأتى فى الباب السابع ف٥ • — فيما يظهر — ربما كان الواجب ان يكون التعبير اكثر تأكيدا • — فيلزم ان يمس — ان نظرية المحرك غير المتحرك قد بسطت باسهاب فى الطبيعة ك٨ وفى ما بعد الطبيعة ك١٢ ب٨ • فان المحرك غير المتحرك يعنى الله ينقل الحركة التى يخلقها بطريقة مغايرة لما تنتقل به الحركة للاشياء التى تدركها مشاهدتنا فى هذه الدنيا وليس من المحتمل بهذا المعنى أن الله يمس الكائنات كما تماس الكائنات بعضها بعضا • — يمسنا — هذا التعبير الذى اضطررت الى أن أستعمله لا يظهر أنه مناسب تماما فى لغتنا وإن كان اكثر مناسبة فى اللغة الاغريقية • ولكنه ليس الا على طريق المجاز فان هذا المس المعنوى لا دخل له فى التماس المادى الذى هو موضوع البحث فى هذا الباب كله •

الحركة ، وان الشيء الملموس لا يلمس الآخر الذى يلمسه • ولما أن الاجسام المتجانسة لا تحرك الا متى حركت هى أنفسها فيلزم فيما يظهر أن جسما ملموسا يلمس هو أيضا • وبالنتيجة اذا كان محرك ما ، مع كونه هو نفسه غير متحرك ، يؤتى الحركة ، فيلزم أن يمس الشيء الذى يحركه دون أن يمسه هو نفسه شيء • وعلى ذلك فى الواقع نقول أحيانا على الشخص الذى يؤذينا أنه يمسنا من غير أن نمسه نحن أنفسنا •

§ ١١ ـ ذلك ما كنا نبغى أن نقول على التماس معتبرا فى الاشياء الطبيعية •

---

§ ١١ ـ ذلك ما كنا نبغى ان نقول ـ يمكن تقريب هذه النظرية كلها بالنظريات التى ذكرت ولكن باختصار فى الطبيعة ك٥ ب٥ ف١٣ وك٦ب١ف٢ فان المذهب فى الموضعين واحد ـ فى الاشياء الطبيعية ـ لا فى الاشياء المجردة والرياضية •

الباب السابع

نظرية الفعل والانفعال — آراء الفلاسفة — ديمقريطس هو الذى اجادفيهم هذا الموضوع سبب خطأ الفلاسفة — الشبيه لا يمكن أن يقبل أى فعل من الشبيه — العلاقة الضرورية بين الفاعل والمنفعل — الشبه والفرق بينهما — توفيق رأيين متعارضين فى تمييز لفظى المشابهة بين الحركة وبين ظاهرتى الفعل والانفعال — المحرك الاول يمكن ان يكون غير متحرك — الفاعل الاول يمكن ان يكون كذلك لا منفعلا — ختام نظرية الفعل والانفعال •

---

§ ١ — تعقيبا لما تقدم نوضح ماذا ينبغى أن يعنى بفعل وانفعل • ولقد تلقينا من الفلاسفة السابقين لنا نظريات متخالفات بينها فى هذا الموضوع • ومع ذلك فانهم متفقون باجماع على أن الشبيه لايمكن أن يقبل شيئا من الشبيه لان الواحد منهما ليس أشد فاعلية ولا انفعالية من الآخر • وان الاشباه لها كيفياتها متماثلة مطلقا • ثم يزاد أن الاجسام غير المتشابهة والاجسام المختلفة انما هى التى لها فعل وانفعال على طريق التكافؤ بعضها فى بعض • مثال ذلك حينما تطفأ نار بنار أكبر منها يزعم فلاسفتنا أن النار التى هى أقل انفعلت فى الواقع بمقتضى مقابلة الاضداد بما أن كثيرا هو ضد لقليل •

§ ٢ — ديمقريطس هو الوحيد ، خلافا لجميع الآخرين ، الذى قدم

---

§ ١ — بفعل وانفعل — لم يمكنى ان اجد فى لغتنا عبارات تجعل كلمات النص اكثر وضوحا • وقد يمكن ان يترجم ايضا هكذا : «ان يكون فاعلا وقابلا» • يفعل وينفعل هما المقولتان الاخيرتان للمقولات العشر • ر• المقولات ب٤ف١و٢ من ترجمتنا • — تلقينا من الفلاسفة السابقين لنا — يلاحظ فيلوبون ان ارسطو يبقى على عهد طريقته العادية من بسط النظريات السابقة قبل بسط نظريته الخاصة • — ان الشبيه لا يمكن ان يقبل شيئا من الشبيه — ذلك هو أحد المبادىء التى قد يوجد منها عدد عظيم فى الفلسفة القديمة لا تستند الى مشاهدات وافية وليست الا نتائج سابقة لاوانها ومنطقية محضة • — غير المتشابهة والاجسام المختلفة — هذا التكرير هو فى النص • — فعل وانفعال • أو انما هى الفاعلة والقابلة • — بنار اكبر — يظهر انه ليس هنا اختلاف حقيقى • فان النار الاقل هى تماما مشابهة للنار الاقوى من جهة كونها نيرانا وفقط احداهما التهمت الاخرى • ولكنه لاينبغى التشدد فى طلب الضبط الى علم ذلك الزمان • — بما ان كثيرا هو ضد لقليل — هذا حق ولكنه لا ينتج منه ان نارا صغيرة تكون ضدا لنار كبيرة • ومع ذلك هذا ما كان يجب ان يكون ليصير المثل صحيحا وحقيقا بالانطباق •

§ ٢ — ديمقريطس هو الوحيد — يظهر ان ارسطو فى جميع مؤلفاته يحفل كثيرا بديمقريطس وبنظرياته وهنا يعطيه الحق على الاقل بالجزء ضد جميع الفلاسفة السابقين • — رأيا خاصا — كلمة النص ليس لها معنى محدود بهذا المقدار • وربما افادت ان ديمقريطس قرر رأيا صوابا من بعض الوجوه ومعارضا للنظريات السابقة • — من المشابهة والمماثلة — ليس فى النص الا كلمة واحدة •

فى هذا رأيا خاصا • فهو يقرر ان هذا الذى يفعل وهذا الذى يقبل هو فى الحقيقة مماثل ومشابه لانه لا يوافق على أن أشياء مختلفة ومتغايرة تماما يمكنها أن تقبل أياما بعضها من بعض • واذا كان بعض الاشياء ، مع كونها متغايرة بينها ، لها بعضها على بعض فعل ما متكافىء فهذه الظاهرة ، على رأيه ، تقع فيها لا بما هى متخالفة بل بما هى على الضد من ذلك لها نقطة ما من المشابهة والمماثلة •

§ ٣ ـ تلك هى اذا الآراء التى قررت قبلنا • ولكن الفلاسفة الذين قرروها قد يظهر أنهم تناقضوا فيما بينهم ، والسبب فى اختلافهم فى هذا الصدد هو انه فى مسألة يلزم فيها اعتبار مجموع الموضوع لم يعتبروا فيه هؤلاء وهؤلاء الا جزءا واحدا •

§ ٤ ـ وفى الحق أن ما هو شبيه تماما ولا يغاير مطلقا بأى وجه ما لا يمكنه مطلقا أن يحتمل شيئا ولا أن يقبل شيئا من قبل شبيهه • لماذا ، فى الحق ، ان أحد الشيئين يفعل دون الآخر ! فاذا كان ممكنا أن الشىء يقبل بأى طريقة من شبيهه اذا يمكنه أن يقبل أيضا من ذاته • وحينئذ مع التسليم بهذا فينتج منه أن لا شىء فى الدنيا يكون غير قابل

---

§ ٣ ـ تلك هى اذا الآراء ـ قد يرى أن بسط الآراء السابقة موجز بعض الشىء ولكن يجب علينا فى هذا الصدد ان نثق بصدق أرسطو الذى ما سعى البتة فى الحط من اقدار اسلافه على رغم التهمة التى اتهمه بها باكون • ـ مجموع الموضوع ـ ليس النص على هذا القدر من الضبط • ومع ذلك فان الفكرة التى يعبر عنها أرسطو هى عريقة فى الصحة • وذلك يرجع الى القول بان هذه المذاهب على العموم اولى بها ان تكون غير تامة من ان تكون باطلة •

§ ٤ ـ أن يحتمل شيئا ولا أن يقبل شيئا ـ ليس فى النص الا كلمة واحدة • ولكن لما أنه يوجد فيه أداة نفى أردت أن أوفيه القوة بالفعلين ولو أن المعنى واحد تقريبا • ـ من قبل شبيهه ـ يعنى مما هو على جهة الاطلاق والتماثل مشابه له • ـ احد الشيئين ـ زدت هاتين الكلمتين • ـ يفعل ـ او ينفعل • ـ يمكنه ان يقبل ايضا من ذاته ـ يعنى يحتمل فعلا يحدثه هو نفسه فى نفسه ، وهذه النظرية دقيقة فيما يظهر • ـ مع التسليم بهذا ـ أو بعبارة اخرى اذا افترض ان الشبيه يفعل فى الشبيه وان شيئا يفعل مباشرة فى نفسه • ـ غير قابل للفناء ولا غير متحرك ـ قد قرر ارسطو دائما انه يوجد فى الدنيا اشياء غير قابلة للفناء وانه بالاقل المحرك الاول هو غير متحرك • ـ يمكنه ان يعطى الحركة لنفسه ـ ليس النص على هذا الضبط ويمكن ترجمته ايضا هكذا : «لنفسه وان ما هو مغاير له تماما وليس له معه أدنى تماثل يمكنه ان يعطيه لنفسه على السواء » • وقد ظهر لى ان المعنى الآخر افضل من جهة النحو • ـ وفى الواقع ـ لا يظهر ان ارتباط المعانى هنا واضح • ـ البياض الامثلة لا يظهر انها قد احسن اختيارها • ـ من قبل خط ـ او بالاولى سطح كما يفسره فيلوبون • ـ بالعرض والواسطة ـ ليس فى النص الا كلمة واحدة • ـ الخط او السطح عفوا من تلقاء أنفسها ـ ربما صحت ترجمتها أيضا «بالتبادل» •

للفناء ولا غيرَ متحرك اذا فرض أن الشبيه بما هو شبيه يمكنه أن يفعل ما دام حينئذ كل موجود أيا كان يمكنه أن يعطى الحركة لنفسه ويعطيها أيضا على السواء للموجود المغاير تماما والذى ليس له به تماثل ما ٠ وفى الواقع أن البياض لايمكنه أن يقبل أى فعل من قبل خط ولا ان خطا ينفعل بشىء من قبل البياض الا ما ربما يكون بالعرض والواسطة : مثلا فى حالة ما اذا كان الخط بالمصادفة أبيض أو أسود ٠ لان الاشياء لا يمكنها أن تغير طبعها عفوا من تلقاء أنفسها متى لم تكن أضداداً بعضها لبعض أو غير آتية من أضداد ٠

§ ٥ – ولكن لما أن فعل وانفعل ليسا بالطبع خاصية أى جسم اتفق وأخذ بالمصادفة وانهما لا يكونان الا فى الاشياء الاضداد بعضها لبعض أو التى بينها تضاد ما فينتج من ذلك ضرورة أن الفاعل والقابل يجب أن يكونا شبيهين ومتحدين بجنسهما بالاقل وأن يكونا غير متشابهين ومتضادين بنوعهما على هذا تريد الطبيعة ان الجسم يقبل فعل الجسم والطعم يقبل فعل الطعم واللون فعل اللون ، وعلى جملة من القول أن شيئا مجانسا يمكن أن يقبل فعلا من قبل الشىء المجانس ٠ والسبب فيه أن جميع الاضداد هى فى جنس واحد ، وان الاضداد تفعل بعضها فى بعض وتقبل بعضها من قبل البعض الآخر ٠ اذا يلزم ضرورة أن ، من وجه ، الفاعل والقابل يكونان متشابهين وفى الحين عينه يلزم أيضا أن يكونا غير متشابهين ومتغايرين بينهما ٠

§ ٦ – ما دام اذا يلزم أن يكون الفاعل والقابل هما متحدين

---

§ ٥– اى جسم اتفق واخذ بالمصادفة – ليس فى النص الا كلمة واحدة ٠– تضاد ما ليس النص على هذه الصراحة ٠– بجنسهما ٠٠٠بنوعهما – هذا التمييز سيصلح فيما بعد للتوفيق بين الآراء المتعارضة للفلاسفة السابقين ٠– يقبل فعل – أو بعبارة أخرى مماثلة لعبارة النص : «يقبل من الجسم» وهذا التعبير مع ذلك مبهم وكان الاولى ايضاحه ٠ – مجانسا – او من الجنس بعينه ٠ر٠ ما سبق ب٦ف١٠٠ – اذا يلزم ضرورة – تكرير لما سبق آنفا بالحرف تقريبا ٠

§ ٦ – ما دام اذا ٠٠٠الفاعل والقابل– تكرير آخرمساعد مع ذلك على ايضاح الفكرة أكثر منه على اطالتها ٠ – تسبب الاضداد – ر ٠ المقولات ب ١١ ف ٦ ص ١٢٢ من ترجمتنا ٠ – مطلقا – أو على العموم ٠– ان النار تسخن – ربما كان التعبير عاما جدا وربما كان يلزم ذكر مفعول كان يقال مثلا : « تسخن الجسم الذى تفعل فيه » ٠ وأن البرد يبرد هذا التكرير غير المفيد موجود كذلك بالنص ٠– يحيل الى ذاته –هاهنا ايضا العبارة قليلة الضبط ولو أن المعنى صحيح جدا – تحول الشىء الى ضده – النص غاية فى الايجاز فاضطررت الى بسطه ٠– الذى ينفعل يتغير بهذا الذى يفعل – قد يكون فى العبارة بعض التجاوز لان الشىء الذى يسخن لا ينقلب نارا – مفض الى الضد ٠ – النص يستخدم تعبيرا يشعر بنوع من الحركة ٠ وهذا الذى حاولت تحصيله فى ترجمتى ٠

ومتشابهين فى الجنس ولا متشابهين فى النوع وان هذه هى نسب الاضداد فينتج من هذا جليا أن الاضداد والاوساط تفعل وتقبل على طريق التكافؤ بعضها ازاء البعض الآخر • فان فيها مطلقا يحصل فساد الاشياء وكونها• لذلك فبسيط جدا أن النار تسخن وأن البرد يبرد وعلى جملة من القول أن الشىء الذى يفعل يحيل الى ذاته الشىء الذى يقبل فعله • ما دام ان هذا الذى يفعل وهذا الذى يقبل هما ضدان ، وان الكون هو على التحقيق تحول الشىء الى ضده • ينتج منه أن بالضرورة الذى ينفعل يتغير بهـذا الذى يفعل • وعلى هذا النحو فقط يحصل كون مفض الى الضد •

٧ ـ هذا هو الذى يوضح جيدا كيف أن فلاسفتنا من غـير أن يكرروا صراحة الاقوال أعيانها يمكنهم مع ذلك على الوجهين أن يصلوا الى استكشاف الطبع والحق • وعلى هذا نقول تارة انه الموضوع نفسه هـو الذى ينفعل متى قلنا ان فـلانا يبرأ وانه يـدفأ وانه يبرد وانه يعانى انفعالات من هذا القبيل • وتارة أيضا نقول مثـلا ان البرودة هى التى تصير ساخنة أو ان المرض هو الذى يصير الصحة وعلى الوجهين العبـارة صادقة •

§ ٨ ـ والامر كذلك ايضا فيما يخص الفاعل فاننا نقـول احيانا انه هو فلان الذى يسخن الشىء الفلانى ومرة أيضا ان الحرارة هى التى تسخن • لانه تارة هى المادة التى تقبل الفعل وتارة أيضا الضد هـو الذى يقبل • على ذلك فانه بنظر الاشياء من هذه الجهة زعم بعضهم أن

---

§ ٧ ـ فلاسفتنا ـ عبارة النص أقل ضبطا • ـ الطبع والحق ـ ليس فى النص الا كلمة واحدة ـ انه الموضوع ـ يعنى الموجود الذى له الكيف المعد لان يتغير بكيف مضـاد • ـ البرودة يعنى الكيف ذاته • وقد لا يكون التمايز بينا فى النص ولانه على هذا التمايز يعتمد فى التحليل فكان الالزم ان يكون التعبير اظهر من هنا • وقد اجاد فيلوبون ايضاح هذه الفقرة كلها ولو أنه أطال فى الايضاح • ـ هى التى تصير ساخنة ـ فى هذا التعبير شىء من الغرابة فى النص وفى ترجمتى ايضا ـ وعلى الوجهين العبارة صادقة ـ يعنى سواء قصد الى الموضوع او قصد الى الكيفية نفسها التى تتغير •

§ ٨ـ والامر كذلك ـ يعنى انه يمكن ان يجرى هذا التمايز بالنسبة للفاعل والقابل اللذين هما متحدان بالجنس ومختلفان بالنوع • ـ فلان الذى يسخن الشىء الفلانى ـ ليس النص على هذا القدر من البيان • ـ ان الحرارة هى التى تسخن ـ من جهة أنه هو الموضوع ومن جهة اخرى انها هى الكيفية أو كما سيجىء بعد فى النص من جهة المادة ومن جهة أخرى الضد •ـ من هذه الجهة ـ يعنى بالنظر الى المادة التى هى مقولة بالاشتراك على الفاعل والقابل معا • ـ من جهة مخالفة ـ يعنى بالنظر الى الكيفيات المتضادة التى احداها تتغير الى الاخرى •ـ ان الامر على الضد من ذلك تماما ـ ما سبق بيانه فى آخر الفقرة الثالثة حيث يعيب أرسطو على كلتا النظريتين انها لم تعتبر الا جزءا من الموضوع الذى كان يجب فحصه فى مجموعة •

الموجود الذى يفعل والذى ينفعل يجب أن يكون بينهما شىء من التماثل . وان الآخرين بنظرهم الاشياء من جهة مخالفة زعموا أن الامر على الضد من ذلك تماما .

§ ٩ — ولكن التدليل الذى يمكن عمله لايضاح ما هو يفعل وينفعل هو نفسه الذى به يوضح ما هو يحرك ويتحرك . وعلى ذلك نفظ المحرك يحمل أيضا على معنيين . فأولا الشىء الذى فيه يوجد مبدأ الحركة يشبه أن يكون المحرك ما دام المبدأ هو أول العلل وثانيا انما هو الحد الاخير بالاضافة الى الشىء الذى هو محرك والى كون الشىء .

§ ١٠ — وتنطبق الملاحظة نفسها على الفاعل ، وعلى هذا النحو نقول على السواء ان الطبيب هو الذى يبرىء أو هو النبيذ الذى أمر به للمريض . وحينئذ لا شىء يمنع من أن المحرك الاول فى الحركة التى يعطيها يبقى هو نفسه غير متحرك . بل أحيانا قد تكون هناك ضرورة الى أن يكونه ولكن الحد الاخير يجب دائما لاجل أن يحرك أن يكون أولا قد حرك هو نفسه .

§ ١١ — وفى الفعل أيضا الحد الاول ليس متأثرا ولا قابلا ولكن

---

§ ٩ — التدليل الذى يمكن عمله — الجملة قلقة بعض الشىء فى الترجمة كما هى كذلك فى النص . ولكن المعنى بين . فان يفعل وينفعل يستوضح معناهما كما يستوضح معنى يحرك ويتحرك . — لفظ المحرك يحمل أيضا على معنيين — تبعا لما اذا كان القصد المحرك الاول والمحرك الابتدائى — أو المحرك التابع الذى يمكن أن يكون الاخير والاقرب بالنسبة للمتحرك أى الشىء المحرك . — الشىء — اخترت التعبير بهذا اللفظ المبهم مجاراة للنص . — يشبه أن يكون المحرك — أو « يشبه أن يحرك » . — المبدأ هو أول العلل — بتعريف كلمتى المبدأ والعلة يبتدىء الكتاب الخامس من كتاب ما بعد الطبيعة . — الحد الاخير — يعنى المحرك الثانوى الذى هو الاقرب الى المتحرك . — الشىء — زدت هذا المضاف اليه ويمكن أن توضع بدله « الظاهرة » .

§ ١٠ — الملاحظة نفسها — النص أشد ابهاما . وبعبارة أخرى « أن لفظ الفاعل يمكن أن يحمل على معنى مزدوج مثل لفظ المحرك » . — الذى أمر به للمريض — زدت هذه الكلمات التى ظهر لى انها ضرورية لتمام الفكرة . فان الطبيب هو المحرك الاول والعلة الاولى للشفاء والنبيذ الذى أمر به للمريض هو المحرك الثانوى والعلة التبعية للصحة المستردة . — فى الحركة التى يعطيها — هنا رواية أخرى عديمة الاهمية استحبها بعض الناشرين ولكنها لا تساوى الرواية التى أثبتناها فى القيمة . — تكون هناك ضرورة — راجع نظرية المحرك الاول غير المتحرك فى كتاب الطبيعة ك ٨ ب ٦ و ٧ و ١٥ من ترجمتنا . الحد الاخير — « المحرك الاخير » .

§ ١١ — وفى الفعل أيضا — كما فى الحركة . — الحد الاول — عبارة النص غير محدودة اصلا . ويمكن ترجمتها أيضا « العلة الاولى » . — ليس متأثرا ولا قابلا — ليس فى النص الا كلمة واحدة . — ليمكنه أن يفعل — زدت هذه الكلمات . — بادىء بدء — زدتهما =

يلزم أن الحد الإخير ، ليمكنه أن يفعل ، ينفعل أيضا هو ذاته بفعل مابادىء بدء . كل الاشياء التى ليست من مادة واحدة بعينها تفعل دون أن تقبل هى أعيانها وأن تظل غير قابلة . مثال ذلك صناعة الطب فانها مع فعلها الصحة لا تقبل أى فعل من قبل الجسم الذى تشفيه . ولكن الغذاء مع فعله الصحة يقبل ويلقى هو نفسه أيضا تأثرا ما لانه اما أن يسخن أو يبرد أو يعانى انفعالا آخر كيفما اتفق فى حين انه يفعل . ذلك لانه من جهة الطب هو ها هنا ، بنحو ما ، كالمبدأ فى حين أن الغذاء ، بنحو آخر ، هو الحد الاخير الذى يمس العضو الذى يفعل فيه . على ذلك حينئذ كل الاشياء الفاعلة التى ليس لها صورتها فى المادة تبقى غير قابلة ، وكل التى لها صورتها فى المادة يمكن أن تقبل فعلا ما ، ونقول أيضا ان المادة هى واحدة على السواء بعينها بالنسبة لاى واحد ما من الحدين المتقابلين ونعتبرها انها بالنسبة لهما جنسهما المشترك . ولكن ما يمكنه أن يصير ساخنا يجب ضرورة أن يسخن حينما الشىء الذى يسخن يكون حاضرا وقريبا منه . فانظر لماذا أن بين الاشياء التى تفعل بعضها ، كما قلت آنفا ، هو غير قابل والآخر على ضد ذلك يمكن أن يقبل وكيف أن الامر واحد بعينه بالنسبة للفواعل كما هو بالنسبة للحركة ، فان هناك فى الواقع المحرك الاول هو غير متحرك وهنا بين الفواعل انما الفاعل الاول هو غير القابل وبمعزل عن كل انفعال .

§ ١٢ — ولكن اذا كان الفاعل علة كما هى حال المحرك سواء بسواء

= أيضا . — التى ليست من مادة واحدة بعينها — هى والاشياء التى تفعل فيها . — لاتقبل أى فعل — عبارة النص « لا تقبل شيئا » . — يقبل ويلقى — ليس فى النص الا كلمة واحدة . — تأثرا ما — عبارة النص غير محدودة . — يسخن ... يبرد — فى ظاهرة الهضم التى بها الجهاز الهضمى يتمثله . — كالمبدأ — او بوجه ما المحرك الاول والمبدئى . — هو الحد الاخير — هنا أيضا ليس النص على هذا القدر من الصراحة . — التى ليس لها صورتها فى المادة — يعنى التى هى والقابل التى تفعل فيه ليست من مادة واحدة . هذا الاسلوب كثير التكرار عند ارسطو ولكنه هنا غير محل للشك بحسب شرح فيلوبون . فان القرينة تسوغ تفسير الشارح . — يمكن أن تقبل فعلا ما — فى حين أنها تحدث فعلا فى الشىء الواقع تحت تأثيرها . — من الحدين المتقابلين — او بعبارة أخرى « بالنسبة للفاعل وبالنسبة للقابل » . — جنسهما المشترك — زدت الكلمة الاخيرة . ر . ما سبق فى الفقرة الخامسة . — الشىء الذى يسخن — عبارة النص غير محددة . — كما قلت آنفا — فى أول الفقرة السابقة . — المحرك الاول — يعنى العلة أيا كانت التى هى أول ما يعين الحركة . وأظن أنه يلزم أن يخص اسم المحرك الاول بمبدأ الحركة الكلية . فانه لا يراد هنا الا حركة جزئية تقوم بها محركات عديدة بعضها توابع بعض — هنا — زدت هذه الكلمة لتكون المقابلة أظهر . — غير القابل وبمعزل عن كل انفعال — ليس فى النص الا كلمة واحدة .

§ — ١٢ الغاية التى من أجلها يحدث كل الباقى — أو : « اللم » كما هى عبارة النص . — الصحة ليست فاعلا — لانها الغاية التى ينشدها الطبيب والمريض . فالطبيب هو المحرك

ومن اين يجيء ان مبدأ الحركة ، اى الغاية التى من اجلها يحدث كل الباقى ، لا يحدث هو نفسه فعلا ؟ مثال ذلك الصحة ليست فاعلا ولايمكن تسميتها كذلك الا بالمجاز المحض • ومذ يوجد الفاعل ينتج منه ان القابل الذى يقبل الفعل يصير شيئا ما ، ولكن متى تكون الكيفيات حاصلة تماما وحاضرة فليس للفاعل أن يصير فانه قد كان كل ما يجب أن يكونه • ان صور الاشياء وغاياتها يمكن أن يقال انها كيفيات وعادات فى حين أن المادة انما هى التى بما هى مادة قابلة تماما • على هذا حينئذ النار لها حرارتها فى المادة واذا كانت الحرارة شيئا ما قابلا للانفصال عن مادة النار فلا يمكنها أن تقبل شيئا ولا أن تتأثر • ولكنه محال من غير شك أن الحرارة تكون منفصلة عن النار التى تسخن واذا كان ثم أشياء منفصلة بهذه المثابة فان ما قلناه آنفا لا يكون صادقا الا بالنسبة لتلك •

§ ١٣ — وعلى الجملة نقف عند حد الاعتبارات المتقدمة فى ايضاح ماهية فعل وانفعل لنبين بأى الاشياء يتعلق أحدهما والآخر وبأى طريقة يكون الفعل والانفعال وكيف يكونان •

الاول • والادوية التى يأمر بها تفعل تحت أوامره لبلوغ الغاية التى هى الشفاء والصحة • — القابل الذى يقبل الفعل — ليس النص على هذه الصراحة • — يصير شيئا ما — يعني يكسب كيفا جديدا يعطيه اياه الفعل الواقع عليه • — حاصلة تماما وحاضرة — ليس فى النص الا كلمة واحدة • — كل ما يجب أن يكونه — أضفت هذه الكلمات اتماما للمعنى • — صور — أو « أنواع » • فان صور الاشياء هى طبعها الخاص والنهائى • — كيفيات وعادات — فى النص كلمة واحدة • لان الكيفيات والعادات لما أنها أشياء مكتسبة ودائمة فليست محلا للتغير • فان الشيء هو ما هو • فليس يصير شيئا آخر بأن يكسب كيفية جديدة مخالفة • — قابلة تماما — من حيث انها هى المادة التى تقبل على التعاقب الاضداد التى تتناوبه عليها بالدور • — لها حرارتها فى المادة — التعبير مغلق قليلا على رغم الايضاحات التى تقدمت • — عن مادة النار — أضفت هذه الكلمات تكميلا للمعنى • — ان تقبل شيئا ولا ان تتأثر — ليس فى النص الا كلمة واحدة • — عن النار التى تسخن — أضفت هذه الكلمات • — ما قلناه آنفا — أو بعبارة أخرى « هذه الاشياء تكون غير قابلة البتة ولا يمكنها ان تخضع لفعل أى كان » • و • هذه النظرية نظرية الجوهر والصورة فى الطبيعة ك ١ ب ٨ ص ٤٧٣ وما بعدها من ترجمتنا •

§ ١٣ — وعلى الجملة — النص ليس صريحا هكذا • ولكن هذه الفقرة هى فى الواقع محصل كل ما سبق • — وبأى طريقة ... وكيف — هذا الجزء الخاص من المسألة سيأتى أيضا فى الباب الذى يلى بطريقة أخص واوسع مما ها هنا •

الباب الثامن

نقض النظرية التى تفرض أن الفعل والانفعال يحدثان فى الجواهر المادية بالمسام ــ رأى الفلاسفة القدماء ــ استشهاد من امبيدقل ــ لوكيبس وديمقريطس هما أقرب الى الحق ــ وحدة الموجود محال وكذلك ثباته ــ غرائب ضلالات الفلاسفة القدماء ــ عرض نظرية لوكيبس عرض نظرية امبيدقل ــ مواطن الاتفاق والاختلاف بينها وبين نظرية لوكيبس ــ استشهاد من طيماوس افلاطون ــ مقارنة بين افلاطون ولوكيبس ــ اعتراضات على نظرية افلاطون وعلى نظرية الوحدة ونظرية الذرات ــ استحالة قبول وجود الذرات رغم من أين جاءتها الحركة ــ الرؤية من خلال الاوساط تصير غير قابلة للايضاح ــ خاتمة نقض النظرية التى تفسر بواسطة المسام الفعل والانفعال فى الاشياء •

---

§ ١ ــ لنعرض مرة أخرى كيف أن ظاهرتى الفعل والانفعال ممكنتان • من الفلاسفة من يرى انه حينما يعانى شىء أثرا ما على جهة الانفعال ، فذلك أن الفاعل الذى يفعل الاثر نهائيا وبطريق الاصلية ينفذ فى ذلك الشىء بواسطة مسام أو قنوات • يقولون اننا كذلك نرى واننا نسمع واننا ندرك جميع الادراكات الاخرى للحواس • وفوق ذلك اذا امكن ان ترى الاشياء من خلال الهواء والماء والاجسام الشفافة فذلك بأن هذه الاجسام لها مسام غير مدركة بالبصر لسبب صغرها ولكنها مع ذلك شديدة الانضمام مرصوفة بنظام وترتيب ، وكلما تكون الاجسام أكثر شفافية كان لها من هذه المسام عدد أكثر •

§ ٢ ــ وعلى هذا النحو استبان بعض الفلاسفة الاشياء كما فعل أمبيدقل مثلا • ولكن لم تقصر هذه النظرية على الفعل وعلى الانفعال بل زعم أن الاجسام لا تختلط الا متى كانت مسامها متناسبة المقياس على

---

§ ب ٨ ف ١ ــ مرة أخرى ــ ويمكن أيضا ترجمتها : « من جهة نظر أخرى » • ــ ظاهرتى الفعل والانفعال ــ ليس النص واضحا هكذا وقد اردت أن أجعله أبين خصوصا فى ابتداء باب • ــ من الفلاسفة من ــ يقصد الى أمبيدقل كما تدل عليه الفقرة التالية • ــ يعانى شىء أثرا ما على جهة الانفعال ــ النص أكثر ايجازا • ــ نهائيا ــ راجع ما سبق ب ٧ ف ١٠ و١١ • ــ وبطريق الاصلية ــ لانه يفعل بتماس مباشر وبلا واسطة • ــ مسام أو قنوات ــ ليس فى النص الا كلمة واحدة • ــ ندرك ••• الادراكات ــ تكرار الكلمات هنا فى النص • ــ هذه الاجسام ــ أو هذه العناصر لان عبارة النص غير مانعة • ــ نظام وترتيب ــ ليس فى النص الا كلمة واحدة •

§ ٢ ــ كما فعل أمبيدقل مثلا ــ وهو الذى يلزم أن ينسب اليه الرأى المعروض فى الفقرة السابقة دون أن يذكر صاحبه • ــ على الفعل وعلى الانفعال ــ عبارة النص بالضبط هى « الفاعلات والمنفعلات » أى الاشياء التى تفعل والتى تقبل الفعل • ــ

طريق التكافؤ . وقـــد اختط لوكيبس وديمقريطس بأحسن من غيرهما الطريق الحق واوضحا كلا بكلمة واحدة بأن صدرا عن نقطة الابتـــداء الحقيقية التي يعينها الطبع . وفي الواقع ان بعض القدماء قـــد ظن ان الموجود هو بالضرورة واحد وغـــير متحرك فعلى رأيهم الخلو لا يوجد . وأنه لا يمكن أن توجد حركة في العالم مادام انه لايوجد خلو منفصـــل عن الاشياء . وكانوا يزيدون على ذلك انه لايمكن ايضا ان يوجد تعدد مادام أنه لايوجد خلو يقسم الاشياء ويعزلها . على أن دعوى ان العالم ليس متصلا لكن الموجودات التى تؤلفه متماسة مهما كانت منفصـــلة فذلك يرجع الى القول بأن الموجود متعدد وليس هو واحدا وأن الخلو موجود . وأنه اذا كان الموجود هو مطلقا قابلا للقسمة فى جميـــع الاتجاهات فمن ثم لاتوجد بعد وحدة لاى ماكان بحيث انه لايوجد أيضا تعدد . وأن الكل هو خلو كله ، يقولون ، انه اذا فرض أن العالم شطره على نحو وشطره على آخر فذلك ايضـــاح أشبه مايكون بفرض مجازف

= متناسبة المقياس على طريق التكافؤ — يعنى أن الجسمين يمكن أن يدخل أحدهما فى الآخر بحيث يتحصل منهما مزيج حقيقى . وقد مثل فيلوبون بالنبيذ والماء فان مســامهما متناسبة القياس فى رأيه ما دام أن هذين السائلين يمتزجان . وعلى ضد ذلك مسام النار ومسام الخشب فانها لما كانت غير متناسبة القياس كانت النار تفسد الخشب ولا تختلط به . — بأحسن من غيرهما — أستخلص هذا المعنى من شرح فيلوبون . — نقطة الابتداء الحقيقة التى يعينها ألطبع — ليس النص على هذا الضبط تماما . — بعض القـدماء . — يقصد برمينيد ومدرسة ايليا كما يقول فيلوبون . — فعلى رأيهم — أضفت هذه العبارة التى مضمونها متمشى مع سياق النص وكل ما هو وارد الى آخر هذه الفقرة خاص برأى برمينيد .ومدرسة ايليا ذلك الرأى الذى هو مبسوط بطريقة قلقة وغامضة . راجع مناقشة مشابهة لهذه وابطالا لمذهب برمينيد ومليسوس فى الطبيعة ك ١ ب ٢ وما بعده ص ٤٣٣ من ترجمتنا . — وانه لا يمكن أن توجد حركة — هذه النظرية على علاقات الخلو والحـركة هى منسوبة بالصراحة الى ميليسوس فى كتاب الطبيعة ك ٤ ب ٨ ف ٥ ص ١٨٩ مـــن ترجمتنا . — منفصل عن الاشياء — أضفت الكلمتين الاخيرتين . — وكانوا يزيدون عـــلى ذلك — هذه الكلمات ليست صراحة فى النص ولكن هذا المعنى يفهم من سياق الجملة . — أنه لا يوجد خلو — ليس النص على هذه الصراحة . — يقسم ...ويعزلها — ليس فى النص الا كلمة واحدة . — ليس متصلا — وواحدا كما كانت تزعمه مدرسة ايليا . — مهما كانت منفصلة — ليس النص على هذا الوضوح . — اذا كان الموجود هو مطلقا قابلا للقسمة — واذا يؤول أمره الى لا شىء بالقسمة نفسها التى ذهب بها الى اللانهاية . — فمن ثم لا توجد بعد وحدة لاى ما كان — أو بعبارة أخرى وحدة الاشخاص تنعدم مـــع الاشخاص أعيانها ولما انه لا يوجد بعد من ثم تعدد ممكن فالكل يكون خلوا . — شطره على نحو — يعنى أن الاتصال يكون فى شطر العالم والخلو فى الشطر الآخر . — يقولون أضفت هذه الكلمة للدلالة على أن ذلك بقية معارضات برمينيد وأصحابه . — عـــلى رأيهم — أضفتها للغرض المتقدم . — لا يوجد حركة فى العالم — وهذا هو المبدأ الاساسى لمدرسة ايليا وهو أن الموجود واحد وغير متحرك . راجع نقض هـــذه النظرية فى الطبيعة ك ١ ب ٢ وما يليه ص ٤٣٣ من ترجمتنا .

فيه لانه حينئذ الى أى نقطة ولماذا الجزء الفلانى من العالم يكون كذلك وملينا فى حين أن الجزء الفلانى الآخر مقسوم ؟ وبهذه الطريقة يوصل أيضا على رأيهم الى تأييد انه بالضرورة لايوجد حركة فى العالم •

٣ ــ بالصدور عن هذه النظريات وبمعـــاندة شهادة الحــواس والاستهانة بها بحجة أنه ينبغى اتباع العقل فقط انتهى بعض الفلاسفة الى التصديق بأن العالم واحد غير متحرك وغير متنـــاه لانه ان لم يكن كذلك فان الحد بحسبهم لا يمكن الا أن يحاد الخلو •

٤ ــ تلك هى اذا نظريات هؤلاء الفلاسفة وتلك هى الاســباب التى دفعتهم الى فهم الحق على هذا النحو ، ولا شك فى أنه اذا استمسك بالتداليل العقلية المحضة فذلك يشبه ان يكون مقبــولا ولكن اذا أريد اعتبار الحوادث الواقعية فيوشك ائا يكون من الجنون تأييد آراء كهذه • لانه لايوجد مجنون ذهب الى هذه النقطة من الضلال ان يجد أن النـــار والثلج هما شىء واحد بعينه • ولكن خلط الاشياء الجميلة لذاتها بالتى لا تظهر لنا كذلك الا بالاستعمال من غير أن يرى فيها مع ذلك أى فرق مابينها ، ذلك لايمكن أن يكون الا نتيجة لتيه حقيقى للعقل •

٥ ــ فأما لوكيبس فانه كان يظنه محيطا علما بالنظريات التى ، مع كونها متفقة مع الحوادث الواقعية المدركة بالحواس ، لم تكن ، بحســب

---

§ ٣ ــ بمعاندة شهادة الحواس والاستهانة بها ــ يلزم الانتباه الى هذه العبارات الشديدة التى توصى بقوة باتخاذ نهج المشاهدة دون النظريات المنطقية المحضة • وراجع أيضا بالفقرة السابقة • ــ بعض الفلاسفة ــ برمينيد وعلى العموم مدرسة ايليا • ــ ان لم يكن كذلك ••• بحسبهم ــ أضفت هذه الكلمات التى ظهر لى انها ضرورية لبيــان الفكرة • ومع ذلك فان الفقرة لا تزال غامضة ولم أر فيلوبون يفسرها فى شرحه لانه بلا شك لم يكن ليجد فيها أدنى صعوبة •

§ ٤ ــ الحق ــ ربما كان أحسن أن يقال « الحقيقة » التداليل العقلية المحضــة ــ ليس النص على هذا القدر من التأكيد • ــ فذلك يشبه أن يكون مقبولا ــ أو أيضا : « ان الاشياء تشبه أن تمضى على هذا الوجه » • ــ اذا أريد اعتبار الحوادث الواقعية ــ وراجع مقدمتى لكتاب الميتورولوجيا على نمط المشاهدة عند القدماء وعلى الاخص عند أرسطو ص ٤٦ وما بعدها • ــ يوشك أن يكون من الجنون ــ من الصعب أن تعــاب نظريات مدرسة ايليا العقلية المحضة بأكثر من هذه الشدة • ــ الاشياء الجميلة لذاتها ــ هذه النقطة لم يشرحها أيضا فيلوبون وفيهــا خفاء • فان كلمة النص التى ترجمتهــا « الجميلة لذاتها » فيها ابهام وهى تدل على الاشياء الطيبة كما تدل على الجميلة • وقد يكون المعنى أن ارسطو يعيب على مدرسة ايليا أنها تفسد قاعدة الاخلاق بخلطها بــين الخير والشر • وهذا المعنى هو الذى ارتآه بعض الشراح المتأخرين •

§ ٥ ــ فاما لوكيبس ــ وراجع عن آراء لوكيبس وديمقريطس فى الخلو كتــاب الطبيعة ك٤ب٨ف٣ وما بعدها ص ١٨٧ من ترجمتنا • ومع ذلك فان أرسطو يبين =

مذهبه ، لتتعرض للكون ولا للفساد ولا للحركة ولا للتعدد في الموجودات . ولكن بعد هذا التسامح الذى أسداه الى حقيقة الظواهر قد أسدى غيره الى أولئك الذين يقبلون وحدة الموجود بحجه انه لا يوجد حركه ممكنه بدون الخلو . ويقبل القول بأن الخلو هو اللاموجود وأن اللاموجود ليس هو شيئا مما هو موجود . واذا ، على رأيه ، الموجود بالمعنى الخاص هو متعدد للغاية . والموجود على هذا المعنى لا يمكن أن يكون واحدا . وعلى العكس أن هذه العناصر تكون غير متناهية فى العدد وتكون فقط غير مرئية بسبب لطافة حجمها للغاية . ويزيد على ذلك لوكيبس أن هذه الجزيئات تتحرك فى الخلو لانه يقبل الخلو ، وأنها باجتماعها تسبب كون الاشياء وبانحلالها تسبب فسادها ، وأن الاشياء تفعل أو تنفعل تبعا لما أنها تتماس على طريق التكافؤ وأنها على ذلك ليست هى شيئا واحدا بعينه ، وأنها بتركبها واشتباكها بعضها ببعض تكون العالم كله . ويستنتج لوكيبس من هذا أن التعدد لم يكن ليخرج البتة من الوحدة الحقة كما أن الوحدة لا يمكن أن تأتى أيضا من التعدد الحق وأن كل هذا هو محال على الاطلاق من جهة ومن أخرى . وأخيرا كما أن أمبيدقل وبعض الفلاسفة الآخرين يزعمون أن فى الاشياء الفعل الذى تقبله وتعانيه هو يحصل فيها بواسطة المسام فكذلك يرى لوكيبس أيضا أن كل استحالة للاشياء وكل انفعال لها انما يحصل على هذا النحو نفسه وأن الانحلال والفساد يكونان بواسطة الخلو ، والنمو حاصل كذلك بواسطة الجزيئات الجامدة التى تدخل فى الاشياء .

= عليه هنا شدة الاهتمام بلوكيبس أكثر منه فى كتاب الطبيعة حيث يقول عنه وعن استاذه « انهما لم يطآ عتبة المسألة » . ـ بحسب مذهبه ـ زدت هذه العبارة لاتمام الفكرة ـ ولا للحركة ولا للتعدد ـ وبالجملة كل ما تشهد لنا الحواس بأنها حقائق بينة . ـ

الذى أسداه الى حقيقة الظواهر ـ ليس النص على هذه الصراحة . ـ اللا موجود ليس هو شيئا مما هو موجود ـ يظهر أن هذا هو تكرير محض ولكنه وارد فى النص . ـ على رأيه ـ أضفت هاتين الكلمتين . ـ متعدد للغاية ـ أظن ان هذا هو الرواية الحقة وهى متفقة مع سبك النص وفى بعض النسخ « ملء للغاية . ملء بالتمام » وليس بين الروايتين الا تغيير حرف واحد . ـ هذه العناصر ـ التزمت هنا أن اوضح التعبير الذى جعله النص غير محدد . ـ لطاقة حجمها للغاية ـ تلك هى الذرات المقبولة أيضا عند ديمقريطس استاذ لوكيبس . ـ ويزيد على ذلك لوكيبس ـ ليس النص على هذا الضبط ولكن المعنى الذى أعطيه يستفاد من أسلوب الجملة الاغريقية نفسها . ـ شيئا واحدا بعينه ـ ليس فى النص الا كلمة واحدة . ـ العالم كله ـ أضفت هذه العبارة لكيلا أكرر ما قيل آنفا . ـ ويستنتج لوكيبس من هذا ـ ليس النص على هذه الصراحة . ـ الذى تقبله وتعانيه ـ ليس فى النص الا كلمة واحدة . ـ بواسطة المسام ـ ر . ما سبق ف ١ . ـ بواسطة الخلو ـ تكرير لما قيل آنفا فى هذه الفقرة نفسها . ـ التى تدخل ـ أو التى « تتولج » .

٦ ـ وأما أمبيدقل فينبغي ضرورة أن يقول قول لوكيبس تقريبـاً لانه يقول بأنه يجب أن يوجد جزيئات جامدة وغير قابلة للتجزئة اذا كانت المسام ليست متصلة مطلقا • ولما أن هذا الاتصال للمسام محال لانه حينئذ لا يمكن وجود شيء جامد ، الا أن يكون هو المســام ، والكل بلا استثناء لا يكون بعد الا خلوا ، فحينئذ يلزم على رأى أمبيدقل أن الجزيئات التى تتماس تكون غير قابلة للتجزئة وأن المسافات وحدها التى تفصلها تكون خلوات ، وهذا هو مايسميه المسام • وهذه الآراء هى أيضا آراء لوكيبس فى الفعل والانفعال فى الاشياء •

٧ ـ تلك هى الايضاحات التى أعطوها عن الوجه الذى تكون به الاشياء تارة فاعلة وتارة منفعلة • وحينئذ يرى مبلغ ماعليه فى الحقيقة هؤلاء الفلاسفة وكيف يعبرون آراءهم فى هذا الصدد مؤيدين مذاهب تكاد تكون مطابقة للحوادث •

٨ ـ ولكن فى نظريات فلاسفة آخرين كأمبيدقل يلمح ، بجلاء أقل ، كيف يدرك كون الاشياء وفسادها واستحالتها والطريقة التى بها تقع هذه الظواهر • فعلى رأى البعض أن العناصر الاولية للاجسام هى غـير

---

§ ٦ ـ وأما أمبيدقل ـ ر • ما سبق ف ٢ حيث يظهر أن امبيدقل انزل من أجل هذه النظرية فى منزلة أدنى من ديمقريطس ولوكيبس • ـ جزيئات جامدة وغير قابلة للتجزئة ـ وفى هذا المعنى يقرب أمبيدقل من مذهب الذرات • ـ ليست متصلة مطلقة ـ يعنى تلامس مباشرة بعضها بعضا • ولكن فكرة المسام عينها تستلزم ضرورة حواجز جامدة تفصلها وتعزلها بعضها عن بعض • ـ هذا الاتصال للمسام • النص ليس على هذا القدر من الصراحة وعبارته غيرمحدده •ولكن المعنى مع ذلك لا يمكن أن يكون محلاللشك ـ الا أن يكون هو المسام ـ وربما كان أحسن « بجانب المسام » • ـ على رأى أمبيدقل ـ زدت هذه الكلمات • ـ التى تتماس ـ وتكون بنوع ما حواجز للمسام • ـ وحدها ـ هذه الكلمة ليست فى النص ولكن ظهرت لى مفيدة فى اتمام الفكرة • ـ هى أيضا آراء لوكيبس ـ نتيجة وتكرير لما قيل فى أول هذه الفقرة •

§ ٧ ـ تارة فاعلة وتارة منفعلة ـ أو أيضا « تفعل وتنفعل » • ـ هؤلاء الفلاسفة ـ هذا ينطبق بالاخص على لوكيبس وديمقريطس • ـ تكاد تكون مطابقة للحوادث ـ ر • ما سبق ف ٤ •

§ ٨ ـ كأمبيدقل ـ هذا يشبه أنه مناقض لما قيل فى ف ٦ حيث آراء أمبيدقل معتبرة لصيقة بآراء لوكيبس التى ووفق عليها • ـ فعلى رأى البعض ـ يعنى الفلاسفة الآخرين ما عدا أمبيدقل • ـ غير قابلة للتجزئة ـ هى الجـواهر الفردة • ـ تتركب الاجسام فى البداية ـ تكرير لما سبق • ـ العظم ـ مهما كان • يعنى غير متناه فى الصغر مادام الامر خاصا بالذرات • ـ ان النار ذاتها عنصر ـ ر• فيمـا سيأتى ك٢ ب٣ ف ٦ رأى أمبيدقل فى النار التى هى على رأيه خليط وبالنتيجة ليست عنصرا حقيقيا • ـ وقد أيد أفلاطون النظرية عينها ـ النص أقل صراحة • ـ فى طيماوس ـ ر • ترجمـة كوزان ص ١٦١ و١٦٧ وما بعدها • ـ الا مطوطا ـ ربما لم يقل أفلاطون ذلك صراحـة =

قابلة للتجزئة ولا تختلف بينها الا بالصور ، ومن هذه العناصر تتركب الاجسام في البداية واليها تنحل في النهاية • ولكن من جهة أمبيذقل فقد يرى على كفاية الوضوح أنه يبلغ بكون الاشياء وفسادها الى العناصر أنفسها • على أنه كيف يمكن أن يكون وأن يفسد العظم المتك لهذه العناصر ؟ هذا هو ما ليس بينا البتة في مذهبه • بل زيادة على ذلك أن هذا مالا يستطيع تبيانه مادام أنه ينكر أن النار ذاتها عنصر كما ينكر أيضا على السواء وجود جميع العناصر الاخرى • وقد أيد أفلاطون النظرية عينها في طيماوس لانه فضلا على أن أفلاطون يعبر في هذه النقطة مثل لوكيبس فان أحدهما يقبل أن التي لا تتجزأ هي جوامد والآخر أنها ليست الا سطوحا ، وأن أحدهما يقرر أن جميع الجوامد التي لاتتجزأ هي محدودة بأشكال عددها غير متناه والآخر أن لها أشكالا متناهية ومضبوطة • والنقطة الواحدة التي فيها يتفق الاثنان جميعا أنهما يقبلان وجود التي لا تتجزأ وتحديدها بأشكال •

٩ ـ اذا كان حقا أن من ذلك في الواقع تأتي أكوان الاشياء وفساداتها فمن ثم يوجد عند لوكيبس لادراكها طريقتان الخلو والتماس• وعلى هذا النحو ، على رأيه ، أن كل شيء قد يكون متميزا ومنقسما • ولكن عند أفلاطون الامر على الضد ليس الا التماس وحده مادام أنه يرفض وجود الخلو • وقد تكلمنا في بحوثنا السابقة على مذهب السطوح التي لا تتجزأ ، وأما الجوامد التي لا تتجزأ فليس هاهنا محل لفحص أطول من ذلك عن نتائج هذه النظرية التي ندعها الآن الى جانب •

١٠ ـ ولكن اذا نحن استطردنا بعض الشيء نقول انه ضرورة في هذه المذاهب كل مالا يتجزأ فهو يجب أن يكون غير منفعل لانه لا يمكن

= ولكن هذا هو النتيجة الضرورية لنظرياته • ـ متناهية ومضبوطة ـ ليس في النص الا كلمة واحدة • ـ والنقطة الواحدة التي فيها يتفق الاثنان ـ ليس النص على هذه الصراحة • ـ وجود التي لا تتجزأ ـ لا يظهر أن أفلاطون يقبل مذهب الجواهر الفردة تماما على النحو الذي يظهر أن أرسطو يقوله هنا •

§ ٩ ـ فساداتها ـ أو « انفصالاتها » وكلمة النص ليست أكثر من ذلك ضبطا • ـ على رأيه ـ زدت هذه العبارة • ـ قد يكون متميزا ومنقسما ـ وضعت هاتين الكلمتين لأوفي قوة كلمة النص الواحدة • ـ الا التماس وحده ـ يعني أن السطوح بتلامسها تنتهي بأن تركب الاجسام • ولا أدري هل هذا هو في الحق معنى نظرية أفلاطون • ـ في بحوثنا السابقة ـ ر • كتاب السماء ك ٣ ب ١ ف ١٤ وخصوصا ب ٧ و٨ حيث نظرية أفلاطون منقوضة بالتطويل • ـ السطوح لا تتجزأ ـ هذا هو مذهب أفلاطون • ـ أما الجوامد التي لا تتجزأ ـ هذا هو مذهب الجواهر الفردة الذي هو مذهب لوكيبس وديمقريطس • ـ نتائج هذه النظرية ـ ليس النص بينا هكذا •

§ ١٠ ـ في هذه المذاهب • ـ أضفت هذه الكلمات التي ظهرت لي ضرورية لاتمام =

أن يكون منفعلا وقابلا أى فعل ما الا بالخلو الذى هو غير مقبول عندهم ـ وهو كذلك لا يمكنه ان يحدث أى فعل ما فى أى شيء اتفق مادام أنه لا يمكن أن يكون لا صلبا ولا باردا مثلا • وفي الحـــق أنه من السخف الاقتصار على تخصيص الحرارة بالشكل الكرى وحده فقط لانه من ثم يكون بالضرورة الكيف المضاد ، أعنى البرودة ، يتعلق بشكل آخر غير الكرة • ولكن اذا كان هذان الكيفان يوجدان فى الاشياء ، أعنى الحرارة والبرودة ، فيكون من السخف الاعتقاد بأن الخفة والثقل والصلابة والرخاوة لا يمكن أن تكون فيها أيضا • وانى أعترف بأن ديمقريطس يزعم أن كل مالا يتجزأ يمكن أن يكون أكثر ثقلا اذا كان أكبر حجما بحيث انه ، بالبين بذاته أيضا ، يمكن أن يكون أكثر حرارة •

١١ ــ ولكنه من المحال ، متى كان الامر على ما يقال ، أن تلك التى لاتتجزأ لا تقبل تأثيرا ما بعضها من قبل البعض الآخر ، وأن ماهو متوسط الحرارة مثلا لا يقبل تأثيرا من قبل ما له حرارة أكثر منه للغاية • ولكن اذا كان الصلب يقبل تأثيرا فالرخو أيضا يجب أن يقبل تأثيرا لانه لايقال على شيء انه رخو الا مع الاستحضار الذهنى لفعل يمكنه احتماله مادام الجسم الرخو هو بالضبط هنا الذى يطاوع الضغط بسهولة •

١٢ ــ ومع ذلك ليس أقل سخفا ألا يقبل فى الاشياء مطلقا شيء الا الصورة واذا تقبل الصورة فمن السخف ألا يفترض فيها الا واحدة اما

= الفكرة والتى يجيزها تفسير فيلوبون • ــ الذى هو غير مقبول عندهم ــ أضفتها للسبب المتقدم • ــ من السخف ــ هذا التعبير القاسى قد كرر عدة مرات فى هــذه الفقرة ولكنه وارد فى النص كما هو فى الترجمة • ــ الشكل الكرى وحده فقط • ــ ر • طيماوس أفلاطون ترجمة كوزان ص ١٥٣ و١٦٧ وما بعدها • وربما لا تكون عبارة طيمـاوس من التأكيد على ما يزعم ارسطو • ــ اذا كان ابر حجمــا ــ النص هنــا بين الدقة لمــا به من الايجاز • ويظهر مع ذلك أن كل الذرات قد يجب أن تكون متســاوية بينهــا وان اختلافها لا ينبغى أن تكون أكثر ثقلا من الاخرى •

§ ١١ ــ على ما يقال ــ النص أقل بيانا • ــ لا تقبل تأثيرا ــ أولا تنفعل • ــ ما هو متوسط الحرارة ــ هذا هو الواقع المعلوم الذى هــو توازن الحرارة • فالشيئين غير متساويى الحرارة يصيران متساويين بأن يفعل أحدهما فى الآخر • ــ ولكن اذا كان الصلب يقبل ــ ليس النص على هــذه السـعة • ــ يطاوع الضغط بسهولة ــ ر • الميتورولوجيا ك ٤ ب ٤ ف ٦ وما بعدها ص ٢٩٨ من ترجمتى •

§ ١٢ ــ ومع ذلك ليس أقل سخفا ــ هذا الانتقاد موجه على الاخص بغير شك الى أفلاطون • ــ الصورة ــ هذا التعبير محمول هنا على معنى مهم ما دامت القرينــة تعين أن معنى الصورة أيضا الخاصية • وفى الواقع أن الحار والبارد خاصيتان وليستا صورتين بالمعنى الخاص • ــ لهاتين الظاهرتين المتقابلتين ــ أضفت الكلمة الاخيرة •

مثلا البرودة واما الحرارة لانه لا يمكن أن يوجد طبع واحد بعينه بهاتين الظاهرتين المتقابلتين ٠

١٣ ــ وفي الحق أنا من المحال أيضا على سواء أن يفترض أن الموجود مع بقائه واحدا يمكن أن تكون له عدة صور لانه بما هو لا يتجزأ قد يعاني تغاييره المختلفة في النقطة عينها ٠ وبالنتيجة فعبثا ينفعل ، فيبرد مثلا ، وبهذا عينه يحدث أيضا فعلا آخر أو بل يقبل أي تأثير آخر اتفق ٠

١٤ ــ يمكن استخدام هذه التنبيهات أنفسها بالنسبة لجميع التغايير الاخرى لانه سواء قبل القول بجوامد لا تتجزأ أو قبل القول بسطوح لا تتجزأ فالنتائج تكون هي أنفسها مادام ليس ممكنا أن اللامتجزئة تكون تارة أكثر تخلخلا وتارة أكثر كثافة اذا لم يوجد خلو في اللامتجزئة ٠

١٥ ــ وكذلك من السخف على السواء تماما افتراض أن أجساما صغارا هي غير قابلة للتجزئة وأن أجساما كبارا لا تكونه ٠ ففي الحالة الحاضرة للاشياء يفهم العقل في الواقع أن الاجسام الكبرى يمكن أن تتفتت بأسهل جدا من الصغرى مادام أنها تتحلل بدون عناء لانها كبيرة وأنها تتلامس وتتصادم في كثير من النقط ٠ ولكن لماذا اللامتجزئة قد توجد مطلقا في صغار الاجسام بالاولى من أن توجد في الكبار ؟ ٠

---

§ ١٣ ــ مع بقائه واحدا ــ ليس النص على هذه الصراحة ٠ ــ تغاييره المختلفة ــ زدت الكلمة الاخيرة ٠ ــ في النقطة عينها ــ الكلمة التي استعملت في النص غير محددة فاضطررت الى زيادة الضبط ٠ ــ يحدث أيضا فعلا آخر ــ المعنى ليس جليا وكان يقتضي توسعا في التعبير ٠ ــ أي تأثير آخر اتفق ــ هنا أيضا ترجمتي أكثر ضبطا من النص ٠

§ ١٤ ــ بجوامد لا تتجزأ ــ هذا هو مذهب لوكيبس وديمقريطس ٠ ــ بسطوح لا تتجزأ هذا هو مذهب أفلاطون ٠ ر ٠ ما سبق ف٩ ٠ ــ أن اللامتجزئة ــ عبارة النص ليست محدودة تماما ٠ ــ في اللا متجزئة ــ هذه هي عبارة النص بعينها ٠

§ ١٥ ــ أجساما صغارا ــ الجواهر الفردة مفروض أنها على نهاية ما يمكن من الدقة بحيث تعزب عن مشاهداتنا ٠ وقد استنتج أنها غير قابلة للقسمة لانها أصغر من أن تقسم ٠

ــ ففي الحالة الحاضرة للاشياء ــ عبارة النص هي : « الآن » ٠ ــ تتحلل ــ قد يكون أولى «تتجزأ» ٠ ــ وانها تتلامس وتتصادم في كثير من النقط ــ ليس في النص الا كلمة واحدة ٠ ــ مطلقا ــ ليس في النص الاغريقي الا هذه الكلمة وحدها والتعبير اوجز مما ينبغي وكان يلزم التوسع فيه لجعل المعنى أبين من ذلك ٠ فاذا كانت الجواهر الفردة غير قابلة للتجزئة بطبعها فصغرها وكبرها لا دخل له فسواء كانت كبيرة أم صغيرة فانها تظل غير قابلة للتجزئة وعلى ما جبلها الطبع ٠

١٦ ـ وفوق ذلك كل هذه الجوامد هل هي من طبع واحد بعينه أم هل هي تختلف بعضها عن بعض بما أن بعضها من النار والآخر من الارض بحسب كتلتها ؟ فاذا لم يكن الا طبع واحد بعينه لجميعها فماذا عسى أن تكون العلة التي قسمتها ؟ بل لماذا بتماسها لا تجتمع كلها بالتماس في كتلة واحدة بعينها كالماء حينما يلامس الماء ؟ فان الماء الاخير المضـــــاف لا يختلف في شيء عن الماء الذي كان يتقدمه . ولكن اذا كانت هذه التي لا تتجزأ يختلف بعضها عن بعض فحينئذ ماذا تكون ؟ بين بذاته أنه يلزم التسليم أن هذه هي مبادىء الظواهر وعللها اولى من أن تكون مجـــرد أشكال لها ، ومن جهة أخرى اذا قيل انها مختلفة الطبع فحينئذ يمكنها بتلامسها المتبادل أن تفعل أو تنفعل بعضها بالآخر .

١٧ ـ أكثر من ذلك ، ماذا سيكون المحرك الذي يوقعها في الحركة ؟

§ ١٦ ـ وفوق ذلك ـ رد آخر بعد الردود السابقة . ـ كل هذه الجوامد ـ المعتبرة أنها جواهر فردة أو ذرات غير قابلة للقسمة . ـ بما أن بعضها من النار ـ عـلى حسب ما يظهر انه ينتج على الخصوص من النظريات المقررة في طيماوس . ـ التي قسمتها ـ أو « فصلت بعضها عن بعض » . وهنا القسمة أو الفصل يشبه أنهـا ترجع أيضا الى مجرد عدم المشابهة . ـ بتماسها ـ أو « بعد أن تلامست على طريق التبادل » . ـ في كتلة واحدة بعينها ـ عبارة النص غير محددة . ـ كالماء ـ المثـل على الاقل واضح جدا لان الماء ينضم الى الماء بلا أدنى عناء . وان الذرات يجب أن تجتمع بعضها مع بعض على هذا النحو بسبب تماثلها الطبيعي . ـ الماء الاخير ـ هـذه هي عبارة النص بعينها . ـ المضاف ـ هذه الكلمة ليست في النص . فحينئذ ماذا تكون ؟ ـ هذا سؤال موجه الى مذهب أفلاطون ومـذهب لوكيبس الذي يريد أرسطو بلا شـك أن يعيب عليه أنه لم يلح في هـذه النقطة قدر الكفاية . ـ مجرد أشكال لهـا ـ المسلم بها في نظريات أفلاطون ونظريات لوكيبس . ـ اذا قيل ـ ليس النص على هذه الصراحة . ـ تفعل أو تنفعل ـ في حين أنه في المذاهب التي يطعن فيهـا أرسطو تعتبر الجواهر الفردة غير قابلة للانفعال . ر . ما سبق ف ١٠

§ ١٧ ـ ماذا سيكون المحرك الذي يوقعها في الحـركة ؟ ليس النص على هـذه السعة . ـ مخالفا لها ـ يعني أجنبيا منها وخارجا عنها . ـ ما لا يتجزأ قابلا ـ وهو في النص أيضا بصيغة المفرد ولكن الجـمع ربما كان أولى ما دام المقصود هو الجواهـر الفردة . فان ما لا يتجزأ يصير قابلا بما هو يقبل ويعاني الحركة التي يوصلها اليـه المحرك . ـ اذا كان كل مالا يتجزأ يحـرك نفسه ـ من غـير أن يتلقى الحركة مـن الخارج . ـ محرك في جزء ومحرك في جزء آخر ـ قد وضح في « الطبيعة » أن المحرك الذي يعطي الحركة الذاتية لنفسه يجب أن يفهم على أن له جزأين أحدهما يتلقى الحركة التي يعطيها له الآخر ، مع أنه يبقى بكله غير متحرك ؛ ر . الطبيعـة ك ٨ ب ٦ ف ٥ ص ٦٠١ من ترجمتنا ؛ ـ في الشيء بعينه ـ وهو محال لان الضدين لا يجتمعان في آن واحد في شيء واحد بل يجب أن يتعاقبا عليه ؛ ـ بالعدد ـ أو بالشخص . ـ بل بالقوة أيضا ـ يعني أنها يمكن أن تنفعل بالضـدين معا . وكلمة بالقوة هنا ليس لها معناها العادي .

اذا كان هذا المحرك مخالفا لها فحينئذ يكون مالا يتجزأ قابلا • واذا كان كل مالا يتجزأ يحرك نفسه فإما أن يصير قابلا للتجزئة بما هو محرك فى جزء ومحرك فى جزء آخر واما أن يجتمع النقيضان فى الشيء بعينه معا • وحينئذ تكون المادة واحدة لا بالعدد فقط بل بالقوة أيضا •

١٨ ــ وحينئذ هؤلاء الذين يزعمون أن التغايير التى تقبلها الاجسام تكون بحركة المسام يجب عليهم أن ينتبهوا ، لانهم اذا سلموا بأن الظاهرة تقع حتى لو كانت المسام مليئة لاستعاروا حينئذ للمسام وظيفة غير مفيدة قطعا مادام أنه اذا انفعل الجسم فى هذه الحالة بالطريقة عينهـــا يمكن افتراض أنه ، بدون أن يكون له مسام وبما هو نفسه متصل ، قد يمكنه أيضا أن يقبل بالتمام كل ما يقبل •

١٩ ــ ولكن كيف يمكن أن يحصل النظر بالطريقة التى يفسر بها فى هذا المذهب ؟ ليس أكثر امكانا فى الواقع أن يمر بالتماسات من خلال الاشياء الشفافة منه فى خلال المسام اذا كانت المسام كلها مليئة • فأين يكون الفرق اذا بين أن يكون لها مسام وبين ألا يكون لها البتة مادام أن الكل سيكون مليئا على السواء ؟ بل اذا كانت هذه المسام ذواتها مفترضة خالية واذا كان فيها أجسام فحينئذ تعود الصعوبات أنفسها • ولكن اذا افترض ان المسام ذوات امتدادات صغيرة بحيث لا تستطيع بعد أن تقبل

---

§ ١٨ ــ يجب عليهم أن ينتبهوا ــ ليس النص على هذا القدر من الضبط فظننت واجبا على أن أقسم الجملة والفكرة لاجعلهما أكثر بيانا • ــ حتى لو كانت المسام مليئة ــ أو « مملوءة » بالمواد التى يمكن أن تجتازها لتفعل فى الاجسام وتغيرها بأية طريقـــة كانت • ــ انفعل ••• بالطريقة عينها ــ ويعانى الفعل الذى قد يعانيه بدون أن يكون له مسام أو اذا كانت المسام خالية • ــ كل ما يقبل ــ أضفنا هذه الكلمات •

§ ١٩ النظر ــ من خلال الاوساط وكما قيل آنفا « من خلال الاجسام الشفافة » التى هى مفترضة ذوات مسام يمر منها الضوء • ــ بالتماسات ــ حفظت عبارة النص على حالها مع كونها غامضة • ولم يك شرح فيلوبون لبزيل هذا الغموض • وقد ينبغى أن يفهم أن الضوء انما يلامس سطوح الاجسام الشفافة وينفذ فيها هكذا • ــ اذا كانت المسام كلها مليئة ــ بجسم يكون الضوء مضطرا لطرده أمامه ليأخذ مكانه ويجتاز الجسم الشفاف • ــ بين أن يكون لها مسام وبين ألا يكون لها البتة ــ ليس فى النص هذا الترديد الذى ظهر لى ضروريا لتبيين الفكرة • ــ ما دام ان الكل ســـيكون مليئا عـــلى السواء ؟ ــ أما باتصال الجسم نفسه واما بامتلاء المسام • ــ هـــذه المسام ــ النص غير محدود تماما • ــ الصعوبات أنفسها ــ التى جيء على بيانها • ويقال فى الجزئيات الموجودة فى المسام ما كان يقال أولا فى المسام أنفسها • ــ أن الصغير خال ــ حفظت بنـــاء جملة النص عـــلى ما هو عليه • والمراد بالصغير ها هنا الجسم القليل الامتداد • ــ أن الخلو هو شيء آخـــر غير مكان الجسم ــ الفكرة غامضة قليلا ولم أجد فى شرح فيلوبون شيئـــا يوضحها على قدر الكفاية •

اى جسم اتفق فان من سفه الرأي أن يتصور ان الصغير خال وان الكبير ليس كذلك مهما كانت سعته وأن يتمشى بالاعتقاد الى أن الخلو هو شيء آخر غير مكان الجسم بحيث انه ، كما هو بين بذاته ، يلزم أن يكون الخلو دائما على مقدار مساو للجسم نفسه ·

٢٠ ــ وعلى جملة من القول فانه غير مفيد افتراض مسام · فاذا كان جسم · لا يفعل فى آخر بمسه فلن يفعل أيضا بأن يخترق مسام · واذا كان انما يفعل بالمس فحينئذ ، حتى بدون مسام ، تفعل الاجسام أو تقبل الفعل كلما وضعها الطبع أحدها تلقاء الآخر فى علاقة من هذا القبيل ·

٢١ ــ والحاصل أنه يرى من كل ماتقدم أن تصور مسام على الوجه الذى فهمها به بعض الفلاسفة انما هو خطأ كامل أو فرض باطل · فان الاجسام بما هى قابلة للتجزئة مطلقا فى كل جهة فمن السخرية افتراض مسام مادام أن الاجسام بما هى قابلة للتجزئة يمكنها دائما أن تنفصل ·

---

§ ٢٠ ــ وعلى جملة من القول ــ هذا هو محصل المناقشة السابقة · وقد استنتج ارسطو أن نظرية الفعل والانفعال لا حاجة بها الى فرض المسام الذى تخيله بعض الفلاسفة · ــ فى آخر ــ أضفت هاتين الكلمتين · ــ واذا كان انما يفعل بالمس ــ يعنى بان يلمس مباشرة الشيء الذى يقع عليه فعله · ــ كلما وضعها الطبع ــ ليس النص على هذا القدر من الضبط ·

§ ٢١ ــ انما هو خطأ ــ ملخص كل هذه المناقشة · ــ قابلة للتجزئة مطلقا فى كل جهة ــ ليس فى النص الا كلمة واحدة · ــ أن تنفصل ــ وتعمل لانفسها مسام كما فسره فيلوبون ·

الباب التاسع

تفاصيل جديدة على نظرية كون الاشياء وعلى خواصها الفاعلة والقابلة ـ الافعال التى تحصل عند التماس وعلى بعد ـ توضيح ديمقريطس غير السديد ـ تحول اشكال الاجسام اذ تتغير بالحال دون ان تتغير بالمكان ـ خاتمة نظرية الفعل والانفعال .

---

§ ١ ـ أما نحن فاننا صاعدين الى المبدأ الذى طالما قررناه نعيد ايضاح الطريقة التى بها الكون والفعل والانفعال تقع فى الأجسام . فى الواقع اذا كان شىء له الخاصة الفلانية تارة بالقوة المحضة وتارة بالفعل وبالكمال واذا كان يمكنه بالطبع أن ينفعل فى واحد معين من أجزائه ولا ينفعل فى الآخر ولكن فى مجموعه ينفعل بنسبة ماله من هذه الخاصة . فمن البين أنه سينفعل أكثر أو أقل تبعا لما ان هذه الخاصة فيه أكثر شدة أو اقل . على هذا الوجه على الاخص قد يمكن باكثر سهولة التسليم بوجود المسام ، وتكون حالها على ذلك فى الاجسام كما هو الحال فى المعادن تمتد أحيانا عروق متصلة من المادة القابلة لانفعال ما .

§ ٢ ـ على ذلك كلما كان الشىء متجانسا وكان واحدا كان غير

---

§ ب ٩ ف ١ ـ المبدأ الذى طالما قررناه ـ وهو التمييز بين ما هو بالقوة وما هو بالفعل كما سيرد فى السطور الآتية . ـ بالقوة المحضة ـ أضفت كلمة « المحضة » ـ بالفعل وبالكمال ـ ليس فى النص الا كلمة واحدة . فان التمييز بين ما هو بالقوة وما هو بالفعل هو أحد المبادىء الاساسية لمذهب المشائين . ولكن قد يرى أن تطبيقه هنا ليس واضحا جدا بل ولا نافعا جدا لايضاح نظرية المسام . ـ واذاكان يمكنه بالطبع ... ـ قد تركت للجملة اليونانية طولها كله لكيلا أغير تأليفها فى النص . ـ قد يمكن باكثر سهولة التسليم ـ عبارة النص ليست على هذا القدر من البيان ولو أن عبارتى فى الترجمة ليست على ماكنت أريد أن تكون من الجلاء ـ وتكون حالها على ذلك فى الاجسام ـ فى الحق أنها لا تكون بعد مسام بل تكون فقط بعض أجزاء من مادة الجسم أكثر قابلية من غيرها لقبول الاثر الفلانى أو الفلانى . ـ كما هو الحال فى المعادن ـ المشاهدة مع ذلك حقة . وليس ولا واحد الا شاهدها . ـ القابلة لانفعال ما ـ ليس النص على هذا القدر من البيان .

§ ٢ ـ كلماكان الشىء متجانسا وكان واحدا ـ أو بعبارة أخرى ألايكون مستجمعا الشرائط المطلوبة لينفعل أو ليحدث فعلا ما دام أن الشىء لا يمكن أن يفعل فى نفسه وكان الشبيه لا يفعل فى الشبيه ولا يقبل منه . ـ كان غيرقابل ـ بمعزل عن كل فعل وكل انفعال آت من ذاته . ـ لا تتلامس بينها ـ بلا واسطة . ـ أولا تلامس أغيارا ـ تصلح اذا كوسطاء للوصول الى الشىء الذى عليه يقع الفعل . ـ أن يفعل ـ بأن ينقل الى الجسم الحرارة التى تلقاها . ـ وينفعل ـ بأن يقبل مباشرة حرارة النار التى يجبه أن ينقلها .

قابل • ويجرى هذا المجرى أيضا متى كانت الاشياء لا تتلامس بينها أو لا تلامس أغيارا يمكنها بطبعها أن تفعل أو تنفعل أعنى مثلا انه ليس فقط النار تسخن بالتماس ولكنها تسخن ايضا على مسافة لان النار تسخن الهواء والهواء يسخن الجسم لان الهواء بطبعه يمكن أن يفعل وينفعل معا •

§ ٣ — ولكن متى يقال ان شيئا يمكن أن ينفعل فى واحد من أجزائه ويمكنه ألا ينفعل فى آخر فينبغى ايضاح ماذا يعنى بذلك بعد الحد المعطى فى المبدأ ، فاذا كان فى الواقع العظم ليس هو مطلقا قابلا للتجزئة فى جميع الجهات لكن فيه شيئا ما جسما كان او سطحا يكون غير قابل للتجزئة فيه فقد ينتج من ذلك أنه لا يوجد بعد من عظم يمكن أن يكون بكله قابلا ، بل قد لايكون بعد من شيء أمكن أن يكون متصلا • وحينئذ اذا كان ذلك خطأ وكان كل جسم قابلا للتجزئة دائما فلا يهم بعد أن يكون الجسم مقسوما فعلا وبهذه الصفة قابلا للتماسات أو يكون بالبساطة قابلا للتجزئة لانه ما دام يمكن أن يكون مقسوما فى نقط التماس ، كما هو المدعى ، يمكن اعتباره كأنه مقسوم حتى قبل أن يكونه ويكون قابلا للقسمة ما دام أنه لا شيء مما هو محال يكون أبدا •

---

§ ٣ متى يقال — يمكن ترجمتها أيضا « متى أقول » فإن الفرق بينهما غير بين فى النص • — بعد الحد المعطى فى المبدأ — قربت الترجمة من النص بقدر ما استطعت ولكن الفكرة لا تزال غامضة ولم يغن شرح فيلوبون فى جلائها شيئا • — فقد ينتج من ذلك — عبارة النص ليست مضبوطة ولكن هذا المعنى يظهر أنه ينتج لزوما مما يلى • — يمكن أن يكون بكله قابلا — ر • الفقرة السابقة • — أمكن أن يكون متصلا — لان الذرات منعزلة بعضها عن بعض وما دامت منفصلة هكذا لا يمكن أن يكون لها الاتصال الذى هو ضرورى لتاليف جسم • — وكان كل جسم قابلا للتجزئة — هذه هى نظرية ارسطو المبسوطة مرارا فى « الطبيعة » • — مقسوما ... قابلا للتجزئة — هذا هو ما بالفعل وما بالقوة • — فى نقط التماس — عبارة النص هى : « بحسب التماسات » • — لا شيء مما هو محال يكون أبدا — هذا المبدأ بديهى للغاية ولكن لا يرى وجه اتصاله بما سبق • وقد افرغت جهدى فى استجلاء هذه الفقرة فلم أنجح ولم أجد الشراح بمافيهم سان توماس قد نجحوا فى ذلك أيضا • وهاك تفسيرا يساعد بالاقل على تسلسل المعانى : « لكى تفسر ماهية الفعل والانفعال فى الاشياء يلزم التسليم بانه من المحال أن شيئا يقبل فعلا ما • « فى واحد من اجزائه ولا يفعله فى الجزء الآخر • فالشىء أما أن يكون بكله قابلا واما أن يكون بكله فاعلا • فاذا سلم بالذرات فحينئذ يمكن ألا يكون الشىء بعد قابلا بكليته ولكن بذلك أيضا ينقطع عن أن يكون متصلا • واذا فمذهب الذرات باطل • وكل عظم هو دائما وعلى الاطلاق قابل للقسمة دون أن يمكن الوصول الى جزئيات لا تتجزأ • ويكاد لا يهم ما اذا كانت القسمة واقعة ماديا أو ممكنة امكانا مجردا على وجه ذهنى صرف • ويكفى امكان حصولها ليكون الجسم الخارج منها له دائما وجدته وأن يكون بالنتيجة فى مجموعه اما فاعلا واما قابلا » •

§ ٤ ـ وان ما يجعل سخيفا تماما تقرير ان الفعل والانفعال يحصلان على هذا النحو بشق الاجسام هو أن هذه النظرية تمحو الاستحالة وتفسدها • وعلى هذا نحن نرى ان جسما بعينه دون أن ينقطع عن أن يكون متصلا هو تارة سائل وتارة متجمد دون أن يقبل هذا التحول لا بقسمة أجزائه ولا باتحادها ولا بنقلتها ولا بتماسها كما يزعم ديمقريطس • لان الجسم ماكان ليغير وضعه ولا ليغير مكانه ولا ليغير طبعه ليصير متجمدا بعد أن كان سائلا • وليس يرى أيضا أن الاشياء المتصلبة والمتجمدة تكون حالا غير قابلة للقسمة فى كتلتها بل الجسم بكله يكون على السواء سائلا واحيانا يصير بكله صلبا ويتجمد •

§ ٥ ـ وأخيرا ، فى هذا المذهب قد لا يمكن بعد وجود نمو الاشياء ولا اضمحلالها لانه لا جسم يمكن ان يصير أكبر اذا لم يكن هناك الا مجرد اضافة واذا لم يتغير بكله على أثر اختلاط بشيء أجنبى أو على اثر تغير ما يحصل فيه •

---

§ ٤ ـ الفعل والانفعال ـ النص غير محدد تماما ولكنى أحدد المعنى اعتمادا على تفسير فيلوبون • ـ على هذا النحو ـ يعنى بواسطة المسام التى أفترضها بعض الفلاسفة • بشق الاجسام ـ حفظت عبارة النص بعينها ، فان الاجسام هى بنحو ما مشققة بالمسام التى تتخللها • ـ تمحو ••• وتفسدها ـ ليس فى النص الا كلمة واحدة • ـ الاستحالة ـ يعنى أن فى هذا المذهب لا يمكن ادراك ظاهرة الاستحالة • ـ دون أن ينقطع عن أن يكون متصلا ـ ليس النص على هذا القدر من الصراحة • ـ تارة متجمد يضرب فيلوبون مثلا لذلك اللبن الذى هو تارة سائل وتارة متجمد • وقد يمكن الظن كبعض الشراح أن المقصود أيضا هو الماء فانه تارة سائل وتارة جليد • ـ بتماسها ـ على تقدير بأجسام أخرى • ـ كما يزعم ديمقريطس ـ وفى الحق هذه هى كل ما ينسبه ديمقريطس الى الذرات من الخواص • ـ متجمدا ـ او جليدا • ـ حالا ـ اى فى النظام الحالى للطبع • ـ غير قابلة للقسمة فى كتلتها ـ يفهم سان توماس من هذا انه لا حاجة بأن تتجمد الاشياء أو تتجلد الى أن تدخلها ذرات غير قابلة للقسمة بل هى تكابد هذا التغير فى جوهرها الذاتى على السواء ـ أى فى جميع أجزائه بدون أن بعضها يعانى التغير الذى تقاومه الاخرى •

§ ٥ ـ فى هذا المذهب ـ أضفت هذه الكلمات لتبيين الفكرة • ـ قد لايمكن بعد وجود ـ يعنى أنه لا يمكن توضيح ما هو نمو الاشياء أو اضمحلالها • ـ الا مجرد اضافة ـ بأن تأتى الذرات فتنضم الى الجسم لتنمية وتزيد حجمه أو أنها تنسحب منه لتنقصه أو لتهلكه ـ بشيء أجنبى ـ أضفت الكلمة الاخيرة • ـ يحصل فيه ـ النص ليس على هذا القدر من الضبط •

§ ٦ ــ ونحن نقتصر على ما أتينا به من القول فيما يتعلق بكون الاشياء وفعلها وتناسلها وتحولاتها المتكافئة . وهذا يكفى على سواه ليفهم على أى النواحى هذه النظريات تكون ممكنة وكيف لا تكونه بحسب الايضاحات التى أعطيت عنها أحيانا .

---

§ ٦ ــ نقتصر ــ هذا ملخص مضبوط لكل هذا الباب والابواب السابقة من أول الباب السابع . وان ارسطو بعد ان فسح مكانا لتوضيح المذاهب الاخرى لم يكد يفسح للمذهب الخاص من الايضاح ما كان يستدعيه من البيان والاطناب .

الباب العاشر

نظرية الاختلاط — من الفلاسفة من انكر ان الاشياء امكنها ان تختلط فيما بينها — ابطال هذه النظرية — المعنى العام لشروط الاختلاط — الطبع المختلف للاجسام المختلطة — الفرق بين الاجتماع وبين الاختلاط الحق — لكي يوجد اختلاط بين الاشياء يلزم ان يوجد بينها تجانس بل شيء من التناسب — النقطة من النبيذ في كمية من الماء — سهولة الاختلاط او صعوبته تبعا للتخالف في طبع الاشياء وصورتها — خاتمة نظرية الاختلاط .

---

§ ١ — بقي علينا أن ندرس ما هو اختلاط الاشياء . وسنتبع هاهنا النمط عينه كما فيما سبق لان هذا هو ثالث الموضوعات التي تصدينا لفحصها في بداية هذه البحوث . يلزم اذا أن ننظر ما هو الاختلاط وما هو الشيء القابل لان يخلط وما هي الاشياء التي يمكن أن يقع الاختلاط بينها وكيف تتحقق هذه الظاهرة .

§ ٢ — ومن جهة أخرى يمكن أيضا أن يتساءل عما اذا كان يوجد حقيقة بالفعل اختلاط للاشياء او ان هذا ليس الا ضلالا . لانه يمكن ان يظن ان شيئا لا ينبغي البتة أن يختلط بآخر كما يزعم بعض الفلاسفة . يقولون أنه في الواقع حينما الاشياء التي اختلطت تبقى بعد أيضا ولم تكن لتستحيل لا يمكن أن يقال انها الآن أكثر اختلاطا مما كانته من قبل ، ولكنها دائما في الحال بعينها . فاذا أخذ أحد الشيئين ان يبيد في الاختلاط لا يمكن بعد أن يقال أنهما اختلطا ولكن فقط أن احدهما يوجد وأن الآخر لا يوجد بعد ، في حين ان الاختلاط لايمكن في الحق ان يقع الا بين شيئين

---

§ ب١٠ف١ — ثالث الموضوعات — أي مع الكون والفساد ومع الفعل والانفعال — . في بداية هذه البحوث — فيما سبق ب١ف١ لم يتكلم ارسطو الا على الكون والنمو والاستحالة . وكان يظهر أن هذه الثلاثة الموضوعات التي عول على الاشتغال بها . ولست أرى أنه قبة في أي موطن آخر على نظرية الاختلاط . — ماهو الاختلاط — الاسئلة الموضوعة هنا على الاختلاط هي مماثلة للاسئلة التي وضعت فيما سبق على الكون ب ١ وعلى الفعل ب ٧ . ومن هذه الجهة فان المؤلف مصيب في قوله إنه يتبع النمط الذي اتبعه من قبل .

§ ٢ — ومن جهة اخرى — من المذاهب ما ينكر ان اختلاط الاشياء ممكن البتة . وتلك المذاهب هي على ما يظهر تلك النظريات التي يلزم مناقشتها بادىء بدء لانها تذهب الى حد هؤلاء الفلاسفة بالضبط . — يقولون — اضفت هذه الكلمة التي تفهم من السياق ما دام فانكار المسألة والقضاء عليها . بعض الفلاسفة — لا شيء يعين في هذا الباب من هم ان الذي سيعدد فيما يلي انما هي الادلة على نفي امكان الاختلاط . — يزيدون ... على ذلك اضفت هذه الكلمات للسبب المتقدم .

يوجدان على السواء • ويزيدون ، أخيرا ، على ذلك انه لا يوجد بعــــد اختلاط ، بهذا السبب عينه ، اذا كان الشيئان اللذان يجتمعان يفسدان كلاهما بالاختلاط لانه من المحال قطعا ان أشياء لم تكن بعد البتة يمكنها ان تختلط •

§ ٣ ـ هذه النظرية ، كما يرى ، الغرض منها أن يتعين فيماذا يختلف اختلاط الاشياء عن كونها وعن فسادها • وأيضا فى اى شىء يختلف الشىء المختلط عن الشىء الكائن وعن الشىء الفاسد ، لانه من البين أنه ينبغى أن يكون الاختلاط مغايرا بافتراض انه واقع بالفعل • ومتى وضحت هذه المسائل تنحل المسائل التى وضعناها لانفسنا من قبل •

§ ٤ ـ ذلك هو السبب في أنه لا يمكن أن يقال أن المادة اختلطت بالنار التى أحرقتها حتى ولا انها تختلط بها وقت ما تحرقها ، كما انه قد لا يمكن ان يقال انها تختلط بنفسها فى اجزاء النار كما لا تختلط بالنار نفسها • بل يقال ببساطة أن النار تكونت وان المادة القابلة للاحتراق قد فسدت • كما انه لا يمكن أيضا ان يقال لا عن الغذاء ولا عن صورة الخاتم ان الاولى باختلاطها بالجسم والثانية باختلاطها بالشمع قد أعطتا شكلا ما للكتلة بتمامها • ينبغى الاعتراف أيضا بأنه لا الجسم ولا البيـــاض ولا بالاختصار ، كيفيات الاجسام وتغايرها يمكنها أن تختلط بالاشياء مادام انه يرى على الضد من ذلك أن الاثنين يبقيان • كذلك ايضا البياض والعلم

---

§ ٢ ـ عن كونها وعن فسادها ـ ر• مما سبق ب١ وما يليه • ـ ومتى وضحت هذه المسائل ـ تلك هى أدلة الفلاسفة الذين ينكرون الاختلاط • ـ تنحل المسائل التى وضعناها لانفسنا من قبل ـ فى بداية هذا الباب عينه •

§ ٤ ـ ذلك هو السبب • ـ هذا فرق بين الاختلاط وبين الكون أو الفساد • ـ المادة حصلت كلمة النص بعينها ، ولكن المادة هنا معناها الجسم القابل للاحتراق : الخشب او أية مادة اخرى تغذى النار • ـ انها تختلط بنفسها ـ يعنى ان الخشب يختلط بالخشـــب • ـ فى أجزاء النار ـ أضفت الكلمة الاخيرة • ـ كما لا تختلط بالنار نفسها ـ قد أتقيت بقدر ما استطعت التكرير الموجود فى النص واعتمدت فى ايضاح هذه الفقرة كلها على تفسير فيلوبون تكونت •• فسدت ـ حصل فيه كون لاحدهما وفســـاد للآخر ولكنه لم يحصل فيـــه اختلاط • ـ كما أنه لا يمكن أيضا ان يقال ـ هذا فرق بين الاختلاط وبين الزيادة ـ صورة الخاتم ـ اضفت الكلمة الاخيرة التى يدل عليها السياق فيما يلي • وربما كان اختيار المثلين غير حسن لان الغذاء يمكن أن يعتبر كأنه مختلط بالجسم الذى ينميه • ولكن بالبديهية طابع الخاتم لا يختلط به • ـ لا الجسم ولا البياض ـ حفظت عبارة النص على ايجـــازها • فان البياض والجسم الذى هو أبيض لا يختلطان ولكن البياض هو فى الجسم • ـ كيفيـــات الاجسام وتغايرها ـ التى هى فى الاشياء ولكن بدون ان تختلط بها • ـ ان الاثنين يبقيان عبارة النص أكثر ابهاما ويجب أن يعنى بالاثنين الجسم والكيفيات التى تكيفه لأن البياض والعلم ـ يعنى كيفين عوضا عن جسم وكيف • ـ الكيفيات أو الخواص النص غير محدد البتة • ـ التى ليست قابلة للانفصال ـ على تقدير «عن الموضوعات التى هى فيها» وكل هذه الفقرة مغلقة جدا بل ربما كانت دقيقة فيما يظهر •

فى الواقع لا يمكنها أن يركبا خليطا ولا أيضا أى واحد من الكيفيات أو الخواص التى ليست قابلة للانفصال ٠

§ ٥ ـ وأيضا يخدع نفسه من يقرر ان الاشياء جميعها كانت سابقا مندمجه وان الـكل قد وجد مختلطا لان كلا لا يمكن البتـة ان يختلط بكل على السواء ٠ يلزم دائما ان كلا الشيئين اللذين يختلطان يمكن أن يبقى على حدة ٠ وحينئذ فان كيفيات الاشياء لا يمكنها ان تكون منفصلة عنها ابدا ٠ ولكن لما ان من بين الاشياء بعضها تكون بالقوة المحضة والآخر بالفعل المحض فينتج من ذلك ان الاشياء التى تختلط يمكنها من جهة ان تبقى بعد ومن جهه اخرى الاتبقى ٠ فاذا كان فى الواقع الخليط الحاصل من الاختلاط هـو شيئا مخالفا فانه يكون كذلك دائمـا بالقوة للشيئين اللذين كانا يوجدان قبل أن يختلطا وقبل أن ينعدما فى الخليط ٠ وهذا انما هو على التحقيق الجواب على المسألة التى أثارتها النظرية التى تكلمنا عليها آنفـا ٠ ويظهر ان الاخلاط تتألف من اشياء كانت من قبل منفصلة ويمكن ان تكون ايضا من جديد ٠ وعلى ذلك الاشياء المختلطة لا تبقى بالفعل كما يمكث ويبقى الجسم والبياض الذى يشخصه ٠ وليست هى كذلك تكون فاسدة ، سيان احد الاثنين على حياله والاثنان جميعا معا ما دامت قوتهما محفوظة دائما ٠

§ ٦ ـ ولكن لندع هذا الى ناحية ولننتقل الى المسألة الآتية التى

---

§ ٥ ـ وايضا يخدع نفسه ـ هذا نقد موجه الى انكساغوراس الذى كان يرى أن جميع الاشياء فى الاصل كانت مختلطة فى العماء قبل أن يأتى العقل ويرتب العالم ٠ر٠ الطبيعية ك١ب٥ف٤ حيث تنقض نظرية انكساغوراس ص ٤٥٥ من ترجـمتنا ٠ـ كيفيات الاشياء ـ ر٠ الفقرة السابقة ٠ـ بالقوة المحضة ٠٠٠ بالفعل المحض ـ اضفت الصفتين ٠ـ شيئا مخالفا للشيئين اللذين يكونان الخليط ٠ ـ فى الخليط ـ أضفت هاتين الكلمتين ٠ ـ الجواب على المسألة ـ ليس النص على هذا القدر من الضبط ٠ ـ التى تكلمنا عليها آنفا ـ فى أول هذا الباب ٠ـ ايضا من جديد ـ بعد ان حصل الخلط ٠ـ الذى يشخصه ـ اضفت هاتين الكلمتين قوتهما ٠ يعنى امكان رجوعهما الى ما كان علينا قبل الاختلاط ٠

§ ٦ ـ المسالة الآتية ـ يعنى التى ترتبط بالمسائل التى تقدمتها والتى هى بقية لها يمكن حواسنا ان تدركه ـ ربما كانت المسألة على هذا الوجه غير موضوعة وضعا حسنا فان الاختلاط هو دائما قابل لان تدركه حواسنا ولكن حواسنا تارة تميز العناصر التى تركب منها الخليط وتارة لا تميزها ٠ ـ مثال ذلك ـ ليس النص واضحا هكذا ٠ ـ بوجه محسوس او «بحواسنا» ٠ـ هل يوجد فيها حينئذ اختلاط او لايوجد ؟ ـ هذا هو اول انواع الاختلاط فان الحواس لا يمكنها بعد أن تميز العناصر التى ركبته ٠ ـ ولكن اليس ممكنا أيضا ـ أحببت أن أصوغ هذه الجملة فى صيغة الاستفهام حتى تكون مقابلة للجملة التى سبقتهما ٠ وهذا هو التعبير الثانى للاختلاط فان الشيئين يبقيان باعتبار أن أجزاءهما انما اجتمعت بعضها الى بعض ٠ـ التبن مختلط بالحب ـ المثل فى غاية الوضوح وهذا المثل ليس البتة كمزج الماء والنبيذ اذ أن فيه أحد السائلين لا يمكن مطلقا تمييزه عن الآخر كما كان ذلك مفروضا فى الايضاح الاول ٠

تنحصر في معرفة ما اذا كان الاختلاط هو شيئا يمكن حواسنا أن تدركه. مثال ذلك حينما الاشياء المختلطة تكون مقسومه الى اجـزاء من الصغر بمكان وتكون موضوعة على قرب بعضهـا عنـد بعض حتى لا يعود احدها متميزا من الآخر بوجه محسوس فهل يوجد فيها حينئذ اختلاط أو لايوجد؟ ولكن أليس ممكنا أيضا أن في الخلط الأشياء كيفما آتفقت تكون موضوعة أجزاء أجزاء بعضها بجانب الاخرى ؟ لان هذا يسمى أيضا اختلاطا وعلى هذا النحو يقال ان التبن مختلط بالحب حينمـا يكون موضوعا بجانب كل حبة تبنة .

§ ٧ ـ اذا كان جسم هـو قابلا للتجـزئة واذا كان جسم متى كان مختلطا بجسم آخر يجب أن يكون مجانسا له فقد يلزم أن كل جزء اتفق من الخليط ينضم الى جزء آخر اتفق . ولكن بما ان الجسم لا يمكن البتة أن يكون مقسوما الى أجزائه الصغرى وبما أن الانضمام ليس هو البتة الاختلاط بل هو شيء آخر تماما فبالبين لا يمكن ان يقال بعد ان الاشياء اختلطت متى حفظت ذواتها على ما كانت في جزيئات صغيرة . حينئذ يكون الضم ولكن لا يكون لا خلط ولا مزج ، وحد جزء من الخليط لا يمكن بعد أن يكون هو الحد الذى قد يعطى للخليط بتمامه . أما نحن فنقـول انه لكى يوجد اختلاط حقيقى يلزم أن الشيء الخليط يكون مركبا من أجزاء متجانسة ، وكما أن جزءا من الماء هو ماء كذلك أيضا يجب أن يكون اى جزء اتفق من الخليط . ولكن اذا لم يكن الاختلاط الا انضمام جزيئـات الى جزيئات فليس يوجد ولا واحـد من الاحداث التى آتينا على تحليلها . وانما يكون فقط فى نظر الاعين أن الشيئين يظهر أنهما مختلطان . وكذلك الشيء عينه يظهر مخلوطا للرائي فلان الذى ليس له نظر نفاذ فى حين أن « لينسيه » يجد أن ليس هناك اختلاط .

§ ٨ ـ انّ التجزئة لا تفسر الاختـلاط كما لا يفسره اجتماع جـزء

§ ٧ـ اذا كان جسم هو قابلا للتجزئة ـ يظهر ان هذا هو رد من ارسطو على النظريتين السابقتين . وعلى هذا الوجه فهم فيلوبون وسان توماس هذه الفقرة . ولكن المعارضة ليست بينا فى النص الذى بقى غامضا على رغم جهدى فى استجلائه ولم أستطع أن أجعل الترجمة أجلى منه بكثير . ـ الى أجزائه الصغرى ـ يعنى أن القسمة لا يمكن أن تصل الى جواهر فردة وانها (اى القسمة) ممكنة دائما كما يقرره أرسطو بالاقل فى الذهن ان لم تكنها فى الخارج ـ الانضمام ـ يمكن ترجمتها أيضا التأليف . ـ فى جزئيات صغيرة ـ كالحب والتبن اللذين من الكلمتين اللتين استعملتهما فى الترجمة . ـ اختلاط حقيقى ـ أضفت كلمة حقيقى زيادة فى بيان الفكرة . ـ الشيء الخليط ـ يعنى الناتج المتحصل من الاختلاط . ـ جزيئات الى جزيئات ـ ليس النص على هذه الصراحة . ولا واحد من الاحداث التى آتينا على تحليلها ـ ليس النص على هذه الصراحة . ـ فى نظر الاعين ـ لافى الواقع .

§ ٨ ـ ان التجزئة لا تفسر الاختلاط ، النص غير محدد ، وقد اخترت المعنى الذى ...

تتفق بجزء آخر ما دامت التجزئة لا يستطاع حصولها بهذه الطريقة .

وحينئذ اما ألا يكون اختلاط ممكنا وأما انه يلزم اتخاذ نحو آخر من النظر لكى يبسط كيف يمكن أن تقع هذه الظاهرة . ولنذكر بديا أن من بين الاشياء ، كما قلنا ، بعضها فاعلة والاخرى قابلة لفعل تلك ، بعضها له تأثير مكافىء وهى تلك التى مادتها واحدة بما هى مستطيعة ان تفعل بعضها فى الاخرى او تنفعل بعضها بالاخرى على السواء . واخرى تفعل مع بقائها غير قابلة للانفعال وتلك هى التى مادتها ليست واحدة ، وهذه ليس فيها اختلاط ممكن . من هذا يرى كيف ان الطب لا يختلط بالاجسام ليفعل الصحة ولماذا الصحة لا تختلط به أيضا .

§ ٩ — بل من بين الاشياء التى يمكنها أن تفعل وتنفعل على طريقة التكافؤ كل تلك التى تكون سهلة التجزئة ، حينما يختلط منها عدد عظيم بعدد قليل من أشياء أخر وكمية عظيمة بكمية أقل عظما لا تنتج على التحقيق اختلاطا بل نموا للعنصر الغالب . وحينئذ أحد الشيئين المختلطين يتغير فى الذى هو غالب . على ذلك نقطة من النبيذ لا تمتزج بكمية من الماء تكون عشرة آلاف ضعف . لأنه فى هذه الحالة النوع يتحلل ويتغير بتلاشيه فى كتلة الماء كلها . ولكن متى كانت الكميتان متساويتين تقريبا فحينئذ كل عنصر يفقد من طبعه ليأخذ من طبع العنصر الذى هو أغلب . فالمزيج لا يصير واحدا منهما مطلقا بل يصير شيئا وسطا ومشتركا .

§ ١٠ — فبين اذا أنه لا يكون اختلاط الا حينما تكون الاشياء التى تفعل لها مقابلة ما بينها لانها اذا يمكن أن تقبل تأثيرا ما بعضها من بعض . ومن الاشياء الصغيرة مايزيد اختلاطها بالاشياء الصغيرة باقترابها منها لانها حينئذ تتدخل بأسرع وبأسهل بعضها فى بعض . ولكن كمية كبيرة تحت فعل كمية كبيرة أيضا لا تنتج هذه النتيجة الا مع الطولى .

= عيبه فيلوبون . كما لا يفسره اجتماع — الشأن هنا كما فى الملاحظة السابقة — ما دامت التجزئة لا يستطاع حصولها — يعنى أنها تقف عند حد الذرات أو الاجزاء التى لا تتجزأ التى لم يقبلها أرسطو البتة . — اتخاذ نحو آخر من النظر — ليس فى النص الا كلمة واحدة مبهمة وقد ظننت أنه يجب على تحديد المعنى . — ولنذكر بديا — أضفت هذه الكلمات التى تدل القرينة على مفهومها . — كما قلنا — ر . ما سبق فى الباب السابع . — الطب — يظهر لى أن فى اختيار المثل شيئا من الغرابة وقد نبه فيلوبون مثل هذا التنبيه .

§ ٩ — التى تكون سهلة التجزئة — كنقطة من الماء فى كمية من النبيذ . — نموا — مهما كان ضعيفا مع ذلك بنسبة الاشياء المختلطة . — للعنصر الغالب — فى المزيج النهائى . — فالمزيج لا يصير — ليس النص على هذا القدر من الضبط . — مطلقا — أضفت هذه الكلمة .

§ ١٠ — مقابلة ما — عبارة النص هى « تضاد » . — يمكن أن تقبل تأثيرا ما — فى حين انها تحدث فعلا ما . — يزيد — أعنى بأكثر سهولة وبأسرع ما يكون كما يدل عليه الكلام الآتى . — لا تنتج هذه النتيجة — أو «الاختلاط» .

§ ١١ — على ذلك بين الاشياء القابلة للتجزئة والمنفعلة الاشياء التى تتحدد بسهولة يمكنها أن تختلط . لان هذه الاشياء تنقسم بلا عناء الى أجزاء صغيرة . وهذا انما هو بالتحقيق ما يعنى بقولنا تتحدد بسهولة . مثال ذلك السوائل من بين جميع الاجسام هى الاكثر قابلية للمزج لان السائل من بين الاشياء القابلة للتجزئة هو الذى يتعين ويتحدد بأسهل ما يكون بشرط الا يكون دبقا . فان الاجسام الدبقة لا تزيد على أن تصير جملة الحجم اضخم واعظم ولكن حينما يكون احد الشيئين المختلطين هو وحده المنفعل أو أنه يكونه كثيرا وان الآخر يكونه قليلا جدا فالخليط الناتج من الاثنين اما ألا يكون أعظم البتة أو ألا يكاد يكونه . وهذا هو ما يقع بالنسبة للقصدير مختلطا بالنحاس لانه يوجد بعض أجسام حائرة بعضها بالنسبة للبعض الآخر وهى تكون من طبع مشكل . فيمكن أن يلاحظ أن تلك الاجسام لا تختلط الا اختلاطا ناقصا والى حد معين . فقد يقال ان احدهما هو مجرد مأوى فى حين ان الآخر هو الصورة . وهذا على التحقيق هو ما يحصل بالنسبة لهذين الجسمين اللذين سميا آنفا . لان القصدير الذى هو كمجرد تغير للنحاس بدون مادة يكاد يتلاشى بالتمام وينعدم بالخليط الذى لا يعطيه الا لونا ما . وتحصل الظاهرة عينها أيضا بالنسبة لاجسام أخرى .

---

§ ١١ — القابلة للتجزئة والمنفعلة — يعنى التى يمكن بسهولة ان تنقسم وان تقبل فعلا مابعضها من قبل البعض الآخر . وربما كان يلزم أن يقال « فاعلة » بدل « قابلة للقسمة ». ولكن ليس ولا نسخة واحدة تعطى هذا التصحيح . — التى تتحدد بسهولة — مثل السائل الذى ضرب فيما يلى يوضح تماما ماذا يعنى بهذا . — يتعين ويتحدد — ليس فى النص الا كلمة واحدة . — الاجسام الدبقة — عبارة النص غير محددة ولكن المعنى الذى اتخذته هو الذى اتخذه فيلوبون . وبدل من الاجسام الدبقة قد يمكن ان يفهم أن المقصود هو السوائل على العموم التى بامتزاجها تصير الكمية الكلية اكثر عظما . — ولكن حينما يكون أحد الشيئين المختلطين — ليس النص على هذا القدر من البيان . — هو وحده المنفعل — على تقدير « فى المزيج » . ولكن العبارة غير جلية ويجب أن يفهم أن أحد الجسمين المزوجين يفعل بشدة فى الآخر ويبتلعه بحيث يلاشيه . — الا يكون أعظم البتة — لان أحدهما يتلاشى بالتمام بوجه التقريب فى المزج . — حائرة — النص هنا يتخذ عبارة مجازية محضة فانه يقول : « رتى » ولم أجد ما يقابلها فى لغتنا . وذلك مجاز جرىء ويظهر ان فيلوبون دهش له أيضا . على أن المثل المضروب لذلك يفهم معنى هذه النقطة . — الا اختلاطا ناقصا — وحينئذ لا يكون هذا اختلاطا حقيقيا ما دام أن أحد الجسمين يتلاشى بالكلية تقريبا . — هو الصورة — أو النوع . — اللذين سميا — زدت هاتين الكلمتين لاتمام المعنى . — كمجرد تغير .. بدون مادة — يعنى الصورة أو النوع التى تكيف الخليط من غير أن تغير مادته مطلقا وهذا يظهر أنه غاية فى الدقة والخفاء . — لونا ما — الذى ليس هو لون القصدير والذى لا يحيل لون النحاس الا بعض الشىء .

§ ١٢ ـ فيرى اذا بحسب جميع التفاصيل المتقدمة أن الاختلاط ممكن وأنه هو ما هو ويرى كيف يكون وما هى الاشياء التى بينها يمكن أن يحصل وهى تلك التى يمكنها أن تنبل ... بعضها من قبل البعض الآخر والتى هى قابلة للتحديد بسهولة وقابلة للتجزئة بسهولة ٠ وان الجواهر من هذا القبيل ليست تفسد ضرورة فى الإختلاط ولكنها لا تبقى فيه بعد مطلقا بأعيانها ، فان اختلاطها ليس مجرد ضم وأن الجسمين لا يكونان بعد مدركين بالحواس ٠ ولكن يقال على شيء انه مختلط متى كان وهو مستطيع ان يتحدد بسهولة يمكنه ان يفعل وينفعل معا وانه يختلط بشيء له ايضا هذه الخواص أعيانها لان الشيء المختلط لا يكونه البتة الا بالاضافة الى شيء يكون واياه من المتفقة أسماؤها (هو مونيم) ٠ والحاصل أن الاختلاط هو اجتماع الاشياء المختلطة مع استحالة لها ٠

---

§ ١٢ ـ فيرى اذا ـ محصل مضبوط لكل نظرية الاختلاط ٠ ـ أن الاختلاط ممكن ـ ... ٠ ما سبق ف ٢ ٠ ـ هو ما هو بحسب النظريات الخصوصية لارسطو ، هذا هو موضوع كل هذا الباب ٠ ـ قابلة للتحديد بسهولة وقابلة للتجزئة بسهولة ـ كالسوائل ٠ ـ ليست تفسد ضرورة ـ لانها تبقى فيه بالقوة ٠

وأن الجسمين لا يكونان بعد مدركين بالحواس ـ ليس النص على هذا القدر من الضبط ٠ ولكن المعنى الذى اتخذته ينتج مما قيل سابقا فى الفقرة السابعة ؛ فان التبن والحب ليسا مختلطين بالمعنى الخاص ولكنهما منضمان ٠ ـ يقال على شيء انه مختلط ـ هاك التعريف الحقيقى للاختلاط على رأى أرسطو ٠ ـ يكون واياه من المتفقة أسماؤها (... مونيم) ـ وبعض ناشرى الكتاب يقول « مجانسا له » (هو مجين » وهذه ربما كانت المجنسة) ويظهر أن سان توماس اختارها ٠ ـ والحاصل ـ النص ليس على هذا القدر من الصراحة ٠

الكتاب الثاني

الباب الأول

نظرية عناصر الاجسام – عددها – شاهد من امبيذقل – المادة ليست منفصلة عن الاجسام كما هو في طيماوس افلاطون فيما يظهر – نقض هذه النظرية – انها حقة بجزئها باطلة بالجزء الآخر – شاهد من المؤلفات المختلفة السابقة – نظرية جديدة على المبادىء العنصرية للاجسام – طبعها وعددها .

§ ف ١ – سبق الكلام على الاختلاط وعلى التماس وعلى الفعل وعلى الانفعال ووضح كيف ان هذه الظواهر تقع في الاشياء التي تكابد تغيرات طبيعية . وقد عولج زيادة على ذلك كون الاشياء وفسادها المطلقان وبين بأي طريقة وفي اي الاحوال ولماذا هما يحدثان . وقد درست على السواء الاستحالة وحالة الموجود المستحيل . وفي النهاية قد بينت فصول كل واحدة من هذه الظواهر . والآن يبقى علينا ان ندرس ما يسمى عناصر الاجسام لان الكون والفساد في كل الجواهر التي تركبها الطبيعة لا يمكن ان يظهرا بدون الاجسام التي تدركها حواسنا .

§ ٢ – من الفلاسفة من يزعمون ان جميع العناصر مكونة من مادة واحدة بالحقيقة والعدد ويفترضون انها هي الهواء او النار أو جسم ما

---

§ ك ٢ ب ١ ف ١ – سبق الكلام على الاختلاط – تلخيص لكل ما سبق في الكتاب الاول فان نظرية الاختلاط قد عرضت في الباب العاشر منه . – وعلى التماس – لم يكن ذكر التماس الا عرضا لانه لم يفرد للتماس نظرية خاصة . ر . ك ١ ب ٦ . وعلى الفعل وعلى الانفعال – ر . ك ١ ب ٦ و٧ وما يليهما – التي تكابد تغيرات طبيعية – يصرف النظر على التغيرات التي تحدثها الصناعة أو ارادة الانسان ر . ما سبق ك ١ ب ١ ف ١ . – كون الاشياء وفسادها المطلقان – ر . ك ١ ب ١ و٣ وما بعدها . – الاستحالة وحالة الموجود المستحيل – ر . ك ١ ب ٤ . – فصول كل واحدة من هذه الظواهر – في أثناء بيان كل واحدة من تلك النظريات الخاصة قد بينت الفصول التي تفصل كل واحدة من الظواهر التي كانت على التعاقب موضع الدرس .

§ ٢ – هي الهواء – كما كان يعتقد ديوجين الابلوني وأنكسيمين . – أو النار كما كان يعتقد هيرقليطس الايفيزوسي وهيباس كما روى فيلوبون . – جسم ما وسط كان هذا مذهب اكسيمندروس الذي كان يفترض عنصرا خامسا آخذا من طبع الاربعة الاخرى وهو مع ذلك متميز عنها ز . – جاعلين هذه المادة – ليس النص على هذا القدر من الصراحة . – هؤلاء النار والارض – كما هو مذهب برمينيد . – وأولئك الهواء ثالثا

وسط بينهما جاعلين هذه المادة جسما جوهريا متميزا تماما ومنفصلا . وآخرون يرون انه يوجد أكثر من عنصر واحد ويقبلون حينئذ على السواء : هؤلاء النار والارض ، وأولئك الهواء ثالثا مع العنصرين المتقدمين . وآخرون مثل أمبيدقل يزيدون الماء كعنصر رابع . وفي هذه المذاهب المختلفة انما هو باجتماع هذه العناصر وافتراقها أو استحالتها يعلل كون الاشياء وفسادها .

§ ٣ — فلنسلم بلا أدنى صعوبة أن هذه الاوليات للاشياء يمكن بغاية الموافقة ان تسمى مبادىء وعناصر وانه انما بتغيرها بتجزئة او تركيب متكافىء أو أى نوع آخر من التغيير الذى تعانيه يأتى كون الاشياء وفسادها . ولكن يخدع المرء نفسه بالتسليم بأنه يوجد مادة واحدة بعينها خارج جميع العناصر وجعلها منفصلة وجسمانية . لان من المحال أن هذا الجسم اذا كان مدركا بحواسنا يمكن ان يوجد من غير ان يعرض أضدادا ما . ويلزم ضرورة أن هذا اللامتناهي الذى اتخذه بعض الفلاسفة مبدأ لهم يكون خفيفا أو ثقيلا باردا أو حارا .

§ ٤ — ولكن الطريقة التى شرح بها هذا المبدأ فى « طيماوس » ليس فيها شيء من الضبط لانه لم يقل على وجه جلى ما اذا كان هذا الاصل لجميع الأشياء متميزا ومنفصلا عن العناصر . والمحقق هو ان طيماوس لم يرجع فى واحد منها الى هذا المبدأ ولو انه قال مع ذلك انه الموضوع السابق لكل ما يسمى بالعناصر كما أن الذهب هو على الاسبقية موضوع

= مع العنصرين — ذلك كان مذهب يون الشيوزى اذا صدق تفسير فيلوبون . — مثل امبيدقل — انما هو دائما امبيدقل الذى ينسب اليه ارسطو نظرية العناصر الاربعة . ر . أيضا الطبيعة ك ٣ ب ٧ ف ٩ وما بعدها من ترجمتنا .

§ ٣ — هذه الاوليات للاشياء — حفظت عبارة النص بذاتها . — أى نوع آخر من التغيير مثلا لا يمكن الا الاستحالة عند المذاهب التى لا تقبل الا عنصرا واحدا لانه يتغير هذا العنصر الوحيد الى ما لا نهاية له تتكون جميع الظواهر الاخرى . — وجسمانية — هذه هى ترجمة الكلمة الواردة فى النص بالضبط . — اذا كان مدركا بحواسنا — ويجب أن يكونه ما دام انه جوهرى ومنفصل عن جميع الاخر . — من غير أن يعرض اضدادا ما — عبارة النص هى « بلا تضاد » . — هذا اللا متناهى — أو « هذا غير المحدود » .

§ ٤ هذا الاصل لجميع الاشياء — ر . ترجمة طيماوس افلاطون لكوزان ص ١٥٢ . — متميزا ومنفصلا عن العناصر — النقد حق ان لم يكن مهما جدا . — على الاسبقية أضفت هاتين الكلمتين . — موضوع المصنوعات الذهبية ر . طيماوس ص ١٥٤ من ترجمة كوزان . — على الصورة التى القى بها الينا — وفى الواقع ان طيماوس لا يتكلم الا على التصاوير المتعاقبة لسبيكة الذهب ولا يتكلم البتة على كونها الاصل . — أن تسمى الاشياء — التعبير ليس واضح البيان ، وهو بعينه الذى استخدمه طيماوس فى هذا =

المصنوعات الذهبية . ومع ذلك فان هذا الايضاح ليس حجتنا على الصورة التي ألقى بها الينا . فانه يجوز تماما انطباقه على الحالات التي يوجد فيها استحالة بسيطة ، ولكن بالنسبة للحالات التي فيها كون وفساد يكون محالا أن تسمى الاشياء بالتي منها تأتي . صدق طيماوس اذ يقول انه لادخل في باب الحق أن يقرر أن كل مصنوع من الذهب هو ذهب لكن مع ان عناصر الاشياء تكون جامدة فانه يجاوز بتحليلها الى حد السطوح . ومحال أن سطوحا تكون المادة الاولية التي يكلموننا عنها

§ ٥ — نحن أيضا نعترف انه يوجد مادة ما للاجسام التي تدركها حواسنا ولكن هذه المادة التي منها يأتي ما يسمى بالعناصر ليست منعزلة البتة بل هي توجد دائما مع اضداد . على أن هذا الموضوع قد درس في موطن آخر بأوسع من ذلك واضبط § ٦ — على أنه لما أن الاجسام الاول يمكن ايضا بهذه الطريقة أن تأتي من المادة فيلزم التكلم على هذه الاجسام مع التسليم بأن المـادة هي المبدأ والمبدأ الاول للاشياء ولكنها غير منفصلة عنها وانها موضوع الاضداد . فان الحار مثلا ليس هو مادة البارد كما أن البارد ليس مادة الحار . ولكن المادة هي موضوع الاثنين .

= الموضع ؛ فانه يمكن أن يقال على الشيء المصنوع من سبيكة الذهب انه ذهب ولكن بالنسبة للشيء الذي يتكون والذي يتولد من لا شيء لا يمكن أن يعطى اسم الشيء الذي خرج منه ما دام أنه لم يأت من شيء آخر . — التي منها تأتي — اذا كان الامر بصدد الكون ، والتي اليها تنعدم ، اذا كان الامر بصدد الفساد . — صدق طيماوس — ليس النص على هذه الصراحة . لا دخل في باب الحق أن يقرر — ر . طيماوس لأفلاطون ص ١٥٤ ترجمة كوزان . — الى حد السطوح — ر . كتاب السماء ك ٣ ب ٧ وما بعدها . فان افلاطون لما حلل الاجسام الى سطوح قد نزع منها كل حقيقة . وان التحليل لبالغ الى هذا الحد المصد قد افسدها . يكلموننا عنها — أضفت هذه الكلمات .

§ ٥ — نحن ايضا نعترف — ليس النص على هذا القدر من الضبط . — منها يأتي ما يسمى بالعناصر — هذه الفكرة لا تظهر أنها عريقة في الصحة . — وان المراد بالمادة هنا انما هو حال منطقية للاجسام أكثر منه حالا حقيقية . فقد يمكن حينئذ أن هذه الجملة لم تكن الا تذييلا أضافه الى النص بعض المفسرين . ومع ذلك كان هذه الجملة موجودة في نص فيلوبون . — ليست منعزلة البتة وباقية على طريق الاستقلال عن الاجسام كالمادة التي أخطأ افلاطون . على رأى ارسطو . في قبولها . — مع أضداد — فان المادة لها دائما كيف يميزها لا انفكاك لها عنه . — في موطن آخر — في الطبيعة ك ١ ب ٨ خصوصا ف ٢٠ ص ٤٨٤ من ترجمتنا . وفي كتاب السماء ك ٣ . — بأوسع من ذلك واضبط — ليس في النص الا كلمة واحدة .

§ ٦ الاجسام الاول — حفظت للنص عبارته بتمامها ، ولكن المراد هنا هو العناصر مع جميع الاجسام الخاصة التي تركيبها على حسب نظريات ارسطو التي هي ايضا مثلا — أضفت هذه الكلمة . — ليس هو مادة — بل هو الضد وتحت الضدين الموضوع الذي يكيفانه على طريق التناوب .

§ ٧ ـ حينئذ بادئ بدء الجسم الذى هو مدرك بالقوة باحساسنا هذا هو المبدأ ثم بعد ذلك تأتى الإضداد كالحار والبارد مثلا • وفى المقام الثالث النار والماء والعناصر الأخرى المشابهة • هذه الاجسام كلها تتغير تغيرا بعضها الى بعض ولكن لا بالطريقة التى يقول بها أمبيدقل وفلاسفة آخرون ، لانه بحسب نظرياتهم قد لايكون بعد حتى ولا الاستحالة ، وإنما هى المقابلات بالاضداد هى التى لا تتغير بعضها الى بعض • على انه لما كانت تلك هى مبادئ الاجسام فلا بد مع ذلك من دراسة كيفياتها وعددها لان الفلاسفة الآخرين استخبموا ذلك فى مذاهبهم بعد أن قبلوها على طريق الفرض ولكنهم لا يقولون لماذا هذه الاضداد لها الطبع الفلانى وأنها فى العدد الذى نراها عليه •

---

§ ٧ ـ الجسم الذى هو مدرك ـ هو المادة المفهومة على المعنى المنطقى أى المحسوسة بالقوة ولكنها ليست مدركة الا على شكل واحد من الضدين • ـ النار والماء ـ يعنى الاربعة العناصر مع جميع الاجسام الخاصة التى تركبها على حسب نظريات ارسطو التى هى أيضا نظريات الاقدمين • ـ الطريقة التى يقول بها أمبيدقل وفلاسفة آخرون ـ المعنى ليس بينا وقد جعله الايجاز فى التعبير غامضا • فان أمبيدقل وفلاسفة آخرين يرون العناصر غير قابلة للتغير مطلقا ومن ثم لا يمكن أن يفهم مع عدم قابلية التغير نظرية الاستحالة مهما كانت مسلما بها • ـ وانما هى المقابلات ـ ليس النص على هذا القدر من الصراحة • ـ فى مذاهبهم ـ • أضفت هاتين الكلمتين •

الباب الثانى

حد الجسم كما تعرفه لنا حاسة اللمس ــ تحديد الاضداد الاصلية التى يعرضهـــا الجسم المحسوس باللمس ــ فصول هذه الاضداد ــ الفعل المتباين للبارد والحار والجاف والسائل ــ علاقة جميع الفصول الاخرى بهذه الفصول الاربعة الاصلية •

---

§ ١ ــ ما دمنا نبحث فيما هى مبادىء الجسم المدرك بحواسنا أعنى الجسم الذى يستطيع اللمس أن يدركه وما دام ان جسمــا يعرفنــا اياه اللمس هو الذى يكون حسه الخاص هو اللمس فينتج بالبداهة أن جميع المقابلات بالاضداد التى يمكن مشاهدتها فى الجسم لا تؤلف أنواعه ومبادئه ولكنها انما هى فقط أنواع ومبادىء الاضداد التى تخص حاسة اللمس• ان الاجسام تتمايز بأضدادها ، ولكن بأضدادها التى يمكن للمس أن يبينها لنا • لذلك نرى لماذا انه لا البياض ولا السواد ولا الحلاوة ولا المرارة ولا أى واحد من الاضداد المحسوسة ليس عنصرا للاجسام •

§ ٢ ــ وهذا لا يمنــع أن يكون النظــر حاســة أسمى من اللمس وبالنتيجة أن موضوع النظر هو اسمى أيضا • ولكن النظر ليس عرضا للجسم الملموس بما هو ملموس بل هو يرجع الى شىء مغاير تماما يمكن مع ذلك أن يكون متقدما عليه بطبعه •

---

§ ب ٢ ف ١ ــ الجسم المدرك بحواسنا ــ الجسم المادى والمحسوس • ــ أعنى الجسم الذى يستطيع اللمس أن يدركه ــ يلاحظ فيلوبون بحق أن ارسطو يشتغل أولا بحاسة اللمس لان هذه الحاسة أكثر الحواس ادراكا ممكنا • فان من الاجسام التى تخفى على نظرنا ما ندركه بحواسنا • وذلك كالهواء اذ بينما لا يمكننا أن نراه يؤثر فى احساسنا بان يلامسنا • ــ يعرفنا اياه اللمس ــ عبارة النص هى : « جسم قابل للمس » • ــ التى يمكن مشاهدتها فى الجسم ــ أضفت هذه العبارة لبيان الفكرة تماما • ــ لا تؤلف أنواعه ومبادئه ــ هذا التفوق الذى لحاسة اللمس يتقدم تمييز الكيفيات الاول والثوانى للاجسام ويذكر به • تلك هى النظرية التى قبلتها بعد ذلك المدرسة الايقوسية • ــ ليس عنصرا للاجسام ــ عبارة النص : « لا تكون عناصر » •

§ ٢ ــ أن يكون النظر حاسة أسمى ــ ر • كتاب النفس ك ٢ ب ٧ ص ٢٠٨ من ترجمتنا فى نظرية الرؤية • ــ من اللمس ــ ر • كتاب النفس ب ١١ ص ٢٣٧ • أن موضوع النظر هو أسمى أيضا ــ ر • أول ما بعد الطبيعة : ك ١ ب ١ ص ١٢١ من ترجمة كوزان الطبعة الثانية • فان ارسطو يجعل فيها النظر أعلى من تبلغن جميع الحواس كما فعل هنا • ــ ليس عرضا ــ أو « كيفا » • ــ الى شىء مغاير تماما خففت عبارة النص على عدم تحديدها • ــ متقدما عليه بطبعه ــ أى للشى الحساس بحاسة اللمس •

§ ٣ — حينئذ بالنسبة للملموسات انفسها يلزم الفحص والتمييز بين الفصول الاولى لها ومقابلاتها الاولى بالاضداد · المقابلات والمضادات التي يبينها لنا اللمس هي الآتية : البارد والحار ، اليابس والرطب ، الثقيل والخفيف ، الصلب واللين ، الدبق والفريك ، الاملس والخشن ، الكثيف والمتخلخل · من بين هذه الاضداد الثقيل والخفيف ليسا لا فاعلين ولا منفعلين لانه ليس لانهما يفعلان أحدهما في الآخر او لانهما ينفعلان أحدهما من الآخر أعطيا الاسم الذى يحملانه · ومع ذلك يلزم أن العناصر يمكن ان تفعل وتنفعل بعضها من بعض على طريق التكافؤ ما دام انها تختلط وتتغير على طريق التكافؤ بعضها الى بعض ·

§ ٤ — ولكن الحار والبارد واليابس والرطب هي مسماة كذلك أولاها لانها تفعل والاخرى لانها تنفعل · فان الحار هو الذى يجمع ما بين الجواهر المتجانسة لان التفريق الذى يقال عن النار انها تفعله انما هو في حقيقة الامر تركيب الاشياء التي من نوع واحد ما دام أن الذى يحصل اذا هو ان النار تخرج الجواهر الغريبة وتنفيها · والبرد على ضد ذلك يجمع ويركب على السواء الاشياء التي من نوع واحد والتي ليست من نوع واحد · ويسمى سائلا ما ليس محدودا في صورته الخاصة ولكنه يمكن مع ذلك ان يقبل بسهولة صورة · واليابس على ضد ذلك هو ما كان بماله من صورة محددة تماما في حدودها الخاصة لا يقبل صورة جديدة الا بعناء ·

---

§ ٣ — بالنسبة للملموسات أنفسها — حفظت كلمة النص بعينها التي لا خفاء في معناها بعد الايضاحات السابقة · فان الملموسات هي الاجسام التي تعرفها لنا حاسة اللمس فقط · — الفحص والتمييز — ليس في النص الا كلمة واحدة · — ومقابلاتها الاولى بالاضداد — عبارة النص : « التضاد » · — لانهما يفعلان أحدهما في الآخر — عبارة النص ليست على هذا الوضوح · — أعطيا الاسم الذى يحملانه — عبارة النص أكثر ايجازا ·

§ ٤ — أولاها لانها تفعل — يظهر أن فعل البارد وفعل الحار متكافئتان تماما وانهما يفعلان وينفعلان على السواء · ويعنى بأولاها الحار والبارد وبأخراها اليابس والرطب وقد عنى فيلوبون بان يوضح في كتاب لماذا يجعل أرسطو من البارد والحار عنصرين فاعلين ومن اليابس والرطب عنصرين منفعلين · ر · عن هذه النظرية كلها الكتاب الرابع من الميتيورولوجيا ب ١ وما بعده · ص ٢٧٣ من ترجمتنا — هو الذى يجمع — وبهذا المعنى أن الحار يفعل · — الجواهر المتجانسة — هذا يقال خصوصا على الجواهر التي تسيح وتذوب تحت فعل النار فيكون قوامها اذا كالسوائل · — في حقيقة الامر — زدت هذه الكلمات — تخرج ··· وتنفي — ليس في النص الا كلمة واحدة · — البرد على ضد ذلك يجمع — وعلى هذا المعنى فالبرد هو فاعل كالحرارة · — والتي ليست من نوع واحد — فان الثلج يجلد ويجمع غالبا الجواهر الاكثر تغايرا · — ما ليس محدودا في صورته الخاصة — فان السائل لم يكن البتة الا صورة الحاوى له · أما هو نفسه فليس له صورة في كتلته · — في حدودها الخاصة — أو « في سطحه الظاهر الخاص » · صورة ··· حدود — النص يستخدم لفظا واحدا للدلالة على صورة أو حدود ·

§ ٥ من هذه الفصول الاول انما يأتي المتخلخل والكثيف والدبق والفريك والصلب واللين والفصول الاخرى المتشابهة • اذاً فان جسماً له خاصة امكان أن يملأ الاين بسهولة يتصل بالسائل لانه غير محدد هو نفسه وانه يخضع من غير أدنى عناء الى فعل الشيء الذي يلمسه تاركاً ذاته تأخذ صورة ذلك الشيء • كذلك المتخلخل يمكنه أن يملأ الاين على سواء لانه لم يكن له الا أجزاء خفيفة وصغيرة كان يجيد الملء ويلامس تماما وهذه خاصة تميز على الخصوص الجسم المتخلخل • حينئذ بالبديهية المتخلخل يقارب السائل فى حين أن الكثيف يقارب اليابس • ومن جهة اخرى الدبق يتعلق ايضا بالسائل لان الدبق ليس الا نوعا من السائل مع بعض كيفيات كالزيت • ولكن الفريك يتعلق باليابس لان الفريك انما هو النام اليبس • ويمكن القول بأنه لم يتجمد الا لخلوه من كل سائل • ويمكن أن يقال أيضا ان اللين جزء من السائل لان اللين هو ما يطاوع عند التوائه على نفسه ودون أن ينتقل كما أن السائل يفعل هذا الفعل بالضبط أيضا • تلك هى العلة فى ان السائل لم يسم لينا فى حين ان اللين يتعلق بصنف السائل وأخيرا فالصلب يتعلق باليابس لان الصلب هو شيء من المجتمد والمتجمد يابس •

§ ٦ — على أن يابسا وسائلا لفظان يحملان على معان شتى ، فان السائل والمبتل يمكن ان يعتبرا كمقابلين لليابس كما أن اليابس والمتجمد هما مقابلان للسائل • وكل هذه الخواص المختلفة تتعلق بالسائل واليابس

---

§ ٥ — من هذه الفصول الاول — ليس النص على هذا القدر من الصراحة • والفصول الاخرى المتشابهة — التى قد لا تكون الا ثانوية بالنسبة للفصول الاول للبارد والحار واليابس والرطب • — له خاصة امكان أن يملأ الاين — ليس فى النص الا كلمة واحدة • ويمكن أيضا أن يفهم من الاين « الامكنة الفارغة او التجاويف » كما فهم فيلوبون • — يتصل بالسائل — عبارة النص بالضبط : « هو من السائل » اى جزء منه • — خفيفة وصغيرة — هذا غير صحيح تماما وان السطح مهما يكن متخلخلا فانه لا يحسن أن يملأ الاين بحسب الوضع الذى يعطى اياه • — يتعلق أيضا بالسائل — او « من السائل » كما ذكر فى المتخلخل •

— كالزيت — كان يمكن ايجاد مثل اكثر انطباقا • — من كل سائل — او « من كل رطوبة » • — ودون أن ينتقل — كحال الماء الذى تنفصل جزئياته فى حين أن الجسم اللين تبقى جزئياته متصلة مع مطاوعتها للضغط الواقع عليها • — يتعلق بصنف السائل — او هو من السائل » • — من المتجمد — هذا هو لفظ النص بعينه تركته على عمومه •

§ ٦ يابسا وسائلا — او « يابسا ورطبا » وقد آثرت كلمة سائل حتى تكون مقابلته اظهر بالمبتل الذى سيأتي ذكره • — اليابس والمتجمد — ربما يمكن أن يقال أيضا (اليابس والمتجلد) • هذه الخواص المختلفة — ليس النص على هذا القدر من الضبط • — على المعنى الاول لهاتين الكلمتين — ر • الملاحظة في ف ٣ • — المتنقع — أو « المغمور » • — يتصل بالسائل — ر • ملاحظتنا على هذا التعبير فى الفقرة السالفة •

محمولين على المعنى الاولى لهاتين الكلمتين ، لانه من حيث ان اليابس هو مقابل للمبتل وان المبتل هو ما كان به على سطحه سائل غريب فى حين أن المتنقع هو ما به السائل الى باطنه . ولما أن اليابس هو على ضد ذلك ما كان خلوا من كل سائل غريب فبين بذاته ان المبتل يتصل بالسائل فى حين ان اليابس المقابل له يتصل باليابس الاولى .

§ ٧ — ويجرى هذا المجرى أيضا فى السائل والمتجمد فان السائل لما كان ما به رطوبة خاصة والمتجمد ما هو خلو منها يجب أن يستنتج منه أن هذين الكيفين أحدهما يتعلق بصنف السائل والآخر بصنف اليابس .

§ ٨ — فبين حينئذ أن كل الفصول الاخرى يمكن أن يرجع بها الى الاربع الاولى وان هذه لا يمكن ان يتزل عددها الى أقل من ذلك لان الحار ليس هو والرطب أو اليابس شيئا واحدا كما ان الرطب ليس هو لا الحار ولا البارد . كذلك البارد واليابس ليسا تابعين أحدهما للآخر كما أنهما ليسا تابعين للحار ولا للرطب . والحاصل انه لا يوجد ضرورة الا هذه الاربعة الفصول الاصلية

---

§ ٧ — فى السائل ... بصنف السائل — يظهر أن هنا تكرارا فى الكلمات لا فائدة منه وقد اضطررت أن أتبع الاصل . ولم يفسر فيلوبون هذا العيب الذى ربما لم يفطن له .

§ ٨ — كل الفصول الاخرى — التى ذكرت ووضحت بعد الفصول الاربعة الاولية والاصلية . — الى الاربعة الاولى — البارد والحار واليابس والرطب . — الى أقل — يعنى الى اثنين بدل أربعة . — والرطب — أو « السائل » . — الاصلية — أضفت هذا الوصف . ر . الكتاب الرابع من الميتيورولوجيا ب ١ .

الباب الثالث

تراكيب العناصر بين بعضها والبعض ـ ليس منها الا اربعة لان الاضداد خارجة عنها ـ نظريات سابقة على عدد العناصر ـ برمنيد ـ افلاطون ـ امبيدقل ـ طبع العناصر المختلفة الامكنة المختلفة التى يشغلها فى الاين .

§ ١ ـ لما انه يوجد اربعة عناصر وان التراكيب الممكنة لحدود أربعة هى ستة ، ولكن أيضا لما ان الاضداد لا يمكن أن تزدوج بينهـا ما دام البارد والحار واليابس والرطب لا يمكن البتة أن تنضم فى شىء واحـد بعينه ، فبين أنه لا يبقى الا أربعة تراكيب للعناصر . فمن جهة ، حار ويابس ، حار ورطب ، ومن جهة أخرى بارد ويابس ، بارد ورطب .

§ ٢ ـ تلك هى نتيجـة طبيعية لوجود الاجسام التى تظهـر بأنهـا بسيطة : النار والهواء والماء والارض ، فالنار حارة ويابسة والهواء حار ورطب ما دام ان الهواء نوع من البخار . والماء بارد وسائل واخيراً الارض باردة ويابسة . ينتج منه أن توزيع هذه الفصول بين الاجسـام الاول يفهم جد الفهم وأن عدد هؤلاء وهؤلاء هو على تمام التناسب .

§ ٣ ـ وفى الحق ان كل الفلاسفة باعترافهم للاجسام البسيطة بأنها عناصر قبلوا منها تارة واحدا وتارة اثنين وتارة ثلاثة وتارة اربعة .

§ ٤ ـ فأما الذين لم يقبلوا منها الا واحدا فمضطرون الى توليد كل الأخرى من تكثيف هـذا العنصر او تخفيفـه . وبالتبع يقبلون مبـدأين

---

§ ١ ـ لما أنه يوجد أربعة عناصر ـ هذه هى عبارة النص ولكن الحار والبارد ، واليابس والرطب أولى بها ان تكون خواص للعناصر من أن تكون عناصر بالمعنى الخاص . ـ أن تزدوج بينها ـ لانها تتفاسد . ـ أنه لا يبقى الا أربعة تراكيب ـ ليس النص على هذه الصراحة . ـ رطب ـ أخذت اللفظ الاكثر استعمالا عادة ولكن اللفظ الاغريقى يفيد سائلا كما يفيد رطبا .

§ ٢ التى تظهر بأنها بسيطة ـ أسلوب هذه العبارة لا يدع محلا لاقل شك فى بساطة العناصر بالاطلاق على حسب نظريات أرسطو . وقوله تظهر بأنها بسيطة يفيد ان بساطة العناصر يمكن أن تحقق بالمعاينة . ـ والماء بارد وسائل ـ اخترت هنا لفظ سائل بدل رطب لانه أنسب للماء .

§ ٣ ـ للاجسام البسيطة بأنها عناصر ـ الظاهر أنه ينتج من هذه الفقرة أنه ولا واحد من الفلاسفة قد قبل أكثر من أربعة عناصر . ومع ذلك فان أرسطو نفسه فى الميتورولوجيا قبل فيما يظهر خامسا وهو الايثير . ر . الميتيورولوجيا ك ١ ب ٣ ف٤ ص ٩ من ترجمتنا .

§ ٤ ـ تكثيف ... أو تخفيفه ـ ر . الطبيعة ك ١ ب ٦ ف ١ ص ٤٦١ من ترجمتنا . ـ هذا العنصر ـ أضفت هاتين الكلمتين لتمام الفكرة . ـ الفواعل المؤلفة ـ أو

المتخلخل والكثيف أو الحار والبارد لانها في هذا المذهب هي الفواعل المؤلفة والعنصر الوحيد يكون خاضعا لفعلها بما هو مادة ·

§ ٥ — وأما الفلاسفة الذين هم كبرمينيد يقبلون عنصرين النار والارض ، فيعتبرون العناصر الوسيطة الهواء والماء مزيجا من ذينكم العنصرين · كذلك الحال عند الذين يقبلون عناصر ثلاثة كما فعل أفلاطون في تقاسيمه لان عنده العنصر الوسط ليس الا مزيجا · وحينئذ الذين يقبلون عنصرين والذين يقبلون ثلاثة يوشك أن يكونوا على اتفاق تام لولا أن بعضهم يقسم العنصر الوسط الى اثنين وأن الآخرين يتركون له وحدته ·

§ ٦ — ومنهم كأمبيدقل من يعترفون جليا بأربعة عناصر غير أنه هو أيضا ينزلها الى اثنين لانه يقابل بالنار كل العناصر الاخرى مجتمعة · فعلى رأى أمبيدقل يكون لا النار ولا الهواء ولا اى واحد من العناصر الاخرى بسيطا بل ممزوجا · فأن الاجسام البسيطة هي جميعها بسيطة

« الصانعة » · — خاضعا لفعلها — ليس النص على هذه الصراحة · — بما هو مادة — أعل لأن تقبل الاضداد على التعاقب ·

§ ٥ — كبرمينيد — في الطبيعة ك ١ ب ٦ ف ١ أن المبدأين المنسوبين الى برمينيد هما المتخلخل والكثيف أو الحار والبارد وليس هما النار والارض مع أن النار يمكن أن تشخص بالحار والارض بالبارد · — في تقاسيمه — قد يظهر أن هذا يدل على عنوان خاص لمؤلف لافلاطون ولكن فيلوبون بناء على قول مفسرين سابقين يؤكد أن المؤلف المنسوب الى أفلاطون تحت هذا الاسم كان منتحلا · ويرى الاسكندر الافروديزى أن المقصود هنا هو تلك الآراء غير المكتوبة لافلاطون التى يرويها أرسطو بالصراحة في الطبيعة ك ٤ ب ٤ ف ٤ ص ١٥٠ من ترجمتنا · وقد ظن شراح آخرون أن المقصود هو التقاسيم المبينة في محاورة أفلاطون المعنونة « السفسطائى » · ويظهر أن تفسير الاسكندر هو الاقرب للاحتمال · — ليس الا مزيجا — كما يرى برمينيد · — يوشك أن يكونوا على اتفاق تام — ما دام أنه مزيج في عرف الطرفين · — العنصر الوسط الى اثنين — قد لا يكون هذا مطابقا تماما لما قيل آنفا فان برمينيد يظهر أنه يقبل عنصرين وسطين لا واحدا ولا يمكنه أن يدمج الهواء والماء ·

§ ٦ كامبيدقل — ر · ما سبق ب ١ ف ٢ · — كل العناصر الاخرى مجتمعة — ليس النص على هذا الضبط · — فعلى رأى أمبيدقل — أضفت هذه العبارة لانه يظهر لى أن كل ما سيأتى لا يمكن اسناده الا الى أمبيدقل · وهذا تفسير بان توماس وجماعة كويمبرا · ويظهر أن فيلوبون يظن أن هذه هي فكرة أرسطو الخاصة · — بل ممزوجا — من الصورة والهيولى كما يقول فيلوبون · — الاجسام البسيطة — عبارة النص غير محددة وهي « البسائط » ومن الجائز أن يكون المراد هنا الاربعة العناصر الخاصة الحار والبارد واليابس والرطب · وعلى الرغم من الجهد الذى بذلته لا تزال هذه الفقرة قلقة غامضة · — الجسم المشابه للنار — هو المركب من الحار واليابس · ر · ما سبق ف ٢ · — ولكنه مع ذلك — ليس النص على هذه الصراحة · — الجسم المشابه للهواء — وهو المركب من

بلا شك ، ولكنها ليست مع ذلك متماثلة · مثلا الجسم المشابه للنار هو من نوع النار ولكنه مع ذلك ليس بانضبط نارا · والجسم المشابه للهواء هو من نوع الهواء دون أن يكون هواء · وكذلك الحال في بقية العناصر · ولكن النار هي افراط في الحرارة كما أن الثلج افراط في البرودة لان التجلد والغليان هما افراطان من جنس ما أحدهما للبارد والثاني للحار · فاذا كان اذا الثلج هو تجلد السائل والبارد ، فالنار تكون أيضا غليان الحار واليابس · فأنظر لماذا لا يمكن أن يتولد شيء لا من الثلج ولا من النار ·

§ ٧ — الاجسام البسيطة بما هي في عدد الاربعة تتعلق اثنين اثنين بكل واحد من مكاني الاين · فالهواء والنار هنا من المكان المائل نحو الحد الاقصى · والارض والماء بالمكان الذي هو نحو المركز وأن العناصر الطرفية والخالصة أكثر من غيرها هي النار والارض · والعناصر الوسطى والاكثر ممازجة هي الماء والهواء · وفي كل طائفة احد الاثنين هو ضد للآخر لان الماء ضد النار والارض ضد الهواء ما دام أن لها في تركيبها كيفيات متضادة ·

الحار والرطب · ر · ما سبق ف ٢ · — التجلد والغليان — من الغريب أن ترى هاتان الظاهرتان متقابلتين في نظريات القدماء · وقد لزم أن تمر قرون عديدة حتى ينتج هذا التقابل نتائجه العملية فيؤسس عليه ميزان الحرارة (الترمومتر) هذه الآلة العجيبة التي تصلح لتعيين درجة حرارة الاجسام · — فانظر لماذا لا يمكن أن يتولد شيء — لا يظهر أن المعاني مرتبطة جد الارتباط بعضها ببعض وقد يمكن أن تكون هذه الجملة ليست الا تفريلا ·

§ ٧ — الاجسام البسيطة — هذه هي عبارة النص بعينها ويظهر أن ارسطو هنا يرجع الى الكلام على مذهبه الخاص وأن ليس المراد هنا الكلام على المذاهب الخاصة لامبيدقل · — بكل واحد من مكاني — الفوق والتحت · — الاين — أضفت هذه الكلمة · — من المكان المائل نحو الحد الاقصى — عبارة النص غير محددة قليلا ومع أني حددتها نوعا ما فلم أبلغ جعلها أجلى بيانا · — الذي هو نحو المركز — تلاحظ هنا الملاحظة السابقة · — العناصر الطرفية — يعني التي هي في النقط الاكثر مقابلة من الاين للمركز وللمحيط الاقصى · — والخالصة أكثر من غيرها — هذا يجب أن يعني به حركة هذه العناصر أولى من أن يعني به تركيبها · وقد يمكن أن يقال « الاظهر » في اتجاهها · — والاكثر ممازجة — هذه هي عبارة النص بعينها ولكنه يلزم أن يفهم أن هذا ينطبق خصوصا على الحركة · — هو ضد للآخر — في الطائفة الاخرى · — الارض ضد الهواء — التقابل ليس بين الظهور · — كيفيات متضادة — أنظر ما يلي ·

§ ٨ – ومع ذلك فعلى القول بالاطلاق الاربعة الاجسام البسيطة لا يتعلق كل واحد منها الا بكيف واحد . على ذلك الارض هي من اليابس أكثر من أن تكون من البارد والماء هو من البارد أكثر من أن يكون من السائل . والهواء هو من السائل أكثر من أن يكون من الحار والنار هي من الحار أكثر من ان تكون من اليابس .

---

§ ٨ – فعلى القول بالاطلاق – زدت لفظ « القول » . – الا بكيف واحد – عبارة النص غير محدودة . – أكثر من أن تكون – هذا يناقض قليلا مفهوم قوله «على الاطلاق» في أول الجملة . – من البارد أكثر من أن يكون من السائل – يظهر أن الامر على ضد ذلك أن الماء سائل أكثر منه باردا . فهو سائل قبل كل شيء ولكن المذهب الذى وضع هنا يقتضي هذا التناظر في الوضع . فقد تركت السيولة للهواء وربما قد يمكن أن يقال أيضا بدل السيولة السائلية .

الباب الرابع

نظرية تبدل العناصر بعضها ببعض – فصول العناصر فيما بينها يمكن ان تكون اكثر او اقل عددا – سهولة التبدل وصعوبته – امثلة مختلفة بحسب تجاور العناصر او البعد بينها في النظام الذي هي مرتبة به وبحسب توالي كيفيات العناصر او تقابلها – خاتمة الجزء الاول لنظرية التبدل المتكافيء بين العناصر ٠

---

§ ١ – بعد أن بينا فيما سبق أن الاجسام البسيطة يكون بعضها بعضا على طريق التكافؤ وأن المعاينة الحسية تدلنا على أنها تتكون بهذه الطريقة لانه ان لم يكن كذلك فقد لا توجد استحالة ، ما دامت الاستحالة لا تنطبق الا على كيفيات الاشياء التي يمكن لمسها ، فيلزمنا أن نقول بأي طريقة يحصل تغير العناصر بعضها الى بعض وما اذا كان ممكنا أن كل عنصر يتولد من كل عنصر أو اذا كان هذا ممكنا فقط بالنسبة للبعض ومحالا بالنسبة للبعض الآخر ٠

§ ٢ – فاذا كان ثم أمر بديهي فذلك هو أن كلها يمكن بالطبع أن تتغير بعضها الى بعض لان كون الاشياء يروح الى الاضداد ويجيء من الاضداد ٠ وكل العناصر لها تقابل بعضها بالنسبة الى البعض الآخر لان فصولها أضداد وحينئذ في بعض العناصر الفصلان هما ضدان ومثال ذلك في الماء والنار فان أحدهما يابس وحار في حين أن الآخر سائل وبارد ٠ وبعض العناصر الاخرى ليس لها الا واحد من الفصلين كالهواء والماء فان أحدهما هو سائل وحار والثاني بارد وسائل ٠

---

§ ١ – بعد أن بينا فيما سبق – ر ٠ كتاب السماء ك ٣ ب ٧ ف ١ ص ٢٦٥ من ترجمتنا ٠ ويظهر بناء على هذه الفقرة ان كتاب السماء كان في فكرة المؤلف مرتبطا بهذا الكتاب كما يعتقد المفسرون اذ وضعوا الكتابين أحدهما تلو الآخر ٠ – المعاينة الحسية – عبارة النص « الحس » ٠ – لانه ان لم يكن كذلك فقد لا توجد استحالة – الدليل ليس جيد البيان اذ أن الاستحالة مختلفة عن الكون وانها تقتضيه ٠ فانه يلزم أن يوجد الشيء قبل أن يستحيل ولكن وجود العنصر لشيء لا ينتج منه أن هذا العنصر يأتي من عنصر آخر ٠ – التي يمكن لمسها – ر ٠ ما سبق ب ٢ ف ١ ٠ – تغير العناصر بعضها الى بعض – يمكن مراجعة كتاب السماء وكتاب الميتورولوجيا أيضا ك ١ ب ٢ و ٣ من ترجمتنا

§ ٢ – امر بديهي – بالتدليل أكثر منه بالمشاهدة ٠ – يروح الى الاضداد – حفظت عبارة النص على فرط ايجازها ٠ ومع ذلك فهي مفهومة بسهولة بعد التفاصيل التي تقدمت ٠ فان الشيء بتكونه يذهب من اللاوجود الى الوجود وعلى ضد ذلك بفساده يذهب من الوجود الى اللاوجود فهو يجاوز ضدا ليذهب الى الضد الآخر ٠ – لها تقابل – اتخذت لفظا اعم من لفظ النص الذي هو « تضاد » – فصولها أضداد – ر ٠ ما سبق ب ٢ ف ٢ ٠

§ ٣ — وحينئذ فمن البين أنه على العموم كل عنصر يمكن بالطبع ان يأتي من كل عنصر • وليس من الصعب الاقتناع بهذا بأن يشاهد كيف تحصل الظاهرة بالنسبة لكل عنصر على حدته • لانه سيرى ان كلها تأتي من كلها • والفرق الوحيد انما هو أن التغير يتكون بكثير أو قليل من السرعة وبكثير أو قليل من السهولة • وكلما كان بين العناصر نقط ارتباط تحولت بعضها الى بعض سراعا جدا • وما ليس بينها نقط ارتباط تتغير ببطء • وعلة ذلك ان شيئا واحدا بمفرده يتغير بأسرع من عدة • وعلى ذلك فالهواء يأتي من النار بتغير أحد الكيفين ليس الا ، ما دام أن احدهما يابس وحار والثاني حار وسائل • وينتج منه أنه اذا كان اليابس مغلوبا بالسائل فيتكون الهواء ثم انه من الهواء يتكون الماء اذا كان الحار هو المغلوب بالبارد لان أحدهما كان سائلا وحارا والثاني كان باردا وسائلا فيكفي اذا أن الحرارة وحدها تتغير لاجل أن يتكون الماء •

§ ٤ — وبهذه الطريقة عينها أيضا أن الارض تأتي من الماء وان النار تأتي من الارض لان هذين العنصرين أيضا لهما أحدهما قبل الآخر نقطة جمع ووصل فان الماء سائل وبارد والارض هي باردة ويابسة بحيث انه اذا كان السائل هو المغلوب تتكون الارض • ومن جهة أخرى بما ان النار يابسة وحارة والارض يابسة وباردة فاذا فسد البارد فمن الارض تتكون

— فان أحدهما هو سائل — قد اضطررت للاحتفاظ بلفظ « سائل » المطبق على الهواء كما هو أيضا في النص •

§ ٣ بأن يشاهد — وصية جديدة بنمط المشاهدة • — نقط ارتباط — ربما كان أضبط أن يقال « تركيب » ممكن • فان الحد المستعمل في النص فيه تفاوت لم أستطع تحصيله مباشرة • ر • الفقرة الآتية • — تحولت — أو « مرت من واحد الى الآخر » • أحد الكيفين — ليس النص على هذا القدر من الصراحة • — كان — قد حافظت على أسلوب النص وهذا يتعلق بالنظريات التي بسطت آنفا • — يابس وحار ••• حار وسائل — أي أن كيفي الحار يجتمعان ما داما متماثلين • فلا يبقى للتغير الا اليابس والسائل • — كان سائلا — حفظت صيغة الماضي الناقص كما هي في الاصل •

§ ٤ — نقطة جمع ووصل — ترجمت هنا بوضوح معنى الكلمة الاغريقية التي هي خاصة بالاشياء التي يمكن جمع أجزائها لتؤلف كلا بعد أن فصلت •

— هو المغلوب — بالكيف الآخر الذي هو أقوى منه • فان السائل المغلوب يتلاشى ولا يبقى من الكيفين الا البرودة التي هي الكيف المشخص للارض • — فمن الارض تتكون النار — كل هذه النظريات تظهر لنا غريبة في هذه الايام ولكن يجب الرجوع الى زمن أرسطو • وقد كانت هذه النظريات مقبولة بلا نزاع الى القرن السادس عشر • — العناصر التي تتعاقب — ليس في النص الا كلمة واحدة غاية في عدم التحديد ، فان العناصر المتعاقبة هي التي لها كيفيات مشتركة • — جمع ووصل — ر • ما سبق في أول هذه الفقرة •

النار • فيرى حينئذ أن كون الاجسام البسيطة يحصل بالدور وطريقة التغير هذه هي أسهل الطرق لان العناصر التى تتعاقب لها دائما بينهما نقط جمع ووصل •

§ ٥ ـ والماء يمكن أيضا ان يأتى من النار والارض من الهواء وبالعكس يمكن ان يأتى أيضا الهواء والنار من الماء ومن الارض • ولكن هذا التحول هو أصعب لان موضوع التغير أشياء أكثرعددا • وفى الواقع لاجل أن تأتى النار من الماء يلزم أن يفسد أولا البارد والسائل وكذلك لاجل أن يأتى الهواء من الارض يلزم أن البارد واليابس يفسدان • وهذا اللزوم واجب أيضا لاجل أن الماء والأرض يأتيان من النار ومن الهواء لانه يلزم حينئذ أن يكابد الكيفان التغير •

§ ٦ ـ وأيضا الكون الذى يحصل بهذه الطريقة هو أبطأ • ولكن اذا فسد احد كيفى كل واحد من الاثنين فيكون التحول أسهل غير أن هذا التحول لا يحصل بعد حينئذ من الواحد الى الآخر على طريق التكافؤ • غير أنه من النار ومن الماء تأتى الارض والهواء ، ومن الهواء ومن الارض تأتى النار والماء • وفى الواقع اذا فسد بارد الماء ويابس النار يتكون الهواء لانه لا يبقى بعد الا حار أحدهما وسائل الآخر • ولكن اذا فسد حار النار وسائل الماء تتكون الارض لانه لا يبقى حينئذ الا يابس أحدهما وبارد الآخر •

§ ٧ ـ وكما هو الامر فى الهواء والارض يكون فى تكون النار

---

§ ٥ ـ والماء يمكن أيضا ان يأتى من النار ـ ليس بين الماء والنار نقطة مشتركة ما فلاجل أن يتغير أحدهما الى الآخر لا بد من الوسطاء • وها هنا الهواء هو الذى له نقط مشتركة بينه وبين الماء من جهة وبينه وبين النار من جهة أخرى • ـ هذا التحول ـ عبارة النص أشد ابهاما • ـ البارد والسائل ـ اللذان هما كيفا الماء • ـ الباردواليابس كيفا الارض الخاصان • ـ الكيفان ـ لفظ النص غير محدد •

§ ٦ ـ الكون ـ كون العنصر الجديد الناتج من تحول العناصر الاخرى • ـ لا يحصل بعد حينئذ من الواحد الى الآخر ـ وحينئذ يوجد جسم ثالث مكون من الكيوف الباقية • ينازع فيلوبون فى صحة هذه النظرية التى هى مع ذلك كما يقول هو كانت مقبولة عند الاسكندر الافروديزى •

ـ غير أنه من النار ومن الماء ـ لا يظهر أن المعانى متعاقبة تماما • ـ يتكون الهواء عنصر مخالف للنار والماء اللذين أنتجاه • ـ تتكون الارض ـ الملاحظة عينها • ـ يابس ••• وبارد ـ اللذان هما كيفا الارض •

§ ٧ ـ سائل أحدهما ـ السائل يظهر أن استعماله خاص بالماء دون سواه • ولكن فى هذه النظريات يلزم قبوله أيضا بالنسبة للهواء لان لفظ رطب يظهر أنه أحسن استعمالا =

والماء لانه اذا فسد حار الهواء مع يابس الارض يتكون الماء مادام أنه سيبقى سائل أحدهما وبارد الآخر · ولكن حينما يكون المنعدم هو سائل الماء وبارد الارض تتكون النار لانه يبقى حار أحدهما ويابس الآخر وهما الكيفان الخاصان بالنار ·

§ ٨ ــ وهذا الايضاح لكون النار يتفق جـــدا مع الحوادث التى يشهد بها الحس لانه انما هو اللهب الذى هو على الاخص نار واللهب ليس الا الدخان المحترق والدخان يتركب من هواء وأرض ·

§ ٩ ــ فى العناصر التى تتوالى وتتعـــاقب ليس ممكنا متى كان أحـــد الكيفين قد فسد فى واحد أو فى الآخر أن يحصل مرور وتحول للعناصر الى اى جسم آخر لان البواقى التى تبقى فى الاثنين هى اما متماثلة أو متضادة · وحينئذ لا من بعضها ولا من الآخـــر يمكن أن يتحصل جسم · مثال ذلك اذا فسد يابس النار واذا فســـد أيضا سائل الهواء لا توجد نتيجة ممكنة مادامت الحرارة هى التى تبقى من طرف ومن آخر · وكذلك الحال فيما اذا كانت هى الحرارة التى تنعدم من الاثنين فانه لا يبقى بعد الا ضدان وهما اليـــابس والســـائل ، ويجرى هذا المجرى فى جميع الاحوال الاخرى ما دام أنه فى الاحـوال التى من هذا القبيل يبقى دائما تارة الكيف المـــائل وتارة الكيف المضـــاد ، وعلى هـــذا فمن البين حينئذ انه لاجل تكوين العناصر مارة

= فى بعض الاحوال · ويمكن أيضا أن تستعمل كلمة « لطيف » للهواء ولكن هذه الكلمة لا توافق تماما كلمة النص · ــ وهما الكيفان الخاصان بالنـــار ــ ر · ما ســـبق ب ٣ ف ٢ ·

§ ٨ ــ وهذا الايضاح لكون النار ــ ليس النص على هذه الصراحة · ــ يتفق جدا مع الحوادث ــ لا يظهر ان هذا الاتفاق تام كما يظن المؤلف ولكن هذا لا يمنع من أن النمط الـذى يوصى باتباعه وحق ولو انه لم يحسن تطبيقه · ــ الدخان يتركب من هواء وأرض ــ لان الدخان على رأى أرسطو هو تبخر الخشب ·ر· الميتورولوجيا ك٤ ب٩ ف ٤٢ ص ٣٣٩ من ترجمتنا ·

§ ٩ التى تتوالى وتتعاقب ــ مثال ذلك الهواء بعد النار والماء بعد الهواء والارض بعد الماء ما دامت العناصر الاربعة مرتبة على هذا النظم · ــ مرور وتحول ــ ليس فى النص الا كلمة واحدة ·

ــ البواقى التى تبقى فى الاثنين ــ ليس النص على هذه الصراحة · ــ نتيجة ممكنة ــ يعنى جسما ثالثا مخالفا للجسمين الذين انتجاه ·ــ الحرارة هى التى تبقى ــ وفى هذه الحالة هى النار · ــ ضدان ــ يترافعان ولا يمكنهما أن يجتمعا ما دام أنهما يتفاسدان على التكافؤ · مارة ومتغيرة ــ ليس فى النص الا كلمة واحدة · ــ من واحد الى واحد

ومتغيرة من واحد الى واحد يكفي أن كيفا واحدا يفسد • ولكن بالنسبة للعناصر التى تمر من اثنين الى واحد فقط • هنالك يحتاج الى فســاد عدة كيفيات •

§ ١٠ – وعلى جملة من القول فانه قد وضح ان كل عنصر يتولد من كل عنصر وقد بين بأية طريقة يحصل تحول بعضها الى بعض •

– التعبير ليس بينا جدا ولم أزاد على ان حصلته بعينه • – كيفا واحدا – الكيف المضاد• والنص ليس على هذا القدر من الضبط • – عدة كيفيات – كلمة النص فى غاية الابهام•
§ ١٠ – وعلى جملة من القول – عبارة النص هى بالبساطة : « حينئذ » •

الباب الخامس

بقية نظرية تبدل العناصر ـ من المحال الا يوجد الا عنصر واحد منه تأتى كل العناصر الاخرى ـ فى هذا الافتراض قد تحصل استحالة العنصر الوحيد ولكن لايحصل البتة كون حقيقى للعناصر المختلفة ـ شاهد من طيماوس لافلاطون ـ عرض جديد للطريقة التى بها تتغير العناصر بعضها الى بعض ـ يحصل التبدل بسرعة متناسبة مع وجود كيف مشترك ـ نسبة العناصر الاطراف بعضها الى بعض ونسبة العناصر الاوساط ـ الحدود الضرورية لهذا التحول ـ لا يمكن التمشى الى اللانهاية فى اى واحدة من الجهتين ـ البيان الحرفى لهذا المبدأ .

---

§ ١ ـ التفاصيل السابقة لاتمنعنا تقدير هذه المسائل على ضوء آخر . فاذا كانت مادةالاجسام الطبيعية هى . كما يرى بعض الفلاسفة الماء والهواء أو عناصر من هذا القبيل فيلزم ان تكون واحدا او اثنين أو عدة من هذه العناصر . وفى الحق لا يمكن الا تكون جميع الاشياء الا عنصرا واحدا أحدا . مثلا أن الكل لا يكون الا هواء أو ماء أو نارا أو أرضا مادام التغير يحصل فى الاضداد . وفى الواقع لنفرض أن الكل هو من الهواء وان الهواء يبقى فى جميع التغيرات فسيحصل من ثم مجرد استحالة ولن يحصل بعد كون .

§ ٢ ـ ولكن فى هذا الافتراض عينه ليس ممكنا ، فيما يظهر ، أن يكون الماء فى آن واحد هواء أو أى عنصر آخر مشابه . فسيوجد دائما بين الكيفيات تقابل وخلاف حيث لا يكون للنار الا واحدا من الطرفين الحرارة مثلا . ولكن النار لن يمكنها البتة أن تكون بالبساطة هواء حارا لان هذا انما هو استحالة . ولا يظهر أن الامور تقع على هذا النحو . ومن جهة أخرى اذا فرض على العكس ان الهواء يأتى من النار فهذا التغير لا

---

§ ـ التفاصيل السابقة ـ ليس النص على هذه الصراحة . ـ على ضوء آخر ـ عبارة النص بالضبط هى : « هكذا » يعنى « بالطريقة الآتية » . ـ فاذا كانت مادة الاجسام الطبيعية ـ يجب أن يعنى ها هنا بالاجسام الطبيعية أولا بعض العناصر ثم بعد ذلك جميع الاجسام التى تؤلفها العناصر الاولية بتراكيبها . كما يرى بعض الفلاسفة وعلى الاخص فلاسفة مدرسة يونيا . ـ عنصرا واحدا أحدا ـ ليس فى النص الا كلمة واحدة . ـ ما دام التغير يحصل فى الاضداد ـ وان تقبل واقعية التغير المدرك بحواسنا ـ فى جميع التغيرات أضفت هذه الكلمات لبيان الفكرة .

§ ٢ ـ أن يكون الماء ـ بعض الناشرين يثبت النار بدل الماء ، واظن أن هذه هى الرواية الحقة لانها هى وحدها التى تتفق مع كل ما يلى . ويظهر أن فيلوبون أيضا على ذلك . ولكنى لم أجسر على تغيير النص لان هذا التغيير لا يستند الى اية نسخةمخطوطة . ـ بين الكيفيات ـ اضفت هاتين الكلمتين لتمام المعنى . =

يمكن حصوله الا بالتغير من الحرارة الى ضدها فهذه الكيفية المضادة ستكون اذا فى الهواء وحينئذ سيكون الهواء شيئا باردا وبالنتيجة من المحال أن تكون النار هواء حارا لانه قد ينتج منه أن العنصر الواحد قد يكون حارا وباردا فى آن واحد • وسيوجد حينئذ خلاف هذين العنصرين شىء ما آخر سيبقى مماثلا وهو أية مادة أخرى عامة للاثنين •

§ ٣ – قد يكون التدليل عينه منطبقـــا فى حق كل عنصر آخر غير الهواء ولا يمكن أن يوجد منهـا واحد قد يكون المنبع الوحيـد الذى منه تكون قد خرجت الاخرى كلها • وليس يوجد خلاف هذه العنـاصر عنصر آخر وسيط ، كأن يكون مثلا عنصرا وسطا بين الهواء والماء أو بين الهواء والنار ، أثقل من الهواء والنار وأخف من كل الاخر • لان هـــذا الوسيط حينئذ يكون بمقابلة الاضداد هواء ونارا معا • ولكن ثانى الضدين هو العدم وبالتبع لا يمكن أن يثبت هذا العنصر الوسيط وحده ، كمـا يقوله بعض الفلاسفة ، عن اللامتناهى وعن الحاوى • فيلزم اذا اما أن كل واحد من العناصر المعروفة يمكن ان يكون على الســـواء هو ذلك الوسيط واما الا يمكن ولا واحد منها آن يكونه •

= واحد من الطرفين – هذه هى كلمة النص بعينها أثبتها وربما قد لا تكون الكلمة المختارة • – الحرارة – بافتراض أن الهواء حار ومائل كما سبق فى ف ٢ و٣ • – الامور تقع على هذا النحو – ليست عبارة النص على هذه الصراحة • – أن الهواء ياتى من النار – كما افترض آنفامن أن النار هى التى كانت تاتى من الهـــواء فيلزم أن الهـواء يمكن ان ياتى من النار أيضا ما دام أنه لم يفترض الا عنصر واحد أحد • – من الحرارة – التى هى فى النار بالبداهة • – الى ضدها – الذى هو البرودة • – هذه الكيفية المضادة – ليس فى النص الا اسم اشارة غيرمحدد • – وسيوجد حينئذ – هذه هى النظرية التى سيقف عندها ارسطو فيما يلى • – أية مادة أخرى عامة للاثنين – هى المادة بالقوة المحضة لا بالفعل والتى يمكنها أن تقبل على التناوب صورة كل واحد من الاضداد ونوعه • ر • طيماوس أفلاطون ترجمة كوزان ص ١٢٢

§ ٣ – فى حق كل عنصر آخر غير الهواء – النص مبهم جدا • – قد يكون المنبع الوحيد – النص مبهم جدا أيضا • – عنصر آخر وسيط – كما كان يرى انكسيمندروس على رواية فيلوبون • – هو العدم – ر • الطبيعة ك ١ ب ٨ ف ١٠ ص ٤٨٠ من ترجمتنا • فان العدم هو ثانى الضدين بمعنى أن هذا الضد الثانى لايوجد الا متى انقطع وجود الآخر • – وعن الحاوى – حفظت لفظ النص على ابهامه • ر • على اللا متناهى الطبيعة ك ٣ ب ٦ ف ٤ ص ٩٧ من ترجمتنا • الفلاسفة الذين يشير اليهم هنا أرسطو بلا شك هم أتباع فيثاغورث • ر • كذلك أيضا الطبيعة ف ١٢ ص ١٠٠ • – يمكن ان يكون على السواء هو ذلك الوسيط – ليس النص على هذا القدر من البيان • ولكن المعنى الذى وفيناه ظاهر من شرح فيلوبون •

§ ٤ ـ ولكنه اذا لم يكن أجسام محسوسة سابقه على تلك فالعناصر التي نعرفها هي كل هذه الموجودة ، فيلزم حينئذ اما أن تثبت العناصر الى الابد كماهي دون أن يتغير بعضها الى بعض واما أن تتغير على الدوام • يمكن أن يسلم ايضا امكان تغيرها جميعا أو أن بعضها يمكن ان يتغير وأن الاخرى لايمكنها ذلك كما قال أفلاطون في طيماوس ولقد وضح فيما سبق ان العناصر تتغير بالضرورة بعضها الى بعض ولكنه قد بين ايضا انها لاتتغير بسرعة على السواء تحت هذا التأثير المتبادل وأن التغير يحصل أسرع بالنسبة للتي بينها نقطة صلة أعني كيفا مشتركا وابطأ بالنسبة لتلك التي ليس لها من ذلك • فاذا لم يكن اذا الا مقابلة واحدة بالاضداد على حسبها تتغير الاجسام فيلزم بالضرورة حينئذ أن يوجد جسمان لان الهيولى انما هي التي تصلح وسطا للضدين غير مدرك وغير منفصل ولكن لما انه يوجد بالمعاينة عناصر اكثر فان أقل مايمكن أن يوجد من المقابلات انما هو اثنان ومتى وجد اثنان فلا يمكن ان يوجد ثلاثة حدود فقط بل يلزم مطلقا أربعة كما قد تدل عليه المشاهدة • وهذا انما هو عدد التراكيب اثنين اثنين لانه ولو أنها ستة في المجموع الا أن منها اثنين لا يمكن البتة أن يكونا لانهما ضدان أحدهما للآخر • ومع ذلك فقد عولجت هذه المسائل فيما سبق •

§ ٥ ـ مع أن العناصر تتغير بعضها الى بعض فان من المحال ان يوجد مبدأ التحول لافي أحد الطرفين ولا في الوسط • واليك مايثبته أما الطرفان فانه ليس ممكنا ان تكون كل الاشياء من النار كما انها لاتكون كلها من الارض ، لان هذا يرجع الى القول بأن الكل يتولد من النار أو ان الكل يتولد من الارض • ولكن لايمكن ان يقال ايضا ، كمايريد بعض الفلاسفة ، ان الوسط هو المبدأ وان الهواء ينقلب الى

---

§ ٤ ـ اجسام محسوسة ـ عبارة النص غير محددة • فالعناصر التي نعرفها ـ زدت « التي نعرفها » • ـ كما هي ـ زدتها أيضا • ـ كما قال افلاطون في طيماوس ـ ر • طيماوس ترجمة كوزان ص ١٦٦ وما بعدها • ـ فيما سبق ـ ر • ما سبق ب٣ و٤ • ـ اعني كيفا مشتركا ـ زدت هذه العبارة على جملة التذييل ـ مقابلة واحدة بالاضداد ليس في النص الا كلمة واحدة •ـ للضدين ـ أضفت هذ الجار والمجرور لاتمام الفكرة • ر • الطبيعة ك ١ ب٨ من ترجمتنا • ـ عناصر أكثر ـ ليس النص على هذه الصراحة • فيما سبق ـ ر • ما سبق ب ٣ ف ١

§ ٥ ـ مبدأ التحول ـ عبارة النص هي بالبساطة « مبدا » • ـ من النار ••• من الارض ـ بأن النار والارض هما العنصران الطرفان • ـ الهواء ينقلب الى نار ـ بما أن الهواء عنصر وسيط • ـ الماء ينقلب الى هواء ـ الملاحظة عينها • ـ آكرر ـ أضفت هذه الكلمة • ـ أن يتغير بعضها الى بعض ـ لان الاطراف هي أضداد تتفاسد ولكنها لا تتبدل على طريق التكافؤ •

نار والى ماء ولا ان الماء ينقلب الى هواء والى أرض • لانى أكرر ان الأطراف لا يمكن البتة أن يتغير بعضها الى بعض •

§ ٦ — على ذلك يلزم ايجاد نقطة وقوف ولا يمكن من جهة ولا من أخرى السير الى اللانهاية على خط مستقيم لانه يترتب عليه وجود مقابلات واضداد غير متناهية العدد لعنصر واحد أحد • فلنرمز للارض بحرف ا وللماء بحرف م وللهواء بحرف ه وللنار بحرف ن • فاذا تغير ه الى ن والى م فالتقابل يكون بين ه ، ن • ولنفرض أن هذين الضدين هما البياض والسواد • ومن جهة أخرى اذا تغير ه الى م فسيكون تقابل آخر لان م ، ن ليسا متماثلين ولتكن مقابلة السيولة واليبوسة مرموزا لليبوسة بحرف ى وللسيولة بحرف س فاذا كان حينئذ الابيض ه هو الذى يمكث ويبقى فيكون الماء سائلا وأبيض ، فاذا لم يكن أبيض فيكون أسود مادام ان التغير لا يحصل الا الى الاضداد • فيلزم حينئذ بالضرورة ان يكون الماء اما إبيض واما اسود ويمكن افتراض انه فى الحالة الاولى • وبالطريقة عينها أيضا ى اليبوسة يكون لحرف ن وحينئذ ن أعنى النار تتغير كذلك الى ماء لانهما الضدان ، والنار كانت سوداء أولا ثم يابسة بعد ذلك كما كان الماء سائلا اولا ثم ابيض •

§ ٧ — فبين اذا أن كل العناصر يمكن ان يتغير بعضها الى بعض • والكيوف الباقية ستوجد فى (١) الارض كما يوجد فيها نقطتا الاجتماع والارتباط الاسود والسائل مادام أن هذين الكيفين لم يتركبا معا بعد بأية طريقة كانت •

---

§ ٦ — يلزم ايجاد نقطة وقوف — التى هى أحد الطرفين • — الى اللانهاية على خط لستقيم — يعنى من غير أن يرتد على عقبيه ليذهب من جديد من الطرف الثانى الى الطرف الاول كما ذهب أولا من الطرف الاول الى الطرف الثانى ومع ذلك فان هذه الفكرة ليست بينة بيانا كافيا • — مقابلات وأضداد — ليس فى النص الا كلمة واحدة • — فلنرمز للارض بحرف T — (بالفرنساوية وقد وضع بدلها فى النص العربى حرف ا) فى النص أخذت حروف الرمز من أوائل أسماء العناصر كما نبه :ليه فيلوبون كما فعلت في الترجمة • ومع ذلك فان هذا المثل الحرف لم يات بايضاح كبير • — البياض والسواد • نبه سان توماس بحق الى أن هذه الامثلة ليست مختارة وان هذه ليست هى الكيفيات العادية للعناصر م ، ن ليسا متماثلين — بل هما ضدان بالعرف العام ما دام أنهما الماء والنار • — السيولة — يمكن أن تترجم أيضا « الرطوبة » • — أعنى النار تتغير كذلك الى ماء — كل هذه التغاير هى نظرية محضة ولا تطابق حقيقة الواقع فى شيء • والمؤلف ما هنا ليس متمسكا بنهج المشاهدة الذى طالما أوصى به •

§ ٧ — أن كل العناصر — قد يكون من الممكن تخصيص هذه القضية التى هى أعم مما ينبغى بعض الشيء وقصرها على عنصرى الارض والنار • — الكيوف الباقية — يعنى =

§ ٨ — وهاك البرهان على أنه لايمكن هاهنا أن يتمشى الى اللانهاية مبدأ اعتمدنا عليه من قبل ان نقرر الايضاح الذى سبق ، وذلك هـو أنه اذا فرض أن النار المرموز لها بحرف نَا تتغير الى عنصر آخر ولاترجع الى الوراء وانها مثلا تتغير الى ر فمن ثم يكون بين النار وبين ر مقـابلة بالاضداد مختلفة عن المقابلات المذكورة آنفا مادام أن ر لا يمكن ان تكون مماثلة لاى واحد من العناصر المرموز لها بالحروف ا ، م ، هـ ، ن ولنفرض ان الكيف ك هو كيف ن وان الكيف ى هو كيف ر فتكون ك حينئذ لكل العناصر ا ، م ، هـ ، ن لان كل هذه العناصر يتغير بعضها الى بعـض ولكن مع التسليم بأن هذا لم يوضح بعد فانه من البين على الاقل انه اذا تغير رمن جديد الى عنصر آخر فمن ثم يكون تقابل آخر بالاضداد ويكون بين ر و بين النار ن • وتكون الحال كذلك دائما بالنسبة للحد المزيد وأنه يوقع دائمامقابلة مع الحدود السابقة بحيث انه اذا كانت هذه الحدود غير متناهية بالعدد فتكون كذلك مقـابلات غير متناهية بالعدد لعنصر واحد أحد • واذا كان هذا ممكنا فمن ثم يكون من المحال ان يعطى أى قول شارح وأن يوضح كون أى عنصر ما مادام انه يلزم ، اذا كان واحد يأتى من الآخر ، أن يجتاز من المقابلات عدد ما ذكرنا بل وأزيد منـه

= التى لم يتألف أحدها مع الآخر بعد • — تقطتا الاجتماع والارتباط — يعنى الكيفيات المشتركة للعنصرين والتى بها يمكن أن يجتمعا ويتركبا بحيث أن أحدهما يتغير الى الآخر•

§ ٨ — مبدأ اعتمدنا عليه — ر • ما سبق ف ٦ • — الايضاح الذى سبق — ليس النص على هذا القدر من الصراحة • — ولا ترجع الى الوراء — يعنى اذا توالى التغير على خط مستقيم واذا لم تتغير النار على التعاقب الى هواء وماء وأرض لتتغير الارض بعد ذلك الى ماء وهواء ونار • — المذكورة آنفا — ر • بـ ٥ و٦ • — لا يمكن أن تـكون مماثلة — يعنى أن « ر » تكون مفروضـة عنصرا خامسا خارجا عن النار والهواء والماء والارض • — الكيف « ك » — عبارة النص هى فقط « ك » • — فتكون « ك » حينئذ لكل العناصر — ما دام أنه للعنصر « ن » بواسطة « ر » ولسائر الاخرى بواسطة « ن » — للحد المزيد — كما زيدت « ر » على أربعة العناصر الاخرى • — اذا كانت هـذه الحدود غير متناهية بالعدد — يجب أن يعنى بالحدود العناصر الجديدة التى قد تفترض تلو العنصر الخامس كما افترض الخامس تلوا للاربعة الاول • — لعنصر واحد أحد — ما دام أن جميع العناصر يمكن أن يتغير بعضها الى بعض على التعاقب • — أى عنصر ما — عبارة النص غير محددة — ما ذكرنا — ليس النص على هذا القدر من الصراحة • — بل وأزيد منه — هذا غير مفهوم تماما ما دام قد افترض أن عدد الاوساط غير متناه •

— لبعض العناصر — عبارة النص غير محددة ويظهر لى أن هذا يرجع بالضرورة الى العناصر • اذا كانت الاوساط غير متناهية بالعدد — كما افترض سابقا ، فان الهـواء والنار هما مع ذلك عنصران متجاوران كلاهما فاذا لم يكن تغير أحدهما الى الآخر على طريق التكافؤ فمن باب أولى العناصر المتباعدة كالنار والارض •

وينتج من ذلك أنه بالنسبة لبعض العناصر لايكون تغير ممكن البتة ، مثال ذلك اذا كانت الاوساط غير متناهية بالعدد وهذا لازم اذا كانت العناصر غير متناهية بالعدد هي أنفسها ، وعلى ذلك مثلا لايكون تغير من هواء الى نار اذا كانت المقابلات التى تجتاز هى غير متناهية بالعدد ·

§ ٩ ـ وأخيرا كل العناصر أيضا تنتهي الى عنصر واحد لانه يلزم أن تكون كل هذه المقابلات متعلقة اما بالمقابلات من أعلى بالعناصر التي هي أسفل من ن واما بالمقابلات من اسفل بهذه العناصر نفسها بحيث أن الكل ينتهي الى واحد ·

---

§ ٩ ـ وأخيرا ـ أضفت هذه الكلمة لبيان أن هذا هو تمام كل ما سبق · ومع ذلك فلا يرى قوة هذا البرهان المبني على فرض عنصر خامس وسلسلة متناهية من العناصر حتى لو فرض أنه لا يوجد الا أربعة عناصر فما دام أنها يمكن أن يتغير بعضها الى بعض كما يقرره أرسطو فانه يظهر أيضا أنه يمكن أيضا أن تنتهي الى واحد · ومع ذلك فاني لست واثقا بأن يكون المراد هنا هو العناصر ما دام أن عبارة النص غير معينة كما في بعض الفقرات الاخرى · ومن الممكن أن تكون جميع الاوساط هي التي تنتهي الى واحد · ـ كل العناصر أيضا تنتهي الى عنصر واحد ـ حفظت عدم التعيين الموجود في النص · ومازالت هذه الفقرة مغلقة على الرغم من توضيحات فيلوبون الذى يستند مع ذلك الى الاسكندر الافروديزى · والظاهر أن هذا الاخير كان لديه نص أرسطو كما وصل الينا ، ومن المحتمل أنه لا محل لافتراض أى تحريف ما هنا · وان الفكرة العامة لهذا التدليل هي مع ذلك جلية وان كانت التفاصيل ليست دائما كذلك · فعلى رأى أرسطو أن أربعة العناصر يمكن أن يتغير بعضها الى بعض · ولكن هذا التغير لا يصح أن يكون غير متناه ويلزم الاستمساك بالاربعة العناصر التي تدركها حواسنا وبالاربع الكيفيات التي تشخصها وتميزها · وقد فسر سان توماس هذه الفقرة بالاختصار الذى ليس من عادته · ولم يكن هذا الايجاز ليساعد على جلاء المعنى ·

الباب السادس

ابطال نظرية امبيذقل على مقارنة العناصر بينها سواء بالنسبة الى الكم أم بالنسبة الى الاثر والتناسب — فى مذهب امبيذقل نمو الاشياء يرجع الى مجرد جمع — انه لا يفسر ايضا كون الاشياء ، بل اخضعه لسلطان المصادفة ، ولا علة الحركة الاصلية ولا طبع الناس الحقيقى — شواهد مختلفة من شعر امبيذقل .

---

§ ١ — حينما يرى أن فلاسفة يقبلون تعدد عناصر الاجسام وينكرون فى آن واحد أن العناصر تتغير بعضها الى بعض ، كما يفعل أمبيذقل ، قد يمكن أن يسألوا فى شيء من الدهش كيف يستطيعون اذا أن يقرروا أن العناصر هى قابلة للمقارنة بعضها ببعض . هذا مع ذلك هو ما يزعمه أمبيذقل اذ يقول :

« لان العناصر كلها كانت متساوية فيما بينها »

فاذا كانت المساواة فى الكم لزم أن يوجد بين الاشياء المقارنة شيء مشترك يصلح لقياسها ، مثال ذلك اذا كان من كوتيل (ربع لتر) واحد من الماء يمكن ايجاد عشرة كوتيلات من الهواء فذلك بأن العنصرين كانا من بعض الوجوه شيئا واحدا ما دام أن قياسهما واحد .

§ ٢ — فاذا كانت الاشياء ليست قابلة للمقارنة هكذا بالنسبة الى الكم أى أن الكمية الفلانية مضارعة الكمية الفلانية فيلزم على الاقل أن تكون بعلاقة الاثر الذى يمكن أن تحدثه . مثال ذلك : اذا كان كوتيل

---

§ ب ٦ ف ١ — حينما يرى — ليس النص على هذه الصراحة . — فى آن واحد — أضفت هذه الكلمات حتى تكون المقابلة بين المعانى أظهر . — كما يفعل أمبيذقل — ر . ما سبق ب ٣ ف ٦ . — قابلة للمقارنة — التعبير مبهم ولم أشأ أن أزيد عليه ما يعينه. وان الامثلة التى ستذكر فيما بعد ستقلل من ابهامه شيئا . — كانت متساوية — هاهنا أيضا قد حصلت عبارة النص على ما فيها من عدم التعيين . — فاذا كانت المساواة فى الكم — على تقدير المادى ليقابل بكم القوة الذى سيجىء الكلام عليه فيما يلى . — يمكن ايجاد عشرة كوتيلات من الهواء — أو « اذا كان كوتيل من الماء يقابل عشرة كوتيلات من الهواء » وهذا ليس الا مجرد فرض وليس معناه أن أرسطو يظن أن هذه هى فى الواقع النسبة بين الهواء والماء .

§ ٢ — الاشياء — أو « العناصر » . — مضارعة — أو « آتية من » . =

من الماء يمكن ان يحدث من البرودة ما تحدثه عشرة كوتيلات من الهــواء فحينئذ تكون العناصر قابلة أيضا للمقارنة بينها بعلاقة الكمية لا من حيث هي بالضبط كمية مادية ولكن من حيث انه يمكنها أن تحدث فعلا ما ٠

§ ٣ ـ قد يمكن أيضا مقارنة القوى أو الطاقات ليس فقط بمقياس الكمية مباشرة بل أيضا بالتنسيب والتشبيه ٠ على ذلك يمكن أن يقال ان الشيء الفلاني حار كما أن الشيء الآخر أبيض ٠ فكاف التشبيه تبين علاقة المشابهة اذا كان المعنى هو الكيف ، فان كان المقصود الكم فهي تفيــد المساواة ٠ ولكن من السخف ، فيما يظهر ، أن الأجسام التي لا يمكن أن تتبدل بعضها ببعض لا تكون قابلة للمقارنة فيما بينها بعلاقة المشابهة وان تكون فقط بمقياس قوتها ولان الكمية الفلانية من النار مثــلا يمكن أن تكون أيضا حارة وتحدث الحرارة التي تحدثها الكمية الفلانية من الهواء التي هي أعظم منها ٠ وفي الواقع أن جوهرا من هــذا الطبع اذا كانت كميته أعظم يمكنه أن يصــير بالتنسيب مكافئا لانه سيكون والآخر من جنس واحد ٠

§ ٤ ـ أزيد على ذلك انه على حسب مذهب أمبيدقل لا يوجد نمــو ممكن الا النمو الذي يحصل بالجمع وهكذا هو يفترض أن النار تنمــو بالنار حين يقول :

« الارض تنمي الارض والهواء ذاته ينمي الهواء »

= ـ الاثر الذي يمكن أن تحدثه ـ ليس النص على هذا الوضوح ٠ ـ يمكن أن يحدث من البرودة ـ كان من حق هذه العبارة أن تكون أوسع مما هي ٠ ـ مادية ـ أضفت هذا الوصف ٠ ـ أن تحدث فعلا ما ـ عبارة النص بالضبط هي : « بما هي مستطيعة شيئا ما » ٠

§ ٣ ـ القول أن الطاقات ـ ليس في النص الا كلمة واحدة ٠ ـ مباشرة ـ أضفت هذه الكلمة لبيان الفكرة ٠ ـ بالتنسيب والتشبيه ـ ليس في النص الا كلمة واحدة ٠ ـ فكاف التشبيه ـ ليس النص على هذا القدر من الضبط ٠ ـ ولكن من السخف فيمــا يظهر ـ الرأي الذي ينتقده ارسطو هنا يجب أن يكون مسندا أيضا الى أمبيدقل على رغم أن هذا التعيين لم يذكر في النص صراحة ٠ ـ قابلة للمقارنة فيما بينها ـ لم يذكر فيما سبق أن هذا الرأي هو رأي أمبيدقل ٠ ـ المشابهة ـ أو « التنسيب » ٠ ـ مثلا ـ أضفت هذه الكلمة ٠ ـ الكمية الفلانية من الهواء التي هي أعظم منها ـ في نسبة حرارة الهواء الى حرارة النار ٠ أما القاعدة فهي مع ذلك صحيحة ٠ فان جسمين مكيفين بكيف واحد يمكن أن يوازن بينهما بالزيادة على أضعف الاثنين ٠

§ ٤ ـ ازيد على ذلك ٠٠٠ هو يفترض ـ ليس النص على هذا القدر من الظهور ٠ ـ حين يقول ـ أضفت هاتين الكلمتين ٠ ـ تنمي الارض ـ عبارة النص بالضبط : « تنمي نوعها الخاص » وقد بين أرسطو فيما سبق أن نمو الاشياء لا يمكن أن يحصل بمجرد الاضافة ك ١ ب ٥ ف ٨ ٠ ـ ولا يظهر ـ يحال على المرجع السابق ٠

حينئذ ليس هذا اذا الا مجرد اضافة ولا يظهر أن الاشياء التى تنمو يمكن أن تنمو هكذا ٠

§ ٥ ــ ولكنه أعسر أيضا على أمبيدقل أن يوضــــح كون الموجودات فى الطبع لان كل الموجودات التى تولد وتتكون بحسب القوانين الطبيعية أو تولد دائما بطريقة منتظمة أو بالاقــــل على الغالب بهــــذه الطريقة ، والموجودات التى تتكون على ضد هذا النظام الثابت أزلا أو بالاقل الاكثر فى العادة هى ثمرة علة أتفاقية وثمرة المصادفة ٠ فما هو الفاعل اذا فى أن من انسان يولد انسان اما دائما وعلى حسب قاعدة أزلية واما بالاقل بحكم العادة الغالبة ، كما أن من القمح يأتى دائما قمح لا شجرة زيتون ؟ أم هل العظام لا تتكون أيضا بالطريقة عينها ؟ كلا ان الاشــــياء لا تكون بالمصادفة وبالاتفاق كما يقول أمبيدقل بل هى تتكون بنوع ما من العقل ٠

§ ٦ ــ فما هى اذاً العلة فى كل هذه الظواهر ؟ أنهـــــا ليست فى الحق لا الارض ولا النار ، وليست كذلك العشــــق والتنافر لان أحدهما ليس علة الا لتاليف الاشياء والآخر لتفريقها ٠ تلك العلة انما هى أصل لكل شيء ٠ وليست فقط كما يقول أمبيدقل :

« اختلاط وتنافر للاشياء المختلطة »

فهى ليست اذاً ما يسمى بالمصادفة وليست هذه بعلة ٠ لانه ممكن تماما أن يوجد أحيانا اختلاط اتفاقى ومشوش ٠

---

§ ٥ – على أمبيدقل ــ أضفت هاتين الكلمتين اللتين تفهمان من صوغ النص ٠ ــ فى الطبع بصرف النظر عن الاشياء التى توجدها صناعة الانسان ٠ ــ علة اتفاقيـــة وثمرة المصادفة ــ أن ابطال نظرية المصادفة هذا هو مطابق تمام المطابقة ، حتى فى لفظه أحيانا للنظرية الواردة فى الطبيعة ك ٢ ب ٤ ف ٦ و٨ ص ٣١ و٣٢ من ترجمتى وأيضا فى الباب الخامس وما يليه ٠ ــ أم هل العظام لا تتكون أيضــا ــ لا يرى جيدا لماذا مثل بالعظام هنا ٠ وان كان أمبيدقل فى الحق يستعمل هذا المثل غالبا ٠ ــ كما يقول أمبيدقل ــ ر ٠ الطبيعة ك ٢ ب ٨ ف ٣ ص ٥٤ وما بعدها من ترجمتنا ٠ ــ بنوع من العقل ــ أو « بنوع ما من الفطنة » ٠

§ ٦ ــ انها ليست فى الحق لا الارض ولا النار ــ هذه الجملة واردة على صـــيغة تهكمية ٠ ــ العشق والتنافر ــ المبدآن العظيمان عند أمبيدقل ٠ ر ٠ الطبيعة ك ٧ ب ١ ف ٤ ص ٤٥٥ من ترجمتنا ٠ ــ انما هى أصل لكل شيء ــ يعنى صورته الجوهرية ٠ وكان يمكن أرسطو أن يترقى أيضا الى أعلى من ذلك ويتساءل الام يجب أن يرجع فى أصل كل شيء ٠ ــ وليست هذه بعلة ــ أو نوعا من التناسب والنظام ٠ وان اللفظ المستعمل فى النص هو فى غاية السعة ٠ ــ لانه ممكن تماما ــ يظهر أن فيلوبون لم يفهم هذه الجملة الصغيرة لانه لم يفسرها ٠ ــ اتفاقى ومشوش ــ ليس فى النص الا كلمة واحدة ٠

§ ٧ — اذا ما هو علة لكل واحد من الموجودات الطبيعية انما هو تركيبها ، انما هو الطبع الخاص لكل واحد منها مما لا يقول عنه أمبيدقل كلمة واحدة . بل يمكن التأكيد بأنه لم يدرس الطبع حقيقة ولو ان الطبع هو بالضبط النظام والخير لجميع الاشياء . ولكن أمبيدقل لا يشيد مطلقا الا بذكر الامتزاج والاختلاط ومع ذلك فليس هو التنافر بل هو العشق الذى فصل العناصر وهما على رأيه متقدمان على الله ذاته لان عناصر أمبيدقل هى أيضا آلهة .

§ ٨ — انه لا يتكلم كذلك على الحركة الا بطريقة غاية فى العموم لانه لا يكفى أن يقال ان التنافر والعشق هما اللذان يعطيان الحركة اذا لم يعين ان العشق ينحصر فى ان يسبب النوع الفلانى من الحركة والتنافر فى ان يسبب النوع الفلانى منها . وحينئذ كان يجب على أمبيدقل هاهنا اما ان يحد الاشياء بالضبط ، او ان يتصور فرضا ما ، او ان يوضح توضيحا قويا او ضعيفا مع ذلك ، او ان يخلص منه بأية طريقة اخرى .

§ ٩ — رد آخر . ان الاجسام هى تارة متحركة بالقسر وضد الطبع وتارة هى ذات حركة طبيعية . مثال ذلك النار تتجه الى فوق من غير أن يكون ذلك بالقسر ولا تتجه الى تحت ألا بالقسر فالحركة الطبيعية هى ضد الحركة القسرية فبالنتيجة كما انه يوجد حركة قسرية يوجد أيضا حركة طبيعية . فهل هو اذا العشق او ليس هو العشق الذى يكون هذه الحركة الاخيرة ؟ متى كان للارض حركة تحملها الى تحت فانما هى حركة

---

§ ٧ — انما هو تركيبها — والترجمة الحرفية هى : « كونها على ما هى عليه » . ومع ذلك فان هذا غير صحيح جدا فانه لا يمكن أن يقال ان تركيب الموجودات هو علتها الحقيقية . — النظام والخير لجميع الاشياء — على هذا المعنى يمكن القول بأن هذا هو علتها الغائية . — الامتزاج والاختلاط — ليس فى النص الا كلمة واحدة . — العشق الذى فصل — لا يظهر ان هذا مطابق تماما لآراء أمبيدقل . وفى الحق أنه لاجل الجمع يلزم أولا التفريق ولكن أمبيدقل انما يسند التفريق الى التنافر . — على رأيه — أضفت هاتين الكلمتين لبيان الفكرة . — الله ذاته — آله أمبيدقل هو « السفوروس » الذى يحيط بكل شىء فتارة ينبسط بالتنافر وتارة ينقبض بالعشق . ر . الطبيعة ك ١ ب ٥ ف ٤ فى التعليقات ص ٤٥٥ من ترجمتنا .

§ ٨ — غاية فى العموم — ويمكن أن يترجم أيضا — : « أبسط مما ينبغى » فان عبارة النص تؤدى المعنيين . — اذا لم يعين — ليس النص على هذه الصراحة . — بالضبط — زدت هذا القيد لتمام المعنى . — يخلص منه بأية طريقة أخرى — عبارة النص فيها من طابع المألوف العرفى نحو ما فى العبارة التى ترجمناها بها .

مضادة للائتلاف وتشبه الانفصال • اذا يكون التنافر هو أولى من العشق في ان يكون علة الحركة الطبيعية وبالنتيجة يكون العشق اولى من التنافر في انه مضاد للطبع • فاذا لم يكن لا التنافر ولا العشق يكونان الحركة فلا يكون للاجسام أعينها لا حركة ولا سكون • ولكن هذا انما هو نتيجة باطلة •

§ ١٠ ـ يعترف امبيدقل ان الاجسام بالبديهية في حال حركة لان التنافر هو الذي فصلها • والا يثير قد ارتفع في الملأ الأعلى لا بواسطة التنافر ولكن كما يقول أحيانا امبيدقل بضرب من المصادفة :

« الهواء حينئذ يطير هكذا ولكن في الغالب على خلاف ذلك »

وأحيانا يقول أمبيدقل أيضا ان النار اضطرت ان تتجه بالطبع الى فوق وان الايثير قد جاء •

« يتكيء بقوة على قواعد الارض »

وأخيرا يعلمنا أمبيدقل أن العالم هو مسير الآن بالتنافر كما كان سابقا مسيرا بالعشق سواء بسواء •

---

§ ٩ – رد آخر ـ ليس النص على هذا القدر من التعيين • ـ بالقسر وضد الطبع ـ ر • الطبيعة ك ٨ ب ٤ ف ٢ ص ٤٨١ من ترجمتنا وما بعدها • ـ كما انه يوجد حركة قسرية على تقدير « بحسب نظريات أمبيدقل » • ـ هذه الحركة الاخيرة ـ زدت وصف « الاخيرة » ليتعين المعنى • ـ تحملها الى تحت ـ وفي نسخ أخرى ربما كانت هي الاكثر عددا « الى فوق » بدلا من « الى تحت » • ولكن هذا لا يتفق مع تقارن النص • فان أرسطو يرد بأنه حتى لو كانت الارض محمولة الى تحت بحركتها الطبيعية فان الحركة أشبه بالتفريق منها بالجمع • ما دامت الارض أو بعض أجزائها على الاقل تتجه الى المركز حيث النار يجب أن تلقاها بحركة قسرية لتنضم اليها • ـ فانما هي حركة مضادة ـ ليس النص مثل الترجمة في الوضوح • وفي كل هذه الفقرة شيء من الخفاء • ـ للائتلاف ـ زدت هذه الكلمة • ـ الحركة الطبيعية ـ التي تفرق بين الاشياء بدلا من أن تجمعها والتي توجه النار الى فوق في حين أنها توجه الارض الى تحت • ـ لا التنافر ولا العشق ـ في منهبه أمبيدقل • ـ نتيجة باطلة يقبل أرسطو كقاعدة لا تحتمل الجدل أن الحركة موجودة • ر • الطبيعة ك ١ ب ٢ ف ٦ ص ٤٣٦ من ترجمتنا •

§ ١٠ ـ يعترف أمبيدقل ـ النص لا يذكر هنا أمبيدقل وعبارته هي : « الاجسام يظهر أنها في حركة » • ولكن هذا بالبديهية يرجع الى منهب أمبيدقل كما تعينه القرينة • ـ الهواء حينئذ يطير هكذا ـ هذا البيت بعينه قد استشهد به في الطبيعة ك ٢ ب ٤ ف ٦ ص ٣٢ من ترجمتنا • ـ وأخيرا يعلمنا أمبيدقل ـ هذا الاسلوب التهكمي موجود في النص •

§ ١١ فماذا هو اذا على رأيه المحرك الاول والعلة الاولى للحركة؟ حقا ليس هو العشق والتنافر ولو ان كليهما مع ذلك يسبب نوعا ما من الحركة واذا كانا هما المحرك الاول الذى يوجد فيكونان المبدأ الحقيقى للاشياء ٠

§ ١٢ ــ وأخيرا فليس أقل سخفا أن يفترض ان النفس تأتى من العناصر أو أنها واحد من العناصر لانه كيف تتكون اذا الاستحالات الخاصة للنفس ؟ . مثال ذلك كيف يفهم أن يكون لها أو لا يكون لها صنعة الموسيقى! كيف يفهم الذكر والنسيان ! من البين أنه اذا كانت النفس من النار يكون لها بما هى نار جميع الكيفيات التى تتعلق بالنار ٠ واذا كانت النفس مزيجا من العناصر كان لها كيفيات الاجسام وليس ولا واحد من كيفيات النفس بجسمانى ٠ على أن هذه المناقشة تتعلق بدراسة غير هذه قطعا ٠

---

§ ١١ ــ على رأيه ــ زدت هاتين الكلمتين لانه يظهر لى أن الكلام لا يزال مسوقا الى ابطال مذهب أمبيدقل ٠ ــ نوعا ما من الحركة ــ فان العشق يجمع العناصر والتنافر يفرقها وفى هذا نوع مزدوج من الحركة ٠ ــ واذا كانا هما المحرك الاول ــ النص ملتبس ويمكن أن يفهم على عدة معان ٠ فأما فيلوبون فلم يوضحه وأما سان توماس فانه أعطى المعنى الذى اخترته تقريبا ٠

§ ١٢ ــ وأخيرا ــ أضفت هذه الكلمة لأبين فى آن واحد أن هذا هو آخر الانتقادات الموجهة الى نظرية أمبيدقل ولأبين أن هذا الدليل الاخير مغاير للادلة السابقة ٠ ــ الاستحالات ــ أو « الكيفيات » ولكنى حصلت لفظ النص بذاته ٠ ــ الخاصة للنفس ــ يعنى كل التأثرات الاخلاقية أو العقلية ٠ ــ من النار ٠٠٠ بما هى نار ٠٠٠ بالنار ــ هذا التكرير هو فى النص ٠ فالفرض الاول انما هو أن النفس هى عنصر النار مثلا ٠ والفرض الثانى انما هو انها مزيج من العناصر ٠ ــ بدراسة غير هذه قطعا ــ وفى الحق أن هذه المناقشة موجودة فى كتاب النفس ك ١ ب ٢ ف ٦ ص ١١٢ من ترجمتنا ٠ حيث يعيب أرسطو كما يعيب هنا نظرية أمبيدقل التى استشهد لها بعدة أبيات من الشعر تشتمل عليها ٠

الباب السابع

بقية ابطال مذهب امبيدقل ـ متى انكر ان العناصر يمكن ان تتغير بعضها الى بعض فلا يمكن توضيح تكون الجواهر العضوية المختلفة ـ شاهد من امبيدقل ـ صعوبة توضيح تكون الجواهر المختلفة ليست اقل عظما متى سلم باحدية المادة ـ تعين نظرية جديدة فيها تكون الاضداد هى التى بفعلها التكافىء تكون جميع جواهر الطبيعة .

---

§ ١ ـ نأتى الى مايختص بالعناصر التى منها الاجسام مركبة . جميع الفلاسفة الذين يقبلون عنصرا مشتركا أو الذين يقبلون أن العناصر تتغير بعضها الى بعض يجب عليهم بالضرورة أن يعترفوا أيضا بأنه اذا تحقق أحد هذين الفرضين تحقق الثانى على السواء . ولكن هؤلاء الذين لا يريدون أن العناصر يمكن ان يتوالد بعضها من بعض ولا ان يأتى كل واحد من كل واحد الا أن يكون كما يجىء اللبن من حائط ، هؤلاء انما يقررون نظرية باطلة لانه حينئذ كيف يجعل من هذه العناصر العظام أو اللحوم أو أى جوهر آخر مشابه .

§ ٢ ـ فى الحق أن هذه الصعوبة تبقى . والى هؤلاء الذين يقبلون أن العناصر تتوالد يمكن أن توجه اليهم مسألة كيف تبلغ هذه العناصر أن تكون شيئا مغايرا لها أنفسها ؟ . مثال ذلك اذا كان من النار يأتى الماء واذا كان من الماء تأتى النار فذلك لان بينهما موضوعا مشتركا . ولكن

---

§ ب٧ ف١ ـ التى منها الاجسام مركبة ـ ليس المقصود هنا بعد كون العناصر بعضها من بعض بل تركيبها لتؤلف جميع الاجسام الموجودة فى الطبيعة . ـ عنصرا مشتركا ـ يعنى المادة التى بالقوة وهى العنصر المشترك لجميع الاجسام . ـ أحد هذين الفرضين ـ يعنى ان العناصر لها مادة مشتركة اذا تغير بعضها الى بعض . وانها اذا تغيرت هكذا فذلك أن لها مادة مشتركة يجىء اللبن من حائط ـ فان اللبن يكون الحائط بما هى مضاف بعضها الى بعض وليست مركبة ومتحدة بعضها مع بعض . كذلك العناصر تكون مجموعة ولا تتحد لتكون الاجسام التى تدخل هى فى تركيب . أن المقارنة صحيحة ولكن العبارة ليست من السعة على ما ينبغى وهذا المثل الخشن المضروب لا يخلو من بعض الشذوذ . ـ أو أى جوهر آخر مشابه ـ يعنى متجانس تماما . وفى المذهب الذى ينتقده أرسطو لا تكون العناصر الا مجموعة بعضها مع بعض وليست متركبة حقيقة .

§ ٢ ان العناصر تتوالد ـ هذه هى النظرية المضادة لنظرية أمبيدقل الذى كان يعتقد أن العناصر غير قابلة للتغير . ـ شيئا مغايرا لها أنفسها ـ بافتراض أن أربعة العناصر هى اصل لجميع الاجسام التى نشاهدها و ن الاجسام هى شديدة التميز عن العناصر

من العناصر يخرج فى الحق أيضـــا اللحم والنخـاع فكيف تتكون هـذه الجواهر ؟ ٠

§ ٣ ـ بأى وجه يمكنها أن تتكون على حسب نظريات هؤلاء الذين يتبعون مذهب أمبيدقل ؟ بالضرورة ليس بين هذه العناصر الا جمع كما نجمع مواد حائط يتكون من آجر واحجار ٠ فى خليط من هذا القبيل تبقى العناصر هى ما هى وتوضع أجزاء أجزاء بعضها الى جانب البعض الآخر ٠ وحينئذ على هذا المنوال ، بناء على هذه النظريات ، انمـــا يتكون اللحم وسائر الاشياء المشابهة له ٠

§ ٤ ـ ولكنه ينتج منه أن النار والماء لا يخرجان البتة من جـــزء كيفما اتفق من أجزاء اللحم ، كما فى تصاوير الشمع من هذا الجزء يمكن أن تخرج كرة ومن ذاك يخرج هرم ٠ فكل ما يرى هو ان الواحد والآخر من هذين الشكلين يمكن أن يأتى أيضا على السواء من كل واحد من جزأى الشمع ٠ وعلى هذا النحو حينئذ أن من اللحم يخرج عنصرا النار والمـاء وانه قد يكونان معاً من اى جزء اتفق ولكن مع مبادىء امبيدقل لا يكون تعبير هذا ممكناً ويلزم أن كل عنصر يأتى من مكان آخر أو من جزء آخر كما فى الحائط فانه من مكان مختلف تأتى الآجرة والحجر ٠

التى تكونها ٠ وانها لمشكلة أن يعرف كيف يمكنها أن تأتى منها ٠ـ اذا كان من النار يأتى الماء ـ ر٠ ما سبق ب٥ ف٦ ٠ـ من العناصر ـ عبارة النص غير معينة ٠

§ ٣ ـ الذين يتبعون مذهب أمبيدقل ـ والذين يعتقدون أن العنصر غير قابلة للتغير دون ان يمكن ان تتغير بعضها الى بعض ٠ـ كما تجمع مواد حائط ـ النص اقل صراحـة من أجر وأحجار ـ فان المواد مجموعة بعضها الى بعض مجرد جمع وليست متحدة معا ٠ـ بناء على هذه النظريات ـ زدت هذه الكلمات لاتمام الفكرة ٠ـ وسائر الاشياء المشابهة له يعنى كل الأشياء التى لتجانسها المطلق لا يمكن أن تميز فيها العناصر التى دخلت فى تاليفها ٠ ويمكن أن تصاغ هذه القضية فى صيغة الاستفهام ٠

§ ٤ ـ ولكنه ينتج منه ـ حافظت على لفظ الاصل على تردده ٠ـ لا يخرجان البتـةـ على تقدير «معاء» يعنى ان النار والماء ، مجتمعين مجرد اجتماع ، ليسا البتة مطلقا متحدين فى التراكيب التى يركبانها ٠ـ من جزء كيفما اتفق من أجزاء اللحم ـ حيث تكون متماثلة تمام التماثل ٠ـ فى تصاوير الشمع ـ ليس لنص على هذا القدر من الصراحة ٠ـ من كل واحد من جزأى الشمع ٠ـ ليس النص على هذا القدر من الصراحة ٠

ـ امبيدقل ـ زدت هذا الاسم الذى تعينه القرينة ٠ـ تعبير هذا ممكنا ـ ليس النص على هذا القدر من الضبط ٠ـ من مكان آخر ـ التعبير بالمكان معناه هنا الجزء ، والمثل الآتى يفهم المعنى تماما ، فان الاجرة موضوعة بجانب الحجر ، وذلك انما هو فى موضع آخر اى فى محل آخر من الحائط ٠

§ ٥ ـ كذلك الحال ايضاً بالنسبة للفلاسفة الذين لا يقبلون الا مادة وحيدة لجميع العناصر فان شأنهم لا يخلو من الحيرة فى ايضاح كيف ان جوهرا يمكن ان يتألف من عنصرين مثلا من الحار والبارد او من النار والارض فاذا كان اللحم يتكون من الاثنين وهو ليس مع ذلك لا أحدهما ولا الآخر ولا مجرد جمع لهذين العنصرين حافظ لطبعهما الخاص فماذا يبقى اذا ليقبل الا أن يكون المركب الذى تكون منهما بهذه الطريقة هو المادة المحضة ؟ لأن فساد أحد العنصرين يكون اما العنصر الآخر واما المادة ٠

§ ٦ ـ ولكن من حيث ان الحار والبارد يمكن ان يكونا اقوى او أضعف فيجب أن يقال انه متى كان أحدهما بالفعل مطلقا وبالكمال فلا يكون الثانى بعد الا بالقوة ٠ ومتى كان الموضوع ليس له مطلقا أحد الكيفين وكان البارد مثلا هو نصف حار والحار نصف بارد ، لان الافراطين الى جهة أو الى أخرى يتماحيان على طريق التكافؤ بالمزج ، فحينئذ لا يوجد بالضبط لا مادة محضة ولا واحد او الآخر من هذين الضدين الموجودين مطلقا بالفعل وبالكمال ولا يوجد الا وسيط ٠ ولكن على حسب ما أن احد الاثنين يمكن أن يكون بالقوة حارا أكثر منه باردا أو العكس يكون الجسم فى هذه النسبة عينها بالقوة اكثر حرارة او برودة مرتين او ثلاث مرات او على اية نسبة أخرى ٠

§ ٧ ـ على ذلك كل الاشياء الاخرى تأتى من مزج الاضداد او العناصر ٠ والعناصر أنفسها تأتى من هذه الاضداد التى هى بوجه ما العناصر بالقوة لا كما تكونه المادة بل بالطريقة التى ذكرت آنفا ٠ وبهذه

---

§ ٥ ـ الذين لا يقبلون الا مادة وحيدة ـ يظهر ان هذه هى نظرية ارسطو الخاصة ، لانه يقبل ان جميع العناصر يمكن أن تتغير بعضها الى بعض ولكنه لا يعتقد أن هذه النظرية نفسها بمعزل عن كل انتقاد ٠ـ جوهرا ـ عبارة النص هى «شيئاما» ٠ـ المادة المحضة ـ أضفت كلمة « المحضة » مع انها ليست فى النص ولكن القرينة كلها تعين هذا المعنى ، فان المادة المحضة هى هنا الهيولى أى المادة بالقوة ٠ـ أحد العنصرين ـ النص أقل صراحة ٠ـ وأما المادة ـ على تقدير «بالقوة المحضة» فان العنصرين يتماحيان فى المركب الذى يؤلفانه ولا يبقى الا مادة الاثنين فى حالة اللاوجود ٠

§ ٦ فيجب أن يقال ـ من الممكن أن تكون الجملة استفهامية أو تقريرية على السواء ـ بالفعل ... وبالكمال ـ ليس فى النص الا كلمة واحدة ٠ـ مثلا ـ زدت هذه الكلمة ٠ـ الى جهة أو الى أخرى ـ ليس النص على هذا القدر من الصراحة ٠

ـ مادة محضة ـ زدت الصفة كما فى الفقرة السابقة ٠ـ الا وسيط ـ ومع ذلك فان تعيين هذا الوسيط صعب لانه يتعلق بحساسية كل مشاهد ٠ـ أحد الاثنين ـ ليس النص أكثر تعيينا فى العبارة ٠

الطريقة تكون النتيجة التى تتحصل مزيجا فى حين أنها بالطريقة الاخرى انما هى المادة المحضة .

§ ٨ — ومع ذلك فالاضداد أيضا هى قابلة على معنى الحد الذى أعطى فى بحوثنا الاولى . مثال ذلك الحار بالفعل هو بارد بالقوة والبارد بالفعل هو حار بالقوة أيضا بحيث انهما لولا موازنة تامة لتغير أحدهما الى الآخر . ويجرى هذا المجرى فى جميع الاضداد الاخرى التى يراد ذكرها . وعلى هذا النحو أن العناصر بديا تتغير ثم أن منها بعد ذلك تأتى اللحوم والعظام وسائر الجواهر المشابهة فيصير الحار باردا والبارد حارا بمقدار ما تقترب من الحد الوسط . فهناك لا يوجد بعد لا أحد الضدين ولا الآخر . فالوسط متعدد وليس قابلا للتجزئة . كذلك الامر ايضا فى السائل واليابس ، وان العناصر الاخرى من هذا القبيل حينما تكون قد وصلت الى الوسط تكون اللحم والعظام والجواهر المشار اليها .

---

§ ٧ — كل الاشياء الاخرى — يعنى كل الاجسام المركبة والمختلطة كما نشاهدها فى الطبيعة كلها .— بوجه ما العناصر — زدت كلمة « العناصر » أخذا بشرح فيلوبون .— كما تكونه المادة — التى هى ليست شيئا الا بالقوة وليس لها حقيقة فعلية فى حين ان الاضداد لها تلك الحقيقة الفعلية .— التى ذكرت آنفا — فى الفقرة السابقة .— مزيجا — من جوهرين بالفعل يؤلفان جوهرا جديدا بامتزاجهما .— المادة المحضة — . زدت كلمة المحضة .—

§ ٨ — فى بحوثنا الاولى — ر. ما سبق ف٦ . ويظن فيلوبون ان المقصود هنا نظرية الفعل والانفعال المبسوطة فى الكتاب الاول .ر. ما سبق ك١ ب٧ ف٥ . الحار بالفعل يمكن ترجمتها ايضا : «الجسم الذى هو حار بالفعل ... الخ»— البارد بالفعل— أو« الجسم الذى هو بالفعل وبالحال بارد » .

— لولا موازنة تامة — عبارة النص هى « ان لم يكونا متساويين » .— لتغير أحدهما الى الآخر يعنى أن أحدهما يمكن أن يحل محل الآخر على التعاقب بما أن أحد الضدين قد صار كائنا وأحال الآخر الى ألا يكون إلا بالقوة .— التى يراد ذكرها — زدت هذه الكلمات .— تتغير— بعضها الى بعض . — تأتى اللحوم والعظام — فى هذه الايام تعترف الكيمياء العضوية كذلك بان المركبات تأتى من اتحاد الاجسام البسيطة . غير ان الاجسام البسيطة ليست هى التى كان يقبلها القدماء . والعلم يمكنه ان يبين بالتحاليل المضبوطة كيف تتألف التراكيب .— بمقدار — لفظ النص هو «حينما» الخ .— الضدين — أضفت هذا اللفظ .— الوسط متعدد — ر . فى هذه النظرية الطبيعة ك٨ ب١٢ ف٩ ص ٥٣٢ من ترجمتنا وأيضا ك٥ ب١ ف١٢ ص ٢٨٠ .— وليس قابلا للتجزئة — وذلك ما لا يسمح له بأن يتكيف على التعاقب بكيفيات متضادة .— كذلك الامر أيضا فى السائل واليابس — يظهر أن هذا تكرير لما سبق بيانه آنفا على جميع الاضداد الاخرى .

الباب الثامن

التركيب العام للاجسام المختلطة – يوجد في كلها من الارض ومن الماء اللذين هما عنصران ضروريان – وفيها أيضا من الهواء ومن النار وهما ضدا العنصرين الاولين – ظاهرة التغذية التي يستشهد بها سندا لهذه النظرية – كيف ان النار هي العنصر الوحيد ، بين العناصر البسيطة ، الذي يغذى نفسه .

---

§ ١ – كل العناصر المختلطة المنتشرة حول المكان المركزي هي مركبة من جميع العناصر البسيطة . وعلى هذا فان فيها جميعها من الارض لان كل واحد من هذه الاجسام هو الاحسن ، وعلى الغالب ، في المكان الخاص به . ويوجد أيضا من الماء في كل المختلطة لانه يلزم أن تكون المركبة محددة وان الماء من بين الاجسام البسيطة هو الوحيد الذي يتحدد بسهولة . ومن جهة أخرى فان الارض لا يمكنها البقاء بدون الرطب الذي يمسكها مجتمعة . واذا خلت تماما من الرطب سقطت ترابا .

§ ٢ – تلك هي العلل في وجود الماء والارض في جميع الاجسام المختلطة : ولكنه يوجد فيها أيضا هواء ونار . لان هذين العنصرين هما ضدان للارض وللماء فان الارض ضد للهواء والماء ضد للنار بمقدار ما يكون جوهر ضدا لجوهر آخر .

---

§ ب٨ ف١ – حول المكان المركزي – يعنى حول الارض التي هي في نظريات ارسطو مركز العالم ونحوها تتجه الاجسام ذات الثقل . – فان فيها جميعها من الارض – لان كل الاجسام المختلطة التي تذكر هنا هي ذات ثقل . – هو الاحسن وعلى الغالب – حفظت عبارة النص على ماهي عليه من عدم التعيين ومعنى ذلك ان ذوات الثقل تتجه نحو الارض وتقف بها في سقوطها . – الخاص به – هذا يمكن ان يعنى به «الارض» او اى واحد من الاجسام المختلطة . كان توماس وأهل جامعة كويمبرا يفهمون أن المقصود هو الارض . وأما فيلوبون فانه يفهم على الضد أن المقصود هو المختلطة التي يتحد مكانها الخاص بمكان الارض التي هي المركز على السواء . – محددة – أو وان يكون لها شكل محدود تماما . – الرطب الذي يمسكها مجتمعة – وهذا انما هو ما يسميه العلم الآن بقوة التماسك . – سقطت ترابا – زدت هذه الكلمة الاخيرة لتمام الفكرة .

§ ٢ – الماء والارض في جميع اجسام المختلطة – ليس النص على هذه الصراحة تماما – الارض ضد للهواء – بوزنها وبكيفياتها الخاصة معا . – بمقدار ما يكون جوهر – ر . المقولات ب٥ ف١٨ ص٦٨ من ترجمتنا .

§ ٣ ـ على هذا حينئذ مادامت أكوان الاشياء تأتي من الاضداد فيلزم ضرورة أنه متى وجد طرفا الضدين فى الاشـــياء فان الآخر من الضدين يوجد فيها على السواء • وبالنتيجة فى كل مركب تلغى جميع الاجسام البسيطة •

§ ٤ ـ يظهر أن ظاهرة التغذية معتبرة فى كل واحد من الموجودات تشهد بصحة هذه النظرية • فان كل الموجودات تتغذى بعناصر مماثلة للعناصر التى تركبها فكلها تغتذى من عدة عناصر بل ان تلك التى يظهر عيها انها تغتذى من عنصر وحيد كالنباتات التى تغتذى بالماء هى تغتذى فى الواقع بعناصر عديدة على السواء ذلك بأن الارض هى دائما ممتزجة بالماء فترى كيف ان الزراع فى ريهم الزراعى لا يزيدون على ان يمزجوا الماء بالارض •

§ ٥ ـ ولكن من حيث ان التغذية تتعلق بالمادة ومن حيث ان الموجود المغتذى على هذا النحو مع أنه مشمول ومظروف فى المادة هو الصـــورة والنوع فطبيعى أن يظن أنه من بين الاجسام البسيطة النار هى وحدها التى تغتذى • أما سائر الاخرى فهى لا تزيد على أن يكون بعضها بعضا على

---

§ ٣ ـ أكوان الاشياء تأتي من الاضداد ـ ر• ما سبق ك١ ب٣ ومايليه •ـ طرفا الضدين او بعبارة اظهر «الضدان المتطرفان يعنى الارض والماء» •ـ الآخر من الضدين ـ الهواء بما انه ضد الارض والنار بما انها ضد الماء • ومع ذلك فتلك فروض منطقية محضة • ولكن فى الفقرة التالية سيستشهد أرسطو بما هو واقع •ـ وبالنتيجة ـ لا يبين على النترجة انها مضبوطة الى حد التحرج •ـ جميع الاجسام البسيطة ـ يعنى العناصر الاربعة الارض والماء والهواء والنار مع اربعة الكيفيات البارد والرطب واليابس والحار •

§ ٤ ـ ظاهرة التغذية ـ عبارة النص هى بالبساطة : «التغذية» •ـ تشهد بصحة هذه النظرية ـ النص أوجز من ذلك •ـ تغتذى بعناصر مماثلة ـ القضية عامة ولكنها مع ذلك غير كاذبة •ـ تغتذى ••• تغتذى ••• ـ كل هذا التكرار هو فى الاصل •ـ فى ريهم الزراعى ـ أضفت هذه الكلمة الاخيرة التى تدل عليها القرينة •ـ ان يمزجوا المـاء بالارض ـ عبارة النص ليست على هذه الصراحة •

§ ٥ تتعلق بالمادة ـ حفظت نظم النص ولكنه كان اوضح ان يقال ان التغذية هى مادة الموجود المغتذى •ـ الموجود المغتذى ••• هو الصورة والنوع ـ او بعبارة اخـرى «الذات» فى حين أن الغذاء الذى يقومه «ليس الا المادة» •ـ مشمول ومظروف ـ ليس فى النص الا كلمة واحدة • ـ فطبيعى او «مطابق للعقل» •ـ من بين الاجسام البســيطة ـ يعنى العناصر الاربعة •ـ وحدها التى تغتذى ـ نبه فيلوبون على أن هذا على الاخص انما هو تعبير شعرى •ـ لا تزيد على ان ـ النص ليس على هذا القدر من الصراحة •ـ القدماء ـ وهذا هو ايضا رأى ارسطو •ـ التى تمثل الصورة ـ أو «التى تتعلق بالصورة» •ـ نحو الحد ـ يعنى نحو طرف الجهة العليا • من حيث ان الحد يعين نوع الاشياء وصورتها فعلى ذلك النار ، فيما يظهر ، تتعلق بالصورة اكثر • ومع ذلك يمكن ان يقال ان كل هذه النظريات على جانب عظيم من الدقة •ـ التى تعينها ـ زدت هذه العبارة •

طريق التكافؤ كما زعم القدماء وذلك بأن النار وحدها هى على الاخص التى تمثل الصورة مادام أنها دائما بطبعها الخاص متجهة نحو الحد . وكل شيء هو بالطبع مسوق نحو المكان الخاص به . ولكن صورة كل الاشياء ونوعها توجد دائما فى الحدود التى تعينها .

§ ٦ ـ فيرى اذا بما تقدم انجميع الاجسام تتركب منجميعالعناصر البسيطة .

---

§ ٦ ـ فيرى اذا ـ ملخص الباب .ـ بما تقدم ـ زدت هذه العبارة .ـ جميع الاجسام ـ على تقدير « المختلطة » .ـ من جميع العناصر البسيطة يعنى الارضوالماءوالهواء والنار . ولا حاجة للالحاح فى بيان الفرق بين هـذه النظريات وبين النظريات التى قبلها العلم فى الوقت الحاضر وأقرها .

الباب التاسع

الهيولى والصورة ــ المبادىء الاول للاشياء ــ ضرورة مبدأ ثالث وهو انه علة المحركة ابطال نظرية المثل على نحو ما عرضها افلاطون فى الفيدون ــ ان المثل لايمكن أن تفسر كون الاشياء ــ انها لاتكون ــ يرى ان طائفة من الاشياء تتكون تحت اعيننا بعلل اخرى ــ ابطال النظرية التى تفسر كون الاشياء بحركة المادة ــ المادة قابلة لا فاعلة ــ امثلة مختلفة مستخرجة من طرائق الفن

---

§ ١ ــ لما انه توجد أشياء كائنة وقابلة للدثور وأن كـــل مايتولد ويكون يوجـــد فى المكان الذى يحيط بالمركز فيلزم بديا الكلام على كون الاشياء مأخوذا فى كل عمومه وبيان عدد مبادئه ومن أى طبع هى • وبهذه الطريقة ندرس بطريقة أسهل الحوادث الجزئية بعد أن نكون قد حصلنا على معرفة الحوادث العامة • § ٢ ــ وتلك المبادىء هى هاهنا من حيـــث العدد والجنس على ما هى عليه المبادىء التى تكتشف فى الموجودات الازلية والاول • وأحد هذه المبادىء هو كهيولى والآخر هو كصورة ولكنه يلزم منهما زيادة على ذلك ثالث ينضم الى هذين الاثنين الآخرين • لان هـــذين الاثنين ليسا أقدر على تكوين شىء هاهنا منها فى الاول • § ٣ ــ وعلى هذا اذا انما هى الهيولى التى فيما يتعلق بالموجودات الكائنة هى العلة فى انها يمكن أن توجد وألا توجد • فمن بين الاشياء ماتوجد بالواجب ، مثـــال

---

§ ب٩ ف١ ــ كل ما يتولد ويكون ــ النص يقول بعبارة أكثر عموما أيضا : «المتولد» ــ يوجد فى المكان الذى يحيط بالمركز ــ هذا التعبير على جانب من الغـرابة • فانه يدل فقط على أن الاجسام المختلطة التى يمكن مشاهدتها توجد على سطح الارض المعتبرة مركز العالم • ومع ذلك فان هذه العبارة لم تظهر لفيلوبون على شىء من الصـــعوبة فلم يشأ أن يفسرها • ــ على كون الاشياء ــ الملاحظات السابقة • ــ الحوادث الجزئية ••• الحوادث العامة ــ هذاليس هو النمط العادى لارسطو وانه ليتمشى من الحوادث الجزئية الى الحوادث العامة لا من هذه الى تلك • وليس النص من الضبط بقدر ما عليه ترجمتى اياه •

§ ٢ ــ فى الموجودات الازلية والاول ــ انما الاجرام السماوية هى المعتبرة أزلية وغير قابلة للتغير وانها أوائل كل الاجسام ــ هو كهيولى ــ حفظت نظم النص ولكن يمكن ترجمته هكذا : «يقوم مقام الهيولى ••• مقام الصورة » • ــ ينضم الى هذين الاثنين ــ زدت هـــذه الكلمات لأحصل كل قوة العبارة الاغريقية • وهذا المبدأ الثالث انما هو العلة المحركة او بالاولى العلة الفاعلة • ويلزم ان يقارن بهذه النظريات نظريات الكتـــاب الاول من الطبيعة ب٨ ص ٤٧٣ من ترجمتنا •

ذلك الجواهر الازلية ، ومنها مايجب ألا توجد فبالنسبة للاولى من المحال ألا توجد ، وبالنسبة للاخرى من المحال أن توجد لانه لا يمكن أن شيئا يكون على خلاف ما يقضى به الواجب • ولكن هناك أشياء اخرى يمكن ان توجد والا توجد على السواء • وهذه هى على التحقيق كل ما هو كائن وهالك • لان هذه الاشياء تارة توجد وتارة لاتوجد • فحينئذ الكـــون والفساد لايتعلقان الا بما يمكن ان يوجد والا يوجد •

§ ٤ — وذلك بما هو هيولى انما هو علة الاشياء الكائنة • ولكن بما هو غرض غائى فالعلة انما هى الصورة والنوع • وهذا هو حد الماهيـــة لكل شيء • § ٥ — ولكنه يجب أن يضاف الى هذين المبدأين مبدأ ثـــالث• هذا المبدا لا يظهر عل الفلاسفة انهم لمحوه الا كمـــا فى الحلم ولم يتكلم عنه ولا واحد منهم بنوع من الضبط فقد ظن بعضهم كســـــقراط فى «الفيلون» أن طبع المثل قد يكفى لتعبير كون الاشياء • لان سقراط وهو يعيب على الآخرين انهم لم يقولوا شيئا فى هذا الصدد يفترض ان من الاشياء التىتوجدبعضها هى المثلوالاخرى تتلقىهذه المثل التىتشاركها؛ وأن كون كل شيء هو مسمى بحسب مثاله ، وان الاشياء تتكون متىتتلقى هذا المثال وانها تفسد متى تعدمه • وبالنتيجة اذا كان كل هذا حقـــا فيكون سقراط يرى ان المثل هى بالضرورة علة كون الاشياء وفسادها ••

— ليسا أقدر — الهيولى والصورة كلاهما عقيم بدون المبدأ الثالث الذى يجئ فيعطيها الفعلية بان يجمعهما • § ٣ — هى العلة فى انها يمكن ان توجد والا توجد — وقد يمـــكن عكس القضية فيقال : « ان امكان الوجود وعدم الوجود هو من حيث المادة علة الموجودات الكائنة — فمن بين الاشياء — أو « من بين الجواهر » أو « من بين الموجودات — الجواهر الازلية يعنى « الاجرام السماوية » — يمـكن أن توجد والا توجد على السوء — أو بعبارة أخرى كل الموجودات الممكنات •— كل ما هو كائن — أو «ماهومخلوق»•— وهالك كماهو اكثر الموجودات الخاضعة لمشاهدتنا •

§ ٤ — الاشياء الكائنة — والهالكة — بما هو غرض غائى — عبارة النصهىبالضبط من حيث هو «لماذا» •— انما هى الصورة والنوع — النوع يتحد مع «المثال» كما سيرى بعد — حد الماهية — او «علة الماهية» •

§ ٥ — ان يضاف ••• مبدأ ثالث هو العلة الفاعلة — الا كما فى الحلم — الانتقاد على جانب من الشدة والاستهانة •ر• الكتاب الاول ما بعد الطبيعة ترجمة كوزان •ب٤و٥ — فى «الفيدون» — ر• فيدون أفلاطون ترجمة كوزان ص ٢٨٣ — طبع المثل — أو «الانواع لان الكلمة هى بعينها انهم لم يقولوا أشياء — هذه العبارة قد تدل على السواء أماعلىأن الفلاسفة الذين يطعن عليهم سقراط قد لزموا الصمت أو أنهم لم يقولوا شيئا يعتدبه— بعضها هى المثل ••• الخ — تلخيص صحيح للفيدون — كون كل شيء هذا هو نظم النص بعينه • اذا كان كل هذا حقا — فى هذا القيد نوع من النفى ومن الانتقاد — وآخرون — لم يقل فيلوبون من هم هؤلاء الفلاسفة الآخرون ولـــكن من المحتمل أن يكون المقصود ديمقريطس ومدرسته — على رأيهم زدت هاتين الكلمتين •

وآخرون على الضد قد ظنوا أنهم يرون هذه العلة فى المادة نفسها لانه منها على رأيهم تصدر الحركة ·

§ ٦ — ولكن ليس الاولون ولا الآخرون على حق ، لانه اذا كانت المثل هى فى الحق عللا فلماذا لا تكون دائما بطريقة مستمرة ؟ ولماذا هى تكون تارة ولا تكون تارة أخرى مع أن المثل تبقى دائما هى والاشياء التى يمكن أن تشركها ؟ زد على هذا انه يوجد أشياء يرى جليا ان العلة فيها انما هى شيء آخر غير المثال ·فانما الطبيب هو الذى يعمل الصحة ، وانما العالم هو الذى يعمل العلم مع أن الصحة ذاتها والعلم ذاته موجودان هما والكائنات التى يقومان بها · كذلك الحال أيضا فى جميع الاشياء المصنوعة بحسب الفن الذى يمكن ان يتمها ·

§ ٧ — ومن جهة أخرى حينما يدعى ان المادة هى التى تكون الاشياء بالحركة التى تعطيها اياها فلا شك فى ان هذا الرأى هو أكثر موافقة للطبع من نظرية المثل لان ما يحيل الاشياء ويغير أشكالها يمكن ان يظهر أكثر من غيره بمظهر العلة فى كونها · وعلى العموم فى كل كائنات الطبيعة كما فى كل كائنات الفن ينظر عادة الى كل ما يعطيها الحركة كأنه هو الفاعل لها ·

§ ٨ — ومع ذلك فان هؤلاء الفلاسفة الاخيرين ليسوا على حق لان الانفعال والتحرك انما هما الخاصتان اللتان تتعلقان بالمادة فى حين التحريك والفعل يختصان بقوة مغايرة تمام المغايرة · وهذا هو ما يمكن مشاهدته أيضا فى كل ما يعمله الفن كما فى كل ما يعمله الطبع · اذا فليس الماء نفسه هو الذى يوجد الحيوان الذى يخرج من باطنه (بل هو الطبع) ·

---

§ ٦ — ليس الاولون ولا الآخرون — يعنى لا افلاطون ولا الماديين ·— عللا — كذلك عبارة النص مبهمة ايضا ·— غير المثال — زدت هاتين الكلمتين ·— الذى يعمل الصحة ·— ربما كان يلزم أن يزاد «فى الجسم» لتوفيه قوة العبارة الاغريقية — الصحة ذاتها — يعنى مثال الصحة · — العلم ذاته يعنى مثال العلم ·— هما والكائنات التى يقومان بها — على ذلك يلزم خلاف مثال الصحة ومثال المريض وجود الطبيب وخلاف مثال العلم والتلميذ يلزم المعلم الكفء لتلقين ما يعلم — بحسب الفن الذى يمكن أن يتمها — ليس النص على هذا القدر من الصراحة ·

§ ٧ — ومن جهة اخرى — الى انصار المادة يوجه ارسطو القول هنا بعد ان اجاب على افلاطون ·— من نظرية المثل — ليس النص على هذا القدر من التعيين — ما يحيل الاشياء — ربما يلزم أن يحمل هذا التعبير على معنى أوسع قليلا من المعنى الذى يعبر به ارسطو عادة ·

§ ٨ — الانفعال — او «القبول» · بقوة مغايرة تمام المغايرة — هذه هى الفاظ النص بعينها · ويمكن ترجمتها أيضا « بقدرة مغايرة» ·— الذى يخرج من باطنه — ليس النص على =

كذلك ليس الخشب هو الذى يصنع السرير بل هى الصناعة • ومن ثم يمكن استنتاج أن هؤلاء الفلاسفة لم يحسنوا هم ايضا التعبير • وخطؤهم آت من أنهم اغفلوا العلة الاهم من جميع العلل بحذفهم الماهية والصورة•

§ ٩ ـ وينتج منه فوق ذلك أنهم ينسبون الى الاجسام قوى يجعلونها بها تتوالد بحالة ميكانيكية أكثر مما ينبغي بتركهم الى ناحية العلة التى ترجع الى النوع • ولما انه تبعا لقوانين الطبيعة كما يقولون الحار يفرق والبارد يجمد ولما ان كل واحد من العناصر الاخرى يفعل وينفعل على طريقته فان ذلك كاف عندهم فى التقرير بأنه ايضا من هذا او بهذا يكون سائر الاشياء ويفسد • ويظهر لهم أن النار نفسها تقبل الحركة وتنفعل •

§ ١٠ ـ يوشك أن يكون هذا الخطأ هو عينه خطأ من يذهب الى اعتبار المنشار وما أشبهه من الآلات الاخرى العلة الحقة لكل ماتصنع ويرجعه اليها بحجة انه بمجرد ما ينشر يلزم ضرورة أن يقطع الخشب وبمجرد مايصقل بالفارة فهناك ضرورة أيضا أن ينصقل اللوح وهلم جرا• وبالنتيجة مع أن النار هى أفعل العناصر وأنها توصل الحركة الاقوى فانهم لايرون كيف أنها تفعل وأنها أردأ من الآلات العادية •

§ ١١ ـ أما نحن فلما أننا تكلمنا فيما سبق على العلل على العموم لم نقصد هاهنا الا للدرس الهيولى والصورة •

= هذا القدر من الضبط •ـ (بل هو الطبع) ـ وضعت هذه العبارة بين قوسين لانها لاتوجد الا في بعض المخلوطات وليس ضرورية • وشرح فيلوبون يدل عليها بالاقتضاء ـ الماهية والصورة قد يكون لازما أن يقال « الماهية الدائمة » •

§ ٩ ـ ميكانيكية اكثر مما ينبغي ـ هذه عبارة الاصل بحروفها وليست غاية فى البيان •ر• الفقرة التالية • ويظهر ان هذا الرد يكاد يدخل بتمامه فى غضون الرد المتقدم كما نبه اليه أهل جامعة كويمبرا • أما فيلوبون فانه بناء على رأى اسكندر الافروديزى يظن أن هذا الانتقاد موجه على الخصوص الى برمينيد ـ الحار يفرق ـ مثلا حينما يصهر بعض الجواهر ـ والبارد يجمد ـ هذا حق في بعض الاحوال ولكنه ليس حقا فى جميعها •ـ من العناصر الاخرى ـ ليس النص على هذا القدر من التعيين ـ النار نفسها ـ التى تعتبر افعل العناصر تصير منفعلة فى هذا المذهب •ـ تقبل الحركة ـ او «تتحرك» •

§ ١٠ ـ يذهب الى اعتبار المنشار ـ ر• ما سبق فى اول الفقرة التاسعة • فتلك هى المبادىء الميكانيكية التى اليها ينسب الفلاسفة كون الاشياء ـ ويرجعه اليها ـ ليس النص على هذا القدر من الصراحة •ـ فهناك ضرورة ايضا ـ ليس النص على هذا القدر من الصراحة أردأ ـ أى بنظام أقل ـ العادية ـ زدت هذه الكلمة •

§ ١١ ـ فما سبق ـ يظن فيلوبون أن المراد هنا كتاب الطبيعة ولكن الاولى بالمراد هو الكتاب الاول من ما بعد الطبيعة الذى فيه أرسطو قد درس العلل ـ لم نقصد هاهنا الا للدرس ـ ليست عبارة النص على هذا القدر من الصراحة •

الباب العاشر

كون الاشياء وفسادها هما متصلان كالحركة ويتعلقان بالنقلة الدائرية للعالم ـ ضرورة حركتين ـ النقلة الدائرية المائلة تسد هذه الضرورة ـ انتظام الكون والفساد الطبيعيين ـ المدة الدورية للكائنات ـ فعل الله ـ القوانين الثابتة التي وضعها في ابدية الاشياء ـ النظام العجيب للعالم ـ تغير الاجسام انما هو الذي يحفظ مدتها ـ المحرك الاول غير المتحرك هو المبدأ الوحيد للحركة العالمية ـ اتصال الحركة يتعلق باتصال المتحرك •

---

§ ١ ـ يلزم ان يزاد على ذلك اعتبار آخر وهو انه بما ان حركة النقلة أزلية كما سبق بيانه فينتج منه بالضرورة أنه بهذه المثابة يجب أن يكون كون الاشياء متصلا ايضا على السواء • لان هذه الحركة تسبب الى ما لا نهاية كون الاشياء بان تأتي بالعلة التي يمكنها ان تكون الاشياء ثم تأتي بها ثانية • وهذا يبرهن لنا في آن واحد على ان ما قدمناه صحيح وعلى انه كان لنا الحق في أن نجعل النقلة لا الكون هي اول التغايير • وفي الحق أنه أدخل في باب المعقول أن يجعل ما هو موجود علة لتكوين مالم يوجد من ان نجعل ما لم يوجد العلة الفاعلة لتكوين ماهو موجود • وان ماهو خاضع للنقلة موجود في حين أن الشيء الذي يكون ويصير هو غير موجود • وذلك ما يجعل أن النقلة متقدمة على الكون •

§ ٢ ـ بعد ان فرضنا وبينا ان في الاشياء كونا وفسادا متصلين وان حركة النقلة هي علة تولد الاشياء يجب أن يكون من البين لدينا انه

---

§ ١ يلزم أن يزاد على ذلك اعتبار آخر ـ قد اضطرت الى التوسع في عبارة النص حتى يبتدأ هذا الباب على وجه أليق •ـ كما سبق بيانه ـ في الكتاب الثامن من الطبيعة ب ١٠ ص ٥١٨ وما يليها من ترجمتي •ـ كون الاشياء ـ عبارة النص «التولد» •ـ هذه الحركة تسبب الى مالا نهاية ـ تلك هي فكرة عظمى في ربط كون الاشياء وفسادها بالعلة العامة التي تحرك العالم •ـ تأتي ••• ثم تأتي بها ثانية ـ هذه المقابلة هي في النص •ـ ما قدمناه ـ ر• الطبيعة ك ٨ ب ١٠ ص ٥١٨ وما بعدها • حيث ارسطو قد فصل الكلام تفصيلا لاثبات أن الحركة الدائرية هي الاولى والاصلية لجميع الحركات •ـ ما هو موجود ••• مالم يوجد ـ عبارة النص : «الموجود ••• واللاموجود» •ـ يكون ويصير ـ ليس في النص الا كلمة واحدة •ـ متقدمة ـ او أعلى •

§ ٢ ـ فرضنا وبينا واقع الكون والفساد المتصلين للاشياء تشهد لنا به الحواس ، ولا محل لفرضه ولا لتبيانه • ولكن فلاسفة معاصرين لارسطو كانوا ينصبون الى حد انكار الحركة •ر• الكتاب الاول من الطبيعة ب ٣ وما يليه ـ في آن واحد ـ أضفت هذا القيد لأحصل =

مادامت حركة النقلة وحيدة فمن المحال ان الكون والفساد يوجدان جميعاً فى آن واحد مادام أنهما ضدان لان علة موجودة وباقية هى بعينها وفى الظروف بعينها لا يمكن البتة أن تعمل الا المعمول بعينه على حسب نظام الطبيعة • وبالنتيجة فاما ان الكون هو الازلى وأما ان الفساد هو الازلى

§ ٣ – وعلى ذلك يلزم ان يوجد عدة حركات وحركات متضادات اما باتجاهها واما يتفاوتها لان علل الاضداد هى اضداد كذلك • وليست النقلة الاولى اذا على التحقيق هى التى يمكن أن تكون علة كون الاشياء وفسادها • بل النقلة على حسب الدائرة المائلة • فان فى هذه النقلة حقا يوجد فى آن واحد اتصال لحركة واحدة وامكان لحركتين ، لانه يلزم بالضرورة من اجل ان الكون والفساد يمكن ان يكونا متصلين أن تكون الحركة سرمدية حتى لا تتخلف هذه التغايير نفسها ابدا • ومن جهة اخرى يلزم ان يكون عدد الحركات اثنين لاتكون احدى هاتين الظاهرتين هى التى تبقى وحدهـــا على الدوام •

§ ٤ – وعلى ذلك اذا انما نقلة العالم هى علة الابدية وان ميـــل الدائرة انما هو الذى ينتج التقريب أو التبعيد لانه قد يمكن أن تكون العلة تارة بعيدة وتارة قريبة • وبما ان المسافة غير متساوية والحركة تكون غير متساوية كذلك • وعلى ذلك اذا كانت الحركة بشهادتها وقربها تسبب كون الاشياء فان هذه الحركة نفسها بغيابها وابتعادها تسبب فســـاد الاشياء • وفوق ذلك فانها اذا كونت باقترابها عدة مرات فانها تفســـد بابتعادها عدة مرات ايضا لان علل الاضداد هى اضداد بعضها لبعض •

= كل قوة عبارة النص • فاما أن يكون هـــو الازلى واما أن الفساد هو الازلى – أو بعبارة اخرى أحد الاثنين لا الاثنان جميعا •

§ ٣ – حركات متضادات – ر• حد الحركة المضادة فى الطبعة ك٥ ب٧ ص ٣٢٠ وما بعدها من ترجمتنا – على حسب الدائرة المائلة – بناء على ماسماتى وبناء على شرح فيلوبون يلزم ان يعنى بالدائرة المائلة دائرة فلك البروج او دائرة سمت الشمس • وبحسب ماتكون الشمس أقرب منا أو أبعد يحصل كون الاشياء أو فسادها • قد لاتكون نظرية أرسطو صحيحة ولكنها فى الحق كيسة للغاية • ان الحركة اللامتغيرة المتماثلة منذ الازل تبقى منطبقة على السماء ولكن الحركة المتفاوتة الخاضع لها العالم الارضى هى فى الشمس والسيارات التى تسيرها – اتصال الحركة وحدة وامكان لحركتين – من هنا علتا الكون والفساد المتعاقبين الابديين للاشياء – احدى هاتين الظاهرتين – ليس النص على هذا القدر من الصراحة •

§ ٤ – نقلة العالم – يعنى حركة النقلة الازلية التى تتسلط على الســـماء والكواكب الثابتة على مذهب ارسطو • – ميل الدائرة – زدت المضاف اليه • ان تكون العلة – عبارة النص غير معينة بالمرة فاضطررت الى تعيينها • – بشهادتها وقربها – هذا يمكن ان ينطبق على الشمس التى هى ليست فقط اكثر او اقل بعدا من الارض بحسب الفصول بل ان نورها هو تارة شاهد وتارة غائب بحسب النهار والليل • =

§ ٥ ــ يلزم ان يزداد على هذا ان الفساد والكون الطبيعيين يتحققان في زمان متساو • وهذا هو الفاعل في ان زمن مدة كل كائن وزمن حياته يمكن أن تعبر بالعدد وتتعين بهذه الطريقة • وفي هذا ترتيب ينتظم جميع الكائنات فان المكث والحياة هما دائما مقيسان بمدة ما تمضي • غير ان هذه المدة ليست واحدة بالنسبة للجميع على السواء • بل هي أقصر بالنسبة للبعض واطول بالنسبة للبعض الآخر • وان المدة التي يقاس بها وجود الكائنات هي بالنسبة لهؤلاء سنة وبالنسبة لهؤلاء هي اكثر في حين انه بالنسبة لموجودات اخرى المقدار هو أقل • § ٦ ــ ان الظواهر المحسوسة لشاهدة بصدق ما تقوله هنا • متى تطلع الشمس يحصل كون • ومتى تغرب يحصل فساد • وهاتان الظاهرتان تتحققان في أزمان متساوية لان زمن الفساد الطبيعي هو مساو لزمن الكون • ولكنه يقع غالبا ان الفساد اسرع بعلة تفاعل العناصر بينها • وفي الحق متى كانت المادة غير منظمة ولا واحدة بعينها في كل مكان لزم ايضا ان الاكوان التي تخرج منها تكون غير منظمة مثلها وان يكون بعضها اسرع والآخر ابطأ • وحينئذ يمكن ان يصير كون البعض فسادا للبعض الآخر ••

§ ٧ ــ على ان الكون والفساد كما قلنا يجب ان يكونا دائما متصلين ولا ينبغي البتة أن يتخلفا للاسباب التي ذكرناها • ومع ذلك فان هذا

= باقترابها عدة مرات ــ حفظت عبارة النص على ما بها من تردد • ومعنى ذلك انه يلزم ان تقترب الشمس او تبتعد عدة مرات متوالية لتحدث بعض الآثار •ــ علل الاضداد ــ أو الاضداد هي علل للاضداد •

§ ٥ ــ يتحققان في زمان متساو ــ لا يلزم أن يؤخذ هذا بتحرج أكثر مما ينبغي • فان ارسطو يريد ان يقول ان الزمان الذي فيه يمكن للشمس ان تفسد هو مساو للزمان الذي فيه يمكنها ان تكون • فان دورية الفصول متساوية دائما •ــ وزمن حياته ــ لأن مدة الحياة لكل كائن متغيرة بحسب الاوضاع التي وضعتها فيه الطبيعة كما سيقال بعد • ترتيب ينتظم جميع الكائنات ــ معلوم أن ارسطو كان يهدم دائما مذهب المصادفة والاتفاق • ز • ما سبق ب٦ ف٥ والطبيعة ك٢ ب٤ وما بعده •

§ ٦ ــ الظواهر المحسوسة ــ كذلك يوصي ارسطو هنا كما في كل موطن آخر بنمط المشاهدة ••

ــ متى تطلع الشمس ــ هذا ليس حقا الا بمقدار ما • وانها لمبالغة في فعل الشمس ان يسند اليها كون جميع الاشياء •• ــ في ازمان متساوية ــ يعني انه في آخر العام يكون الزمن الذي فيه غابت الشمس مساويا للزمن الذي فيه طلعت •ــ الفساد الطبيعي ــ الراجع الى شهادة الشمس او غيبتها • ــ الفساد اسرع ــ العلة عينها يمكن ان تفعل في الكون أيضا ــ العناصر النص أقل صراحة وقد اضطررت الى جعل الترجمة أضبط •

§ ٧ ــ كما قلنا ــ سواء في هذا الباب ف٣ وفي الطبيعة ك٣ ب٥ ف٤ ص٩٤ من ترجمتي =

مفهوم جدا لان الطبيعة كما نقرر تبحث دائما عن الاحسن فى كل الاشياء. والوجود هو احسن من العدم ، وقد عددنا فى موضع آخر المعانى المختلفة للفظ « وجود » • ولكنه لايمكن ان الوجود يبقى فى كل الاشياء مادام ان بعضها هى اكثر ابتعادا جدا عن المبدأ • وأخذا بالطريق الوحيد الذى بقى نقول ان الله قد كمل الكل بأن جعل التولد متصلا وأبديا • فالوجود هو اذا ملتك ومتصل بقدر ما يمكن لان كونا ابديا وصيرورة مستمرة هما أقرب ما يمكن من الوجود ذاته • وحينئذ فعلة هذا الكون ، كما طالما قد قيل ، انما هى النقلة الدائرية لانها هى وحدها التى تكون متصلة •

§ ٨ — فانظر كيف ان جميع الاشياء التى تتغير بعضها الى بعض ، بحسب خواصها القابلة والفاعلة ، كالاجسام البسيطة مثلا ، لا تزيد ايضا على ان تقلد هذه النقلة الدائرية التى بهذه الاشياء تكررها • وفى الحق انه متى كان الهواء يجىء من الماء والنار تجىء من الهواء ثم الماء يجىء فى دوره من النار فيمكن القول بأن الكون قد حصل دوريا ما دام أنه رجع على نفسه • وعلى هذا اذا فان حركة هذه الظواهر بامتدادها على خط مستقيم تقلد الحركة الدائرية وتصير متصلة •

— كما نقرر — هذا هو أحد المبادىء التى أحسن أرسطو فى تقريرها وحسن استعمالها •ر• الطبيعة ك٨ ب٧ ف٦ ص ٥١٠ من ترجمتى •— فى موضع آخر — خصوصا فى المقولات ب٢ ف٢ ص ٥٤ من ترجمتى • وفى الطبيعة ك١ ب٣ ف١ ص ٤٣٨ من ترجمتى • وفيما بعد الطبيعة ك٤ ب٧ ص ١٠١٧ طبعة برلين •— الوجود يبقى فى كل الاشياء •— على تقدير الوجود «الازلى» ولكنى أضطررت لاستيفاء التردد الواقع فى النص — عن المبدأ — الذى كونها والذى يحفظها — أخذا بالطريق الوحيد الذى بقى — ربما كان فى ذلك تضييق لقدرة الله — الله قد كمل الكل — هذه الفقرة تذكر بعض الشىء بنظريات طيماوس التى ربما كانت هى التى أوحتها — متصلا وابديا — ليس فى النص الا كلمة واحدة — ملتك ومتصل ••• كونا ابديا وصيرورة مستمرة — التنبيه السابق عينه •— من الوجود ذاته — على تقدير «الازلى» كما طالما قد قيل — فى هذا الباب ذاته وفى الطبيعة ك٨ ب١٢ ف٤٦ وب١٣ ف٥ ص ٥٥٠ و٥٥٢ من ترجمتى •

§ ٨ — كالاجسام البسيطة — يعنى العناصر العادية الأرض والماء والهواء والنار •— لا تزيد ايضا على ان تقلد — ليس النص على هذه الصراحة •— هذه الاشياء تكررها — أضفت هذه الكلمات • ومع ذلك يمكن ان يرى أن هذه المشابهة بين التغير المتكافىء للعناصر وبين الحركة الازلية التى تحرك السماء هى مشابهة قسرية • ولكنه يلزم تذكر ذلك المركز العظيم المسند الى اربعة العناصر فى نظريات أرسطو ر•• على الاخص الميتورولوجيا ك١ ب٢ و٣ ص ٤ وما بعدها من ترجمتنا — وفى الحق انه متى كان الهواء يجيىء من الماء — على رأى أرسطو أن الماء بتبخره يصير هواء — ثم الماء يجيىء فى دوره من النار لان النار تتغير الى هواء والهواء فى دوره الى ماء — تقلد هذا التكرير موجود فى الاصل •

§ ٩ — وهذا يسمح لنا فى آن واحد باستجلاء مسألة يثار ثائرها أحيانا وهى كيف يمكن ، مع أن كل جسم متمكن فى المحل الخاص به ، ألا تكون الاجسام المركبة منفصلة ومنحلة أثناء المدة غير المتناهية للأزمان. والسبب فى ذلك بسيط وهو انها تتغير وتتحول بعضها الى بعض • فاذا كان كل واحد منها يبقى فى محله الخاص ولم يعدله جاره فتكون من زمان طويل قد انفصلت وانعزلت ، فهذه الاجسام تتغير اذا على أثر حركة نقلة مزدوجة ومن أجل انها تتغير لايوجد ولا واحد منها يمكن ان يبقى البتة فى مكان ثابت ومعين •

§ ١٠ — فيمكن أن يرى اذا بناء على ما تقدم أنه يوجد على الحقيقة كون للاشياء وفساد وما هى العلة فيهما كما أنه يرى ماهو المخلوق والقابل للفساد • ولكن مادام أنه يوجد حركة فيلزم أن يوجد محرك كما بين ذلك فى مؤلفات أخرى • واذا كانت الحركة أزلية يلزم أن يكون موجودا شيء ما أزلى أيضا • ولما أن الحركة متصلة فهذا الشيء الذى هو أحد يجب أن يكون هو عينه أبدا غير متحرك ولا مخلوق ولا قابل للاستحالة • حتى مع افتراض أن الحركات الدائرية أمكن أن تكون كثيرة بالعدد فقد يمكن أن تكون عديدة ولكنها جميعها مادامت فانها يجب بالضرورة أن تكون خاضعة لمبدأ واحد أحد • ومن جهة أخرى مادام الزمان متصلا وجب أن تكون الحركة متصلة مثله لانه من المحال أن يوجد زمان بدون حركة • فان الزمان هو اذا العدد لشيء ما متصل أعنى للنقلة الدائرية كما قلنا ذلك بديا •

---

§ ٩ — يثار ثائرها احيانا — أو «يثيرها بعض الفلاسفة» — منفصلة ومنحلة — ليس فى النص الا كلمة واحدة — ويلزم أن يفهم ان المراد هو تحلل الاجسام المختلطة حيث كل واحد من العناصر التى تؤلفها يتجه الى المكان الخاص به • فالارض الى تحت والنار الى فوق والهواء والماء الى الاماكن المتوسطة • — اثناء المدة غير المتناهية للأزمان — لان هذه التغايير بطيئة للغاية ويستدعى ازمانا طوالا جدا • — وهو انها تتغير وتتحول — ليس فى النص الا كلمة واحدة • — قد انفصلت وانعزلت — التثنيه السابق عينه •

— حركة نقلة مزدوجة — ر• ما سبق ف٤ وهذه الحركة المزدوجة هى التى يحدثها ميل الدائرة الذى هو تارة يبعد الشمس عنا وتارة يقربها منا • وبحسب شرح فيلوبون انما هى الحركة التى تذهب من الشرق الى الغرب والتى ترجع من الغرب الى الشرق • — ومن اجل انها تتغير — وتختلط بعضها ببعض •

١٠ — المخلوق والقابل للفساد — حفظت قصدا عبارة النص على قلة تعيينها — فى مؤلفات أخرى — هى الطبيعة ك٨ ب١٥ ص ٥٥٨ وما بعدها من ترجمتى ، وما بعد الطبيعة ك٧ ب٦ وما بعده ص ١٩٢ من ترجمة كوزان الطبعة الثانية • — أن يكون موجودا شيء ما — قد يكون أكثر بيانا أن يقال : محرك ما أزلى • — كثيرة بالعدد ••• عديدة — هذا التكرار موجود فى النص •

§ ١١ ـ ولكن هل الحركة متصلة لان المتحرك الذى يقبلها هو متصل أيضا ؟ أم هل هى كذلك بعلة اتصال المكان الذى تقع فيه ، أريد أن أقول الأين ، أوبعلة اتصال الكيف الذى يكيف الشيء ؟ من البين ان الحركةهى متصلة بسبب أن المتحرك متصـــل لانه كيف يمكن أن يكون كيف شيء متصلا الا اذا كان ذلك باتصال الشيء نفسه الذى فيه يظهر هذا الكيف ؟ اذا كانت الحركة ليست متصلة الا بسبب المكان الذى هى فيه فهذ لا يمكن حينئذ الا بالاين الذى له وحده خاصية الاحاطة بها لان له عظما ما ٠ ولا يوجد عظم متصل الاعظل الدائرة لان هذا العظم هو دائما متصل بنفسه ٠ وعلى ذلك فالعامل فى اتصال الحركة انما هو الجسم الذى له النقلة الدائرية وانما الحركة فى نوبتها هى العاملة فى أن الزمان يكون متصلا ٠

ـ مادام الزمان متصلا ـ ر٠ على علاقات الزمان بالحركة الكتاب الرابع من الطبيعة ب١٤ وما بعده ص ٢٢٤ من ترجمتى ٠ـ بديا ـ يرى فيلوبون ان المقصود بهذا كتاب الطبيعة الذىهو يتقدم فى ترتيب الدراسة كتاب السماء وهذا الكتاب ويلزم الرجوع الى الكتاب الرابع والكتاب السابع من الطبيعة ٠

§ ١١ ولكن هل الحركة متصلة ـ هذه المسالة المهيبة قد طرحت على البحث وحلت فى الكتاب الثامن من الطبيعة ب١٥ وما يليه ، وفى الكتاب الثانى عشر من ما بعد الطبيعة ب٦ وما يليه على وجه فيه بعض المغايرة لما قرر هنا ٠ـ اتصال المكان ٠٠٠ اتصال الكيف ليس النص على هـــذا القدر من الصراحة ـ الذى يكيف الشيء ؟٠ ـ زدت هذه الكليات لتكوين الفكرة أكثر بيانا ٠ـ المتحرك متصل ـ هذا غير مفهوم تماما ٠ فان الاتصال يمكن ان يكون اما اتصال الزمان او اتصال المادة ٠ ـالابالمكان ـ عبارة النص اقل ضبطا ٠ـ الذى له وحده خاصية الاحاطة بها ـ وسعت عبارة النص لجعلها أبين ٠ـ الاعظم الدائرة ـ ر٠ الطبيعة ك٨ ب١٢ ف٤١ ص ٥٤٧ من ترجمتى وب١٤ ف١ ص٥٥٣ ٠ ـ دائما متصل بنفسه ـ لأن المحيط يرجع على ذاته ـ الجسم الذى له النقلة الدائرية ـ والازلية يعنى السماء ٠

الباب الحادى عشر

نظرية تعاقب الاشياء الابدى المنتظم ــ على اى مقــدار يكون تدخل الوجوب ــ الاشياء الواجبة والاشياء الممكنة ــ الوجوب المطلق ــ الوجوب الاضافى ــ علاقة الواجب والازلى ــ كون الاشياء لا يمكن ان يكون ابديا الا اذا كان دائريا ــ ترتيب الاشياء العجيب ــ الحركة الدائرية للفلك الاعلى تنظم كل الحركات السفلى ، حركة الشمس ، وحركة الفصــول وكل الحركات الاخرى ــ ابدية الانواع ــ فناء الاشخاص التعاقب ــ ازلية بعض الجواهر ــ خاتمة الكتاب .

---

§ ١ ــ لما أننا فى جميع الاشياء التى تتحرك بحركة متصــلة اما لتكون واما لتستحيل واما بالاختصار لتتغير ، نرى دائما حادثا يوجد بعد آخر وظاهرة تتكون على أثر أخرى بحيث لا يقع لا خلو ولا تخلف فيلزمنا أن نفحص ما اذا كان يوجد شيء ما بالواجب أو أنه ممكن فى حق جميع الاشياء ألا تكون اذا لم يكن شيء موجودا بالواجب . وبديهى أن بعض الاشياء هى واجبة وهذا هو الحامل على أن القول عــلى شيء بالتعيين انه سيوجد هو مغاير تماما للقول بأنه يجب أن يوجد . لانه مادام قد حق القول على شيء بأنه سيوجد فيلزم ايضا ان يحق القول ذات يوم على شيء أنه موجود فى حين أنه متى صدق القول بالبساطة على شيء أنه يجب ان يوجد فلاشيء يمنع من الا يوجد : مثال ذلك قد يمكن جدا ان انسانا كان يجب ان يتنزه الا يتنزه .

§ ٢ ــ ولكن لما أن من بين الاشياء التى هى موجودة ما يمكن أيضا ألا توجد فبديهى أن يكون الامر كذلك أيضا بالنسبة للاشياء التى تصير

---

§ ١ ــ لاخلو ولا تخلف ــ ليس فى النص الا كلمة واحــدة ــ اذا كان يوجد شيء ما واجب ــ على نظرية الوجوب .ر. الطبيعة ك٢ ب٩ ص ٦١ من ترجمتى.

ــ بعض الاشياء هى واجبة ــ تلك هى النتائج الضرورية لفرض ما ولكن الفرض نفسه ليس واجبا .ــ بالتعيين ــ زدت هذه الكلمة زيادة فى تحديد الفكرة .ــ بانه يجب ان يكون يوجد فى عبارة النص نحو من الاحتمال ليس موجودا فى التعبير الفرنساوى .ــ بالبساطة ــ زدت هذه الكلمة ايضا . وربما كان من الاحسن ان يستعاض فى الترجمة عن عبارة «يجب ان يكون» بعبارة «يمكن ان يكون» فان هذه الصورة الدقيقة من الصعب نقلها من لغة الى لغة اخرى .

§ ٢ ــ التى تصير وتكون ــ ليس فى النص الا كلمة واحدة ويلزم الالتفات الى التمييز بين الوجود وبين الصيرورة . فان أحدهما ازلى أو على الاقل باق فى حين أن الآخر حادث ومؤقت . ــ بالنسبة الى الصيرورة ــ جئت بهذا التعبير الذى هو أولى ما يوفى عبارة ا لنص لا يمكن الا تكون ــ يعنى انها واجبة .ــ المنقلبات الدورية ــ ليس النص على هذا القدر من الصراحة .

وتكون وأنه ليس هناك أيضا وجوب • فهل جميع الاشياء التى تكون هى فى هذه الحالة أم هل هى ليست فيها ؟ أو ليس يوجد منهـا ما يجب بالضرورة ان يكون ؟ او لا يكون الامر بالنسبة الى الصيرورة كما هـو الحال بالنسبة للوجود ؟ أو ليس يوجد أيضا أشياء لا يمكن ألا تكون فى حين ان أخرى يمكن أن تكون ؟مثال ذلك وجوب ان توجد المنقلبات الدورية وليس ممكنا انها لم تكن أصلا •

§ ٣ ـ والحق هو انه انما يلزم بالضرورة ان المتقدم يكون لاجل ان المتأخر يكون ايضا فى دوره • مثال ذلك لكى يوجد بيت يلزم بديا أن يوجد أساس • ولاجل ان يوجد اساس البيت يلزم ملاط • ولكن هل لان الاساس قد عمل يكون واجبا ان البيت يقام ايضا ؟ أم هل ليس هذا واجبا الا اذا كان البيت نفسه واجبا على الاطلاق ؟ وعلى هذا الوجه اذا من الضرورى فى الواقع أنه مادام الاساس قد عمل فالبيت يكون ايضا لان هذا هو فى الحقيقة علاقة المتقدم بالمتأخر انه اذا كان المتأخـر يجب ان يكون فيلزم وجوبا ايضا أن يكون المتقدم قد كان من قبله •

§ ٤ ـ واذا كان حينئذ المتأخر واجبا لزم أن يكون المتقدم واجبا كذلك • واذا كان المتقدم واجبا وكان المتأخر واجبا مثله فذلك ليس بسببه بأية طريقة ما بل فقط لانه كان المفترض وجوب المتأخر نفسه • وعلى هذا اذا فانه حيثما كان المتأخر واجبا كان التكافؤ • ودائما حينئذ متى كان المتقدم فواجب ان المتأخر يكون فى دوره • § ٥ ـ اذا سـار التعاقب الى اللانهاية نازلا من درجة الى درجة فمن ثم لا يكون واجبا أن المتأخر يكون مطلقا • ولكن حتى هذا لا يكون واجبا بحسب الفـرض

---

§ ٣ ـ المتقـدم ••• المتأخر ـ الامثلة التالية تبين معنى هاتين الكلمتين ـ بيت ••• أساس ـ يكاد يكون هذا المثل هو عين المثل الذى ضرب فى الطبيعة ك٢ ب٩ ف٢ ص ٦٢ من ترجمتى لتبيان الفكرة عينها • ـ ملاط ـ عبارة النص بالضبط والحماء • ـ الا اذا كان البيت نفسه ـ ليس النص على هذه الصراحة • ـ فالبيت يكون ايضا ـ ولكن فقط لأنه هو نفسه واجب وليس البتة لأنه يجب ضرورة أن يكون النتيجة للأساس • ـ المتأخر انما هو هنا البيت ـ المتقدم ـ انما هو الاساس الموضوع ليحمل البناء • الاساس ضرورى للبيت ولكن البيت ليس ضروريا للاساس •

§ ٤ ـ مثله ـ زدت هـذا اللفظ بسببه ـ فالبيت ليس واجبا أصـلا بالنظر الى الاساس فى حين ان الاساس واجب بالنظر الى البيت • ـ كان المفترض ـ انما هو بالفرض الصرف أن البيت واجب ولكنه ليس كذلك بالنظر الى المواد التى تأسس عليها • ـ كان التكافؤ يعنى أن الاول ضرورى للثانى بقدر ما يكون الثانى للأول •

§ ٥ ـ التعاقب ـ العبارة الاغريقية غير محددة • ـ الى اللانهاية ـ يفترض الشراح أن المقصود التناسل على خط مستقيم متناهيا أو غير متناه عوضا عن تناسل دائرى راجع على نفسه كتولد العناصر • ـ نازلا من درجة الى درجة ـ عبارة النص هى بالبساطة :

الموضوع آنفا لانه سيوجد دائما شيء آخر يتقدم بالضرورة على المتأخر. وهذا الشيء الآخر يجب ان يكون بالضرورة ايضا . وبالنتيجة كما انه لا يوجد مبدأ ممكن للانهاية فلن يوجد كذلك حد اول عامل على ان الاخير يجب ان يكون بالضرورة . § ٦ ـ ولكن حتى فى الاشياء التى لها حد منته لا يصدق القول بأنه يوجد وجوب لان تكون الكائنات على الاطلاق مثال ذلك ان البيت قد كان لان الاساس قد كان . لانه اذا البيت كان من غير وجوب وجود دائم بالضرورة فينتج منه ان ما يمكن الا يكون دائما يكون دائما . ولكن شيئا لا يمكن ان يكون دائما من حيث كونه الا اذا كان هذا الكون واجبا لان الواجب والازلى يتمشيان معا . فما يكون وجوبا لا يمكن الا يكون . وعلى هذا اذا كان وجوبا فهو بذلك نفسه ازلى . واذا كان ازليا فهو واجب الوجود وكذلك الحال ايضا اذا كان كون الشيء واجبا فهذا الكون هو ازلى ايضا وما دام أزليا فهو واجب الوجود على سواء .

§ ٧ ـ واذا كان اذا الكون المطلق لشيء هو واجبا لزم ضرورة ان يكون هذا الكون دائريا ويرجع على نفسه لانه يلزم مطلقا اما ان للكون حدا أو أن ليس له حد . فان لم يكن له لزم ان يقع على خط مستقيم او على دائرة . ولكنه ليكون أزليا محال ان يكون على خط مستقيم لانه حينئذ لا يكون له ابتداء لا من تحت كما نرى اخذا بالاشياء التى ستكون ولا من

= «نحو التحت» ـ بحسب الفرض الموضوع آنفا ـ ليس النص على هذا القدر من التحديد ويمكن ترجمته هكذا : « هذا لا يكون واجبا حتى على طريق الفرض» . لأنه سيوجد دائما يعنى قبل الحد الاخير المفروض انه واجب توجد سلسلة حدود متقدمة وهى لأنها غير متناهية لا يمكنها ان تنفد . ومع ذلك فان كل هذه الفقرة غامضة قليلا ويظهر ان فيلوبون يشكو من غموضها . ـ عامل على ان الاخير ـ النص ليس على هذا القدر من الضبط ، ففى اللانهاية لا يوجد حد اول ولا حد أخير اذ لا اول لها كما لا آخر لها .

§ ٦ . التى لها حد منته ـ أو «آخر» . ـ لأن ... الكائنات ـ عبارة النص غير محددة . ـ لأنه اذا البيت كان ـ تابعت بالضبط أسلوب النص . ولكن ليس جيد البيان وفيه معان وسطاء محذوفة سببت الغموض . وإليك شرحا يجلو غامض هذه الفقرة «حتى فى الاشياء التى لها آخر معين ليس من الضرورى دائما أن يتبع المتأخر المتقدم مثال ذلك اساس البيت يمكن ان يعمل دون ان يعمل البيت ضرورة بعده مع ان الاساس ضرورى للبيت . لأنه اذا كون البيت من غير أن يكون مع ذلك واجبا فينتج منه أن شيئا ممكنا انقطع عن أن يكون ممكنا ليصير واجبا» ـ ما يمكن الا يكون دائما ـ يعنى ما هو ممكن. الواجب والازلى يتمشيان معا ـ أو «الواجب هو فى آن واحد ازلى ايضا» .

§ ٧ ـ دائريا ويرجع على نفسه ـ هذا أحد المبادىء المهمة المقررة فى كتاب الطبيعة ك٨ ب١٣ و١٤ ص ٥٥١ وما بعدها . فان الحركة الدائرية هى الوحيدة التى يمكن ان تكون إزلية ـ للكون ـ أو التناسل ـ لا من تحت ... ولا من فوق «.» ما سبقه «من تحته يدل على السلسلة النازلة فانه يسار مما هو كائن لأجل افتراض كل=

فوق اذا أخذنا بالإشياء التي قد كانت • ولكنه يلزم ضرورة ابتداء للكون من غير ان يكون محدودا وانه يجب ان يكون ازليا • فيوجد اذا ضرورة لان يكون الكون دائريا • وعلى هذا النحو ان التكافؤ او الرجوع يكون واجبا • ومثلا لو أن شيئا كائن بالواجب لكان المتقدم على هذا الشيء هو واجبا ايضا واذا كان هذا المتقدم واجبا يلزم وجوبا ايضا أن المتأخر يكون •• وهاك اذا اتصالا ازليا حقيقيا لانه لا يهم ان يقع الاتصـــــال بين وسيطين او علة وسطاء • على هذا فالوجوب المطلق لا يوجد الا في الحركة وفي الكون الدائرى • ومتى وجدت الدائرة فكل شيء يكون او كان بالواجب • وكذلك اذا وجد وجوب فالكون يقع دائريا •

§ ٨ ـ كل هذا الترتيب هو غاية في المعقول • وما دام قد بين ايضا في موطن آخر ان الحركة الدائرية هي أزلية كما هي الحال في حركـــة السماء فبديهي ان كل ذلك يقع وسيقع بالواجب وان كل الحركـــات التي تتصل بتلك والتي تلك تنتجها هي واجبة مثلها لانه اذا كان الجسم الذى يقبل أزليا الحركة الدائرية يوصلها الى جســـم آخر فينتج منه ان حركة هذه الاجســـام الاخر يجب أن تكون دائرية أيضا ومثلا لمـا ان النقلة تحصل بطريقة ما في الافلاك العليا فيلزم ان الشمس تتحـــرك بالطريقة عينها • ومتى كان هذا هكذا بالنسبة الى الشمس فللفصول بهذه العلة مجرى دائرى وترجع دوريا • وما دامت كل هذه الظواهر العظمى تقع بهذه الطريقة فكل الظواهر السفلى تحصل بالانتظام عينه •

= تعاقب الكائنات • «من فوق» يدل على السلسلة الصاعدة ما دام انه يسلر مماهو كائن للصعود الى ما قد كان • فلا يوجد اذا ابتداء لا من احدى الجهتين ولا من الاخرى والسلسلة غير متناهية في الجهتين لأن الخط المستقيم يمتد على امتداد غـــير متناه • ـ يلزم ضرورة ابتداء ـ هذا يظهر انه يناقض آراء ارسطو المعروفة على أزلية العالم وزد على ذلك انه ليس للدائرة ابتداء بالمعنى الخاص ـ للكون•••الكون ـ النص ليس على هذا القدرمن الضبط •

ـ التكافؤ او الرجوع ـ ليس في الاصل الا كلمة واحدة • ـ اتصالا ازليـــا حقيقيا ـ ليس في الاصل الا وصف واحد • ـ وسطاء • ـ التعبير الاغريقي غير محدد بالمرة لذلك لم أكن أكثر منه ضبطا •

§ ٨ ـ هو غاية في المعقول ـ اعترف دائما ارسطو بنظام الطبيعة العجيب من غير أن يجعل مع ذلك لمشيئة الله وعنايته الالاهية دخلا مباشرا • ـ قد بين ايضا في موطن آخـــر في الكتاب الثامن من الطبيعة كما يقول فيلوبون ـ الجسم الذى يقبل أزليا الحركة الدائرية هذا هو المتحرك الأول يعني السماء أو جزء العالم الابعد عن الارض • ـ بطريقة ما ـ زدت هذه العبارة لتمام الفكرة • ـ هذه الظواهر العظمى ـ ليس النص على هذا القدر من الضبط بالانتظام عينه ـ ليس النص على هذا القدر من الضبط •

§ ٩ — ولكن حينما توجد أشياء تتحقق بالفعل على هذا النحو ومثلا حينما الماء والهواء يكون لهما هذه الحركة الدائرية ما دام انه لاجل تكوين السحاب يلزم أن تكون قد أمطرت ولاجل أن تمطر يجب أن يوجد السحاب فكيف يحصل أن الناس والحيوانات لا تعود هي أيضا على نفسها بحيث ان الشخص نفسه يظهر مرة أخرى ؟ لانه من أن أباك قد كان ، لا ينتج ضرورة انك كان يجب أن تكون • والذى هو ضرورى فقط انما هو انه اذا كنت فيلزم أن أباك قد كان • والعلة فى ذلك هى انه انما هذا تناسل يقع على خط مستقيم •

§ ١٠ — غير ان مبدأ البحث الذى نتصدى اليه ها هنا سيكون أيضا أن نتساءل عما اذا كانت كل الاشياء تعود أيضا الى أعيانها أو لا تعود وعما اذا كان حقا ان بعضها يعود بالعدد وبالشخص فى حين أن الاخر لا تعود الا بالنوع • بالنسبة لجميع الاشياء التى يمكث جوهرها غير قابل للفساد فى الحركة التى يلقاها من البين أنها تبقى دائما عدديا متماثلة ما دام أن الحركة تطابق حينئذ المتحرك • ولكن كل الاشياء التى على ضد

---

§ ٩ — لهماهذه الحركة الدائرية — والمتكافئة بحيث اناحداهما تولد الاخرى • —لاجل تكوين السحاب يلزم ان تكون قد أمطرت —ر• الميتورولوجيا ك١ ب٦ ص٥٤ وما بعدها من ترجمتى • — والعلة فى ذلك هى — ليس النص على هذا القدر من التحديد • — تناسل أو كون •

§ ١٠ — مبدأ — يظهر أن هذا أولى به أن يكون الملخص والمتمم ما دام أن هذه المناقشة هى آخر هذا الكتاب • — بالعدد وبالشخص — ليس ق النص الا كلمة واحدة لا تعود الا بالنوع — يعنى أن الشخص يتغير كمر الاب الى الابن وان النوع يبقى هو عينه فى الكائنين اللذين يخلف أحدهما الآخر • بالنسبة لجميع الاشياء — جوابه على السؤال الموضوع آنفا • — عدديا متماثلة — وعلى ذلك فالشمس هى دائما بعينها كما نبه اليه فيلوبون • فان جوهرها غير قابل للفساد ولا تتغير فى الحركات القائمة بها • — الحركة تطابق — عبارة النص بالضبط هى : « الحركة تتبع المتحرك » • وهذه العبارة ليست جلية وفيلوبون لم يفسرها • واظن أنه يريد أن يقول أن الحركة هى ازلية وغير قابلة للفساد كالجسم الذى تحل به •

— لا عدديا — يعنى لان الشخص يبقى هو ما هو • — بالنوع — كما يرى هذا من الأب الى الابن • فان الأب يهلك ولكن النوع يبقى منقولا منه الى الكائن الذى ولده — ذاته عدديا وشخصيا فان الهواء بالنوع مشابه للهواء المتقدم الذى دثر • ولكنه ليس هو هو عينه • — هو بحيث انه يمكن الا يكون — يعنى أنه ممكن وليس واجبا • ويلاحظ أن نظرية الابد الازلى لبعض الاجسام وللانواع ارتقاء وعظمة جديرةبالكتاب السابع من ما وراء الطبيعة والكتاب الثامن من الطبيعة • وهذا انما هو أيضا نقض جديد لمذهب المصادفة والاتفاق الذى طعن فيه أرسطو دائما • ر • مقدمتنا للطبيعة لارسطو ص ٩٣ و١٠٣ وما بعدها من المجلد الاول • ومقدمة كتاب السماء ص ٩٤ وما بعدها •

ذلك جوهرها قابل للفساد فانها يجب ضرورة أن تتم هذه الرجعى لا عدديا بل فقط بالنوع وعلى هذا النحو أن الماء يأتى من الهـواء وأن الهواء يأتى من الماء ، يأتى هو فى نوعه لكن لا هو ذاته عدديا • غير انه اذا كان من الاشياء ما ترجع عدديا أيضا بأعيانها فليست البتة هى التى جوهرها هو بحيث انه يمكن ألا يكون •

تم كتاب كون الاشياء وفسادها

تحقيق

على

الكتاب الموسوم

« فى ميليسوس وفى اكسينوفان وفى غرغياس »

لترجمة هذا الكتاب الصغير اعتمدت على طبعــة ف٠ج٠١٠ مللاخ المنشورة سنة ١٨٤٦ والمنقولة فى مجموعة فيرمين ديدو الاغريقية (١) ٠ وهذه الطبعة جيدة قد أعادت الى سيرته الاولى بطريقة توشــك ان تكون نهائية كتابا مهما جدا على ما فيه من نقص ٠ وقد استعان مللاخ لاصلاح النص فوق اعمال من تقدمه نسخة مخطوطة من مكتبة ليبزج العمومية يظهر انها اضبط النسخ التى وصلت الينا ٠ وهــــذه المخطوطة كان قد استعانها بعض الشيء أوليـــــاريوس وهو يعمل لمجموعة فبريسيوس الاغريقية (طبعة هارلس ج٣ ص ٢٨٤) ٠ ولم تبتدىء البحوث الادخل فى باب الجد والنفع الا على يد فلبورن الذى نشر سنة ١٧٠٩ شرحه المسمى:

"Liber de Xenophane, Zenone et Gorgia, Aristoteli vulgu tributus, passim illustratus".

وبعد أربع سنين حذا ج٠ل٠ اسبلدنج حذو فلبورن فى بحثه مدرسة ميجار فأبرز الجزء الاول من الكتاب «فى اكسينوفان وزينون وغرغياس» (٢) وكان بين يدى اسبلدنج مخطوطة ليبزج استخرج منها عدة اصطلاحات وبهذه المساعدة تسنى له ان نشر نصا محسنا جدا وقرن به تعليقات ممتعة

---

(1) Aristotelis de Melisso, Xenophane et Gorgia disputationes, cum Eleaticorum philosophorum Fragmentis et Ocelli Lucani qui fertur de universi naturâ libello, conjunctim edidit, recensuit, interpretatus est Frid. Guil. Aug. Müllach, Berolni, 1846, XXX — 210. Bibliothèque grecque de Firmu Didot. Fragmenta philosqhrum Graecorum. Pages 270 et suir.

(2) "Commentarius in primam partem libelli de Xenohane, Zenone et Georgia, praemissis Vidiciis philosophorum Megaricorum, Berolini, 1793, 8°. XIV — 83.

وكان أسبلدنج يتبع طبعة أسلبورج فى أكثر كتابه ٠

على الفقرات الاشد غموضا ، ولكنه لم يقرنه به ترجمة • وانماكان الجديد في هذا التحقيق هو أن اسبلدنج كان يجعل الجزء الاول من الكتاب مخصوصا بمذاهب ميليسوس وكان يثبت ببراهين قاطعة أن اسم ميليسوس كان يجب أن يستبدل باسم زينون • وقد قبل من يومئذ رأى اسبلدنج هذا واني لذاكر الآن السبب الذى يوجب قبوله •

ولم يستطع اسبلدنج مع فحصه مخطوطة ليبزج مقابلتها بطريقة مضبوطة تماما واعتمد على الاخص على الاصلاح الخفيف الذى عمله فيها أوليباريوس • غير أن كر • دان • بك مغير جامعة ليبزج الشهير الذى كان قد يسر بحوث اسبلدنج قد اخذ على عاتقه اتمام تلك البحوث فنشر في السنة عينها كل الروايات المختلفة في تلك المخطوطة الثمينة على هذا الكتاب وعلى بعض مؤلفات اخرى لارسطو (١) • وهذه النسخة المطبوعة التى اعتد بها ملاخ فضل اعتداد لم تكن ، فيما يظهر ، لتقدر بل لم تكن لتعرف عند علماء اللغة الذين اشتغلوا بعد ذلك اما بأمر مدرسة ايليا على العموم واما على الخصوص بالكتاب الخاص الذى فيه فحصت مذاهب اكسينوفان وميليسوس • فالمجمع العلمى ببرلين مثلا لم ينتفع بها في طبعته حق الانتفاع حتى ان ملاخ قد اظهر الاسف لهذا الاهمال الذى كان اتقاؤه ميسورا (٢) •

في سنة ١٨٤٣ أى بعد اثنتى عشرة سنة قد سد تيودور برج بعض هذا النقص فاعتمد على روايات بك ووضع شرحا أمتع من كل ما تقدمه من الشروح (٣) • ومع ان هذا العمل قد كان موضع المدح والاستحسان فانه لم يثن ملاخ عن اعادة النظر من جديد فنشر ، بعد عمل برج بثلاث سنين ، الطبعة والشرح اللذين ذكرتهما آنفا • غير أن ملاخ واسبلدنج لم

(1) Solemnia Doctorum philosophiae et magistrorum artium a. d. XIV febr. M D CCXCIII antiquo ritu creandorum indicit Chr. Dan. Beckius. Praemissa est varietas lectionis libellorum Aristotelicorum e codice Lipsiensi diligenter enotata.

وان دانيال بك من الرجال الذين قد أعطوا في الثلث الاول من هذا القرن التاسع عشر في الدراسات الفلسفية في ألمانيا نهضتها القوية •

(٢) ظهرت طبعة ارسطو العامة التى انجزها بكرو برانديس تحت رعاية المجمع العلمى ببرلين سنة ١٨٣١ •

(2) Regiae universitati litterarum Frederico — Alexandrinae D. XXIII mensis Augusti MDCCCXLIII sacra saecularia prima agenti gratulatur academia Marburgensis. Praemissa est Theodori Bergkii commentatio de Aristotelis libello Xenophane, Zenone, et Gorgia, Marburgi, 1843.

يترجما الكتب مع أن ترجمة كتاب مثل هذا مخروم أشــــد ضرورة من ترجمة غيره . فظلت خير ترجمة لاتينية هى ترجمة جان برناردان فيليشيانو المعلم فى البندقيةسنة ١٥٥٢ ولكن مع ان هذه المخطوطه التى ترجمت قليلة التحريف فانه كان من الممكن ايضاً بل من النافع تصحيحها وضبطها وقد نقلت فى طبعة المجمع العلمى فى برلين .

تلك هى الاعمال التى تنــاولت الـكتاب على ميليسوس واكسينوفان وغرغياس حتى الآن . وانه لينبغى أن يضم اليها تحقيق «م. هنـــرى ادواردفوس» على غرغياس الليونتيومى (١) اذ انه نشر فيه ، من غير ترجمة النص ، الجزء الذى يتعلق على الاخص بغرغياس ، أى الباب الخامس والسادس من هذا الكتاب الذى نترجمه ، وذيله بتفسير .

وبعد هذه التفاصيل اللغوية يلزمنا الكلام على الكتاب ذاته : فى آية حال وصل الينا) ومن هو مؤلفه على المشهور؟ وما هى قيمته الذاتية؟.

فأولا ما هو العنوان الذى يجب أن يعنون به هذا الكتاب الصغير ؟ عند القدماء جميعا تقريبا وعند المتأخرين الى بحوث اسبلدنج كان عنوانه المجمع عليه على العموم هو : « فى اكسينوفان وفى زينون وفى غرغياس». أو بحسب مخطوطة ليبزج فى زينون وفى اكسينوفان وفى غرغياس» فان اسبلدنج بتقريبه شواهد « سمبليسيوس» العديدة من تحاليل هذا الكتاب ابان بطريقة لا تحتمل النقض ان المقصود فى الجزء الاول هو ميليسوس لا اكسينوفان فانه فى شرحه الممتع على كتاب الطبيعة لارسطو قد نقــل فقرات تامة من ميليسوس على الموجود أو الطبيعة . وهى مشابهة حتى فى ألفاظها فى بعض المواطن كل المشابهة للتفاصيل المسطورة فى هذا الكتاب الذى نترجمه . فلما وضع اسبلدنج هذه الموافقات بعضها قبالة البعض الآخر وقارن بينها وجها لوجه لم يعد بعد فى الامكان انكار أن ميليسوس هو الفيلسوف المتكلم عنه فى البابين الاولين .

الى هذا الدليل الذى يكفى وحده فى اثبات المطلوب ينضم دليل آخر وهو أنه فى فهرس « ديوجين اللايرثى » (ك ٥ و ١ وف ٢٥ طبعة فرمين ديدو ص١١٦) ذكر صريح لكتاب ارسطو على مذاهب ميليسوس . وهذا الذكر ليس مفردا بل يؤكد ديوجين أن ارسطو قد نقد أيضاً آراء زينون

(1) De gorgia leontino commentatio, interpositus est Aristotelis de Gorgia liber emendatus editus ab. H. Ed. Foss, Halis Saxonum, 1828, 8°, IV — 186. Le traité sur Gorgias et le commentaire sont pages 110 et suivantes.

وكذلك قد بحث بحثا خاصا فى مذاهب اتبـــاع فيثاغورث وأرخيتـاس وسبوسيب واكزينوقراط ... الخ .

وفهرس ميناش المجهول واضعه يؤيد شهادة ديوجين اللايرتى وأنه ليذكر أيضا بحوث أرسطو فى منهبى ميليسوس وغرغياس . وما من شيء أقرب الى الاحتمال من أن يكون أرسطو قد اشتغل بمذاهب ميليسوس اذ ان ما بين ايدينا من كتبه يدلنا على شدة اضطلاعه بجميع الفلسفات المتقدمة على فلسفته . وهو يذكر ميليسوس غالبا . واننا ذاكرون اكثر من مرة ماذا قاله عنه وعن اكسينوفان سواء فى علم الطبيعة او فى علم ما بعد الطبيعة او فى غيرهما .

وعلى هذا فالحق فى جانب «اسبلدنج» فى أن الجزء الاول من هـــذا الكتاب يتعلق بميليسوس .

ربما نتساءل كيف كان لهذا الشك سبيل الى هذه النسبة . اذا كان أرسطو ينقد ميليسوس أو فيلسوفا آخر بعينه فيكون واجبا عليه فيما يظهر ان يسميه باسمه اذ لامسوغ لهذا الابهام الذى لا يفسر .ولكنه لسوء الطالع لم يفعل ، بل قنع فى هذه الكتب بأن يقول دائما : « هو» دون أن يعين أسما مرجعا لهذا الضمير . ولا سبيل الى معرفة من هو المعنى بالنقد الا تعرف صاحب المذهب المنقود من مذهبه نفسه. وعلى ذلك فان هذا الكتاب انما كتب بغير عناية فى شكله الظاهر على الاقل وأن مؤلفه أيا كان قد أخطأ فى أنه لم يكن مبينا حتى لقد احتيج الى فطـــنة الفلاسفة المتأخرين لسد هذا النقص الذى ربما لا يكون منشؤه الا خطأ ناسخ .

وان ما أقوله هنا عن ميليسوس يوشك أن يكون منطبقا على اكسينوفان أيضا . فانه ليس مسمى كذلك فى الجزء الثانى من الكتاب ولكنه مع ذلك لا سبيل الى الشك فى امره لان مـــذاهبه معروفه اكثر من مـــذاهب ميليسوس . فنسبة ما يقال هنا اليه لايتطرق اليها الخطأ .

ان هذا اليقين ينسحب من باب اولى على غرغياس الذى هو غير مسمى أيضا فى أول الجزء الثالث (ب ٥ و٦) الذى يخصه ولكن براهينه قد نقلت الينا على يد سكستوس أمبيريكوس (adversus mathimaticos exlogicos) ك٧ ج٢ ص ٢٨٥ طبعة سنة ١٨٤٢ ج١ ص ١٣٤) أو أنها تماثل على الاطلاق البراهين التى نراها فى هذا الكتاب .

من هذا استنتج أن العنوان النهائى الذى يجب أن يحمله هذا الكتاب هو « فى ميليسوس وفى اكسينوفان وفى غرغياس » فان هذا العنوان يتفق

تماما وما يحويه الكتاب ، وقد أحسن مللاخ في اتخاذه . ومنـــذ الآن لايمكن الا اتخاذ هذه الصيغة عنوانا لهذا الكتاب كما فعل مللاخ . اما انا فانى لم اتردد لحظة فى اتخاذها . وفى الحق انه ليبقى ان تعيين « زينون في عنوانات النسخ المخطوطة لا مسوغ له . غير انى سأحاول فيما يلى مقتفيا أثر مللاخ اكتشاف المصدر الذى يمكن أن يكون صدر عنه هذا التعيين . والآن أسوق القول الى ماكنا بصدده ، من حيث العنوان لنفرغ منه .

قد راجع بيكر مخطوطتين معنونتين بعنوانين يخالفان العنوان العادى مغفلا فيهما ذكر الاسماء الاعلام . فالعنوان فيهمـــا بالبساطة هـو : « كتاب أرسطو على المذاهب » أو : «كتاب أرسطو على مذاهب الفلاسفة» فالعنوان الاول هو لمخطوطه فى مكتبة سنت مرك فى البندقية q والثانى لمخطوطة فى الفاتيكان Bg بحسب تعريف بيكر . واختلاف هاتين الروايتين مهم من حيث افتراض أن الشكوك كانت متسللة حتى فى الازمان القديمة الى صحة العنوان المشهـــور . ومن المحتمـــل أنهم لم يكونوا ليتعرفوا اكسينوفان وزينون فى الجزء الاول والثانى (ب ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤) . وتلقاء هذا الغموض استحبوا عدم التعيين . فقد كان وسمهم الكتاب بأنه «على المذاهب الفلسفية » لامسئولية فيه لانه هو مع ذلك على سعته صحيح ان لم يكن مضبوطا . وما كنت لاتخذ هذا الوسم دون غيره ولكنه يلزم أن يقام له وزن ولذلك ذكرته .

أما وقد تحدد العنوان وبين على هذه الصورة فمن هو مؤلف الكتاب؟ أأرسطو هو أم هو آخر ؟ .

مخطوطة فى الفاتيكان مرقومة Rg طبعة برلين تنسب هذا الكتاب الى تيوفراسط او على الاقل هى تدرجه ضمن كتب أخرى كلها لتلميذ أرسطو وخليفته . وان مايجعل لهذا الفرض محلا من الشبه بالحق والثقة هو أن سمبليسيوس فى شرحه على كتاب الطبيعة (الورقة 6A) يستشهد بفقرة من تيوفراسط فيها ينقل هذا المؤلف عن اكسينوفان آراء مطابقة تمـام المطابقة لما نقرؤه فى هذا الكتــــاب . ولا شك فى أن هذين السببين هما الحاملان . برنديس فى « تاريخه للفلسفة الاغريقية واللاتينية » (جزء ١ ص ٣٥٨) على أن يسحب هـذا الكتاب من ارسـطو ليرده الى تيوفراسط . ولكن هذا التغيير لم يحل محل القبول من ذوق علماء اللغة ولو أنه صادر عن حكم لا يقل عنهم فى العلم ولا فى الحذق ، فقد صرح م . تيودور برج أن هـــذا الكتاب على رأيه ليس أحق بتيوفراسط منـه بأستاذه .

وانى هنا على رأى ملاخ وارى كما يرى ان ذلك تجاوز ابعد جدا مما ينبغى • وقد نبهت الساعه ان هدا الكتاب لم يكن ليكتب بالعناية المطلوبة مادام الفلاسفة الذين تنقد فيه مذاهبهم ليسوا معينين بأسمائهم ولكن فى مجموع تأليف ارسطو كما نقلته الينا القرون كم من غلطات من هذا النوع ، وكم من اهمال فى التحرير ، وكم من قطع لم تتم ؛ وكم من صحف مشوشة حتى فى أجل كتبه مثل « ما بعد الطبيعة » مثلا ! على أن الاسباب التى حملت أرسطو على ان يترك كل مخطوطاته فى حالة نقص معروفة • فانه لم يكد ينشر شيئا مدة حياته • ولم يكن الا حين ناهزت سنه للخمسين عول على اظهار شيء من تعاليمه • فلما فوجىء بالحركة الموجهة ضد المقدونيين بعد وفاة الاسكندر واضطر الى هجرة آتينا على عجل مشرداً منفيا لم يسكن الى محل طمأنينة ان عاجلته المنون لا تعرف كيف كانت ولكن المعروف انها كانت ميته عنيفة فى سن الثانية والستين • فجمع تيوفراسط كل ما كان تركه أستاذه من الاعمال والاوراق ، ولم ينشر منها شيئا هو نفسه أيضا فيما يظهر • وبقية الحكاية معروفة فان العالم الغربى لم يكد يعرف مؤلفات ارسطو الا حينما جىء بها من آتينا بعناية «سلا» فرتبت بطريقة حسنت أو ساءت بعناية «أندرونيكوس الرودسى» •

وقد يكون من الغريب أن مخطوطات أهملها المؤلف بحكم الضرورة وأهملها خليفته الاول هى احسن نظاما فى الترتيب من غيرها • فان التشويش او بالاولى النقص فى كتيبنا هذا لايطعن فيه • بل انى قائل ان هذا الكتاب على ما وجدناه عليه ليس فيه من عدم النظام والخرم مثل وفى مؤلفات ارسطو التى لاشك فى صحة نسبتها اليه • بل قد يكون هذا الكتاب أبعد عن سوء التأليف فان الاجزاء الثلاثة التى يتألف منها متميز بعضها عن بعض ومتتابعة من غير خلط ، وعرض المذاهب المنتقدة فيه هو من الوضوح والتنسيق بمكان • واذا كان لم يتقبل على العموم بقبول حسن فذلك لان طابعيه الاولين قد شوهوه بأغلاط شتى تلافتها من بعد ذلك عناية المتأخرين وحذقهم حتى لم يبق منها شيء •• وانى ألفت الى هذا نظر القارىء الفطن الذى يريد فحص هذا الكتاب الصغير لان يأخذ بالطبعة التى أصلحها ملاخ وبترجمتى هذه •

ومهما يكن هذا الكتاب « فى ميليسوس واكسينوفان وغرغياس » ظنينا فى نسبته الى ارسطو فانه لا شيء فيه يبعده عن مدرسة المشائين الملاصقة عهدا بأرسطو • وانى لا ألقى القياد الى رأى ملاخ الذى يميل الى اعتبار هذا الكتاب خلاصة من مؤلفات ارسطو التى ذكرها ديوجين اللايرثى كما ذكرناه آنفا • وقد تكون هذه الخلاصة من وضع بعض المشائين ، كما يحتمل ان يكون ثيوفراسط قد اقتبس كذلك من مؤلفات

أرسطو ما رواه عن اكسينوفان كما يذكره لنا سمبليسيوس • وأن في مؤلفات أرسطو لخلاصات من هذا القبيل • والشاهد على ذلك اسلوب « علم الاخلاق الكبير » وأسلوب « علم الاخلاق الى أوديم » فانهما ليسا الا تحاليل ممتعة كثيراً أو قليلا لكتابه « علم الاخلاق الى نيقوماخوس » •
ولقد أستطيع أن استنتج انه ان كان هذا الكتاب ليس من عمل ارسطو ولا من عمل تيوفراسط فهو على أقل مايكون من زمان لا يبعد كثيرا عن زمانهما • وهذا وحده يكفي أن يجعل له أهمية انكارها محال •

ولقد تأخذ بي القيمة العالية لما يحويه هذا الكتاب بالنظر الى تحريره فضلا عن أن ميليسوس واكسينوفان وغرغياس رجال ثلاثة كبار لا يمكن لتاريخ الفلسفة أن يهمل تذكارهم • ولو انهم هنا لم يرتبوا على مقتضى الترتيب الزماني فان هذا لا ينقص قيمة القول فيهم • ولن تجـــد في أي كتاب آخر قولا على ثلاثة الفلاسفة المذكورين مستفيضا كما في هـــــذا الكتاب ولا شك في انه يرغب في أزيد من ذلك ، ولكن هذه المقاطيع هي كل ما لدينا عن مجموع مذاهبهم ، والشكر علينا واجب لمن حفظ الكتاب على هذه الصورة • فان مدرسة ايليا على رغم أغلاطها بالغة غاية المجد وانه الى جانب آرائها الدقيقة الخافية في وحدة الموجود ولا تحركه فمن المشوق الاستماع الى نظرياتها السامية العميقة على وجود الله وقـــدرته الكلية • وبهذه المثابة فان اكسينوفان الذي يعتبر مؤسس مدرسة ايليا رجل كبير المقام وانه قد تنبأ قبـــل سقراط وأفلاطون بنبوءات خليقة بهمـــا • وميليسوس وان لم يكن في مستوى اكسينوفان يستحق على الاقـــل ألا ينسى • وأما غرغياس فمهما كان سفسطائيا فهو لا يحط مطلقا قـــدر الطائفة التي يضعونه فيها ، وفي الحق حسبنا أن نذكر أن أفلاطون وضع تحت هذا الاسم الشهير واحدة من أجمل محاوراته •

ولكن كيف في النقد الموجه لمدرسة ايليا ومذاهب أهلهـــا يغفـــل المؤلف أمر زينون ؟ كان اسم زينون في عنوان الكتاب في أكثر النســـخ المخطوطة فلماذا لم يكن له وجود في صلب الكتاب ؟ من اين هـــذا الاغفال وهذا النقص ؟ يرى ملاخ بحق أن هذا الكتاب الذي ليس له الآن الا ثلاثة أجزاء كان يجب أن يكون فيما سبق مؤلفا من أربعة أجزاء ، وأن نقـــد زينون كان يجب أن يتلو نقد اكسينوفان • وهذا الفرض مقبول وقـــد يستنتج طبعا من أن أرسطو قد فحص مذاهب زينون كمـــا فحص مذاهب الفلاسفة الثلاثة الآخرين • ويؤيد ملاخ هذه القرينة بفقرة في هـــذا الكتاب (ب ٥ ف ٣) حيث ذكر فيها اسم زينون عقب اســـم ميليسوس بالصراحة • والى هذه الفقرة يمكن أن يضاف أيضا فقرتان تكادان تكونان في المعنى عينه (ب ٦ ف ٦ و ٩) • وهكذا دون أن نخرج من هذا الكتاب الصغير يمكننا أن نجد براهين تكفي للقول بأنه كان لهذا الكتاب جزء رابع

أفرد القول فيه على زينون ولكنه غير موجود الآن • وهذا الجزء كان يأتى فى الترتيب عقب الجزء الخاص باكسينوفان •

وفوق ذلك فان فى الفقرة الاولى من الباب الثانى يرى أن ميليسوس مسمى ومقربا من اكسينوفان الذى لا يجىء فحص مذهبه الا بعد فحص مذهب ميليسوس • فيظهر من المحقق اذا أن غرض مؤلف هذا الكتاب الصغير أن يدرس ميليسوس قبل اكسينوفان • كذلك يوجد هذا الترتيب فى فهرس ديوجين اللايرثى • فان كتاب أرسطو على ميليسوس مقدم على كتبه على غرغياس واكسينوفان وزينون • ولكنه لو روعى الترتيب الزمنى كما كان يجب أن يعمل لكان اكسينوفان هو الاول وزينون الثانى وميليسوس الثالث وغرغياس الاخير • لا ينبغى أن يعلق على هذه المسائل من حيث الترتيب الزمنى أهمية كبرى • ولكن تعاقب المذاهب لا يجود فهمه اذا خلطت العصور من غير ترتيب وانما ينفع الفلسفة ذاتها أن يتحرج فى ترتيب عصورها بالتسلسل على قدر الامكان •

يوشك ألا يكون من الاهمية بمكان ذكر أن يكون أرسطو هو الذى أخطأ فى الترتيب اذا كان هو مؤلف الكتاب أو أن مختصره هو الذى ارتكب هذا الخطأ فأنى تارك الى جانب مسألة الترتيب التى هى مادية محضة لاقول بعض كلمات على الفلاسفة الثلاثة المذكورين فى كتابنا هذا •

اشتهر اكسينوفان بأنه كان رئيسا لمدرسة ايليا وهذا هو المجد الذى يسند عادة اليه وان كان أفلاطون فى الفقرة الوحيدة التى ذكر فيها اكسينوفان يشير ، فيما يظهر ، الى أن مدرسة ايليا أقدم منه (السفسطائى ص ٢٤١ من ترجمة كوزان ـ و ص ١١٩ ب ٤٤ من الطبعة الاغريقية فى طورينو سنة ١٨٣٩) • لما نفى اكسينوفان من وطنه كولوفون الى يونيا آسيا الصغرى يظهر انه هاجر الى صقلية واحتمى فيها بمدينة زنكل ثم بقطنة ، ثم ذهب الى ايليا التى كان قد أسسها حديثا الفوكيون سنة ٥٣٦ قبل الميلاد على شواطىء اغريقا الكبرى وعلى بحر طرهينيا ، وأنشأ فيها هو نفسه هذه المدرسة التى اشتهرت بها تلك المدينة الجديدة • ولا يدرى امات بها ام رجع الى كولوفون • والظاهر انه عمر طويلا متى سلم بصحة ما نقل الينا من بعض أبيات يقول فيها (١) : ان سنه أربت على الثانية والتسعين • وفى الحق أن هذه الابيات يمكن أن تفسر بمعنى آخر تدل به على أن اكسينوفان كانت سنة وقتئذ سبعة وستين عاما وأن الحوادث التى قيل فيها الشعر حصلت حين لم يبلغ عمره الا خمسة وعشرين ، فانه يقول : « اذا صح انى أستطيع الكلام على هذه الاشياء

---

(١) ديوجين اللايرثى ك ٩ ب ٢ ص ٢٣٤ طبعة فيرمين ديدو •

بصورة مضبوطة » . يقول ديوجين اللايرثى : انه ظهرت آثاره نحـــو السادسة والستين أولمبية يعنى نحو السنة ٥٤٠ وبفرض انه كانت سنه في هذا الحين ٤٥ أو ٥٠ سنة فيكون ميلاده متأخرا قليلا عما يفترض له اذ يقال : انه ولد سنة ٦١٧ قبل الميلاد .

وان ما يحمل على الظن بأن ميلاد اكسينوفان يجب أن يكون أقرب من ذلك هـــو أنه استشهد بفيثاغورث (١) الذى ربما قبـــل آراءه فى التناسخ . ونقد نعلم بشهادة شيشيرون الصريحة (الجمهورية ك ٢ب ١٥) أن فيثاغورث لم يأت سيباريس وقروطون الا فى ســـنة ٦٢ أولمبية أى السنة الرابعة من حكم طرخان العظيم أعنى سنة ٥٣٠ أفيكون من المحتمل أن اكسينوفان تكلم عن فيثاغورث وهو حى بما تكلم به . وحينئذ ألا يلزم عليه أن ينزل بالعصر الذى عاش فيه وبميلاده الى أنزل من ذلك . واليك هذه الابيات :

« لما رأى ذات يوم كلبا يضربه بالسوط صاحبه »

« أخذته الشفقة بهذا الكائن الشقى »

« فقال : لا تضرب تلك هى روح صديق »

« تعرفته بسماع صراخه »

وقد زاد ديوجين اللايرثى الـــذى روى هـــذه الابيات فى ترجمة فيثاغورث ــ فى موضع آخر (٢) أن اكسينوفان كان يحارب مذهب حكيم ساموس ومذاهب طاليس وايبيمينيد كما أنه كان ينقد بحدة ماكان يصور به هيزيود وهوميروس الآلهة وشهواتهم ونقائصهم . وقدكان اكسينوفان يودع أفكاره القصائد والحماسيات التى كان يقرضها . بل قـــد يكون محتمـــلا أنه كان يرتزق على دأب «رهبســـود» بانشاد قصائده ليطرب السامعين ويستجدى سخاءهم .

واذا كان اكسينوفان قد طعن فى آراء طاليس وفيثاغورث وايبيمينيد فيجب أن يكون متأخرا عنهم وليس محالا أن يكون قد عاش الى زمن الحرب الاولى الميدية (سنة ٤٩٠ قبل المسيح) .

وهناك واقعة قد لا يستطاع الشك فيها ما دام أرسطو يشهد لهـا (الميتافيزيقا ك ١ ص ١٤٦ ترجمة كوزان) . وهى أن برمينيد كان تلميذ اكسينوفان . وعلى هذه النقطة كل القدماء على وفاق . غير أننا نعلم يقينا

(١) ديوجين اللايرثى ك ٨ ب ٨ ص ٢١٣ طبعة ديدو .
(٢) ديوجين اللايرثى ك ١١ ب ٢ ص ٢٣١ طبعة ديدو .

من أفلاطون (تييتيت ص ١٥٤ ـ والسفسطائى ص ١٦٤ ترجمة كوزان) انه حينما جاء برمينيد آتينا مع زينون كانت سنة ٦٥ سنة (البرمينيد ص ٦ ترجمة كوزان و ص ٧٥١ طبعة طورينو ١٨٣٩) . وبفرض أن سقراط كان حديث السن عند حواره برمينيد المنقول لنا فى المحاورة المشهورة بهذا الاسم ولم يكن عمره الا عشرين سنة ، فان هذا ينقلنا الى سنة ٤٥٠ قبل الميلاد . وعلى هذا الفرض يكون برمينيد قد ولد فى سنة ٥١٥ وليتلقى العلم على اكسينوفان يلزم أن يكون هذا الاخير قد مات فى نحو العهد الذى ذكرناه آنفا .

غير أنى تارك مرة أخرى هذه المجادلات التاريخية (١) لاقف برهة عند آراء اكسينوفان الفلسفية التى لها فى نظرى أهمية أخرى . ولئن كان فيما يتعلق به نقطة مجمع عليها فانما هى أن أفكاره فى الآلهة ، بل يمكن أن يقال أفكاره فى الله ، كانت أصح وأرقى من أفكار معاصريه . وهذا الكتاب الذى نترجمه يكفى وحده فى اثبات هذه الدعوى ، غير أن الشواهد على ذلك متواترة أكثرها جوهرية شاهد اكسينوفان نفسه . ولم تنخدع المسيحية فى أمره فان كليمان السكندرى (استروماتس ك ٥ ص ٦٠١) يثنى على فيلسوف كولوفون بأنه نزه الله تعالى عن التجسد وبأنه قال :

« واحد قدير على كل شىء ملك الاشدين قوة فالله لايشبهنا لابالعقل» « ولا بالجسم وان الناس بتصويرهم الآلهة على صورتهم يسندون اليهم أفكارهم » « وأصواتهم ووجوههم » .

ويروى كليمان السكندرى فوق ذلك أبياتا أخرى تكرر هذه الفكرة عينها فى قالب آخر ، وفيها يقول اكسينوفان :

« اذا كان للثيران والاسود أيد تصور كما يصور الناس لاعطت الآلهة التى » « تصورها أجساما أشبه بأجسامها ، ولكانت الخيل تصورهم بصور خيل والثيران » « تصورهم بصورة ثيران »

منذ اكسينوفان قيلت هذه الابيات التى هى غاية فى الحق ألف مرة . ولكيلا يصور الناس الله على صورتهم حين يحاولون تصويره اضطروا أن يكفوا على الاطلاق عن تمثيله كما يهدى اليه بعض الديانات المتشددة الى الغاية .

بعد أبيات اكسينوفان يمكن الاستظهار بشهادة أرسطو فى مؤلفاته الاخرى غير هذا الكتاب الذى نترجمه مثل ما فى الخطابة : (ك ٢ ب ٢٣)

---

(١) ر . التحقيق الخاص لفكتور كوزان فى الجزء الاول من القطع الفلسفية .

حيث ينقل انه على رأى اكسينوفان أن « من الالحاد الاعتقاد بولادة الآلهة وبموتهم لانه على كل واحد من الوجهين تقع برهة لا يكون للآلهة وجود» .
وفى موضع آخر بعد هذا بقليل يروى أرسطو جواب اكسينوفان على أهل ايليا الذين كانوا يسألونه : أيجب عليهم أن يقربوا قربانا الى «لوقوتوا» ويجأروا بالنواح عليها ؟ فقال لهم : « اذا صح فى نظركم انها آلهة فـــلا ينبغى أن تبكوها . فان لم تكن الا هالكة فلا ينبغى أن تقرب لها القرابين».
يسند بلوطرخس أيضا الى اكسينوفان فكرة مماثلة لهذه فيها أن المخاطبين هم المصريون عوضا عن أهل ايليا ، وأوزيريس عوضا عن عذراء لوقوتوا ص ٤٦٣ وأما طريوس ص ٩٣٣ طبعة فرمين ديدو « ايزيد وأوزيريد » .

من هذه الافكار السامية الحقة فى حق الله تفهم علة حنق اكسينوفان على الشعراء الذين كانوا يحطون من الجلالة القدسية والذين هم كهوميروس وهيزيود لا يحجمون عن أن يسندوا الى الآلهة كل ما يحط من الشرف فى نظر الناس كالسرقة والزنا والكذب والغـــدر (سكستوس امبيريكوس بيرون هيبوتيب . ك اب ٣٣ ص ٩٩ (Adversus Mathem. Physicos) طبعة ١٨٤٢ ك ٩ ص ٦١٢ . (Grammatiços) ك ١ ص ١١٢) .

وفى موضع آخر تكلم أرسطو أيضا على آراء اكسينوفان هذه . وفى كتابه « الشعر » ذكر أن الفيلسوف كان يطعن فى المعانى التى يتصورها العامة فى حق الآلهة (ر . الشعر ب ٢٥ف ١١ ص ١٤٢ من ترجمتى) .

وأخيرا ذكر أرسطو اكسينوفان أيضا فيما بعد الطبيعة (ك ١ب ٤ص ١٤٦ ترجمة كوزان سنة ١٨٣٨) .

وفى هذا الموضع الاخير لم يحفل أرسطو بنظريات اكسينوفان على الوحدة التى خلطها بالله فلم ير فى هــذه النظريات ما ينبغى من الضبط من حيث ان هذه الوحدة ليست عقلية كوحدة برمنيد ولا مادية كوحدة ميليسوس . بل يزيد على ذلك أيضا أن أفكار اكسينوفان فى هذه النقطة أفكار جافية كأفكار ميليسوس الذى لا يفرق بينه وبينه .

ها نحن أولاء قـــد أتينا على كل ما وجـــد فى أرسطو تقريبا على اكسينوفان . ولكن تلك الفقرة المذكورة فى « ما بعـــد الطبيعة » عظيمة الاهمية من حيث انها ترينا رأى أرسطو فى أن مذاهب ميليسوس ليست بعيدة عن مذاهب اكسينوفان . وذلك يدلنا على حكمة الجمع بينهما فى كتاب واحد اذا كان أرسطو هو مؤلف هـــذا الكتاب وأن لم يكن فكيف تسنى لمؤلف آخر أن يجمع بينهما دون أن يقرب بينهما قسرا . غير أنه كان يلزم مراعاة للترتيب الزمانى أن يتكلم على ميليسوس بعد اكسينوفان. ولكن ربما كان هذا مجرد خطأ مادى فى الوضع سببه اهمال نساخ . ولما

أنه ليس بين الجزأين الخاصين باكسينوفان وميليسوس ارتباط ضروري، فليس في التشويش مستنكر ولا مستعصى عن الفهم ·

أما ميليسوس الذى نضعه في الصف الثاني ســـواء فى الاهمية والترتيب الزمانى فانه رجل يسترعى الاهتمام وان كان أقـــل رفعة من سابقه · قد ولد في ساموس كفيثاغورث وتبوأ فيها مركزا عظيما ودافع عن وطنه بمهارة وشجاعة عند ما حاصره الآتينيون قبل حرب بيلوبونيز بخمس عشرة سنة · ولقد نجح ميليسوس فى كسر الحصار واتخذ لقومه منه مخرجا قادهم به حتى أتلف أعمال الحصار ووصل الى أسطول الاعداء وخر به كله تقريبا · كل ذلك في غيبة بيريكليس الذى كان قـــد غادر الحصار لملاقاة السفن الفينيقية الآتية لنصرة مدينة ســـاموس · فأمكن المدينة أن تحصل على ما نقصها بالحصار من التموين وذلك بفضل النصر الذى أحرزه ميليسوس · ولكن الدائرة قد دارت على أهل ساموس حـين رجـــع بيريكليس من غيبته فانهزم ميليسوس فى حرب برية واضطرت المدينة الى التسليم على شروط أقسى ما تكون · لم يذكر طوسيديد الذى روى هذه الوقائع (ك ١ب ١١٦) ميليسوس ، غير أن بلوطرخس ذكره فى ترجمة بيريكليس (ب ٢٦ ف ٣ ص ١٩٩ من طبعة فـيرمين ديدو) على صورة لا تحتمل الشك ، لانه يقول بالصراحة : ان ميليسوس بن ايتاجين كان فيلسوفا · وزاد على ذلك بلوطرخس نقلا عن أرسطو من غير أن يبين موضع النقل : أن ميليسوس كان قد هزم قبل ذلك بيريكليس فى واقعة بحرية أخرى · وذلك انما يعطى من مقـــدرة ميليسوس الحربية فكرة أسمى ·

ومهما يكن من الامر فان من المحقق أن ميليســـوس كان به تحت ثياب الفيلسوف وطنى وسياسى وقائد بحرى ورجل حرب · وذلك من الندرة فى تاريخ الفلسفة بحيث يجب علينـــا التنبيه اليه كما فعـــل بلوطرخس (باب ٣٢ ص ١٣٧٧ طبعة فيرمين ديدو فى (Adversus Coloten ولما أن ساموس قد سامها الآتينيون صنوف القســـوة فمن المظنون أن ميليسوس ذلك الوطنى الغيور والذى كان له حظ عظيم فى مقاومةالفاتحين لم يشأ أن يبقى تحت الحكم الآتيني وأنه هاجر فى هذا الظرف العسير· وكان ذلك فى الاولمبية الرابعة والثمانين أى السنة ٤٤١ قبل الميـــلاد · وهذا التاريخ مضبوط ومتفق تماما مع شهادة أبللودور التى نقلهـا الينا ديوجين اللايرثى (ك ٩ب ٤ص ٢٣٣ طبعة فيرمين ديدو) ·

كذلك لا يرى لماذا لم يمكن أن يكون ميليسوس تلميذا لبرمينيد كما يقوله أيضا ديوجين اللايرثى · فان التواريخ لا تقفه دون ذلك · ولما أن ميليسوس هو من أتباع مدرسة ايليا فيمكن بسهولة أن يكون تلقى مذاهبه

من خليفة اكسينوفان • ولقد قرن أرسطو مرات عديدة ذكر برمينيد بذكر ميليســـــوس فى كتاب الطبيعة (ك ١ب ٢ف ١ و ٥ ص ٤٣٣ و ٤٣٦ من ترجمتى) ليفندهما جميعا فى نظرية وحـدة الموجود ولا تحركه • كذلك فعل أفلاطون فى كتابه «تييتت» (ترجمة كوزان ص ١٤٤) • وان هذا على التأكيد لا يكفى لاثبات أنه كان بين الفيلسوفين عـلاقة أستاذ وتلميذ ، غير أن هذه التقاريب لا تنفى هذا الظن الكثير الاحتمال فى شىء (ر• أيضا الطبيعة ك ١ب ٣ف ٩ و ب ٤ ف ١) • وفى ما بعد الطبيعة فى الفقرة التى استشهدنا بها آنفا اسم ميليسوس مقترن باســم برمينيد • وكذلك فى كتاب السماء (ك ٣ب ١ف ٢ص ٢٢٣ من ترجمتى) • ومن ذلك أستنتج أن دعوى ديوجين اللايرثى مهما كانت فريدة لا ترفض بهذا الازدراء الذى لاقت من بعض مؤرخي الفلسفة • فان ميليسوس لـمـــا هاجر الى ايليا فى اغريقا الكبرى يمكن جيدا أنه قد سمع دروس برمينيد الذى استمر يلقى دروس اكسينوفان •

وعلى جملة من القول لا يعرف شىء عن حياته ، ولكن من العدل أن يفترض أن نهايتها كانت مطابقة لبدايتها •

كان كتاب ميليسوس موسوما « فى الوجود » بل ربما كان موسوما « فى الطبيعة » عنوان شائع جد الشيوع عند أكثر فلاسفة تلك الازمن القديمة واذ الطبيعة فى مجموعها هى موضوع درسهم حتى يتهيأ لهــــم تحليل مفصل ما كان ليؤسس الا على مشاهدات أكثر عددا • نحن نعرف مؤلف ميليسوس هذا بالمختصر الموجود فى هذا الكتاب الـــــذى نترجمه وبالشواهد التى نقلها سمبليسيوس فى شرحه على الطبيعة لارسطو اما لانه كان بين يديه النسخة الاصلية لكتاب ميليسوس واما ، وهو الارجح ، لانه لم يكن لديه الا ملخصات تيوفراسط الـــذى يستشهد به • لا اريد أن أختصر أنا أيضا تلك المختصرات المختلفة ولكنى أقنع بأن أحيل على قطـع ميليسوس التى سوف نذكرها بعد أخذا عن اسبلدنج وملاخ • وفيهـــا يرى مذهب الفيلسوف السموسى ، على ما وصل الينا بالاقل • وزيادة على ذلك يرى لماذا كان كتابنا الصغير أمينا على المؤلف الذى يعرفه للناس فى حين أنه ينقض مذهبه ! •

بعد اكسينوفان وميليسوس لا أقول شيئا عن زينون ما دام كتابنا لا يتكلم عنه وان ذكره الوارد فى عناوين بعض المخطوطات يجب أن يعتبر كسهو • فيبقى غرغياس الذى يجب أن يكون كلامنا عليه موجزا جدا لانه معروف أكثر ولانه لا يكاد يكون الا سفسطائيا (١) •

---

(١) ر • التحقيق الخاص (H.E. Hoss, Halis Saxonum, in 8°, 1828)

ولد غرغياس فى ليونتيوم بصقلية نحو الواحدة والسبعين أولمبية وبلغ من الكبر مبلغا عظيما حتى لقد بلغ على ما يظهر الثامنة والتسعين أولمبيه أعنى أنه لم يمت الا فى سن الثامنة أو التاسعة بعد المائة كما يقول كل كتاب الزمن القديم بالاجماع • ولا يعرف عن حياته العملية تفاصيل طويلة • أما عائلته فالظاهر أنها كانت ، فيما يظهر ، عائلة ممتازة وكان أخوه « هيروديكوس » ، الذى لا ينبغى أن يلتبس بهيروديكوس السلمبرى، طبيبا حاذقا (ر• غرغياس لافلاطون ص ١٨٥ و ٢٠٩ ترجمة كوزان) • وهذا يدل فيما يظهر على أنه كان فى سعة من العيش وعلى جانب عظيم من الثقافة العقلية • وأما غرغياس فانه اجتهد على الاخص فى الخطابة وكانت فنا مخترعا حديثا وقتئذ حصل منه على اسم كبير فى صقلية وأفاد من تعليمه اياه فوائد أكبر • ولا شك فى أن قدرته الخطابية هى التى أكسبته ثقة مواطنيه اذ استنجدوا آتينا ضد سيراقوزة والمدائن الاخرى الدورية • فبعثوا غرغياس يطلب مساعدة الجمهورية ويظهر أن التاريخ المضبوط لسفارته هذه هو السنة الثانية للاولمبياد الثامنة والثمانين أى سنة ٤٢٧ قبل الميلاد • ويظهر أن سقراط الذى رآه بلا شك لم يكن ليستهين بفصاحته التى كثر اللغط بشأنها فى آتينا وصارت مصدر ثروة لهذا المعلم الحسن البيان (ر• هبياس لافلاطون ص ١٠٠ ترجمة كوزان) • ولقد ظن أن أرسطوفان فى روايته المضحكة عن الطيور كان يريد أن يستهزىء بغرغياس لانه كان يرى أسلوبه منتفخا وغير طبيعى •

منذ هذه السفارة المشهورة التى ربما أتبعها غرغياس بالعودة ثانية الى آتينا بل بالاقامة فيها لم يعرف لحياته العملية أثر آخر • وكل مايعلم عنه أنه فى آخر حياته أقام فى تساليا حيث استمع اليه «ايزوقراط» وأنه عاش زمنا طويلا فى لارسا أثرى مدن تلك الجهة بسبب نفوذ عائلة الالويين • ولئن رجعنا الى كلمة طيبة رواها أرسطو (السياسة ك ٣ ب ٩ ص ١٢٧ من ترجمتى طبعة ثانية) لوجدنا أن غرغياس لم يكن عظيم الاحترام لوطنية اللارسيين ولا يعلم أن هذا السفسطائى الشهير قد مات بين ظهرانى هؤلاء • ومع أنه صار من الثروة على جانب عظيم ومن الزهو بحيث إنه وضع لنفسه تمثالا من الذهب فى معبد دلفوس فانه كما يقال كان على بقية من قناعة تضرب بها الامثال • ويقال : ان تقشفه المتناهى هو الذى أطال عمره الى ذلك الحد • ويزعم لوسيان خبثا منه بلا شك أن غرغياس لما مل الحياة ترك نفسه يموت جوعا (Macrobioi ب ٢٣ص ٦٤٣ طبعة فيرمين ديدو) •

ولم يكن مشرفا مركز غرغياس فى المحاورة التى وضعها أفلاطون وسماها باسمه • ففيها يبين له سقراط أن فن الخطابة الذى يزعمه ليس

فنا كما يزعم وضيق عليه فى المناقشة حتى بهت بأن جعله يقـــــع فى التناقض المبين وألجأه الى تبرير الظـلم والقسوة • وساء دفاع غرغياس عن دعواه الخاسرة غير أنه كان يسبغ عليه من القصـــــد وحسن الذوق ما لم يكن لبولوس وعلى الاخص قاليقليس اللذين يسوقان المعـــانى التى لا يجيدان فهمها سوقا الى النهاية • وينصبان نفسيهما أشياعا عميا للقوة على الحق وللشر على الخير وللضلال على الهدى • ولقـــد يتعرف من دهاء غرغياس خلقه العام الذى يسند اليه بل ربما كان الى هـذا الدهاء أيضا ينسب تأثير مركزه السياسى أيضا فانه لم يكن فى بلده ويجب عليه أن يدارى الآتينيين الذين كان ينتظر منهم نصرة وطنه ، يداريهم حتى فى المناقشات النظرية البحتة •

وأما كتاب غرغياس فكان عنوانه « فى اللاموجود أو فى الطبيعة » ولا يعلم ماذا كان يحوى على العموم ولكنه يرى على قدر الكفاية من كتيبنا هذا ماذا كانت فكرته العامة • فى الواقع انما هى لا أدرية مطلقة • وفى هذه النقطة لا محل للتردد فى الحكم فان سكستوس أمبيريكوس الـــذى يظهر أنه كان بين يديه نسخة غرغياس نفسها قد نقل الينا كمـــا بيناه آنفا تحليلا مطابقا تمام المطابقة لما سنجده هنا (ك ٧ص ٢٨٥ ــ ٢٩٠ طبعة ١٨٤٢ Adversus Mathematicos, Logicos) • وانه ليضع غرغياس فى صف الفلاسفة الذين يأبون على الانسان أية ملكة للحكم على حقيقة الاشياء وينكرون امكان الاهتداء لذلك • وما ذلك الا مذهب فقير يحوى فى نفسه كما فى كل لا أدرية مطلقة تناقضا ليس منه محيص • ولما تزعزع الايمان بالمنطق تزعزع بالاخلاق على السواء فلا عجب أن يكون سقراط قـد أقام حربا عوانا على السفسطائيين الذين يفسدون العقول والاخلاق •

يظهر أن كتاب غرغياس الذى فى عنوانه وحده ازدراء بالذوق العام قد ألف أو ظهر فى الاولمبية الرابعة والتسعين أعنى سنة ٤٠٣ قبل الميلاد وكان ذلك فى آخر حرب بيلوبونيز وكان الظرف سيئا للتنازع فى حقيقة الاشياء اذ كانت اغريقا كلها تعانى من الشرور ما لا شـــبهة فيه • ومتى يمكن أن تكون اللا أدرية فى وقت مناسب ؟ لقد كان ذلك لاربع سنين قبل الحكم على سقراط اذ نشأت ضلالة أخرى كان يمـكن للأدرى أن يسخر منها كما يسخر من هزيمة آتينا فى نزاعها مع هذا الحكيم جزاء له على ما كاله لها من صنوف التهكم • ومـــع ذلك فان غرغياس فى شيخوخته الطويلة قد عاش بعد سقراط وهجر أيضا آتينا الى بلاد أقـل منها قرى فيها لم تكن لا ادريته لتعزيه بعض الشىء عن نفيه •

ولكى تقدر فكرة غرغياس تقديرا تاما قـــد أثبت قطعة سكستوس أمبريكوس • فمن السهل مقارنتها بكتيبنا هذا الذى لها به ارتباط بين •

يجب أن يرى بناء على كل ما تقدم أن كتابنا الصغير مهما كان فيه من النقص والعيوب والغموض حتى بعد البحوث التى تناولته لا يزال على جانب من الاهمية • وحين كان النص مملوءا بالاغلاط كان يمـكن اهماله واعتباره غير معقول تقريبا فأما منذ مللاخ فقد أصبح هذا الازدراء لا محل له وأنا من جهتي دون أن أكون مرتاحا تماما لا أجد أن هذا الكتاب أكثر غموضا من كثير من الكتب الاخرى فى مؤلفات أرسطو • مع الاصلاحات التى تناولته والتى هى مقبولة جـد القبول لان أكثرها قام الدليل على صحته من المخطوطات التى درست خير دراسة ، مع هذه الاصلاحات يقف القارىء جيدا على ما أراده المؤلف وان أسلوبه لمن البيان على قدر المطلوب• فان لم تكن هذه الرسالة التى ليست بعـد كل شيء الا مجموع مذكرات ان لم تكن من قلم أرسطو فانها ليست غير خليقة بأن تنسب اليه كما قـد ظن ذلك زمانا طويلا • وعلى الاخص فليست قليلة الفائدة من حيث تاريخ الفلسفة • وبهذا العنوان وعلى هذا الاعتبار يستوصى بهـا كل أصدقاء الفلسفة القديمة •

أما فيما يتعلق بموضوع المذاهب وبمركز مدرسة ايليا فقـد قلت بعض كلمات فى مقدمتى على هذا المجلد • وتصديت لان أبين فى هـذا البحث أن الفلسفة الاغريقية جدتنا المحترمة كانت نشأت باجتماع ظروف سعيدة قبل الميلاد بستة قرون فى المستعمرات التى أسست على شطوط آسيا الصغرى • وقد أعلنت هذا الحادث كواحد من أعظم تواريخ العقل البشرى • وعينت الحوادث السياسية الكبرى التى فى وسطها نتجت هذه النتيجة • واستخلصت من هذه اللوحة مهما كان موضعها من قلة الكمال نتائج قد تكون أوسع من اطارها • ألا انما فى تلك البيئة يجب أن نحل فلاسفتنا لنفهمهم جد الفهم ولنقدر حق قدرها تلك القيمة السامية لهؤلاء الاساتذة معلمى الحكمة القديمة والذين مهدوا لنا فلسفتنا الحالية والذين لا يزالون يشجعوننا حتى على هذا البعد الشاسع •

فى

ميليسوس وفى إكسينوفان وفى غرغياس

مذاهب ميليسوس

الباب الأول

الوجود هو ازلى غير متناه واحد ولا متحرك ـ أركان الوحدة ونتائجها ـ الاختلاط ظاهر الاشياء هو ضد الوحدة ـ الحذر الذى ينبغى اخذه من شهادة الحواس ـ ردود على نظرية الوحدة وعلى اللا ادارية ـ الآراء المضادة لهـــذا المذهب ـ شواهد من هيزيود وبعض فلاسفة آخرين .

---

§ ١ ـ هو يقـــرر أنه ان يكن من شيء فذلك الشيء يجب أن يكون أزليا ما دام أنه ـ على رأيه ـ من المحال أبدا أن يتولد شيء من لا شيء . وسواء أكان فى الواقع أن الكل قد خلق أم أن الكل لم يكن يخلق فيلزم على ذلك فى الفرضين أن الاشـــياء التى خلقت تكون أخرجت من لا شيء ما دام أنه ما من واحد من جميع الاشياء التى تكونت على هذا النحو كان يوجد من قبل .

ب ١ ـ مذاهب ميليسوس ـ زدت هذا العنوان الذى ليس فى الاصل الاغريقى . ر . ما سبق فى التحقيق الذى أجريناه على هذا العنوان وعلى نسبة المذاهب التى يشملها البابان الأولان الى ميليسوس .

§ ١ ـ هو يقرر ـحفظت عبارة النص على ابهامها . وقد كان يحسن أن يسمى الفيلسوف بالتصريح . ومع العنوان الذى سمحت لنفسى بوضعه لهذا الباب ينهب الشك فى الشخص المقصود . ولكنى لم أسمح لنفسى بأن أدخل هذه الزيادة على النص نفسه فى أول جملة وفى بدء هذه الرسالة . وأما فى غضون الابواب فقد زدت اسم ميليسوس مرات عدة كما فعلت بالنسبة لاكسينوفان وغرغياس ، وفيما يتعلق بالاسناد الى ميليسوس ر. ما سيأتى ب٤ق١ . ـ ان يكن من شيء ـ ر. ما سوف يلى من قطع ميليسوس القطعة الاولى . ـ على رأيه زدت هذه العبارة لاؤدى قوة النص الاغريقى . ـ أم أن الكل لم يكن يخلق ـ وانه لم يكن الا عدد ما من الاشياء كان قد خلق ـ . فى الفرضين النص ليس على هذا القدر من الصراحة .

§ ٢ – وأنه اذا قيل ان من الاشياء ما كان موجودا من قبل ومنهـــا ما جاء بعد ذلك لينضم اليه نتج من ذلك أن الكل الذى هو واحد قد زاد بالعدد وبالكم • وهذا نفسه الذى به يصير أكثر عـــددا وأكبر يجب أن يأتى أولا من لا شيء لان الاكثر لا يمكن أن يكون فى الاقل ولا الأكبر فى الاصغر •

§ ٣ – ومتى كان الكل أزليا يجب أن يكون بهذا عينه لا متناهيا لانه لا يكون هناك مبدأ يأتى منه كمـا انه لا يكون له آخر متى بلغه انتهى • وكل لا متناه يجب ضرورة أن يكون واحدا لانه اذا وجد عدة لا متناهيات بل لا متناهيان اثنان حدد بعضها بعضا على التكافؤ •

§ ٤ – ولما كان واحدا وجب أن يكون متشابها فى جميع أجزائه لانه اذا كان غير متشابه فبهذا وحده لا يكون بعد واحدا • ولما لم يكن واحدا كان كثرة • ولما كان الواحد أزليا لا قابلا لان يقاس متشابها فى جميـــع أجزائه وجب أن يكون غـــير متحرك لانه لا يمكن أن يتحرك الا فى شيء ينطلق أمامه ولكن الانطلاق لا يمكن أن يكون الا للذهاب فى الملء أو فى الخلو • فمن جهة الملء لا يمكن بعد أن يقبل شيئا ومن جهة أخرى الخلو نفسه ليس شيئا •

٥ – لما كان الواحد هو ماقلنا آنفا ينتج من ذلك انه لايمكن ان يلحقه تعب ولا ألم ويجب أن يكون سليما وبغير مرض • كما أنه لا يمكن أن يغير وضعه ليتخذ أحسن منه ولا أن يتحول ليأخذ نوعـــا آخر ولا أن يختلط بشيء آخر • وفى كل هذه الاوضاع الواحد يصير كثرة واذا يكون اللاموجود هو المتولد • والموجود يكون هو الذى قد فسد بالضرورة •

– التى تكونت على هذا النحو – والتى هى بالنتيجة ليست أزلية •

§ ٢ – أن الكل الذى هو واحد – عبارة النص هى بالبساطة « الواحد » بالعدد وبالكم – عبارة النص : « يصير متعددا وأعظم » •

§ ٣ – كان الكل أزليا – ر• ما سوف يجيء فى قطع ميليسوس القطعتين ٢و٣ • بهذا عينه لا متناهيا – يكاد يكون ذلك تكرارا لان الازلى ليس الا اللامتناهى فى المدة • – حدد بعضها بعضا على التكافؤ – تلك هى العبارات عينها التى ينقلها سمبليسيوس ر • ما سوف يجيء من قطع ميليسيوس القطعتين ٣و١٠

§ ٤ – وجب أن يكون متشابها فى جميع أجزائه – راجع قطع ميليسوس القطعة ٤ • – وجب أن يكون غير متحرك – راجع القطعة ٤ • – فى شيء ينطلق أمامه راجع القطعة ٥ من قطع ميليسيوس – الخلو نفسه ليس شيئا – راجع القطعة الآنفة الذكر •

§ ٥ – لا يمكن أن يلحقه تعب ولا ألم – يمكن أو تحمل هذه العبارة على المادى أو على المعنوى على السواء ر • القطعة ٤ من قطع ميليسوس • – سليما وبغير مرض – ربما كانت هذه المعانى أضيق مما ينبغى وفيها يعتبر الواحد كما لو كان جسدا انسانيا ر • القطعة ١١ • – هو المتولد – هذه هى عبارة النص الاغريقى بالضبط •

٦ ـ وكل هذا محال مطلقا • وفى الحق اذا كان الواحد مقولا على الخليط لانه تألف من عدة اشياء فيلزم حينئذ انه يكون مسبوقا بوجود عدة أشياء وأن هذه الاشياء تكون قد تحركت بعضها نحو الاخرى • وليس الاختلاط فى الواقع الا تركب عدة أشياء فى شىء واحد أو انما هو كجمع بين الاشياء المختلطة عن طريق التصنيف • وعلى هذا النحو قد تختلط الاشياء لانها تنفصل بعضها عن الاخرى • ولما أن هذا الجمع يحصل فى سحق الاشياء فقد يجب أن يوجد جليا كل واحد منها برفع الاشياء الاولى التى اختلطت باقترابها بعضها من بعض • وليس توجد واحدة من هاتين الحالتين •

٧ ـ وهكذا على هذه الطريقة تكون الاشياء ، على رأى ميليسبوس ، متكثرة ولا تظهر لنا البتة بوحدة ، وبالنتيجة لما أنه ليس ممكنا أن يكون الحال هكذا على هذا الوجه وأنه لا يمكن أن تكون الاشياء متكثرة فيلزم القول بأن هذا ليس الا ظاهرا خداعا كما أنه مع ذلك يوجد كثير من الاشياء تخدع حواسنا وتغرها ولكن العقل يؤكد لنا ان تلك الاشياءليست موجودة ، بل هو يؤكد لنا أن الموجود لا يمكن أن يكون كثرة وأنه واحد أزلى لا متناهمتشابه فى جميع أجزائه • ـه

٨ ـ وحينئذ هل تكون عنايتنا الاولى بعدم قبول كل ظاهر وألا نثق منه الا بما هو الاحق ؟ ولكن اذا كان كل مايظهر لنا أنه حق ليس صحيحا ولا يستحق على ذلك تصديقنا فقد نحسن صنعا بعدم قبـــول

---

§ ٦ ـ اذا كان الواحد مقولا على الخليط ـ ر • على نظرية الاختلاط ما سبق فى كتاب الكون والفساد ك ١ ب ١٠ • ـ التصنيف ـ يظهر أن الكلمة التى يستخدمها النص هنا كانت خاصة بلهجة الابدرياتيين • ر • تفسير سبليسبوس على كتـــاب السماء الورقة ١٥١ • ـ لانها تنفصل ـ أو يمكن أن تنفصل • ومن المحتمل أن يكون لفظ فصل ها هنا مأخوذا على معنى تمييز ـ فى ســـحق الاشياء ـهـذه هى عبارة النصوان لم تكن مضبوطة تماما •

§ ـ ٧ على رأى ميليسوس ـ زدت هذه العبارة لاحصل النص فى كل قوته • ـ ليس الا ظاهرا خداعا ـ تلك هى لا أدرية مدرسة ايليا التى بايتائها العقل أكثر ممــا ينبغى لم تبق للحواس ما يتناسب معها ر • فيما سوف يجىء شيئا من هـــذه المعانى فى القطعة ١٧ من قطع ميليسوس • ـ العقل يؤكد لنا ـ اذا طبق هذا فى حق الله فالنظرية لا جدال فيها فوحدانيته بديهية فى حكم العقل كلا نهايته وكامل قدرته • ولكن ذلك لا يمنع تكثر الـكائنات بأشخاصها ويلزم العقل التسليم به من غير أن يستطيـــع مع ذلك أن يفسره •

§ ٨ ـ هل تكون عنايتنا ـ صيغة الاثبات هنـــا أولى فيما يظهر ولـكنى اضطررت الى اتباع النص • وهذا الامر هو أتم ما تركه لنا الاقدمون على نمط مدرســة ايليا ومنطقها ـ كل ظاهر ـ أو كل ما يظهر لعقلنا لان المراد هنا ليس هو الظاهر الحسى =

هذه القاعدة أيضا : أنه لاشيء البتة يمكن أن يأتى من لاشيء لانه ربما كان هذا أيضا واحدا من تلك الآراء القليلة الصدق والكثيرة العدد التى نحن جميعا قد تصورناها بواسطة ادراكات قليلة الصدق أو كثيرته ٠

٩ ـ ولكن اذا كانت كل ادراكاتنا ليست فاسدة واذا كان بعض آحادها صحيحا فيلزم أن يختار اما الرأى الذى قام الدليل على صحته واما الآراء التى تظهر أنها أحق ٠ لان هذه الاخيرة تكون دائما أمتن من الاراء التى يجب ان يدلل عليها من بعد بمساعدة تلك المبادىء الاولى ٠

١٠ ـ فلنسلم ، اذا شئت ، بأن هذين الرأيين مضادان أحدهما للآخر كما يفترض ميليسوس : بادىء بدء أنه عند تأييد الكثرة يضطر الى استخراجها من اللاموجود ٠ ثم لما كان هذا محالا وجب ان يستنتج من ذلك أن الموجودات ليست متكثرة والموجود بما هو موجود فقط هو لا متناه وبما هو لا متناه هو واحد ٠

١١ ـ نزعم ان هذين الرأيين لا يثبتان لاحدهما ولا الآخر ان الموجود هو واحد و أأنه كثرة ٠ ولكن اذا كان أحد الاثنين أحق وأمتن

= ليس صحيحا ولا يستحق على ذلك تصديقنا ـ ليس النص على هذا القدر من السعة ٠ ـ بعدم قبول هذه القاعدة أيضا ـ الامر على الضد من ذلك فان مدرسة ايليا قد قبلت هذه القاعدة كل القبول واتخذتها أساسا لنظرياتها على الازلية ووحدة الموجود ٠ ـ قليلة الصدق ـ ليس النص على هذا القدر من التعيين ، ولكنه على التحقيق يشمل هذا المعنى٠

§ ٩ ـ كل ادراكاتنا ليست فاسدة ـ فى هذا التحفظ شرف عظيم للمدرسة ايليا ويجب اعتباره والاعتداد به ٠ فان السفسطائيين وعلى الخصوص فروطاغوراس قد ذهبوا بعيدا فى المعنى المضاد بأن قرروا أن الانسان هو معيار الكل وقد جرهم هذا الافراط الى لا أدرية غرغياس المطلقة ٠ ر ٠ فيما يلى الباب الخامس والسادس من هذا الكتاب وتحليل مذهب غرغياس الذى قام به سكستوس أمبيريكوس ٠ ـ اما الرأى الذى قام الدليل على صحته ـ مبدأ جميل قد كرره فيما بعد افلاطون وديكارت بصورة أخرى ليست أشد جزما ٠ ـ التى تظهر أنها أحق ـ والتى هى غير قابلة للايضاح وصالحة ، من ثم ، لايضاح سائر البقية ٠ هذا هو المذهب العظيم لارسطوطاليس فى الانالوطيقا الثانية ٠ وهذاهو الاساس الذى اليه يستند كل برهان سواء أكان هذا الاساس مكشوفا أو مخبأ ٠ ر ٠ ترجمتنا لانالوطيقا الثانية ، منطق أرسطو ج ٣ ك ١ ب ٢ ص ٩ ٠ ـ بمساعدة تلك المبادىء الاولى ـ التى هى فى ذاتها غير قابلة للبرهان لانها بديهية ٠

§ ١٠ ـ كما يفترض ميليسوس ـ عبارة النص هى فقط « كما يفترضه » ر ٠ ما سبق ف ١ والتحقيق ٠ وهذه الجملة كلها قلقة فى ترجمتنا كما هى كذلك فى النص الاغريقى ٠ ـ يضطر الى استخراجها من اللاموجود ـ ر ٠ ما سبق آنفا ف ١ ٠

§ ١١ ـ نزعم ـ قد لا تكون عبارة النص على هذه الصراحة ٠ ـ فتكون النتائج التى تستنتج ـ او النتائج التى تستخرجمنها ٠ على أن من البين أن المبدأ الذى يسار =

فتكون النتائج التى تستنتج منه هى أيضا أجلى وضوحا • فان كان لنا هذان الاعتقادان معا أن لاشىء يمكن أن يأتى من لاشىء وأن الموجودات هى متكثرة ومتحركة قلما أن هذا الاخير يظهر لنا حقيقا بالثقة فهو أولى من الآخر بتصديق الناس • وبالنتيجة اذا كانا هذان الرأيان همـا متضادين فى الواقع واذا كان من المحال ان شيئا يأتى من لاشىء وان الموجودات متعددة فان هاتين النظريتين تتبطاطلان وتتفاسدان على التكافؤ

١٢ ـ لكن لماذا اذا يكون رأى ميليسوس أحق ! انه يمكن أيضا تأييد الرأى المضاد مادام أن ميليسوس قد وضح استدلاله من غير أن يكون قد دلّل على أن الرأى الذى يصدر عنه هو الحق أو على الاقل أنه أمتن من الرأى الذى يقصد الى أن يبرهن على فساده • وهذا من جانبه ليس الا فرضا محضا أن يرى أن مجىء الاشياء من لاشىء أشبه بالحق من أن تكون متعددة •

١٣ ـ ولقد أصاب من قال على ضد ذلك هاهنا ان أشياء لم تكن قد كانت وان كثيرا من الاشياء اخرج من العدم • وليس هؤلاء الذين افتكروا هذه الافكار من أناس كيفما اتفق • بل هم مشهورون بأنهم أعقل الناس • مثال ذلك قال هيزيود :

« كان العماء موجودا قبل كل الاشياء

منه بما أنه هو ذاته أمتن فالبرهان الذى ينتج منه هو أمتن أيضا • ـ هذان الاعتقادان ـ العبارة الاغريقية تدل مباشرة على « فرضين وهميين » • ـ لا شىء يمكن أن يأتى من لا شىء ـ هذا حق متى طبق على موجودات الطبيعة ولكنه ليس حقا بهذا المقدار متى طبق فى حق الله • وحينما يكون الامر متعلقا بالله فيلزم أن يوصل الى خلق حقيقى • ـ الموجودات هى متكثرة ومتحركة ـ كما تشهد لنا به حواسنا شهادة غير مجرحة • ـ هاتين النظريتين تتباطلان ـ وحينئذ يمكن أن شيئا ما يأتي من العدم وان الموجودات هى متحركة •

§ ١٢ ـ رأى ميليسوس ـ عبارة النص غير معينة ولا تسمى ميليسوس ر • ماسبق ف ١ • ـ ما دام أن ميلسوس ـ التنبيه السابق • ـ الذى يقصد الى ان يبرهن على فساده ـ عبارة النص ببساطة « التي عليه يبرهن » • ـ ليس الا فرضا محضا • ـ الحد الذى يستعمله النص ها هنا هو بعينه من جهة الاشتقاق الذى فى الفقرة السابقة • ـ أشبه بالحق ـ أو بعبارة أخرى أن الخلق من العدم أكثر احتمالا من وحدانية الموجود • فانه يمكن أن يفهم على وجه أحسن أن الاشياء اتى بها من لا شىء من أن يفهم أنها متعددة • والسبب فى ذلك أن التعدد بديهى فيما يظهر فى حين أن الخلقة تختفى فى ظلمات الماضى والبداية •

§ ١٣ قد كانت ـ هذه الجملة فى المخطوطات واردة على صيغة النفى لا على صيغة الاثبات كما ينبه اليه م • مللاخ • وقد اقترح اسبلدنج محوها • وانى أرى كما يرى م • مللاخ أنها ضرورية لتتابع المعانى ـ • من أناس كيفما اتفق ـ من العوام هيزيود راجع

« ثم ظهرت الارض ذات الصدر الفسيح

« وهى الاساس الازلى لكل ما تحمل

« .. ..

« ثم بعد ذلك العشق الذى هو أقدر الآلهة » ·

فعلى رأى هيزيود سائر الاشياء تولد من هذا ولكن المبادىء الاول لم تتولد من شيء ·

١٤ ــ ومن الفلاسفة من يقولون بأن لاشيء يكون وأن الكل يصير وهم يؤكدون كذلك أن كل الاشياء التى تصير تولد من أشياء غير موجودة · وبالنتيجة يمكن أن يقال ان عند بعض الفلاسفة الصيرورة يمكن أن تنتج حتي من اللاموجود ·

= التيوجونى :لبيت ١١٦ وما بعده ص ٣ من طبعة فيرمين ديدو · وان هذه الابيات التى لم يستشهد بها ها هنا بالنص موجودة فى الطبيعة لارسطو · ك ١ ب ٢ ف٧ ص ١٤٢ من ترجمتنا وفى ما بعد الطبيعة ك ١ ب ٣ ص ١٣٨ من ترجمة كوزان ·

ـ لم تتولد من شيء ــ أولى بهذا أن يكون نتيجة مستخرجة من أفكار هيزيود لا فكرة من أفكاره الخاصة ·

§ ١٤ ــ ومن الفلاسفة ــ كان من الحسن أن يسمى هؤلاء :لفلاسفة الآخرين ·ــ بان لا شيء يكون أو يوجد ·ــ وإن الكل يصير ــ قد يكون هذا هو رأى هير قليطس اذ يظن أن كل الاشياء هى فى مد أبدى ــ تولد من أشـــياء غير موجودة ــ :لنتيجـــة بينة بذاتها فيما يظهر وان ما يصير لم يكن قبل ان يصير · الصيرورة يمكن أن تخرج حتى من :للاموجود ــ أو أن الاشياء التى تتولد تخرج من أشياء ليست موجودة ·

الباب الثانى

تتمة تفنيد ميليسوس – ردود على مبدا انه ليس شيء ياتى من لا شيء – تولد الاشياء وكونها بعضها من بعض على التكافؤ – نظريات امبيدقل وانكساغوراس وديمقريطس وبرمينيد وزينون – شواهد من شعر امبيدقل وهزيود – الوجود ليس ضرورة واحدا ازليا ولا متناهيا •

١ – نحن لا نشتغل ببحث ما اذا كان مايقوله ممكنا أو ممتنعا • لكن هنا نقطة يجب علينا أن نعيرها بعض الالتفات وهى ما اذا كانت مثل تلك النتائج تنتج بلا تخلف من فروضه أو اذا كانت الاشياء يمكن أن تكون ضد ما يعتقد لانه يمكن فى الحق أن يكون الواقع مخالفا تمام المخالفة •

٢ – فهو يقرر بادىء بدء ان ليس شيء يمكن ان يأتى مما هو ليس موجودا • ولكن يرد عليه هذا السؤال : أمن الضرورى اذا أن تكون جميع الاشياء بلا استثناء غير مخلوقة ؟ أو ليس من الممكن أيضا أن تأتى الاشياء بعضها من بعض وأن هذه السلسلة يمكن أن تتمشى الى مالا نهاية ؟ أو ليس من الممكن أيضا أن تتكون رجعى دائرية بحيث ان الواحد يأتى من الآخر وأنه على ذلك يوجد دائما موجود ما وأن كل واحد قد أمكن أن يخرج على هذا النحو من جميع الاخر على التكافؤ فى عدد غير متناه من المرات ؟ على هذا المعنى لا شيء يمنع أن الكل قد خلق وأصبر حتى مع التسليم بذلك الفرض أنه ليس شيء يمكن البتة أن يأتى من لاشيء • وبما أن الموجودات على ذلك غير متناهية فيمكن اذا ، كما يشاؤه ، أن تسمى بجميع الاسماء التى لا تناسب الا الوحدة لانه يطبق هو أيضا على اللامتناهى كيفية انه كل وانه يسمى كلا •

---

§ ١ – ما اذا كان ما يقوله – ميليسوس وقد حفظت النص على ما فيه من عدم التعيين الشخصى • – بعض الالتفات – وربما يمكن أن يقال « التفاتا جديا » • – من فروضه – أو « المبادىء التى يسلم بها »

§ ٢ – فهو يقرر بادىء بدء – ليس النص على هذا القدر من الضبط وعبارته عامة وهى ما دام قد تقرر ••• الخ • – بلا استثناء زدت هذا القيد لاحصل كل قوة العبارة الاغريقية • – غير مخلوقة – ر • ما سبق فى الفقرة الاولى حيث هذا التحفظ بعض الاشياء هى أزلية وغير مخلوقة والبعض الآخر ليس كذلك • – أن تأتى الاشياء بعضها من بعض – هذا ممكن بلا شك ولكن لا بد بادىء بدء من افتراض وجود بعض اشياء تكون أزلية بالنتيجة • وهذا الاعتراض لا يرد مباشرة على نظرية ميليسوس • – رجعى دائرية – هذا هو ما ذكر آنفا بعبارة أخرى • ولكن الكون ليكون على التكافؤ يلزم ضرورة أن يكون مسبوقا بوجود ما قد لا يكون ازليا وباقيا • – يوجد دائما موجود ما – مؤقت ووسيط ولكن التعاقب مع ذلك هو ازلى اذ لم تكن الموجودات أزلية=

٣ — حتى من غير أن يفرض أن عدد الموجودات غير متناه يمكن أن يفهم أن كونها دائرى • فاذا كان كل بصير وان لا شىء يوجد كما يزعم بعضهم فكيف يوجد اذا أشياء أزلية ؟ ولكن ميليسوس يتكلم عن الموجود كأنه كائن وكأنه مسلم به على الاطلاق • فانه يقول : « اذا الموجود لم يصر واذا هو يكون فيلزم أن يكون أزليا » • وهذا انما هو تسليم بأن الوجود يتعلق ضرورة بالاشياء •

٤ — وأكثر من ذلك أنه مع الافتراض ، بقدر ما يراد من الافتراض ، بأن اللاموجود لا يمكن أن يصير وأن الموجود لا يمكن أن ينعدم البتة فما الذى يمنع أيضا أن من الاشياء ماتولد ومنها ما تكون أزلية ؟ تلك انما هى نظرية أمبيدقل نفسه • فانه مع أنه مسلم وفقا لرأى ميليسوس بأن من الممتنع أن أى شىء اتفق يخرج مما لم يكن وأنه لا سبيل مطلقا لأن شيئا وجد مرة يمكن أن ينعدم البتة « مادام أن الموجود يبقى دائما حيث أمكن وضعه » مع كل هذا لايزال هذا الفيلسوف يؤيد أن من الاشياء ماهو أزلى كالنار والماء والارض والهواء وأنه انما من هذه الاشياء أتت وتأتى جميع الاخر • وعلى رأيه ليس للموجودات كون آخر غير هذا • وأن الكون ليس فى الحقيقة الا اختلاطا وتحللا • وهذا مايسمى عاميا كون الاشياء وطبعها•

= ان الكل قد خلق — فى التعاقب لا فى البدء • — انه كل وأنه يسمى كلا — وبعبارة اخرى :للامتنا هى هو كل وهذا هو ما يسمى بالكل •

§ ٣ — كونها — بعضها بواسطة البعض الآخر • — دائرى — وبالنتيجة على التكافؤ، فان الثانى يكون الاول كما أن الاول قد كون الثانى • — كما يزعم بعضهم — هرقليطس وفروطاغوراس مثلا • — ولكن ميليسوس — عبارة النص : — ولكنه » ر •ما سوف يجىء القطعة الاولى وما يليها من قطع ميليسوس • — فانه يقول — هذه الصيغة تدل على أن القول المروى هو من كلام ميليسوس •

§ ٤ — بان اللاموجود لا يمكن أن يصير — يعنى أن ما لم يكن لا يمكن أن يكون أبدا • — وان الموجود لا يمكن أن ينعدم — وأنه أزلى • — من الاشياء — التى هى موجودة أو التى وجدت فيما سبق • — نظرية أمبيدقل — لم يذكر أبيات أمبيدقل بنصها ولكن المعنى قد حصل بالضبط • ر • قطع أمبيدقل البيتين ١٠٢ و١٠٣ طبعة فيرمين ديدو ص ٣ • — وفقا لرأى ميليسوس — ليس الاسم فى النص الاغريقى ولكنه يستنتج من العبارة نفسها التى استخدمها المؤلف • — ما دام أن الموجود يبقى دائما — هذا الشاهد بيت من أبيات أمبيدقل روى بمعناه بالضبط دون لفظه • ر• البيت ١٠٤ فى المرجع السابق • — كالنار والماء ••• الخ — الاربعة العناصر التى يسلم بها أمبيدقل أيضا • — الا اختلاطا وتحللا — تلك هى عبارة أمبيدقل بالنص • ر •• قطع أمبيدقل البيتين ١٠٠ و١٠١ فى المرجع السابق • وان ارسطو يذكر أيضا هذا البيت فى كتاب الكون والفساد ك ٢ ب ٦ ف ٦ • — عاميا — عبارة النص عند الناس • — قطع أمبيدقل البيت ١٠١

٥ ـ ومع ذلك فان أمبيدقل يزعم أن الصيرورة لا تنطبق على الاشياء الازلية وأن ماهو موجود لا يصير · فتلك في نظره محالات واضحة اذ يقول: « كيف يمكن فى الحق أن يقال : ان شيئا يزيد الكل ؟ ومن أين يأتى ذلك الشيء ؟ » « انما هو من اختلاط النار وتركبها ومن جميع العناصر التى تصحبها أن خرج تكثر » « الاشياء · وبانفصال هذه العناصر وتباعد بعضها عن بعض تنعدم الاشياء من جديد · والتكثر يأتى من الاختلاط والتفرق ولو أنه بالطبع لا يوجد الا أربعة عناصر بصرف النظر عن العلل بل عنصر واحد أحد » ·

٦ ـ حتى مع افتراض أن العناصر لامتناهية منذ الاصل لتكون الاشياء بتركبها وتفسدها بافتراقها كما يدعي أحيانا أنه كذلك كان يفكر أنكساغورس الذى كان يعتبر هذه العناصر الازلية غير المتناهية كمصدر لجميع الاشياء التى تتكون · وقد لا ينتج من هذا أيضا أن الكل هو أزلى بلا استثناء · بل يوجد دائما بعض أشـــياء قد تاتى وتكون أتت من موجودات متقدمة وتفنى فى جواهر أخرى ·

٧ ـ بل يمكن أيضا ألا يكون الا صورة واحدة للكل كما كان يؤكده أنكسيمندروس وأنكسيمين اذ يؤيدان أحدهما أن الكل هو من الماء والآخر وهو أنكسيمين أن الكل انما هو من الهواء ·

٨ ـ وانما هذه هى أيضا نظرية جميع من يفهمون على هذا النحو

---

§ ٥ ـ ومع ذلك فان أمبيدقل ـ النص لا يسمى ها هنا أمبيدقل · ولكن كل مايلى يثبت تماما أن القول انما هو بصدده · ـ الصيرورة ـ أو التولد · ـ كيف يمكن فى الحق ـ ليست هذه تعابير أمبيدقل بالضبط ولكن المعنى هو معناه · ر · قطعه البيتين ٩٤ و٩٥ فى المرجع السابق ذكره · ور · أيضا الطبيعة لارسطو ك ٨ ب ١ ص ٤٥٥ من ترجمتنا · ـ بصرف النظر عن العلل ـ عبارة النص : دون العلل ، ومن المحتمل أن أمبيدقل يعنى ها هنا بالعلل العشق والتنافر اللذين يجمعان أو يحللان الاشياء بأن يكونا ويفسدا دوريا السفيروس · ر · الطبيعة لارسطو ك ٣ ب ٤ ف ١٣ ص ٩٤ من ترجمتنا ·

§ ٦ ـ بتركبها ··· بافتراقها ـ على حسب نظريات أمبيدقل · ـ انكساغوراس ـ ر · الطبيعة لارسطو ك ٣ ب ٤ ف ٨ ص ٩٠ من ترجمتنا · ـ بلا استثناء ـ أضفت هذه الكلمات · ـ فى جواهر أخرى ـ هذا التعبير يكاد لا يكون ارسطو طاليا · وليس من عادته أن يستعمل لفظ الجوهر فى مثل هذا المعنى ·

§ ٧ ـ ألا يكون الا صورة واحدة ـ هذه الجملة هى الترجمة المضبوطة للنص الاغريقى ولكن ما يلى يثبت أن المعنى بلفظ « الصورة » هو « العنصر » وان آراء انكسيمندروس وانكسيمين هى معروفة حق المعرفة فان أحدهما يريد أن يستخرج كل العالم من الماء كما كان يزعم طاليس والآخر يريد أن يستخرج العالم من الهواء ·

§ ٨ ـ كوحدة ـ أو كواحد · ولقد حفظت أسلوب النص وربما كان أجل من ذلك أن يتكلم على اتحاد المادة وحينئذ يرجع الى مذهب الذوت كما سنبين فيمابعد بمناسبة =

« الكل » كوحدة . وذلك انما هو تبعا لان « الواحد » يتغير بالصور أو بعدد أكبر أو أصغر وتبعا لانه رقيق قليلا او كثيرا أو لانه سميك أن الاشياء مهما كانت متعددة ولا متناهية تتوالد . وحينئذ « الواحد » مع بقائه هو هو يكون بقية الاشياء ويشكلها .

٩ ـ أما ديمقريطس فانه من ناحيته يقول على السواء ان الماء والهواء وكل واحد من الاشياء المختلفة هكذا هي متحدة وانه لا فرق بينها الا فى المجرى والتماس والاتجاه . وما المانع أيضا ، فى هذا الفرض ، من أن الاشياء المتكثرة تتولد وتنعدم مادام « الواحد » يتغير أبدا من الموجود الى الموجود بالفروق التى ذكرت من غير ان « الكل » فى مجموعه يصير بذلك أبدا لا أصغر ولا أكبر ؟

١٠ ـ وفوق هذا ماذا يمنع أن أجساما متعددة كما يشاء تتولد من أجسام أخر وتتحلل الى أجسام أخر أيضا بحيث تكون دائما على كمية متساوية فى تحللها وبحيث انها تنعدم من جديد .

١١ ـ لكن حتى مع التسليم بهذا والتسليم بأنه يوجد شيء غيرمخلوق فماذا يزيد هذا فى اثبات أن الموجود هو لامتناه ؟ على رأى ميليسوس الموجود لا متناه اذا هو يوجد وألا يكون قد ولد البتة . لان الحدود على رأيه هى هنا بداية الكون ونهايته . غير أن الموجود مع أنه غير مخلوق ألا يمكن أن يكون له حدود أخرى غير المذكورة آنفا ؟ فاذا كان اللامتناهى

ديمقريطس . ـ تبعا لان الواحد يتغير بالصور ـ الجملة طويلة بعض الشيء ولكنها كذلك أيضا فى النص الاغريقى فوجب علينا الاحتفاظ بأسلوبها . ـ يكون ... ويشكلها ـ ليس فى النص الا فعل واحد .

§ ٩ ـ ديمقريطس ـ هو فى طريقته أيضا نصير للوحدة لان ذراته هى على الاطلاق متماثلة ولا تختلف الا بالعدد وبالصورة وبالتماس وبالحركة . ـ الاشياء المختلفة هكذا ـ كان الاحسن أن يقول يظهر لنا أنها مختلفة بهذا القدر لانها فى الواقع هى بعينها على حسب ديمقريطس . ـ فى المجرى والتماس والاتجاه ـ هذه الكلمات الثلاثة مستعارة من ديمقريطس والظاهر أنه واضعها أو على الاقل هو الذى فى المجموعة نقلها من معناها العادى . على أنى لا أجد هذا المر من هذا الكتاب موجودا فى قطع ديمقريطس الاغريقية لفيرمين ديدو . فان المجرى والتماس والاتجاه متعلقة بالذرات اذ تتركب فى الخلو بعضها مع بعض . من الموجود الى الموجود ـ دون أن شيئا ما يمكن أن يتولد من العدم وذلك بان الذرات متصورة أزلية ر . كتاب السماء ك ٣ ب ٤ ف ٥ ص ٢٥٠ من ترجمتنا .

§ ١٠ ـ وفوق هذا ـ هذا يظهر أنه تبع للافكار المنسوبة ها هنا الى ديمقريطس وهذه الفقرة لا تكاد تكون الا تكريرا لما سبق . ـ على كمية متساوية ـ الكمية والعدد الكلى للذرات لا ينقصان ، وفقط المركبات التى تركبها تلك الاجزاء التى لا تتجزأ هى التى تحتوى منها على عدد أكبر أو أصغر .

§ ١١ ـ أن الموجود هو لا متناه ـ ليس النص على هذا القدر من الضبط واللفظ الذى استعمله هو غير محدد . ـ على رأى ميليسوس ـ هذا يتعلق بميليسوس لا =

قد خلق فلابد من أن يكون له على رأى ميليسوس هذه البداية التى منها يخرج ليكون •

١٢ ـ فماذا يمنع اذا ـ حتى بدون أن يكون قد كون ـ أن يكون له بالاقل بداية ؟ لا البداية التى منها اتى ـ اذآ شئت ـ بل بداية اخرى• وأن الاشياء مع كونها أزلية يتحدد بعضها ببعض على طريق التكافؤ

١٣ بل مـــاذا يمنع أن « الكل » الذى يكون غير مخلوق أن يكون لامتناهيا وأن جميع الاشياء التى هى فيه تكون متناهية باعتبار أن لها بالبساطة بداية ونهاية فى كونها •

١٤ ـ ألا يمكن أيضا كما يبغى برمينيد أن « الكل » مع أنه واحد وغير مخلوق يكون متناهيا .« بأن يكون من جميع الجهات مشابها لكتلة كرة مضبوطة الشكل وأن يكون متساوى الأبعاد من المركز من غير حاجة أصلا الى أن يكون فى الجزء الفلانى أو الفلانى أكبر أو أجمد مما هو ؟ » •

١٥ ـ ولما أن له وسطا وأطرافا فله حد مهما كان غير مخلوق مادام أن « الكل » مع أنه واحد كما يعترف به ميليسوس نفسه فانه ، من حيث كونه جسما ، كل أجزائه بلا استثناء مشابهة بعضها لبعض • ومن هذه

= بديمقريطس ولكن النص قد وضع الفعل مطابقا لضمير الغائب من غير أن يعين بالاسم الفيلسوف الذى يقصد تعيينه • ـ اذا هو يوجد ـ ر • ما سبق ف ١ • ـ والا يكون قد ولد البتة ـ ان لا نهاية الموجود ـ تنتج ، على رأى ميليسوس ، من أزليته •

بداية الكون ـ أو بعبارة أخرى « بداية تغير الموجود » • لان الموجود بما هو أزلى يمكن أن يصير غير ما هو [illegible] ولكنه لا [illegible] على الحقيقة • ـ حدود أخرى غير المذكورة آنفا ـ يعنى ابتداء التغاير التى يمكن أن يعانيها ونهايتها • ـ عـــلى رأى ميليسوس ـ أضفت هذه الكلمات التى تستنتج من سياق الكلام ومن التعبير الذى يستعمله المؤلف ر • فيما سوف يلى القطعة ٢ من قطع ميليسوس •

§ ١٢ ـ حتى بدون أن يكون قد كون ـ أعنى مع بقائه أزليا • ـ بل بداية اخرى ـ هذا لا ينطبق الا على التغير الذى يصير الموجود غير ما هو ويحيله من غير أن ينزع شيئا من أزليته • ـ يتحدد بعضها ببعض ـ بأن تتوالد على طريقة التكافؤ •

§ ١٣ ـ متناهية ـ بالكم دون أن تكونه بالعدد وأن يكون بعضها بعضا بتسلسل مؤبد • ـ بالبساطة ـ زدت هذه الكلمة التى تفهم من القرينة فيما يظهر لى •

§ ١٤ ـ كما يبغى برمينيد ـ يظهر على حسب هذه الفقرة أن رسالتنا الصـــغيرة هذه مع انطباقها على ميليسوس واكسينوفان على وجه الخصوص قد تكون انتقادا عاما لمدرسة ايليا • ر • قطع برمينيد البيت ١٠٢ وما بعده فى القطع الفلسفية الاغريقيـــة لفيرمين ديدو ص ١٢٤ •

§ ١٥ • ميليسوس نفسه ـ ليس فى النص الاسم الظاهر بل هو استخدم ضمير الغائب كما هو الحال فى كل موطن • ـ هو يقرر ـ أى ميليسوس ولكن هذا يمكن على =

الجهة انما هو يقرر التشابه المطلق « للكل » ولا يقول كما يقول فلاسفة آخرون ان « الكل » مشابه لشيء آخر غير ذاته • تلك هي النظرية التي يبطلها أنكساغوراس بقوله : اذا كان اللا متناهي مشابها من جهة أن يكون مشابها لمغاير له فمن ثم هما اثنان بل أكثر • وحينئذ لا يوجد بعد لا « واحد » ولا لامتناه •

١٦ — ولكن قد يمكن أن ميليسوس يعني هو أيضا أن اللا متناهي مشابه اضافيا لذاته أو يقول بعبارة أخرى ان « الكل » هو متشابه لان أجزاءه متشابهة بما أن هذا « الكل » هو مع ذلك من الماء أو من الارض أو من شيء آخر •

١٧ — من البين أن ميليسوس مع تسليمه هكذا بالوحدة يرى أن كل جزء من الاجزاء هو نفسه جسم لا يمكن ان يكون لا متناهيا • لان « الكل » هو وحده لامتناه • وبالنتيجة أن هذه الأجزاء التي ليست مخلوقة أيضا يصلح بعضها حدودا لبعض على التكافؤ •

١٨ — ولكن اذا كان « الكل » أزليا ولا متناهيا فكيف يمكن أن يكون « واحدا » مع كونه جسما ؟ ثم اذا كان مركبا من أجزاء متغايرة فاذا يعترف ميليسوس نفسه بأن « الكل » هو كثير ومتعدد • ومع التسليم بأنه من

= سواء أيضا أن ينطبق على مذهب برمينيد كما يرى في الابيات التي ذكرت آنفا • — التي يبطلها أنكساغوراس — قد يمكن انيفهم منه أيضا كما فهم م • مللاخ « التي يؤيدها أنكساغوراس » • وعلى ذلك يكون أنكساغوراس من رأي ميليسوس وبرمينيد ، عوضا عن أنه يبطل رأي الفلاسفة الذين يقررون أن الكل هو مشابه لآخر غيره وهذا في الواقع شيء واحد • ر • قطع أنكساغوراس لشاوباخ ص ١٠١ • ولكن نظرية أنكساغوراس يظهر أنها ترجع فقط الى العقل لا الى العالم • فان العقل الاعلى لا يمكن في الحق أن يتغير فانه دائما مشابه لذاته ولا يمكن أن يكون شبيها لاي ما كان •

§ ١٦ — ميليسوس — التنبيه السابق • أي أن ميليسوس ليس مسمى هاهنا أيضا — اضافيا لذاته — النص أقل ضبطا : « هل يعني التشبيه نسبيا اليه » •

§ ١٧ — ميليسوس — كررت ها هنا أيضا اسم ميليسوس كما فعلت فيما سبق ولو لم يكن مذكورا في النص • — كل جزء من الاجزاء هو نفسه جسم ر • ماسوف يلي من قطع ميليسوس القطعة ١٦ •

— هو وحده لا متناه — زدت كلمة « وحده » لبيان الفكرة • — يصلح بعضها حدودا لبعض على التكافؤ ر • ما سبق ف ١٢ •

§ ١٨ — مع كونه جسما — أي أنه بالنتيجة ذو أجزاء مختلفة • — ميليسوس نفسه — اسم ميليسوس ليس مذكورا في النص الذي ليس فيه دائما الا ضمير غائب• — كما أن زينون يحاول أيضا أن يثبت — أن ذكر زينون هنا يسمح لنا أن نقدر ورسالتنا الصغيرة هذه كان ينبغي أن تعرض أيضا لمذهبه على حدة • ر • التحقيق الذي سبق •

الماء أو من الارض أو من أى عنصر آخر فحينئذ يكون للموجود عدة أجزاء كما أن زينون يحاول أيضا أن يثبت أن « الكل » يجب أن يكون له أجزاء كثيرة اذا كان هو واحدا على الوجه الذى يدعون ·

١٩ ــ ومتى كانت أجزاؤه متعددة لزم أن يكون بعضها أصغر وبعضها اكبر اعنى مختلفة جد الاختلاف حتى بدون أن يأتى التخالف منزيادةجسم ما أو فقد جسم ما · ولكن اذا كان « الكل » ليس له جسم ولا طولولا عرض فكيف يكون لامتناهيا ؟ وما المـــانع اذا أن يكون بمجموعه كثرة وواحدا بالعدد ؟ بل ما المانع أن الاشياء مع كونها هكذا متكثرة وأكثر من واحد أن تكون على عظم غير متناه ؟

٢٠ ــ قد يزعم اكسينوفان أن عمق الارض وعمق الهواء غير متناه · ولكن أمبيدقل يبطل هذه النظرية اذ يبين فى انتقاده المحكم أنه اذا كانت الاشياء كما يزعمون فمن المحال مطلقا ان تكون البتة ·

« ان أسس الكرة والاثير غير الملموس التى كثر مايكلموننا عنهـــا ليست الا كلمات فارغات يكررها لسان الحمقى بلا داع » ·

٢١ ــ لكن العالم يمكن أن يكون واحدا من غير أن يكون هناك سخف فى افتراض أنه ليس متشابها فى جميع أجزائه · وفى الحق اذا كان العالم كله ماء أو كله نارا أو أى عنصر آخر من هذا القبيل فيمكن جيدا أن يقال بوجود عدة أشياء ولو أن الموجود يبقى واحدا وأنه يلزم دائما

---

§ ١٩ ــ بعضها أصغر ــ حتى من غير اختلاف الامتدادات يكفى أن توجد عدة أجزاء لتكون متميزة ولو كانت مع ذلك متساوية تمام التساوى · ــ من زيادة جسم ما ــ لا يمكن أن تكون زيادة ولا نقص لأى ما ما دام أن المقصود هو « الكل » · ــ متكـــثرة وأكثر من واحد ــ ليس فى النص الا كلمة واحدة · ــ على عظم غير متناه ــ عبـــارة النص بالضبط « غير متناهية فى العظم »

§ ٢٠ ــ قد يزعم أكسينوفان ــ رأى أكسينوفان هنا مذكور فى كتاب الســماء ك ٢ ب ١٣ ف ٧ ص ١٩٤ من ترجمتنا · فى تلك الفقرة أيضا يذكر أرسطو انتقـــاد أمبيدقل ويستشهد بالبيت عينه الذى استشهد به هنا ·

§ ٢١ ــ أنه ليس متشابها فى جميع أجزائه ــ ان تخالف الاجزاء لا يمنع الوحدة بل قد يكون شرطها · ــ بوجود عدة أشياء ــ أو بعبارة أخرى أن الموجودات متكثرة بما هى موجودات خاصة ، وان هذا غير مانع وحدة المجموع · ــ لانه لا يمكن ــ يقدر مللاخ ان هذه هى نظرية ميليسوس التى يبطلها المؤلف ولا شيىء فى النص يعزز أو يرفض هذا التقدير · ــ خلو فى باطن المتخلخل ــ اضطررت لاستخدام هذه الصيغة لتحصيل كل قوة النص الاغريقى · ــ باق هو ما هو ــ ليس النص على هذا القدر من الضبط · ــ لما أن « الكل » ملء ــ يمكن أن تقدر هنا هذه العبارة « على رأى ميليسوس » على حسب تقدير مللاخ · ر · القطعة ٥ من قطع ميليسوس ·

أن يكون كل واحد من هذه العناصر مشابها لذاته . لانه لا يمكن أن يكون الجزء الفلانى متخلخلا والاخر كثيفا الا ان يوجد خلو فى باطن المتخلخل . ولكن لاشىء يمنع انه بالنسبة لبعض الاجزاء يوجد فى المتخلخل خـــلو منفصل تماما بحيث ان جزءا بعينه من « الكل » يكون كثيفا وآخر بعينه يكون متخلخلا مع ان الكل مع ذلك باق هو ماهو . ولكن لما ان « الكل» ملء فالمتخلخل حينئذ لا يكون أقل امتلاء من الكثيف .

٢٢ ــ واذا كان « الكل » غير مخلوق فكيف يمكن ان يستنتج من هذا وحده أنه لامتناه وأنه لا يمكن أن يوجد أيضا واحد بعينه أو آخـــر يكون متناهيا مثله ؟ ولماذا يستلزم كونه غير مخلوق التسليم فوق ذلك بأنه واحد وأنه لامتناه بهذا السبب وحده ؟ وكيف حينئذ يكون اللامتناهى هو ذلك « الكل » الذى يتوهمونه ؟ .

٢٣ ــ يقول ميليسوس ان الموجود لامتحرك اذا كان ليس ثم من خلو . لان الاشياء لا تتحرك البتة الا بأن تتغير بالاين . غير انه بادىء بدء كثير من الناس من لا يوافقون على هذه النقطه ومع تسليمهم بوجود الخلو فانهم لا يقبلون أن يكون جسما . يمكن أن يعنى بالاشياء هنا نحو مايعنيه بها هيزيود حين يقول فى الخلقة « انما هو العماء الذى ظهر بادىء الامر » مفترضا بذلك أنه كان يلزم قبل كل شىء أن يوجد محل للموجودات هذا هو مايعنى بالخلو الذى يعتبر كنوع آنية تكون خالية من وسطها .

٢٤ ــ على انه حتى مع عدم وجود خلو فان العالم يمكن ان يتحرك أيضا على السواء . وان أنكساغوراس الذى اشتغل أيضا بهذه المسألة

---

§ ٢٢ ــ من هذا وحده ــ يظهر لى أن الرد واضح للغاية وما دام العالم واحـــدا فيظهر أن من الضرورى أن يكون لا متناهيا . لانه من المحال عـــلى عقلنا أن يفترض له حدودا .

ــ ولماذا يستلزم ــ هذا ليس فى معظمه الا تكريرا لما سبق . ــ يتوهمونه ــ صيغة النص صيغة جمع يمكن أن تعود على ميليسوس واكسينوفان وبرمينيد وزيتون .

§ ٢٣ ــ يقول ميليسوس ــ . وهنا أيضا ليس ميليسوس مذكورا بالاسم . ــ بأن تتغير بالاين ــ تلك هى حركة النقلة . ولكن حركة الاستحالة يمكن أن تحصل من غير تغـــير فى الاين . هيزيود ــ ر . ما ســـبق . ب ١ ف ١٣ فى الخلقة ــ وأحسن من هذا « فى كون الاشياء » . ــ العماء الذى ظهر فى بادىء الامر ــ العماء لا يشتبه بالخلو . انه ، اذا شئت ، عدم النظام ولكن الاشياء . موجودة ما دام تدخل العقل ضروريا لتنظيمها . ــ هذا هو ما يعنى بالخلو ــ هذا متنازع فيه جدا فان العماء لم يكن ليفهم قط على هذا المعنى .

§ ٢٤ ــ فان العالم يمكن ان يتحرك أيضا على السواء ــ أو « أن ذلك لا يمنع حصول الحركة » . ــ انكساغوراس الذى اشتغل أيضا بهذه المسألة ــ وفى رواية بعض المخطوطات =

لم يقنع باثبات أنه لا يوجد خلو بل أثبت فوق ذلك أن الموجودات تتحرك على سواء من غير ان يكون الخلو ضروريا ٠

٢٥ ــ وفي هذا المعنى عينه قال أمبيدقل ان الاشياء متى تم تركيبها تحركت طوال الزمان من غير أن يوجد ، على رأيه ، مالا يفيد فى « الكل » ولا أن يوجد خلو كذلك ٠ وفى الحق من أين يمكن أن يحدث الخلو ؟ يقول أمبيدقل لان الاشياء متى تركبت فى صورة واحدة بطريقة أنهـــا تؤلف الوحدة :

« فلا شيء يكون خلوا ولا شيء زائد »

أليس يمكن فى الواقع أن الاشياء تتحرك بعضها فى بعض وأن الكل يكون دائريا مادام أن الشيء يتغير الى آخر وهذا الآخر الى ثالث ٠ ومادام أن شيئا بعينه يتغير دائما آخر الامر الى الاول ؟ ٠

٢٦ ــ وفوق ذلك لا ينبغي نسيان تغير الصورة هذا الذى يغير الشيء ولو أنه يبقى فى الحيز عينه ، تغير يسميه فلاسفة آخرون وميليسوس نفسه الاستحاله واذا لا شيء مما قال يدفع ان هذا النوع من الحركة يوجد فى الاشياء حينما تمر من الابيض الى الاسود أو من المر الى الحلو لانه ليكن الخلو غير موجود وليكن الملء لا يمكن أن يقبل شيئا فذلك لايمنع الاستحالة أن تكون ممكنة ٠

= « الذى اشتغل بهذه المسالة من قبله » ٠ ــ أنه لا يوجد خلو ــ ر ٠ الطبيعة لارسطو ك ٤ ب ٨ ف ٣ ص ١٩٤ من ترجمتنا حيث لا يظهر على أرسطو أنه قدر تقديرا حسنا نظريات انكساغوراس على الخلو كما فعل هنا ٠

§ ٢٥ ــ متى تم تركيبها ــ بواسطة العشق على حسب أمبيدقل وتم افتراقها بعد ذلك بالتنافر ٠ ر ٠ الطبيعة لارسطو ك ٨ ب ١ ف ٤ ص ٤٥٥ من ترجمتنا ٠ ــ طوال الزمان ــ ليس معنى ذلك أبديا ولكن المقصود هنا هو فى مسافة من الزمان فيها السفيروس ينبسط أو ينقبض فى ذاته (ر ٠ تعليقات كتاب الكون والفساد ك ١ ب ١ ف ١٠)٠ ــ يقول أمبيدقل ــ ر ٠ قطع أمبيدقل البيتين ٩٤ و ١٦٦ من القطع الفلسفية الاغريقية طبعة فيرمين ديدو ٠ ــ فى صولة واحدة ــ هذه عبارة النص بعينها ٠ ــ فلا شيء يكون خلوا البيت ليس مذكورا بتمامه فى النص ٠ ــ وأن الكل يكون دائريا ــ يظهر جليا أن هذا هو رأى أمبيدقل فان العشق والتنافر بفعلهما على التناوب يؤلفان تماما شكل دائرة ٠

§ ٢٦ ــ وميليسوس نفسه ــ وليس اسم ميليسوس مذكورا فى هذه الفقرة أيضا ٠ ر ٠ ما سبق ب ١ ف ١ ٠ الاســـتحالة ــ ر ٠ فى الطبيعـــة ما يختص بحركة الاستحالة ك ٣ ب ١ ف ٨ ص ٧١ من ترجمتنا وكذلك الكون والفساد ك ١ ب ٤ ٠ ــ ــ الاستحالة أن تكون ممكنة ــ حركة الاستحالة بما أنها تقع فى الشيء ذاته لا حاجة لها بحيز جديد كحركة النقلة بل ولا كحركة النمو ذاتها ٠

٢٧ ـ وبالتبع فلا ضرورة لان كلا يكون أزليا وأن كلا يكون واحدا أو لان « الكل » يكون لامتناهيا • ولا ضرورة أيضـــــا لان يوجد عدة لامتناهيات ولا وحدة متماثلة فى كل مكان ولا وحدة غير متحركة سواء مع ذلك وجدت الوحدة أو الكثرة •

٢٨ ـ ومتى سلم هذا لا يرى شىء فى نظريات ميليسوس يدفع ان الموجودات تتغير ترتيبا وكيفا مادامت الحركة هى هكذا فى الوحدة التى تختلف حينئذ بالاكثر وبالاقل والتى تستحيل بطرائق شتى بدون ان ينضم اليها شىء او اذا انضم اليها شىء فبدون ان يكون هـــذا الشىء جسما واذا كانت عدة اشياء هى التى تنضم فبدون الا تزيد على ان تمتزج بعضها ببعض وتنفصل على التكافؤ •

٢٩ ـ ولكن الاختلاط ليس فيما يظهر هو الجمع أو التركيب اللذين يتكلم عنهما ميليسوس واللذين بدونهما ربما تنعزل الاشياء فى الحال بل بدونهما لاتظهر الاشياء باستقلالها التام الا بعد ان يباعد بين بعضها وبين البعض الآخر اذ هى تتحاجب ، فى حين أنه يلزم لوجـــود اختلاط حقيقى أن كل أجزاء الشىء المختلط تكون بحيث لا يمكن حل تركيبهـــا

---

§ ٢٧ ـ وبالتبع ـ يظهر أن هذا هو ملخص الاعتراضات السابقة كلها ولكن النتيجة لا يظهر أنها لازمة • ـ كلا يكون أزليا ـ كمـــا يزعم ميليسوس • وهذه الجملة التى هى محرفة فى أكثر المخطوطات هى كما اؤديهـــا الآن فى مخطوطة ليبزج وكذلك فى ترجمة فليسيانو كما نبه اليه ملاخ •

§ ٢٨ ـ فى نظريات ميليسوس ـ بدلا من الاسم الظاهر ليس فى النص الا ضمير غير معين والظاهر أنه يكفى قبول حركة الاستحالة لينهدم دفعة واحدة مذهب ميليسوس فى وحدة الموجود ولا تحركه • ترتيبا وكيفا ـ عبارة النص بالضبط (أن تكون الموجودات مرتبة على وجه آخر ولا تكون مستحيلة » • ـ بالاكثر وبالاقل ـ مثال ذلك أن تكون اكثر أو أقل بياضا ، أكثر أو أقل سوادا لان الكلام هنا هو بصدد استحالة بسيطة وليس مقصودا غيرها حتى ولا النمو • ـ فبدون أن يكون هذا الشىء جسما ـ الواقـــع أن فى الاستحالة ليست هنا اضافة ما من أى نوع كان • فان الاستحالة تقع بحركة للموجود داخلية بحتة • ـ أن تمتزج بعضها ببعض ـ كما يمكن الكيوف أن تختلط وأن تنفصل على التكافؤ فى موجود واحد أحد بعينه •

§ ٢٩ ـ اللذين يتكلم عنهما ميليسوس ـ الملاحظة ها هنا كالملاحظة السابقة فيما يتعلق بذكر اسم ميليسوس الذى لم يذكر اسمه هنا أيضا • والظاهر أن العبارتـين المذكورتين فى هذا الممر هى من خصائص لغة ميليسوس الفلسفية • ـ بدونهما ـ جملة النص فيها من التحير والتردد ما فى الترجمة وهاك شرحا يمكن أن يثير الفكرة : « لايفهم ميليسوس حق الفهم ما هو الاختلاط اذ يسميه جمعا وتركيبا • وهو يظن أنه فى الخليط يمكن عند الارادة عزل الاشياء من جديد فى الحال أو على الاقل عزلها تماما بعد تنقية بها يظهر كل واحد منها على الحالة الخاصة به • وليس الاختلاط هو ذلك أبدا • ولاجل أن يكون حقيقيا يلزم أن تكون الاجزاء فيه مركبة تماما بحيث لا يمكن حل ذلك التركيب =

بعد . لكن بشرط أن كل واحد من الاجزاء المخلوطة يكون على وفاق تام مع مجموع الخليط لانه بما أنه لا يوجد جواهر فردة فينتج من ذلك أن كل جزء هو مختلط مع كل جزء كيفما اتفق مشابه مطلقا للكل .

= وان كل جزء يكون مشابها مطلقا للكل الذى هو منه . لا يوجد جواهر فردة ومن ثم كل جزء من الخليط هو بالضرورة مشابه للكل الذى هو منه جزء كيفما اتفق » . — لوجود اختلاط حقيقى — ر . على نظرية الاختلاط ما سبق فى كتاب الكون والفساد ك ١ ب ١٠ . — بما أنه لا يوجد جواهر فردة — قد أبطل دائما ارسطو مذهب الجزء الذى لا يتجزأ لديمقريطس . ر . الطبيعة المرجع المذكور قبلا .

مذاهب إكسينوفان

الباب الثالث

نظرية اكسينوفان فى حق الله ــ الازلية ــ القدرة ــ أحدية الله ــ يجب ان يتصور كأنه فلك ــ الله منزه عن الحركة والسكون ومنزه عن ان يكون متناهيا ولا لا متناهيا •

١ ــ هو يقول ان يوجد من شيء فمحال ان هذا الشيء كان مخلوقا مطبقا هذا فى حق الله مادام أنه يلزم بالضرورة أن كل ماهو كائن يتكون من الشبيه او من اللاشبيه • وكلا الامرين غير ممكن ، فانه بادىء بدء ليس تولد الشبيه من الشبيه اولى من ان يلد الشبيه نفسه لان هذا يخالف التضايف المتكافىء الذى بين المتساوين والاشباه • وثانيا ليس من الممكن أن غير الشبيه يخرج من غير الشبيه • فاذا كان ، فى الحق ، الاقوى يخرج من الاضعف واذا كان الاكبر يأتى من الاصغر والاحسن من الاقبح او بالعكس الاقبح من الاحسن فيكون حينئذ الموجود يأتى من اللاموجود وهذا محال قطعا •

٢ ــ اذا يلزم أن يستنتج من كل هذا أن الله أزلى • اذا كان الله هو سيد الموجودات فيلزم ، على رأى اكسينوفان ، أن يكون أيضا أحدا لانه

§ ب ٣ مذاهب اكسينوفان ــ لا ريب فى صحة هذا العنوان فان أربعة المخطوطات مخطوطة سان مارك ومخطوطة الفاتيكان ومخطوطة أوربين ومخطوطة باريس تذكره بغاية الوضوح ــ وبعض مخطوطات أخرى فيها هذا العنوان الخطأ : « فى زينون » • وان بحث النظريات مثبت قطعا أن الكلام انما هو بصدد اكسينوفان ر • ما سبق فى «التحقيق» •

§ ١ ــ هــو يقول ليس آكسينوفان مذكورا بالاســم هنـــا كما كان الامر فى ميليسوس ر • ما سبق ب ١ ف ١ • ولم أشأ أن أذكر اسمه فى الجملة الاولى من هذه الرسالة ولكنى سأفعل فيما بعد حتى تكون الفكرة أشد جلاء • ــ أن يوجد من شىء ــ هذا الشك ، فيما يرى « برنديس » مضاد لآراء اكسينوفان (Commentationes Elladicac) ص ٢٧ ف ١ فهو يرى خطأ أن بداية هذا الباب تكرير لبداية الباب الاول على ميليسوس• مطقبا هذا فى حق الله ــ لا على العالم كما يفعل ميليسوس فيما يظهر • ــ تولد ••• يلد ــ هذا التكرير هو فى النص • ــ بين المتساوين ــ بالكم ــ والاشباه • ــ بالكيف • ــ وثانيا ــ أضفت هذه الكلمة لزيادة البيان •

§ ٢ ــ أن الله أزلى ــ أن اسم الازلى هو الاسم الخاص لله فى كثير من الاحوال فان الله هو الوجود بذاته والذى كان موجودا دائما كما انه يوجد دائما • جاء فى التوراة «أنا الموجود » • وان فكرة اكسينوفان هى ها هنا تلك الفكرة بعينها • ــ على رأى اكسينوفان =

أو كان فيه اثنان أو عدة فمن ثم لا يكون اذا سيد جميع الموجودات ولا أكبرها مادام من ثم أن كل واحد من هذه الموجودات المتكثرة قد يكون مطلقا مشابها له تماما • ان ما يحقق الله في الواقع والقدرة الالهية انما هو أن يتسلط على وجه السيادة ولا يكون مسلطا عليه • أن يكون سيد الجميع وأقدرهم • وبالنتيجة مادام أنه ليس الاقدر فانه يفقد بنسبة ذلك شيئا من ألوهيته • وان كانوا عدة وكان بعضهم أعلى أو أدنى من الآخرين من بعض الوجوه فأولئك ليسوا آلهة بعد • لان ماهية الاله ألا يعلو عليه أحد • وان كانوا عدة متساوين فمن ثم ليس هذا بعد طبع الاله الذى هو أن يكون الاحسن لان المساوى ليس بالبداهة أقبح ولا أحسن من مساويه •

٣ ــ ولما كان الله هو حينئذ كما ذكر آنفا لزم ضرورة أن يكون واحدا والا لا يمكن أن ينفذ كل مايشاء ؛ لا يمكنه ذلك مادام فيه آلهة أخر • فيلزم حينئذ أن يكون أحدا

٤ ــ ولانه أحد فهو مشابه لذاته على الاطلاق • يرى من كل جهة ويسمع من كل جهة وعنده جميع الجهات على مقياس واحد • والا لزم أن بعض اجزاء الاله تكون حاكمة ومحكومة على التناوب • وهذا ممتنع بين الامتناع •

٥ ــ ولما كان الله مشابها لذاته مطلقا ومن كل وجه لزم أن يكون فلكيا لانه ليس كذلك فى جزء بعينه دون أن يكونه فى أى جزء آخر لكنه كذلك فى جميع الاجزاء بلا استثناء •

= لم يذكر النص أسم أكسينوفان وليس هنا الا اسم اشارة غير معين • و • ماسبق ف ١ • ــ أكبرها ــ عبارة النص بالضبط « أحسنها » • ويلزم أن يلاحظ أن تدليل أكسينوفان هذا متين متانة وجلى جلاء • وقد تقدم بنحو قرن مذاهب سقراط وأفلاطون ويجب الاعتقاد بأنه رشح لتلك المذاهب • وكثيرا ما اتهم اكسينوفان بالشرك ولكن هــ ذا الشرك لا أثر له ها هنا • لاذا كان الله مدمجا فى العالم فلا محل للقول بأنه المولى والقادر على كل شيء • ــ لان ماهية الاله ــ كما يستطيع عقل الانسان أن يفهمها •

§ ٣ ــ لزم ضرورة أن يكون واحــــدا ــ الادلة اللاحقة ليست أقل فى قوتها من السابقة • فان قدرة الله الكاملة تستتبع وحدانيته • وان الذى حصــــل هنا هو فكرة أكسينوفان دون عبارته • وقد حاول مللاخ أن يقوم الابيات فى هذا الموطن وقد قوم ثلاث منها ولم يذكرها طبعا فى قطع اكسينوفان •

§ ٤ ــ يرى من كل جهة ــ كان يمكن المؤلف أن يذكر بيت اكسينوفان بنصه الذى حفظه لنا أيضا « سكتسوس أمبيريكوس » • Adversus mathenoticos Physicos ك ٩ ف ١١٤ ص ٥٩٦ طبعة ١٨٤٢ ينتقد سكستوس امبيريكوس وصف الاله هذا ويرى أنه لا ينبغى أن يسند اليه الا حاسة واحدة البصر مثلا •

§ ٥ ــ أن يكون فلكيا ــ تلك هى استعارة جاء بها اكسينوفان بعد أن عاب هو نفسه الصور الباطلة التى بها يحاول الضعف الانسانى أن يتمثل بها الله • الله هو الفلك الذى =

٦ ــ ومادام الله أزليا أحداً فلكيا فينتج منه أنه لا يمكن أن يكون لا متناهيا ولا أن يكون متناهياً • فانما اللاموجود هو اللامتناهي ما دام ليس له أول ولا وسط ولا آخر ولا أى جزء آخر • وهذا هو اللامتناهي • ولكن الموجود ليس كاللاموجود والموجودات مادامت متكثرة فانها يحــد بعضها بعضاً على التبادل • فالاحد لا يمكن أن يشبه لا باللاموجود ولا بالموجودات المتكثرة مادام الاحد لا يحده شيء •

٧ ــ الاحد ــ الذى اكسينوفان يسميه الله ــ لما كان كذلك لا يمكن أن يتحرك ولا أن يكون لا متحركا • فان اللاموجود هو فى الحق لامتحرك لانه لاموجود يأتى فيه ولا هو يمكن أن يذهب فى موجود آخر • ولا حركة الا متى كانت الموجودات أكثر من واحد لان من الضرورى للحركة أن واحداً يتحرك فى الآخر • ولا يمكن أن يتحـــرك شيء فى اللاموجود مادام أن اللاموجود لا يوجد مطلقا فى أية جهة • واذا كانت الاشياء تتغير بعضها الى بعض فحينئذ يكون الموجود أكثر من واحد •

= مركزه هو كل مكان والذى محيطه ليس فى أى مكان ر • أفكار باسكال طبعة م •ى• هاڤيت ص ٣ سنة ١٨٥٢ • ــ بلا استثناء ــ قد أضفت هذا القيد • ويذكر مللاخ بحق بفقرة مشابهة لهذه تماما فى كتاب السماء ك ١ ب ١ ف ٥ ص ٥ من ترجمتنا

§ ٦ ــ لا متناهيا ••• متناهيا ــ يظهر على الضد أن معنى اللانهاية يتمشى تماما مع معنى الله فان الازلى معناه غير المتناهى فى الزمان • والقدير معناه غير المتناهى فى القدرة الخ • فانما اللاموجود هو اللا متناهى ــ انما يكون بمجرد سوء الاســتعمال للالفاظ أن يخلط بين اللاموجود واللا متناهى فان اللا موجود ليس الا اللا متعين • وفى اللغة الدارجة المعنيان مندمجان فى كلمة واحدة • ــ ولا أى جزء آخر ــ كل هذا هو من البداهة بمكان ما دام أن اللا موجود غير موجود • ــ يحد بعضها بعضا على التبادل ــ أو « هى متناهية بعضها بالنسبة للبعض الآخر » • ــ فالاحد لا يمكن أن يشبه ــ الا بنفسه • انه الموجود ما دام انه الكل وليس هو فى الكثرة ما دام انه الوحدة عينها •

§ ٧ ــ الذى اكسينوفان يسميه الله ــ ليس اكسينوفان مذكورا هنا كما انه ليس مذكورا فى الفقرة الاولى • وقد يكون هذا الرأى هو سبب اتهام اكسينوفان بالشرك • لكن الله يمكن أن يكون أحدا مع تميزه عن العالم • ــ أن يتحرك ولا أن يكون لا متحركا فى الواقع أن من العسير تصور أن الله لا متحرك كما هو من العسير أن يتصور فى حركة• أما عند أرسطو فانه المحرك غير المتحرك الذى يعطى الحركة للطبيعة بأسرها التى يجذبها اليه وهو باق هو نفسه فى سكون أبدى غير متجزىء ، ليس له أجزاء لا جسمانى الخ ر • ك ٨ من الطبيعة الباب الاخير وما بعد الطبيعة ك ١٢ ب ٥ وراجع أيضـــا قطع اكسينوفان المقطوعة الرابعة التى حفظها « سمبليسيوس » و « تفسير الطبيعة لارسطو » الورقة ٦ Fragmenta a philosopherum grecorum طبعة فيرمين ديدو ص ١٠١ • ــ فان اللا موجود هو فى الحق لا متحرك ــ هذا هو تابع لنظـــريات اكسينوفان كما يدل عليه صوغ الجملة الاغريقية • ــ لانه لا موجود يأتى فيه ــ ما دام ان اللا موجود هو غير موجود • ــ ولا حركة ــ عبارة النص ليست على هذا القدر من الضبط • ــ لان من الضرورى للحركة ــ اضفت هذه الكلمات اذ ظهر لى أنها ضرورية • =

٨ ـ فانظر كيف يزعم اكسينوفان أنه يلزم شيئان على الاقل أو اكثر من واحد لكى توجد الحركة ، وأن اللاشيء هو فى سكون ولا متحرك ، وأن الاحد على ضد ذلك لا يمكن أن يكون فى سكون ولا أن يكون فى حركة لانه لا يشبه اللاموجود ولا الموجودات المتكثرة •

٩ ـ ومن كل هذه الوجوه فهذا ـ على رأى اكسينوفان ـ هو الله أزلى أحد متشابه من كل جهة وفلكي لا لا متناه ولا متناه لا هو فى سكون ولا هو فى حركة •

= فى اللا موجود ـ عبارة النص بالضبط « نحو اللا موجود » • وهو ما يظهر لى قليل الضبط •

§ ٨ فانظر كيف يزعم اكسينوفان ـ عبارة النص غير معينة وليس هنا اسم اشارة ولكن صوغ الجملة بصيغة الحال يستتبع أن العبارة هى تحصيل فكرة اكسينوفان • ـ على الاقل ـ أضفت هاتين الكلمتين ـ اللا شيء ـ هذا هو لفظ النص بعينه • ـ لانه لا يشبه ••• ـ قد يكون الدليل غير قوى فيما يظهر بل يمكن أن يعلو الموجودات الى اللا نهاية من غير أن يشبهها بوجه ما •

§ ٩ ـ على رأى آكسينوفان ـ الملاحظة عينها التى أبديت فى الفقرة السابقة • فان آكسينوفان لم يسم هنا أيضا ولكن لا شك فى أن الامر بصدده •

الباب الرابع

ابطال نظريات اكسينوفان – استشهاد من ميليسوس – كيف يلزم ان يعنى بقدرة الله – الله ليس فلكيا – انه لا متناه – وحدانية الله ليست منافية لكونه متناهية – فى نفى الحركة عن الله فى الحركة التى يمكن ان تصورها فى حق الله استشهاد من زينون .

---

١ – ننبه تنبيها أولا ، وهو أن اكسينوفان كميليسوس يفترض أن كل مايولد ويصير يتولد من الموجود . ومع ذلك فماذا يمنع من أن مايولد لا يولد لا من الشبيه ولا من اللاشبيه بل يولد من اللاموجود ؟ ولكن الله ليس لا مخلوقا أكثر من الباقى اذا كانت كل الاشياء آتية من الشبيه أو من اللاشبيه . ذلك هو مالا يمكن . وبالنتيجة اما أنه لا شيء خارج عن الله واما أن يكون سائر الاشياء هى أيضا أزلية .

٢ – ولكن اكسينوفان يقبل فوق ذلك أن الله هو المولى . يريد بذلك أن يقول انه الاقدر والاحسن . ليس هذا مايعتقده العامة وانهم ليقبلون أن الآلهة فى كثير من الاشياء أعلى بعضها من بعض . على ذلك لم يستعر اكسينوفان هذا الرأى الجرىء من اجماع العامة . ولكن متى قيل ان الله هو القادر على كل شيء فليس معناه أن هذا هو طبع الله بالنسبة لواحد آخر بل هذا هو شأنه الخاص بالنسبة لذاته . أما فى علاقته مع الغير فمن الجائز تماما أن الله لا يقدر عليه بعلوه وقوته التى ليس لها من شبيه بل بضعف الاغيار . وانه لا أخذ يعنى على هذا الوجه قدرة الله بل

---

§ ١ – كميليسوس – ها هنا ميليسوس مذكور بالاسم وهذا دليل آخر على أن الجزء الاول من هذه الرسالة خاص به ر . ما سبق تب ١ ف ١ والتحقيق . – يفترض – عبارة النص هى على هذا المقدار من القوة . يولد ويصير – ليس فى النص الا كلمةواحدة . – ولا من اللا شبيه – هذه الكلمات التى ليست فى المخطوطات قد وضعها ملاخ تبعا لترجمة فيليسيانو . – ولكن الله ليس لا مخلوقا – يظهر أن هذا هو رد من أرسطو على مذهب اكسينوفان . ولكن من الجائز أيضا أن يكون ردا من اكسينوفان موجها للنظريات المضادة لنظرياته . – لا شيء خارج عن الله – هذا الرأى هو من الآراء التى يمكن انها سببت اتهام اكسينوفان بالشرك . « خارج عن الله » هى رواية مخطوطة ليبزج وقد كانت موجودة فى ترجمة فيليسيانو كما نبه اليه ملاخ بحق .

§ ٢ – أكسينوفان يقبل – كذلك ليس هنا أسم أكسينوفان أيضا . ما يعتقده العامة – أو « ما يجب أن يكون معتقدا طبقا للقانون » . أعلى بعضها من بعض – كذلك الاله « مارس » هو أشد الآلهة حربا وأشجعهم و « زهرة » أجمل الآلهات و « ميزفة » أحكمهم و « أبللون » أعلمهم ... الخ . – لم يستعر اكسينوفان – لم يذكر هنا أيضا اسم أكسينوفان ولكن هنا مدح جميل لمذهبه وللحمته . فانه كان ضد الآراء الشائعة فى زمانه . =

يفهم الناس أن الله له بذاته كل مايوجد من الاحسن وأنه منزه عن النقص أيا كان ، وان له كل ما هو طيب وجميل . وبهذه الكمالات كلها فله أيضا كمال القدرة الكاملة .

٣ ـ حقا انه قد يمكن أيضا التسليم بوجود آلهة متعددة موصوفة بالصفات عينها جامعة بين أكبر الكمالات الممكنة مادام أنها أكبر قدرة من سائر الموجودات دون أن يكون بعضها أقوى من البعض الآخر ولكنه يوجد أيضاً على مايظهر موجودات أخرى غيره .

٤ ـ في الحق هو يزعم أن الله هو القدير ، ويلزم ضرورة أن يكون أقدر من بعض الموجودات . ولكن بهذا السبب وهو أن الله هو الاحـــد لا يليق أن يقال انه يبصر من كل ناحية ويسمع من كل ناحية لانه ليس لانه قد لايبصر من الجزء الفلاني أو الفلاني أنه لا يحسن البصر بل فقط أنه لا يبصر من ذلك الجزء بعينه . بل ربما أيضاً حينما يقرر أن الله يحس من كل جهة كان معنى ذلك بالبساطة أنه بهذه الطريقة يكون أيضاً أكمل مادام أنه متشابه في جميع أجزائه .

٥ ـ اذا كان الأمر كما قرر آنفاً فلماذا يعطى صورة فلك ؟ لماذا لا يكون اولى به شكل آخر مادام انه يسمع من كل جهة ويرى من كل جهة؟ لانه كما أننا حين نقول ان الاسبيداج أبيض في كل نواحية لا نريد أن

= ـ بالنسبة لواحد آخر ـ كل هذا التدليل غاية في التعمق ويعطى فكرة سامية عن عقيدة اكسنوفان . ـ التي ليس لها من شبه أضفت هذه الكلمات . ـ فله أيضا كمال القدرة الكاملة ـ ليس النص على هذا القدر من الضبط . فان عبارته فيها ما فيها من الابهام . ولكن المعنى لا ريب فيه .

§ ٣ ـ حقا أنه قد يمكن أيضا التسليم ـ هذه هي بالتقريب كل ملحمة هومروس ولو أن آلهة ذلك الشاعر بينها بعض التبعة فان المشترى هو الاكبر والاقوى بينهم جميعا. ـ موجودات أخرى غيره ـ أو « موجودات أخرى غيرهم » وقد آثرت تلقاء تردد النص أن ارجع الضمير الى الله عوضا عن الآلهة .

§ ٤ ـ هو يزعم ـ حافظت على صيغة النص عوضا عن أن أكرر اسم اكسينوفان . ـ من بعض الموجودات ـ هذا هو اصلاح من عند ملاخ وهـــذا الاصلاح ضروري ، فيما يظهر ، ولو أنه لا تجيزه أية مخطوطات . ولكن فيليسيانو في ترجمته كان لديه رواية من هذا القبيل قيمة يظهر . أن الله هو الاحد ـ كما يدعى اكسينوفان . ـ من الجزء الفلاني او الفلاني ـ ليس النص على هذا القدر من الضبط .
ـــ متشابه في جميع أجزائه ـ لا شك في أن اكسينوفان يريد أن يقول بالبساطة ان الله شاهد في كل مكان .

§ ٥ ـ كما قرر آنفا ـ على حسب نظرية اكسينوفان . ـ صورة فلك ـ هذا في الحق مذهب مضاد لآراء الفيلسوف الذى يعيب الصفات والصور التي يسندها العامي الى

تعني شيئا آخر الا أن يكون البياض منتشرا في جميع أجزائه ، كذلك ما الذي يمنع حينما يقال ان الله يرى ويسمع ويتسلط من كل مكان أن يفهم أن أي جزء من الله كيفما اتفق ، له دائما هذه الصفات ؟ ولا يلزم لذلك بعد أن يكون الله فلكيا كما لا يلزم أن يكونه الاسبيداج •

٦ — وفوق ذلك كيف يمكن أن الله من حيث هو جسم ومن حيث ان له عظما لا يكون متناهيا ولا لامتناهيا مادام اللامتناهي انما يقع على ماليس له حد مع قابليته لان يكون له حد ؟ فان الحد يجب أن يقع على العظم وعلى العدد وعلى كل كمية ... ايا كانت بحيث ان عظما لاحد له هو يسمى لامتناهيا •

٧ — ومتى جعل الله فلكيا فمن الضروري أن يكون له حد لان له نهايات مادام أن له مركزا على أبعد مسافة ممكنة من الحد • واذا لابد له من مركز مادام فلكيا ، اذ أنه يعني بفلكي ماله مركز على مسافة متساوية من النهايات • ولا فرق بين أن يقال ان للجسم حدا وأن له نهايات •

٨ — اذا كان اللاموجود لا متناهيا فلم لا يكون الموجود لامتناهيا كذلك ؟ ما المانع أن يكون للموجود وللاموجود بعض كيوف مشتركة

= الآلهة • ذلك هو أيضا قليل الشبه بالمعقول كمذهب المشبهة المعروف • — يسمع من كل جهة — الفلك هو الوحدة وهذا التصوير لا يتفق ومعنى أن الله لا متناه • — ان الاسبيداج أبيض في كل نواحيه — هذا التشبيه بالاسبيداج ليس منقادا ويظهر عليه نوع من الشطط • — أي جزء من الله كيفما اتفق — هذه النظريات ينبغي أن تظهر أشد ارتقاء عن الزمان الذي كان يقررها فيه اكسينوفان • ولا يمكن الشك في انها نظرياته مع الشهادات التي نقلها لنا الزمن القديم أجمع • — أن يكونه الاسبيداج — راجع ملاحظاتنا على التشبيه بالاسبيداج • ومع ذلك فان الفكرة صحيحة في موضوعها ولو كان في شكلها شيء من الشذوذ •

§ ٦ — وفوق ذلك — رد جديد من المؤلف على نظريات اكسينوفان • — متناهيا ولا لا متناهيا — في الحق من المحال على عقلنا أن يفهم الله الا على جهة اللا متناهي • — ما ليس له حد — هذا حق ولكن ماسيلي ليس كذلك حقا فان ما هو قابل لان يكون له حدود لا يمكن أن يكون أبدا لا متناهيا حتى ولو لم يكن له حدود • وهنا ليس الا اللا محدد واللا معين • — عظما لا حد له هو يسمى لا متناهيا — وربما كان الاولى أن يقال « كما » وحينئذ يكون التعبير أعم •

§ ٧ — ومتى جعل الله فلكيا — ليس النص على هذا القدر من الصراحة • — فمن الضروري أن يكون له حد — هذا يناقض فكرة لا نهاية الله ، والرد شديد القوة • — اذ أنه يعني بفلكي — هذا في الواقع هو تعريف الفلك كما هو تعريف الدائرة على السواء بفارق واحد هو ما بين الجسم وبين السطح • — حدا ... نهايات — هذا التماثل موجود في اللغة الفرنساوية كما هو في اللغة الاغريقية لانه في الذهن دون أن يكون في اللفظ فقط •

§ ٨ — اذا كان اللا موجود لا متناهيا — هذه الرواية هي التي كانت عند فيليسيانو كما تدل عليه ترجمته وهي الوحيدة التي يمكن قبولها بالنظر الى سياق النص وان كانت =

ومتماثلة ؟ فانه لا يمكن فعلا أن يحس اللاموجود · وكيف يحس ماليس موجودا · وكذلك يمكن تماما ألا يحس فعلا ماهو موجود · يمكن قول الاثنين معا وتصورهما معا اللاموجود ليس ابيض ولكـــن هل ينتج من ذلك وجوب القول بأن كل الموجودات بيض حتى لايسند شيء واحد الى الموجود والى اللاموجود ؟ أو لا يمكن أن يوجد بين الموجودات واحد لايكون أبيض ؟ واذا كان الامر هكذا على نقيض القـــاعدة العتيقة أن الموجود لا ينحصر فى أن يكون له أكثر منه فى ألا يكون له فاللامتناهى قد يقبل أيضا سلبا ثانيا · وبالنتيجة فالموجود أيضا يمكن أن يكون لامتناهيا أو أن يكون له حد ·

٩ ــ ولكن ربما يكون من غير المعقول أن تلزق اللانهاية باللاموجود· فانه لا يمكن أن يقال على كل شيء أنه لامتناه لا لشيء الا لانه ليس له حد ، كما أنه لا يقال مثلا على اللاموجود انه غير متساو ·

١٠ ــ ولكن بما أن الله واحد فلماذا لا يكون له حد ؟ لا شك فى

= لا توجد فى المخطوطات · ــ بعض كيوف ــ « أو حالات » عبارة النص غـــير محررة · ــ يحس ما ليس موجودا ــ ظننت واجبا على أن أضيف هـــذه الجملة · فان هذا التكرير ليس فى النص · ــ الاثنين ــ اللذين ينطبقان على السواء على الموجود وعلى اللا موجود · وفى الحق أن مالا يحس ومالا يدرك بوجه ما هو بالنسبة لنا كانه لا موجود ولو كان موجودا انه بالنسبة لنا هو اللا موجود ولو لم يكنه فى الواقع · ــ وجوب القول ــ ليس النص على هذا القدر من السعة ·

ــ لا يكون أبيض ــ كما أن اللا موجود لا يكونه كذلك · ــ سلبا ثانيا ــ ليس المعنى بين الظهـور لان اللا متناهى ليس هو ذاته سلبا · فانه لا سلبه الا فى اللا محدود واللا معين · وقد يمكن التدليل من جهات نظر شتى على أن اللا متناهى أقـوى وجودا من المتناهى أو بالاولى هو الموجود الحقيقى الوحيد · من هذا ترى كيف أن الله هو لا متناه من أية ناحية يعتبره عقلنا الضعيف سواء فى الزمان وفى المكان وفى القـدرة وفى العدل وفى الرحمة ··· الخ · ــ القاعدة العتيقة ــ لا أعرف مؤلفا آخر قد ذكر هذه القاعدة · وربما كان لهذا المعن معنى آخر غير المعنى الذى اخترته وقد يعنى به « بالبساطة » على ضد ما ذكر آنفا » · وكنت أختار هذا المعنى اذا كانت هذه العبارة كررت ولو بجزئها فيما تقدم· ولكننى لا أراها جلية فيه · ــ وبالنتيجة فالموجود أيضا يمكن أن يكون لا متناهيا ــ لا يظهر أن هذه النتيجة لازمة ولكن الفكرة صادقة · فانما الموجود فى الواقع هو اللا متناهى فى حين أن اللا موجود لا يمكن أن يسمى بهذا الاسم الا بالنسبة للموجود الذى هو سلب له ·

§ ٩ ــ أن تلزق ــ يظهر لى أن هذا النوع من الابتذال موجود أيضا فى النص · ــ اللا نهاية ــ والاحسن : « معنى اللا نهاية » · ــ لا لشيء الا لانه ليس له حد ــ بين أن الفرق كبير جدا بين اللا متناهى واللا محدود · ــ مثلا ــ أضفت هذه الكلمة ·

§ ١٠ ــ لا شك فى ذلك ولكن لا يمكن أن يكون له حد · ــ ليست عبارة النص على هذا المقدار من البيان ولكن الفكرة بينة فيما يظهـر ولو أن المخطوطات ليست متفقة =

ذلك ولكن لايمكن ان يكون له حد تلقاء اله آخر • اذا كان الله واحداً كله فيلزم أن تكون جميع أجزاء الله لا تكون أيضا الا وحدة محضة • لانه لا يفهم ، اذا كانت الاشياء المتكثرة يحد بعضها بعضا بالتبادل ، أنه يلزم عن ذلك أن الاحد يكون لا حد له • لان الكثرة والوحدة لهما عدة محمولات متشابهة تماما والموجود مشترك بين احداهما وبين الاخرى • فقد يكون من الغريب ان يذهب الى انكار وجود الله ، مادام وجود الكثرة امراً مسلماً حتى لا يشبه الله الاشياء فى هذا المعنى •

١١ — لماذا الله مع كونه واحدا لا يكون متناهيا ولا يكون له حدود كما يقوله برمينيد وهو يعترف لله بالوحدانية حين يشبهه

«بالفلك المستدير تماما والمتساوى فى جميع النقط ابتداء من المركز•••»

فى الواقع أن شيئا يمكن أن يكون له بالضرورة حد من غير أن يكون ذلك بالاضـــــافة الى شىء ما • كما انه ليس من الضرورى أن ماله حد يكون له حد اضافى كالمتناهى بالنسبة لغير المتناهى الذى يليه • أن يكون متناهيا انما هو أن يكون له نهايات ، ولكن ماله نهايات ليست له بالضرورة بالنسبة الى شىء ما • بل يوجد بعض أشياء تكون معاً متناهية وملامسة شيئا ما ، ولكن من الاشياء أيضا ماهى متناهية وليست كذلك بالاضافة الى شىء ما •

= الرواية • — تلقاء له آخر — عبارة النص « تلقاء اله » ومعذلك فان كل هذا الموطن قد أصلح تبعا لما ارتأى « براندیز » وتبرره ترجمة فيليسيانو •

— وحدة محضة — فى هذا ما فى الملاحظة السابقة • — الاحـد يكون لا حـد له — ليس ها هنا رواية أخرى ولكن الفكرة ليست جلية البيان ولو أن العبارة ذاتها جلية فان الموجود مفهوما على جهة الوحدة التى تشمل الكل هو بالضرورة لا متناه • — الكثرة والوحدة — ر •• ما سبق ب ٨ حيث الموجود واللا موجود مقارنان أيضا فى هذا المعنى • — وجود الله ••• وجود الكثرة — هذا التكرار هو فى النص • — فى هذا المعنى — عبارة النص هى كذلك مبهمة • والتناقض المشار اليه ها هنا قد تكرر فى نظريات الاسكندريين وقد ذهبوا فيه الى حد انكار الوجود على الاحد كما كانوا يتصورونه مع اثباتهم الوجـــود للاشياء الجزئية •

§ ١١ — كما يقوله برمينيد — هذا البيت قد ذكره أرسطو بجزئه فى الطبيعة ك ٣ ب ٩ ف ٤ ص ١٢٦ من ترجمتنا • ر • أيضا مقطوعات برمينيد البيتين ١٠٣ و ١٠٤ طبعة فيرمين ديدو • — ابتداء من المركز — أو « من مركزه » هذا هو تعريف الفلك كما تعطيه الهندسة — من غير أن يكون ذلك بالاضافة الى شىء ما — الظاهر عـــلى ضد ذلك أن معنى الحد يستتبع ضرورة معنى الاضافة • — حد اضافى — أو بالاضافة الى شىء ما • وملامسة شىء ما — هذا هو معنى المتناهى بعينه • — وليست كذلك بالاضافة الى شىء ما — كان ينبغى أن يذكر المؤلف هذه الاشياء على نحو أضبط من هذا •

§ ١٢ — ومن جهة نظر أخرى القول بأن الموجود والاحد ليسا لا متحركين ولا يتحركان مع ذلك بحجة ان اللاموجود لا يتحرك انما هو قول من الغرابة بمكان ماسبقه على الاقل • انه لا تماثل قطعا ، كما قد يمكن ان يظن ، بين ان يقال ان شيئا لايتحرك وبين ان يقال انه لامتحرك • فمن جهة انما هذا هو سلب للحركة على جهة مايقال على شيء أنه لايكون مساويا وهذا يمكن أن يصدق حتى على اللاموجود ، في حين انه من جهة اخرى يقال على شيء أنه لا متحرك لأنه فعلا على حال ما ، كما انه يقال على شي انه لامساو ، فهنا السكون هو ضد الحركة كما ان على العموم جميع السلوب المكونة من همزة الازالة تنطبق على اضداد • حتى انه يقال على اللاموجود انه لا يتحرك ولكنه ليس حقا ان يقال على اللاموجود انه في سكون • كما انه لاينبغي ان يقال انه لامتحرك وهذا ماله المدلول بعينيه • ولكن اكسينوفان يستعمل في حق اللاموجود لفظ السكون ويقول ان اللاموجود هو في سكون لانه لانقلة له •

§ ١٣ — وكما قلنا آنفا قد يكون من الخطأ الجزم — لا لشيء سوى أن محمولا يصلح حمله على المعدوم — بأن هذا القول لا يكون صالحا بعد لنحمل على الموجود خصوصا اذا كانت الكلمة التي تستعمل لذلك ليست الا سلبا نحو قولهم : لا يتحرك ولا ينتقل ؛ فاني اكرر أنه كثيرا من

---

§ ١٢ — ليسالا متحركين ولا يتحركان مع ذلك — ر• ما سبق ب٣ ف٧ وربما كان يلزم وضع صيغة المفرد موضع صيغة المثنى فان الموجود والواحد متحدان كلاهما •— انشيئا لا يتحرك وبين ان يقال انه لا متحرك — في اللغة العادية لا فرق بين هذين التعبيرين • ولكنه يمكن أيضا تمييزهما كما قد كان ها هنا • فمتى يقال على شيء أنه لا يتحرك فذلك بأن في طبيعته امكان التحرك ومتى يقال على ضد ذلك : أنه لا متحرك فذلك بما أنه ممتنع الحركة على الاطلاق •— وهذا يمكن أن يصدق حتى على اللا موجود — ولو أن اللا موجود بكونه لا شيئا يمكن ان يوصف بكل كيف او ان يسلب كل كيف على السواء •— لأنه فعلا على حال ما —العبارة مبهمة ولم اشأ أن أحررها •— كما أن على العموم جميع السلوب المكونة — ربما لم يكن هذا الا تذييلا أضافه بعض المفسرين •— انه لا يتحرك — يعني انه دائما ينبغي ان يتكلم على اللاموجود بالصيغة السلبية • ومتى يقال على الضد من ذلك «موجود ساكن» «وموجود لا متحرك» فتلكم ايجابات لا يحتملها اللا موجود • وكل ذلك غمض دقيق • وهذا ماله المدلول بعينه — باعتبار أن لا فرق الا في شكل العبارة بعض الشيء • — اكسينوفان — عبارة النص هي «هذا» ر• ب٣ ف١ وب ا ف ١•

§ ١٣ — وكما قلنا آنفا — ر• ما سبق ف٨ وف ١٢•— ليست الا سلبا — سلبا له بالنتيجة علاقة باللا موجود أكثر منها بالموجود — أكرر • — ر • ما سبق ف ٧ و٨ — أيضا على الموجودات التي يمكن حملها على اللا موجود • — ليست آحادا — أي لا تكون وحدة • وكل الاشياء الشخصية هي في هذه الحالة • تنتج الاضداد فيما يظهر — قد كان ينبغي أن يقال « الاضداد أعيانها » كما يظهر أن ذلك ينتج من الامثلة المضروبة • — اما حركة واما

المحمولات ما يجوز حمله أيضا على الموجودات لأنه يوجد أشيـــاء كثيرة لا يصدق عليها القول بأنها ليست آحادا بحجة أن المعدوم ليس واحدا. ثم انه يوجد اشياء فيها السلوب بعينها تنتج الاضداد فيما يظهر . فمثلا من الضرورى أن يوجد اما مساواة واما لا مساواة ما دام هناك كم ؛ وانه كذلك يوجد اما زوج واما فرد مادام هناك عدد . وكذلك ايضا يلزم ان يوجد اما حركة واما سكون ما دام هناك جسم .

§ ١٤ – غير أنه اذا قيل ان الله والأحد لا يتحرك البتة لان الاشياء المتكثرة تتحرك بعضها نحو البعض الآخر ، فما الذى يمنع أيضا أن الله يتحرك بأن يسعى نحو شيء آخر ؟ هذا قطعا ليس لانه ليس الا الله بل لانه لا واحد احد الا الله . واذا لم يتحرك هو ذاته فما المانع ان اجزاء الله يتحركها بعضها نحو بعض أن يكون الله هو أيضا له حركة دائرية ؟

§ ١٥ – لكن على هذا لا يكون بعد واحدا كما يعنى زينون انما هو متعدد كما قد نبه اليه ، لان زينون يقرر أن الله جسم سواء جعله هـــو الكل الذى نرى أو سماه باسم آخر . واذا كان الله لا جسمانيا فكيف يكون فى الواقع فلكيا ؟ ويلزم أن يكون لا جسمانيا أعنى لم يكن أصلا لكى لا يكون له حركة ولا سكون . واذا كان جسما فما المانع أن يتحرك كما قد قيل ؟ .

= سكون – هذه النتيجة ليست أقل ضرورة من الاثنتين الاخريين . غير أن المقابلة الصريحة لا توجد الا فى المثل الاول حيث المســاواة واللا مســاواة معبر عنهما بكلمتين أصلهما واحد ولا تختلفان الا بالسلب وفى المثل الثانى والثالث والكلمات مختلفة ولها جميعا صورة الايجاب ولم أستطع فى لغتنا « الفرنسية » أن أحصل هذه الفروق مع شدة رغبتى فيها .

§ ١٤ – لا يتحرك البتة – قد حفظت صيغة المفرد لأن الله والأحد متحدان . – بأن يسعى نحو شيىء آخر – قد حافظت على تردد النص ولكن الفكرة ليست صحيحة لأن الله بأنه فى كل مكان لا يمكن أن يتحرك كالموجدات الجزئية نحو مكان لم يكن فيه . ليس الا الله – الفكرة تبقى غامضة كالعبارة خصوصا متى اذكر ان اكسينوفان فيما سبق قد جعل الله على كل شيء قديرا .

أجزاء الله – هذا فيما يظهر ادماج الله والعالم كما قد اتهم به اكسينوفان . – له حـــركة دائرية – باعتبار ان الحركة الدائرية هى وحدها التى يمكن ان تكون لا متناهية وأزلية . ر . الطبيعة ك٨ ب١٢ ص ٥٢٩ من ترجمتنا .

§ ١٥ – زينون – ان ذكر زينون بالصراحة يجيز الاعتقاد ، فيما يظهر ، بأن هـــذه الرسالة يجب ان يكون لها جزء رابع فيه الكلام على زينون كما ان الكلام فى الثلاثة الأخــر على مليسوس واكسينوفان وغرغياس ر . ما سبق فى التحقيق – انما هو متعدد – الترجمة الحرفية للنص هى «كثير من الاشياء» . – الذى نرى – ليس النص على هذا القدر من الضبط يكون فى الواقع فلكيا – كما فيما سبق ف١١ فى بيت برمينيد . – ان يكون لا جسمانيا – هذا هو بالضبط ما يؤيده ارسطو فى الباب الاخير من الطبيعة ف٢٦ ص ٥٦٩ من ترجمتنا كما قد قيل – او «كما قد قلت آنفا» .

مذاهب غرغياس

الباب الخامس

النظريات الثلاث الاصلية لغرغياس : على الوجود وعلى امتناع العلم وعلى نقل العلم — على النظرية الاولى يجمع غرغياس بين الآراء السابقة — ميليسوس وزينون — بسط مذهب غرغياس في امتناع الوجود والعدوم على السواء .

§ ١ — هو يقرر ان لا شيء بموجود حقيقة ، وانه ان يوجد من شيء فهذا الشيء يبقى مجهولا عندنا ، وانه ان يوجد شيء ويمكن لامرىء العلم به فانه لا يمكن التعبير عنه للاغيار .

§ ٢ — فيما يتعلق بهذا القول الاول الذى هو أن لا شيء بموجود حقيقة يؤلف غرغياس بين نظريات فلاسفة آخرين ، اذ يقررون افكارا متناقضة في أمر الحقيقة كما تظهر لنا . اعتقدوا : هؤلاء أنه لا شيء الا الوحدة وان الكثرة ممتنعة ؛ وأولئك ، على ضد ذلك ، أن الكثرة وحدها هى الحقيقية وان الوحدة ليست حقيقية . ذلك بأن بعضهم يرون الاشياء غير مخلوقة والآخرين يرونها مخلوقة .

§ ٣ — يؤلف غرغياس بين هذين الرأيين ليدلل هكذا ، « يقول انه يلزم ضرورة ان كان شيء موجودا أن يكون هذا الشيء لا واحدا ولا كثرة ، وأن تكون الأشياء لا غير مخلوقة ولا مخلوقة . وحينئذ لا شيء بموجود . واذا كان في الواقع شيء فيلزم أن يكون اما احدهما واما الآخر » . فأما

---

§ ١ — هو يقرر — ر . ما سبق ب ١ ف ٣ وب ٣ ف ١ . غرغياس ليس مذكورا هنا وشأنه في ذلك شأن مليسوس واكسينوفان . ولكن بمخطوطة ليبزج عنوان هذا الجزء من الكتاب : « في ارسطو طاليس على غرغياس » ولا يمكن أن يكون ها هنا أقل شك في أمر الفيلسوف الذى يخصه هذا التحليل ر . لا شيء بموجود حقيقة — ر . فيما سبق ب ١ ما يتعلق بميليسوس وفما بعد تحليل سكستوس امبيريكوس لمذهب غرغياس .

§ ٢ — غرغياس — في هذه الفقرة ايضا لم يسم غرغياس وليس بها الا فعل مسندالى ضمير الغائب . — كما تظهر لنا — أو « كما تظهر لهم » . يرونها مخلوقة — ر . كتاب السماء ك١ ب١٠ ص ٨٣ من ترجمتنا .

§ ٣ — يؤلف غرغياس — كذلك هنا لم يسم غرغياس . — يقول ... لا واحدا ولا كثرة — ر. ما سبق . تحليل سكستوس امبيريكوس في اوله . — ان يكون اما احدهما واما الآخر قد حفظت عبارة النص في ترددها كله . وبعبارة أخرى ويلزم ان يكون ما كان

انه لا وحدة ولا كثرة وان الاشياء ليست لا مخلوقة ولا غير مخلوقة فأنه يحاول ايضاح ذلك اما كميليسوس واما كزينون بعد برهانه الخاص به اذ يثبت على طريقته ان الموجود واللاموجود لايوجدان لاأحدهماولاالآخر.

§ ٤ – فعنده أنه اذا كانممكنا اناللاموجود يكون اللاموجود فيكون اللاموجود ليس بأقل وجـــودا من الموجود . لان هذا اللاموجود يكون اللاموجود ، كما أن الموجود يكون الموجود ، بحيث انه لا يمكن أن يقال على الاشياء انها تكون بأقوى من أن يقال عليها انها لا تكون .

§ ٥ – يقولغرغياس : «اذا كان اللاموجود موجودا فمن ثم لايكون الموجود بعد مقابلة لانه اذا اللاموجود يكون فيلزم ان الموجود لا يكون . وبالنتيجة أنه لا شيء بموجود ؛ الا أن يكون الموجود واللاموجود شيئـا واحدا بعينه . ولكن انما هما في الواقع شيء واحد ومن ثم لا يوجد شيء. لان اللاموجود ليس يكون ، فالموجود ليس يكون كذلك ما دام أنه مماثل للاموجود» . هذا هو تدليل غرغياس حرفا بحرف .

اما واحد او كثرة . ويلزم ان يكون اما مخلوقا واما لا مخلوقا » .– اما كميليسوس واما كزينون – من هذه الفقرة التي قد ذكر فيها ميلسوس وزينون بالاسم يمكن استنتاج هاتين النتيجتين : اولا ان الجزء الاول من هذا الكتاب يتعلق تماما بميليسوس ، وثانيا ان هـــذا الكتاب ناقص منه جزء كان فيه تحليل آراء زينون كما حللت آراء ميليسوس واكسينوفان وغرغياس .ر. التحقيق . ان الموجود واللاموجود – عبارة النص حرفيا هي «ان الموجـود واللاموجود لايكونان» .

§ ٤ – ان اللاموجود يكون اللاموجود – كل السفسطة تعتمد على فعل «الكون» مسندا الى اللا موجود . وما دام أنه يقال على اللا موجود أنه كائن فيمكن أن يستنتج منه أنه هو والموجود سيان . وتلك هي دقائق غير جدية . وقد احسن افلاطون وسقـــراط في انهما سخرا بهذه السفسطة .– ان يقال على – ليس النص على هذا القدر من الصراحة .

§ ٥ – يقول غرغياس – ليس في النص الا ان الفعل مسند الى ضمـــير الغائب ولم يسم غرغياس ولكنى اضطررت لاظهاره لبيان الفكرة في الترجمة . مقابلة– لفظة المقابلة أعم من التضاد – ر – المقولات ب ١٠ ص ١٠٩ من ترجمتنا . –شيئا واحدا بعينه . ويظن غرغياس أنه قد برهن على أنهما متماثلان . – ومن ثم لا يوجد شيء – قد يمكن أيضا أن يستنتج منه أن الكل موجود الموجود واللاموجود على السواء . وتكونهذه النتيجة صحيحة كالاخرى . – حرفا بحرف – أضفت هذا القيد لاحصل قوة النص الاغريقي .

الباب السادس

نقض نظرية غرغياس الاولى ـ شاهد من ميليسوس وزينون ـ الوجود واللا موجود لا يشتبهان • والحركة هي ممكنة ـ شاهد من مقالات اوكيبس ـ نقض نظرية غرغياس الثانية على امتناع العلم • ونقض النظرية الثالثة على امتناع نقل العلم بعد كسبه ـ ايذان بان نظريات الفلاسفة القدماء ستدرس بعد دراسة خاصة •

---

§ ١ ـ لا ينتج البتة من ادلة غرغياس ان لا شيء يوجد • لانك ترى كيف يدلل على الاشياء التي يحاول اثباتها • اذا كان اللاموجود يوجد او بعبارة أعم لو أن اللاشيء يوجد فالموجود هو كذلك اللاموجود على السواء •

§ ٢ ـ ولكن لا يظهر البتة ان الامر هكذا ولا ان هناك ادنى ضرورة لان يوجد اللاموجود • كما يكون الحال في شيئين أحدهما يكون حقيقة والآخر لا يزيد على ان يظهر • فيلزم بالضرورة ان يكون احدهما حقا والآخر ليس كذلك • كذلك من أن اللاموجود لا يوجد لا ينتج أن الاثنين أو احدهما يجب ان يكونا أو ألا يكونا • يقول غرغياس : لان اللاموجود ليس بأقل وجودا من الوجود اذا كان « ليس يكون » هو أيضا شيئا ما • لذلك لا يقال البتة ان الا موجود يكون البتة بأي وجه كان فاذا كان اللاموجود هو في حالة اللاوجود فحينئذ لايكون اللاموجود على النحو الذي يكون عليه الموجود لانه ليس الا في حالة اللاوجود بخلاف الموجود فانه موجود فعلا •

---

§ ١ ـ ادلة غرغياس ـ هنا أيضا ليس غرغياس مسمى • وليس في النص كما قد سبق الافعل مسند الى ضمير الغائب • ـ يحاول اثباتها ـ عبارة النص بالضبط : «التي يبرهن عليها » • وقد ظهر لي أن أسلوب عبارتي أفضل • ـ لو أن اللا شيء يوجد ـ هذه عبارة النص نفسها وربما كان الاحسن أن يقال « اذا لم يوجد شيء» • ـ فالموجود هو كذلك اللاموجود على السواء ـ يعني ان الموجود هو اللاموجود كما هو الموجود على السواء •

§ ٢ ـ أدنى ضرورة ـ ادنى ضرورة للبرهان الذي يلجيء الى الاستنتاج الموجه لجهة او لأخرى • ـ لايزيد على ان يظهر ـ عبارة النص هي فقط «يظهر» • ـ من ان اللاموجود لا يوجد ـ عبارة النص ليست على هذا القدر من الصراحة • ـ يقول غرغياس ـ اسم غرغياس ليس مذكورا • ـ اذا كان «ليس يكون» هو ايضا شيئا ما ـ التناقض بين بياننا حتى في الالفاظ. ولكن السفسطائي ما كان لينظر في الامر عن كثب هكذا • ـ لا يقال البتة لا أحد الا السفسطائيين كغرغياس والآخرين يعني البتة بأن يؤتى اللاموجود اقل حقيقة ولا ادنى وجود • ـ في حالة اللاوجود ـ انما يدور الابهام على صيغة المصدر مادام أن اللاموجود هو اللاوجود فانه موجود في الحقيقة كالوجود سواء بسواء • ـ على النحو الذي يكون عليه الموجود الجواب ليس قاطعا •

§ ٣ ـ اذا كان حقا أن اللاموجود قد وجد بطريقة مطلقة فيكون على الاقل عجيبا ان يقال ان اللاموجود موجود • ولكن اذا كان هـذا • هكذا بالمصادفة فكيف اذا يكون الحال ابدا بالنسبة للاشياء التى يرجع فى امرها ان تكون على الا تكون ؟ لانه يظهر ان النقيض نفسه قد يمكن ان يكون حقيقيا أيضا •

§ ٤ اذا كان اللاموجود يكون وكان الموجود يكون ايضا ، اذا فالكل موجود مادام أن كل ما هو موجود وكل ما ليس بموجود كلاهما كائن من غير فرق ، وانه ليس من الضرورى البتة اذا كان الموجود كائنا أن يكون الموجود غير كائن • عبثا يقال ان اللاموجود يكون والموجود لا يكون فان ذلك لم يؤثر شيئا فى أن جميع الاشياء موجودة ما دام اننا لو صدقنا ذلك القول لاصبحت الاشياء التى لا تكون كائنة

§ ٥ ـ ولكن اذا كان « يكون ولا يكون » شيئا واحدا فمن ثم لايمكن أن يقال بعد على شىء انه يكون كما لا يمكن كذلك ان يقال عليه انه لايكون لأنه كما أن غرغياس يقرر انه اذا كان اللاموجود والموجود هما شيئا واحدا ، فالموجود ليس يكون بأشد وجودا من اللاموجود بحيث ينتج أن لا شىء بموجود • كذلك يمكن ان يؤيد العكس أن الكل موجود لانه لما ان اللاموجود هو كالموجود تماما فيستنتج منه ان الكل موجود بالحقيقة •

---

§ ٣ ـ قد وجد بطريقة مطلقة ـ اى على حد سواء هو والموجود ذاته •ـ عجيبا ربما كان فى الاسلوب الاغريقى نوع من التهكم يناسب فى الواقع كل المناسبة الرد على هذهالدقائق فى امرها ان تكون على الا تكون ـ هذا بين بذاته ولكن غرغياس اذا ينال الظفر وقد استنتج منه أن لا شىء بموجود • فالدليل حينئذ مزدوج الغاية فانه يمكن أن يستنتج منه الوجود كما يستنتج منه اللا وجود سواء بسواء •ـ النقيض نفسه ـ يعنى « نقيض ما يقال هـو أيضا حقيقى كالذى يقال » •

§ ٤ ـ اللاموجود يكون ـ كما يزعم غرغياس •ـ كلاهما كائن ـ احتفظت بعبـارة النص ان لم تكن قطعية فان اللاموجود حقيقة كالموجود فان السلب صادق كالايجاب سواء بسواء • ـ من غير فرق ـ أضفت هذه العبارة التى تؤخذ من أسلوب النص • ليس من الضرورى البتة ـ من حيث أن فى نظريات غرغياس ، المتناقضات صادقة عـلى السـواء وان الامر وضده يمكن اقامة الدليل عليهما أحدهما كالآخر •ـ لو صدقنا ذلك القـول عبارة النص هى «على حسب تدليل هذا» يعنى غرغياس •

§ ٥ ـ شيئا واحدا ـ يعنى فى النظرية التى يعنى المؤلف بابطالها •ـ أن يقال بعد ـ ليس النص على هذا القدر من الصراحة •ـ كما ان غرغياس يقرر ـ عبارة النص هى «هذا» اذا كان اللا موجود والموجود هما شيئا واحدا بعينه ـ هذا هو أساس سفسطة غرغياس • ـ ان لا شىء • بموجود ـ وبعبارة أخرى أن لا شىء موجود لا صادقا ولا كاذبا •ـ العكس ـ او بعبارة اخرى «بعكس القضية» ـ ان الكل موجود بالحقيقة ـ النص ليس على هذا القدر من السعة • ر • ما سيلى فى تحليل سكستوس امبيريكوس •

§ ٦ ــ بعد هذا الدليل هو يقيم دليلا أخر يقول : ان يوجد من شيء فاما أن يكون هـذا الشيء لا مخلوقا واما أن يكون مخلوقا • فاذا كان لا مخلوقا فهو لامتناه ، على ما يفترض غرغياس بحسب مبادىء ميليسوس ولكن اللامتناهي ليس في مكان ما ، ما دام انه ليس في نفسه ولا في غيره وحينئذ يكون اذا لا متناهيان أو عدة لا متناهيات هذا الذى في الآخـر وذاك الذى الآخر فيه • ولما لم يكن في مكان ما فهو لا شيء ، على حسب أدلة زينون على حيز الموجودات • وبهذه الادلة يستنتج غرغياس أن الموجود لا مخلوق •

§ ٧ ــ ولكن الموجود لا يمكن كذلك أن يكون قد خلق • فانه لايمكن في الواقع أن يكون قد خرج من الموجود ولا من المـعدوم • لانه اذا كان الموجود يسقط وهو مخلوق فلم يكن اذا الموجود ، كمــا أن اللاموجود لا يكون بعد اللاموجود من وقت ان يصير شيئا ما • ومن جهـــة أخرى الموجود لا يمكن أيضا ان يأتي من اللاموجود ، لانه اذا كان اللاموجـود لا يكون فممتنع من ثم أن أيا كان يتولد من لا شيء • واذا كان بالمصادفة اللاموجود يوجد فان الاسباب التى تجعل الموجود لا يأتي من الموجود هي عينها تجعله لا يأتي أيضا من اللاموجود الذى هو كائن •

§ ٨ ــ فاذا كان حينئذ من الضرورى ، ما دام أن شيئا ما موجود ، أن هذا الشيء يكون لامخلوقا أو مخلوقا وأن كلا الامرين ممتنع ، فينتج منه أنه ممتنع ايضا ان يوجد اى شيء ما •

---

§ ٦ ــ على ما يفترض غرغياس ــ كذلك هاهنا ليس غرغياس مذكورا بالاســم • ــ ميليسوس ــ ميليسوس مذكور بالاسم صراحة ر• ما سبق ب٥ف٣ والتحقيق السابق •ــ ولكن اللامتناهي ليس في محل ما ــ وبما هو ليس في مكان فيستنتج منه انه ليس موجودا البتة كما سيذكر فيما سيلي • زينون ــ ر• ما سبق ب٥ ف٣ •ــ على حيز الموجودات ــ زدت المضاف اليه الاخير • راجع فيما يتعلق بنظرية زينون الطبيعة لارسطو ك٤ ب٣ ف٦ ص ١٤٦ من ترجمتنا وب٥ ف١٠ ص ١٦١ •ــ يستنتج غرغياس ــ ليس غرغياس مذكورا بالاسم والنص ليس على هذا القدر من البيان ر•• ما سيلي تحليل سكستوس امبيريكوس حيث هذا التدليل على بسطة من البيان •

§ ٧ ــ لا يمكن كذلك أن يكون قد خلق ــ أو « أنه قد صار » هذا هو الجزء الثاني من تدليل غرغياس ــ فانه لا يمكن في الواقع ــ على حسب تدليل غرغياس • ــ يسقط ــ هذه هي عبارة النص بعينها ، فان الموجود ليصير يجب أن يفقد كرامة الوجود ويبتدىء في ألا يكون بعد ليصير شيئا ما • ــ اللا موجود لا يكون بعد اللا موجود ــ ولكن يظهر هاهنا أن اللاموجود عوضا عن أن يسقط فهو يسمو بوجه ما ليصير شـــيئا ما • وتلك دقائق لفظية • أيا كان يتولد من لا شيء ــ هذا هو مبدأ ميليسوس ر• ب١ ف١ ــ بالمصـــادفة ــ أضفت هذه الكلمة •

§ ٨ ــ لا مخلوقا أو مخلوقا ــ ر• ما سبق ف٦ وقد اضطررت الى استعمال لا مخلوق ومخلوق لاني لم اجد خيرا منهما في لغتنا (الفرنسية) ولكنهما لا تحصـــلان بالضبط معنى الكلمات اليونانية • فان شيئا اذا صار فذلك بانه ليس أزليا وبالاقل من جهة أن يصير وأن

§ ٩ — يقول غرغياس : زد على هذا أنه اذا شيء يوجد فليزم ان يكون هذا الشيء واحدا او كثرة • فاذا لم يكن لا واحدا ولا كثرة فينتج منه الا يوجد شيء • ذلك الشيء لا يمكن ان يكون واحدا ، لان « الواحد » يجب ان يكن لا جسمانيا واللاجسماني هو لا شيء ، كما يقــول غرغياس متبعا في ذلك رأيا يقرب كثيرا من راى زينون• وبما ان الموجود لا واحدا ؛ فانه ليس ايضا كثرة من باب اولى • ولكن الموجود بما هو لا واحد ولا كثرة فهو غير موجود البتــة • وبالنتيجة يقول غرغياس ايضا : اذا كان كذلك فما هو الا لاشيء • وفى الواقع اذا لم يكن لا واحدا ولا كثرة فانما هو ليس ايا كان •

§ ١٠ — يزيد على ذلك: لكن لا شيء ليس فى حركة ، لانه اذا كان الموجود فى حركة فلا يكون بعد هو ما هو•وحينئذ الموجود لا يكون بعد واللاموجود يصير شيئا • وفوق ذلك بما أن الموجود يتحرك وينقطع عن ان يكــون متصلا بانتقاله فعلى هذا المعنى هو لا يكون بعد • وبالنتيجـــة اذا كان متحركا فى جميع اجزائه فهو منقسم فى جميعها على الاطلاق ، واذا كان هكذا فليس موجودا البتة • وفى هذا الصدد يقول غرغياس : آن الموجود هو

يتغير بالنتيجة • فاذا كان على الضد ازليا فما كان ليصير بل يبقى هو ما هو •— ممتنع ••• ممتنع — هذا التكرير هو فى النص • ر • فيما سيلى هذا التدليل مبسوطا باكثر من ذلك فى تحليل سكستوس امبيريكوس •

§ ٩ — يقول غرغياس — النص لا يذكر غرغياس بالاسم وليس به الا فعل مسند الى ضمير الغائب •ر• فيما يتعلق بها الدليل الجديد تحليل سكستوس أمبيريكوس•— يقول غرغياس — ليس فى النص اسم غرغياس • رأى زينون —ر• ما سبق آنفا ف٦ وب٥ ف٣ • — يقول غرغياس ايضا — لم يسم هنا ايضا •

§ ١٠ — لا شيء ليس فى حركة — هذا الجزء من تدليل غرغياس ليس موجـــودا فى تحليل سكستوس امبيريكوس • وربما كانت هذه الادلة ضد الحركة متعلقة بزينون اكثر من تعلقها بغرغياس • ولكن لا شيء فى النص يدل على أنه يلزم نسبتها هنا الى زينون •— فلا يكون بعد هو ماهو — لآن الحركة تقتضى دائما تغيرا •— وحينئذ الموجود لا يكون بعد — اذا كان الموجود لا ينعدم بكله فبالاقل يفقد منه جزء ويكون هو الذى يصير غير ما كان • — وينقطع عن أن يكون متصلا — لا يرى لأى شيء يمكن أن يكون هذا لازما فان الموجــود يمكن الا يفقد شيئا من اتصاله بنقلته •— فى جميع اجزائه — عبارة النص ليست بينة جـد البيان •— يقول غرغياس — ليس فى النص هنا ايضا اسم غرغياس •— لوكيبس فيمايسمى بمقالاته — يظهر أن المؤلف ، كما تنبه اليه مللاخ ليس هنا واثقا من كتاب لوكيبس •ر• قطع ديمقريطس لمللاخ ص ٣٧٤ ، يقــول ديوجين اللايرتى ب ٩ ف ٤٦ طبعـــة فيرمين ديدو ص ٢٣٨ ان تيوفراسط كان ينسب الى لوكيبس كتابا معنونا «نظام العالم الكبير» الذى كان المعتقد دائما انه لديمقريطس •ر• ايضا فيما سبق آراء لوكيبس على الحلو فى كتاب الكون والفساد ك١ ب٨ ف٥ ص ٨٩ وقد يظهر جليا على حسب هذه الفقرة الاخيرة أن لوكيبس كان قد كتب بعض مؤلفات يظهر ان المؤلف قد استخلص منها ما يقوله •

ناقص من جهة ما هو منقسم -وهو يتكلم على التجربة عرضا عن أن يتكلم على الخلو كما كتبه لوكيبس فيما يسمى بمقالاته ·

§ ١١ _ يظن غرغياس انه فى هذا قد وفى البيان حقه · يقول : اذا ثبت حينئذ ان لا شيء فالكل حينئذ يعزب عن علمنا · فلم يبق بعد من ثم الا ما يتصور · واللاموجود ما دام أنه غير كائن فلا يمكن البتة تصوره · ومتى كان هذا كذن من المحال ، على رأى غرغياس ، الا يكون هنك شيء باطل بل لا يكون خطأ ان يقال مثلا : ان «العربات تدرج على امواج البحر» لان كل هذا حق كما أن نقيضه حق ·

§ ١٢ _ ولكن كيف توجد الاشياء التى ترى أو التى تسمع بهـذا السبب وحده وهو ان يتصور كل واحد منها ! فاذا لم يكن ذلك هو السبب الذى يجعلها تكون ، واذا كانت الاشياء التى نتصورها لا توجد من أجل ذلك أيضا ، فهل للاشياء التى نشاهدها وجود أدخل فى باب الحقيقة والفعل من الاشياء التى نتصورها ؟ ·

§ ١٣ _ فى الواقع ، كما أنه ممكن جدا أن كثيرا من الناس يشاهد الاشياء فكذلك من جهه أخرى كثير من الناس يتصورها أيضا · فالاشياء الذهنية هى اذا على الاطلاق مثل الاشياء الخارجية · ولكنه لا يدرى أى الفريقين هو الحقيقى · وبالنتيجة ان يوجد من شيء فمن المحال ان تكون الاشياء معلومة لنا ·

---

§ ١١ _ غرغياس _ ليس غرغياس مذكورا هنا أيضا بالاسم · _ فالكل حينئذ يعزب عن علمنا _ هذه هى النظرية الثانية لغرغياس ·ر· ما سبق ب٥ ف١ وتحليل سكستوس امبيريكوس · _ فلم يبق من بعد من ثم _ ليس النص على هـذا القدر من البيـان · _ فلا يمكن البتة تصوره _ وغرغياس مع ذلك يتصور اللاموجود مادام انه يتكلم عنـه · وكل هذا مبسوط فى تحليل سكستوس امبيريكوس · _ على رأى غرغياس _ كذلك لم يسـم هنا · _ العربات تدرج على أمواج البحر ر · فيما سيلى تحليل سكستوس أمبيريكوس حيث هذا المثل مذكور ومضاف الى مثل غيره ·

§ ١٢ _ ولكن كيف _ قد احتفظت بصيغة النص · ولكن من البين ان الجملة هنـا غاية فى الايجاز وان الفكرة ليست مبسوطة البسط الكافى · وتحليل سكستوس افضـل فى هذا الموطن · _ لا توجد من أجل ذلك أيضا _ لاننا نبصرها وفى هذه مجاوزة باللا أدرية الى مدى بعيد · ولكن تلك كانت هى عادة السفسطائيين اذ يلذ لهم ان يقتحموا الذوق العام ·

§ ١٣ _ هى اذا على الاطلاق مثل الاشياء الخارجية _ ليس النص على هذا القدر من الصراحة · والتعبير الاغريقى أعم ولكن المعنى بين الجلاء _ ولكنه لا يدرى _ تلك سفسطة محضة لأنه فى هذا الخصوص ، اللاأدرى لا يتردد أكثر من العامى ويعتقد حقيقة أدراكاته· وبالنتيجة _ النتيجة ليست لازمة · وفى تحليل سكستوس هذا الدليل اقوى وامتن دون ان يكون بالغا حد القوة ·

§ ١٤ — يقول غرغياس : حتى مع التسليم بأنها معلومة لنا فهل يمكننا أن ننقل التعبير عنها الى الغير ؟ كيف يمكن الانسان ان يعلم غيره بطريق الكلام ما قد شاهده هو بالنظر ؟ وكيف يمكن الانسان لمجرد سماعه شيئا أن يفهمه جليا اذا لم يكن قد رآه ؟ وفي الواقع كما أن النظر لا يدرك الأصوات كذلك السمع الا يسمع الالوان ولا يسمع الا الاصوات، فالذي يتكلم يتكلم كلاما ولا يتكلم لونا ولا أى شيء آخر أيا كان •

§ ١٥ لكن كيف يمكن ان يلتمس المرء فى كلام الغير شيئا لم يكن هو نفسه قد تصوره ؟ هل يتفق بالمصادفة ان توجد دلالة اخرى ، تعطيك فكرة الشيء ان لم يكن لونه حينما يرى وصوته حينما يسمع ؟ لان المبدا هاهنا على رأى غرغياس ليس هو لا الصوت ولا اللون بل هو مجرد الكلام • فلا يفتكر الانسان لونا بل يراه ولا يفتكر صوتا بل يسمعه •

§ ١٦ — لنفترض ، اذا شئت ، أن ذلك ممكن وأن الذى يتكلم يعلم الشيء وعند الحاجة يمكنه ان يعرفه كيف ان الذى يسمع الكلام يكون موقنا بأنه يفهم الشيء بعينه على هذا النحو ؟ لانه ليس ممكنا أن يكون الشيء بعينه فى آن واحد فى كائنات عدة وفى كائنات منفصلة لانه حينئذ يكون الشيء الواحد عدة • يقول غرغياس : ولكن شيئا واحدا ولو كان فى آن واحد فى عدة أذهان وكان فيها هو بعينه فلا شيء يمنع أنه يظهر متماثلا عند جميع الاشخاص الذين هم انفسهم ليسوا متماثلين فى الظاهر والذين هم ليسوا على استعداد واحد بعينه •

---

§ ١٤ — حتى مع التسليم — مناقشة النقطة الثالثة •ر• ما سبق ب٥ ف١ ، وتحليل سكستوس أمبيريكوس • — يقول غرغياس — ليس فى النص الا فعل مسند الى ضمير الغائب• — لا يدرك الاصوات — قد كان الاحسن ان يقال : «لا يدرى الاصوات» ولكنى اتبعت النص الذى يتخذ تعبيرا عاما كالذى اتخذته •— فالذى يتكلم يتكلم كلاما — هذا التكرير فى النص •

§ ١٥ — أن يلتمس — هذه هى عبارة النص بعينها • — بالمصادفة — أضفت هذه الكلمة لبيان الفكرة — دلالة اخرى — ليس النص على هذا القدر من الضبط •— على رأى غرغياس ليس غرغياس مذكورا بالاسم هنا • وان المعنى الذى اختاره فى ترجمتى هو الاحسن فيما يظهر لى • ولكن يمكن أن تفهم هذه النقطة على وجه آخر : « الذى يتكلم لا يتكلم لا الصوت ولا اللون انه لا يتكلم الا الكلام » ولا يكون هذا الا تكريرا لما قيل آنفا • وهذا هو الذى حملنى على اتخاذ المعنى الذى اخترته •

§ ١٦ — وعند الحاجة — أضفت هذه العبارة •— أن يعرفه — « أن يقرأه » متى كان مكتوبا •— يكون موقنا — عبارة النص « يفهمه » • — أن يكون الشيء بعينه فى آن واحد — هذا يقتضى أن يكون الشيء حقيقيا فى الذهن كما هو فى الخارج وهذا ما قد ذكر فيما سبق وعلى حسب هذه النظرية يمكن أن يقال على الشيء أنه محال لا لشيء الا لانه معا فى عدة أحياز أو موجودات • ومع ذلك ففى الفكرة شطط • — الشيء الواحد — عبارة النص « الواحد » • — يقول غرغياس — لم يذكر فى النص اسمه • — فى الظاهر — زدت هذه العبارة •— على استعداد واحد بعينه — عبارة النص غير محددة •

§ ١٧ ـ لنسلم أيضا أنهم فى استعداد واحد أفلا يكونون اذا اثنين بالاقل او عدة ؟ ولكن الشخص بعينه ليس له فى الوقت الواحد احساسات متشابهة فان سمعه وبصره يعطيانه احساسات مختلفة ، والاحساسات التى به فى الحال هى مغايرة لاحساسات سابقة • فباطل اذا أن تظن أن غيرك يمكن أن يكون له ادراكات شبيهة بادراكاتك فى اى شىء كان •

§ ١٨ ـ على هذا لا يمكن العلم بشىء ما مع التسليم بوجود شىء ما• خصوصا انه لا يمكن البتة للانسان ان يعلم غيره ما يعلم هو ، لان الاشياء ليست أقوالا وانه لا شخص يمكنه البتة أن يفهم بالضبط ما يفهمه شخص آخر •

§ ١٩ ـ كل هذه المسائل المحيرة قد اثارها فلاسفة آخرون أقدم عهدا • وسندرس هذه النظريات عند البحث الذى سنعقده لمذاهبهم المختلفة •

---

§ ١٧ ـ أفلا يكونون اذا اثنين ـ ليس المعنى بينا وقد حاولت أن أبينه باضافة كلمة « بالاقل » • ومع ذلك يظهر لى أنه يمكن قبول سلسلة هذه المعانى التى هى مؤتلفة النتائج بعضها مع بعض • ـ فى الوقت الواحد ـ عبارة النص هى كالعبارة المذكورة فى الفقرة السابقة ولكنه يكملها بأن أضاف اليها كلمة الوقت التى ربما يلزم أن تكون مقدرة فى الفقرة السابقة •

§ ١٨ ـ على هذا لا يمكن العلم بشىء ما ـ ملخص نظرية غرغياس •ر• ما سبق ب٥ ف٦ • ـ مع التسليم بوجود شىء ما ـ النقطة الاولى التى كان ينكرها غرغياس الذى هو من التبصر واللا أدرية بمكان •

§ ١٩ ـ أقدم عهدا ـ من غرغياس • وربما عنى هيرقليدس الافيزوسى• ـ الذى سنعقده ليس النص على هذا القدر من الصراحة ولكن يظهر أنه يعد بكتاب آخر بعد هذا •

قطع من ميليسوس

١

قال سمبليسيوس فى شرحه كتاب الطبيعة لارسطو (الورقة ٢٢): فلننظر اذا الى أدلة ميليسوس وهو الاول الذى انحى عليه أرسطو . ان ميليسوس معتمدا على مبادىء الطبيعيين (١) فى كون الاشياء وفسادها ؛ يبدأ كتابه بالعبارات الآتية :

« ان لم يوجد شيء كيف يمكن بأى حال اعتبار هذا اللاشيء كأنه شيء ما ؟ «ان كان يوجد شيء ما فهذا الشيء اما مولود واما ازلى . فان كان مولودا وكان قد كون فهو لا يمكن أن يأتى الا من الموجود أو من اللاموجود ولكن ليس ممكنا أن ما ليس شيئا ، وبالاولى ما هو موجود على الاطلاق ، يمكن البتة ان يأتى مما ليس موجودا . كما لا يمكن ايضا ان يأتى مما هو موجود لان الموجود حينئذ يكون قد وجد ولم يكن به من حاجة الى ان يصير وان يوجد . اذا الموجود لا يمكن ان يصير واذا فهو ازلى . ومن جهـــة اخرى الموجود لا يمكن ان يفسد ، لانه ليس ممكنا ان الموجود يتغير الى لا موجود . وتلك هى نقطة يوافق عليها الطبيعيون . ليس ممكنا ايضا أن الموجود يتغير الى اللاموجود لانه بهذه الطريقة أيضا الموجود يبقى ولا يفسد . على ذلك فالموجود ما كان ليمكن أن يولد وانه لن ينعدم ، فقد كان وسيكون أبدا » .

٢

سمبليسيوس . المرجع السابق

« لـكن اذا كان ما قد ولد له أول فالذى لم يولد ليس له اول . فاذا كان الموجود ليس مولودا فلا يمكن ان يكون له اول كذلك . ويمكن أن يزاد على ذلك ان ما قد فسد له آخـر ، ولـكن اذا كان شيء غير قابل للفساد فليس له آخر ممكن . اذا فالموجود بما هو غير قابل للفساد ليس له من آخر . وما ليس له لا اول ولا آخر هو بهذا عينه لا متناه . واذا فالموجود لامتناه » .

---

(١) الطبيعيون . هم فلاسفة مدرسة يونيا . ر. الطبيعة لارسطو ك١ ب٢ ف٩ ص ٤٣٣ من ترجمتنا .

٣

سمبليسيوس • المرجع السابق •

« اذا كان الموجود لا متناهيـــا فهو واحد • لأنه اذا كان موجودان فلا يمكن ان يكونا لا متناهيين مادام انهما يحدان بعضهما بعضا • وبما ان الموجود هو لا متنـــاه فالموجودات لايمكن أن تكون كثرة • واذا فالموجود هو واحد » •

٤

سمبليسيوس • المرجع السابق •

« اذا كان الموجود واحدا فهو بالتبع لا متحرك • لان الموجود بما هو واحد هو على الدوام مشبه لذاته • الموجود بما هو باق عـلى الدوام شبيها لذاته لا يمكن أن ينعدم ولا أن ينمو ولا ان يتغير ولا ان يتأثر ولا ان يضمحل • فاذا كان يعاني أدنى واحد من تلك التأثرات فلا يكون بعد واحدا • لان موجودا يعاني حركة من أى جنس كان يتغير من حالة ما الى اخرى • والموجود لا يمكن ان يكون شيئا الا الموجود • وبالنتيجة الموجود لا يمكن أن يكون له حركة » •

٥

سمبليسيوس • المرجع السابق •

« ومن جهة اخرى لا شيء من الموجود يمكن ان يكون خلوا لان الخلو ليس شيئا • واللاشيء لا يمكن أن يكون • واذا فالموجود لا يتحرك • لانه ما دام انه لا خلو فلا مكان فيه يمكنه أن يتحيز • ولكن ليس ممكنا أن يتخلخل الموجود فى ذاته ما دام أنه يلزم على ذلك اذا أن يكون اكثر تخلخلا أو اكثر كثافة مما هو • وهذا ممتنع لان المتخلخل لا يمكن أن يكون مليئا كالكثيف وما هو متخلخل هو اشد خلوا مما يمكن الكثيف ان يكونه • اذا الخلو لا يوجد • للحكم على الموجود أهو ملء أم لا فذلك يمكن معرفته بأن ينظر هل هو يمكنه او لا يمكنه ان يقبل فى ذاته شيئا ما • فان لم يقبل فذلك بأنه ملء • وان يقبل فذلك بأنه ليس مليئا • لكن اذا لم يكن خلو فمن ثم كل شيء ملء • واذا كان الـكل مليئا فلا حركة بعد • لانه ليس ممكنا أن تقع الحركة فى الملء كما نقوله حين نتكلم على الاجسام • واخيرا

فالموجود الذى هو الكل لا يمكن ان يتحرك فى الموجود ما دام أنه لا شىء خارج عنه ، ولا فى اللاموجود ما دام اللاموجود ليس موجودا » .

٦

سمبليسيوس . الورقة ٣٤

« لاثبات ان الموجود لا يمكن ان يكون قد خلق يعتمد ميليسوس على هذه القاعدة العامة : ما قد كان قد كان دائما ويكون دائما . لانه اذا كان قد ولد فى لحظة ما ، فيلزم أنه لم يكن شيئا قبل أن يولد . فاذا لم يكن شيئا حينئذ فقد كان من « الممتنع أن شيئا يولد من لا شىء » .

٧

سمبليسيوس . الورقة ٧ ، ٩ ، ٢٣ .

« قد وجه نقد الى ميليسوس هو ان لفظ البداية متعدد المعانى . فعوضا عن أن يأخذ البداية بالاضافة الى الزمان الخاص بالموجود الكائن أخذ البداية بالاضافة الى الشىء تلك البداية التى لا يمكن ان تنطبق على الاشياء التى تتغير دفعة واحدة . فلقد رأى ميلسوس ، حتى قبل ارسطوطاليس ، ان كل جسم متناه مع انه ازلى ليس له الا قوة متناهية وان هذا الجسم معتبرا فى ذاته فهو دائما على حد الزمان « ... . بحيث انه بما ان له من جهة العظم بداية ونهاية يجب ان تكونا كلتاهما له على السواء بالاضافة الى الزمان . وعلى التكافؤ : ما له بداية ونهاية بالاضافة الى الزمان لا يمكن معا ن يكون الكل . ومن أجل ذلك يسند ميليسوس برهانه الى البداية والنهاية مطبقتين فقط على الزمان . ولا يسمى بلا بداية وبلا نهاية ما ليس الكل . يعنى ما ليس معا العالم اجمع . وهذا لا ينطبق الا على الاشياء التى لا اجزاء لها وغير المتناهية فى وجودها ، وينطبق على الخصوص على الموجود المطلق ما دام الموجود المطلق هو بالضبط الكل . وهاك مع ذلك أقوال ميليسوس اعيانها :

«على ذلك مالم يكن قد كون فهو كائن دائما وقد كان دائما وسيكون دائما ، فليس له أول ولا آخر ، ولكنه لامتناه . فاذا كان قد كون فيكون له اول لانه يكون قد بدأ يصير فى حين ما ، ويكون له ايضا آخر لانه يكون قد انقطع ايضا عن ان يصير . فاذا لم يكن قد بدأ قط واذا لم يكن قد انتهى قط فذلك بأنه قد كان دائما ويكون دائما بما انه ليس له لا اول ولا آخر لان ما ليس الكل لا يمكن أن يصل الى أن يكونه » .

٨

سمبليسيوس • الورقة ٢٣

كما أن الموجود أزلى كذلك يلزم أن يكون عظمة أبديا لا متناهيا •

٩

سمبليسيوس • المرجع السابق

« ما له أول وآخر لا يمكن البتة أن يكون ازليا ولا لا متناهيا » •

١٠

سمبليسيوس • المرجع السابق •

« اذا لم يكن هو أحد فهو يحد آخر » •

١١

سمبليسيوس • الورقة ٢٤ •

ان لغة ميليسيوس نفسه يمكن ان تكون قديمة ولكنها ليست غامضة• وقد يمكننا ان نضع تحت الانظار هذه المؤلفات العتيقة حتى يتهيأ للذين يقرءونها ان يكونوا قضاة يحسنون الحكم فى ايضاحات اضبط وأوفى •• وهاك اذا ما يقول ميليسيوس ملخصا ما قد بسطه فى الماضى ومتابعا نظريته على الحركة :

« على هذا اذا فالعالم ، الكل ، هو ازلى لامتناه واحد ومتشابه • انه لا يمكن ان يفنى ولا يمكن ان ينمو ولا يمكن ان تتغير صورته ولا يمكن أن يقبل ولا يمكن ان يضمحل • فاذا هو عانى شيئا من ذلك فلا يكون واحدا • وفى الحق انه اذا صار الموجود غيرا فيلزم ضرورة الا يكون متشابها وان الموجود الاول يفنى وان اللاموجود يصير • ولو اقتضى الكل ثلاثين ألف عام ليصير غيرا لانتهى بأن يفنى فى كل ما يلى من الزمان » •

١٢

سمبليسيوس • المرجع السابق :

« ولكن لا يمكن ان تتغير صورته ، لان النظام المتقدم للعالم لا ينعدم والنظام الذى لم يكن بعد لا يتكون • ولكن ما دام انه لا شىء يولد من

جديد وما دام انه لا شيء ينعدم وما دام انه لا شيء يتغير كيف يمكن ان أى موجود اتفق يمكن ان تتغير صورته ؟ انه يكون قد تحول من قبل اذا كان يمكن ان يصير غير ما هو » .

١٣

سمبليسوس . المرجع السابق :

« انه لا ينفعل لان الكل لا يمكن ان ينفعل ما دام انه لا يمكن ان شيئا قابلا يكون ازليا . ومن ثم لن يكون له بعد قوة شيء يكون في كمال الصحة . وكذلك هو لايكون متشابها اذا كان ينفعل . انه لا يمكن ان ينفعل الا اذا فقد او كسب شيئا . وبهذا وحده ينقطع عن ان يكون متشابها . كذلك ليس من الممكن ان شيئا صحيحا ينفعل بأى ما كان لانه حينئذ الموجود وهذا الصحيح ينعدم واللاموجود يكون . والدليل عينه الذى ينطبق على الانفعال ينطبق ايضا على أى اضمحلال ماللموجود» .

١٤

سمبليسيوس . القطعة ٩ و١٧ و٢٤ :

« لا شيء من الخلو بموجود ، لإن الخلو ليس شيئا . وبما هو لاشيء لا يمكن ان يكون . الموجود لا يتحرك لانه لا محل يمكنه أن يستقر فيه ولكن الكل هو ملء . اذا كان خلو فالموجود يتحيز فى الخلو . ولكن ما دام أنه لا خلو فلا محل يستقر فيه . ما دام الكل ملئا فلا حركة . كذلك لا يكون لا كثيفا ولا متخلخلا لانه ليس ممكنا ان يكون المتخلخل مليئا كالكثيف سواء بسواء . والمتخلخل هو أخلى من الكثيف . اليك كيف يلزم الحكم فى الملء والخلو .

واذا كان شيء يتحيز او يقبل شيئا ما فذلك بأنه ليس مليئا . فاذا لم يتحيز او اذا لم يقبل فذلك بأنه ملء . اذا ليس الا الملء اذا لم يكن خلو . اذا كان اذا الكل هو ملئا فلا حركة ممكنة » .

١٥

سمبليسيوس . المرجع السابق الورقة ٢٤ :

« اذا تجزأ الموجود تحرك ، ولكن حينئذ لا يتحرك كله معا » .

١٦

سمبليسيوس • ما سبق الورقة ١٩ :

« واذا كان الموجود يوجد فيلزم ان يكون واحدا • وبما هو واحد يلزم فى آن واحد الا يكون جسما • لانه اذا كان له سمك كان له ايضا اجزاء ولا يكون بعد واحدا » •

١٧

سمبليسيوس • شرح كتاب السماء • الورقة ١٧٣ :

«او سيب وهو يستشهد أرسطوقلس (Preparation Evangélique XV) هذا هو اذا الدليل الاقوى على اثبات وحدة الموجود • ولكن هالك من جهة أخرى أدلة تثبتها ايضا • ان كان موجودات متكثرة فيلزم ان يكون كل واحد منها كالموجود الذى اثبتت وحدته • اذا كان الارض والنار ، واذا كان الهواء والحديد ، والذهب والنار اذا كان الحى والميت، اذا كان الابيض والاسود وسائر الاشياء التى يعتبرها الناس حقائق ، هى موجودة فى الواقع كما يقال ، فيلزم ان يكون كل شىء على الحقيقة هو ما قد ظهر لنا بادىء الامر ، وانه لا يتغير حاله ، وانه لايصير غيرا بل يبقى دائما هو ما هو • ولكنا نعتقد فى حالة الاشياء الراهنة اننا نحسن رؤيتها ونحسن استماعها ونحسن ادراكها • فالحار يظهر لنا انه يصير باردا والبارد يصير حارا والصلب يصير لينا واللين يصير صلبا والحى يظهر لنا أنه يموت ويتولد ثانيا مما ليس حيا بعد ، فالكل بلا استثناء يظهر لنا انه يصير غيرا • ولا شىء يظهر بأنه يبقى فى الحالة بعينها التى كان فيها والتى هو فيها • الحديد نفسه مهما كان صلبا ينبرى بملامسة الاصبع • والذهب والحجر وأى جسم آخر مما يظهر لنا صلبا هكذا تأتى من الماء كما يأتى منه الارض والحجر • وبالنتيجة يمكن ان يقال اننا لانرى ولا نعرف الموجودات فى حقائقها • على ذلك فكل ذلك ابعد من أن يتطابق • اننا نقول حقا على بعض الاشياء انها أزلية ومع ذلك نرى صورها كلها وخواصها كلها تتغير تحت اعيننا وتنقطع عن ان تكون على ما قد كنا رأيناها عليه فى كل حالة خاصة • اذا يلزم التسليم بأننا لا نحسن رؤية الاشياء وأن ظهور الاشياء لنا متكثرة انما هو خطأ • لانها لو كانت حقيقية ماتغيرت ولكنها تكون على ما يظهر لنا كل واحد منها انه موجود ، ما دام انه لا شىء فوق الموجود الحقيقى • ففى التغير قد هلك الموجود ، وهذا الذى يتكون هو اللاموجود • حينئذ مرة ثانية اذا كانت الاشياء متكثرة كما يقال فيلزم انها كانت على الاطلاق كما يكون الموجود الاحد » •

تحليل نظرية غرغياس

لسكستوس أمبيريكوس

(Adversus Mathemadicos Logicos)

« ك ٧ ، ص ٣٨٥ ، طبعة ١٨٤٢ »

قال سكستوس بعدان أثنى على فروطاغوراس وأوتيديم وريونيسودور الذين لم يعترفوا بالموجود وبالحقيقة الا في الاضافي :

« غرغياس الليونتيومي قد تبوأ مكانا ايضا في طائفة الفلاسفة الذين انكروا ملكة الحكم • ولكنه لم يتخذ في هجماته الطريقة التي اتخذها فروطاغوراس • فانه في كتابه المعنون « في اللاموجود او في الطبيعة » يقرر النقط الثلاث الآتية : اولا انه لا شيء بموجود • وثانيا انه اذا كان شيء موجودا فذلك الشيء هو غير قابل لان يدركه الانسان • واخيرا وثالثا ان هذا الشيء لو كان قابلا لادراكنا لما أمكن التعبير عنه ولا تفهيمه الغير •

« واليك كيف يثبت النقطة الاولى وهي ان لا شيء بموجود • اذا كان شيء موجودا فانما هو الموجود او اللاموجود أو الموجود واللاموجود معا • ولكن الموجود ليس موجودا كما سيبسطه • واللاموجود كذلك ليس موجودا كما سيبينه • وأخيرا ما هو معا موجود ولا موجود لا يوجد كما سيبينه • اذا لا شيء بموجود • بديهي ان اللاموجود غير موجود • لانه اذا كان اللاموجود موجودا فينتج منه انه يوجد ولا يوجد معا • لانه من جهة أنه متصور لا موجودا فلن يوجد ، ومن جهة انه اللاموجود فهو سيوجد من جديد وعلى العكس • ولكن من السخف أن شيئا يكون ولا يكون معا • اذا اللاموجود غير موجود البتة • أضف الى ذلك أنه من جهة نظر أخرى اذا كان اللاموجود موجودا فالموجود حينئذ لا يوجد لانهما على التكافؤ ضدان احدهما للآخر ، واذا كان الموجود يصل الى اللاموجود فاللاموجود يصل الى الموجود •

ولكن ما دام الموجود ليس موجودا فاللاموجود ليس موجودا من باب اولى • على هذا اقول : ان الموجود ليس موجودا • لانه اذا كان الموجود موجودا فاما أن يكون أزليا واما أن يكون مخلوقا واما ان يكون معا ازليا ومخلوقا • ولكن ، كما سنبرهنه ، الموجود ليس لا أزليا ولا مخلوقا ولا كليهما معا • أقول : اذا ان الموجود لا يكون • لانه اذا كان الموجود ازليا،

مادام انه يجب الابتداء بذلك ، فليس له اول وكل ما يولد لهاول . والازلي بما هو لم يخلق لا يمكن ان يكون له أول ما . وبما هو ليس له اول فهو لامتناه . وبما هو لامتناه فليس فى أى مكان ما . وفى الحق انه اذا كان فى مكان ما فيلزم انه كان موجود آخر غيره وفيه يوجد . واذا كان الموجود محويا هكذا فى شيء ما فلا يكون بعد لا متناهيا ما دام ان الحاوى هو اكبر من المحوى . ولا يمكن ان يكون شيء اكبر من اللامتناهى . اذا اللامتناهى ليس فى حيز ما .

ولكن اللامتناهى لا يمكن ان يكون كذلك محويا فى ذاته لانه اذا يكون المحل والحال يشتبهان ويصير الموجود اثنين : المحل اولا ثم الجسم ، فإن ما فيه الجسم هو الحيز وما فى الحيز هو الجسم . ولكن هذا سخف . وبالنتيجة فالموجود ليس كذلك حالا فى ذاته . وبالنتيجة ايضا اذا كان الموجود أزليا فهو لا متناه . وبما هو لا متناه فهو ليس فى أى حيز . وبما هو ليس فى حيز فهو غير موجود . اذا كان اذا الموجود أزليا فلا يمكن أن يكون له كذلك أول .

ومن جهة اخرى الموجود لا يمكن كذلك ان يكون قد خلق . فأذا كان بالمصادفة قد ولد فيجب ان يكون قد أتى من الموجود او من اللاموجود . ولكنه لا يمكن ان يكون قد اتى من الموجود لانه اذا كان الموجود موجودا فذلك بأنه لم يكن قد ولد وانه موجود من قبل . ولا من اللاموجود مادام اللاموجود لا يمكن ان يكون شيئا ما أيا كان مادام ان ماهو قادر على ان يكون شيئا يجب بالضرورة ان يكون قد شارك فى الوجود . اذا فالموجود لا يمكن ان يكون قد خلق .

وقد يثبت بالأدلة عينها ان الموجود لا يمكن ان يكون الاثنين معا : أعنى أزليا ومخلوقا معا . وفى الحق أن هذين المعنيين يتفاسدان . واذا كان الموجود أزليا فهو لم يولد . واذا ولد فليس أزليا . حينئذ مرة أخرى ، الموجود بما هو لا أزلى ولا مخلوق ولا الاثنان معا فذلك بأنه لا يوجد البتة .

دليل آخر : اذا كان الموجود يوجد فهو واحد أو كثرة . ولكن الموجود ليس واحدا ولا متكثرا كما سنرى ذلك . ومن ثم فالموجود ليس البتة . فاذا افترض واحدا فهو اما كم واما متصل واما عظم ما واما جسم . ولكن ماهو فى أى ما من هذه الاحوال ليس بعد واحدا . وفى الحق أنه اذا كان الموجود كما فيكون منقسما . واذا كان متصلا فيمكن فصله . واذا افترض له فى الذهن عظم فلا يكون بعد غير منقسم . واذا ذهب الى حد ان يجعل جسما فاذا يكون له الأبعاد الثلاثة ، وبعبارة اخرى

يكون له طول وعرض وعمق • ويكون مما لا يستطاع تأييده ان يدعى ان الموجود ليس على الاطلاق شيئا من ذلك كله • واذاً فالموجود ليس واحدا •

أقول : ان الموجود ليس كذلك متكثرا لانه ما دام ليس واحدا لا يمكن بعد ان يكون كثرة • وفي الحق أن كثرة لا تتألف الا من تركيب الوحدات • ومتى نفيت الوحدة انتفت الكثرة حتما •

حينئذ على ما تقدم كله يرى جليا ان الموجود ليس اكثر وجودا من اللاموجود • ويمكن ان يستنتج منه ان الموجود ليس كذلك الموجود واللاموجود معا • اذا كان الموجود ، في الحق ، هو مايوجد ومالا يوجد فحينئذ اللاموجود يتحد مع الموجود في أمر الوجود • ومن ثم لا يوجد لا احدهما ولا الآخر • فأما ان اللاموجود لايوجد فهذا موضع اتفاق جميع الناس • ولكن قد قرر آنفا ان الموجود يتماثل مع اللاموجود • فالموجود اذا ليس يوجد كذلك • ولكن اذا كان الموجود مماثلا للاموجود فلا يمكن ان يكون الاثنين معا • فاذا كان الاثنين معا فلا يكون مماثلا واذا كان مماثلا فلا يكون الاثنين • وينتج منه أن الموجود هو لا شيء • لانه اذا لم يكن لا الموجود ولا اللاموجود ولا كليهما ، ولا شيء وراء ذلك • فذلك بأن الموجود ليس شيئا •

الآن يلزمنا ان نوضح انه ان كان من شيء فذلك الشيء غير معروف للانسان وان عقله لا يمكن ان يفهمه • يقول غرغياس : اذا كانت تصورات عقلنا ليست موجودات فالموجود لا يمكن أن يتصور • وذلك بسيط كل البساطة • وفي الحق ، كما انه اذا كانت الاشياء التي نتصورها بيضاء هي في الحقيقة متصورة بيضاء فكذلك الاشياء المتصورة ليست موجودات، فينتج منه بالضرورة الحتمية أنه لا يمكن ان تتصور موجودات حقيقية • وهذا دليل صحيح تام الصحة ومنتج جد الانتاج • فاذا كانت الاشياء المتصورة ليست موجودات فالموجود لا يمكن ان يتصور الأشياء المتصورة ليست موجودات كما سنقرره • وذلك فرض اول ينبغي التسليم به • اذا الموجود ليس متصورا • فأما ان الاشياء المتصورة ليست موجودات فذلك ما هو بين بذاته • لانه اذا كانت التصورات هي الحقائق فحينئذ كل ما يتصور يوجد وعلى الوجه الذى تصور به ايا كان هذا الوجه • وهذا هو سخيف بالبداهة وافتراضه غير معقول بالمرة • مثال ذلك : اذا شاء المرء ان يفترض انسانا يطير في الاجواء وعربات تدرج على الامواج ، فلا ينتج من ذلك وحده ان الانسان يستطيع ان يطير والعربات تدرج على امواج البحر • على هذا فالتصورات التي تتصور ليست حقائق •

يلزم ان يزاد على هذا انه اذا كانت الاشيـاء المتصورة موجودات فينتج منه ان الاشياء التى ليست موجودة لا يمكن ان تتصور . لان الخواص المتضادة تتعلق بالاضداد . واللاموجود هو نقيض الموجود . فاذا كان اذا الموجود يمكن ان يتصور كما قد يعتقد فينتج منه أن اللاموجود لا يمكن ان يتصور : وهذا سخف . لان الانسان يتصور «سيلا» و«الشيمير» واشياء شتى اخرى ليس لها وجود ما . اذا الموجود ليس متصورا . وكما ان الاشياء المرئية هي بذلك يقال عليها انها قابلة لان ترى وان الاشياء المسموعة يمكن ان يقال عليها انها قابلة لان تسمع لان الانسان يسمعها وان المرء لا ينكر الاشياء المرئية لانه لا يسمعها كما انه لا ينكر الاشياء القابلة لان تسمع بحجة انه لا يراها فان كل واحد من هذه الاشياء يجب ان يحكم عليه بحاسته الخاصة لا بحاسة أجنبية ، كذلك الامر فى الاشياء المتصورة لانه لايمكن ان ترى بالنظر ولا ان تسمع بالسمع ما دام انها مدركـة بالحاسة الخاصة بها . وبالتبع اذا كان امرؤ يتصور العربات تدرج على المياه ولا يراها فلا يلزم منه انكار ان العربات تدرج على الماء . ولكن هذا سخف . واذا فالموجود ليس متصوراً ولا يمكن ان يفهم .

ولكن بافتراض انه يفهم فلا يمكن نقله الى الغير . وفى الحق ان الموجودات التى يمكن للمرء ان يراها ويسمعها وعلى وجه العمـوم ان يحسها هى مفروضة خارجة عنا ومن بينها المرئيات مدركة بالنظر ومـا يمكن سمعها مدركة بالسمع دون ان يكون البتة عكس ممكن ، فكيـف يمكن حينئذ التعبير عنها للغير . وفى الواقع ان طريقة الايضاح التى عندنا هى الكلام ، والكلام ليس هو الاشياء نفسها ولا الموجودات . اذا ليست الموجودات هى التى نعبر عنها للغير بل هو الكلام وحده الـذى هو على الاطلاق خلاف الحقائق أعينها . واذا فكما ان المرئى لا يمكن ان يصير قابلا لان يسمع وعلى التكافؤ ، فكذلك الموجود المفروض انه خارج عنا لا يمكن ان يصير هو كلامنا . وبما ان الكلام ليس موجودا فليس من الممكن التعبير عن شيء ما للغير . وفى الواقع ان المقالة ــ كما يقــول غرغياس ــ لا تتألف الا من اشياء خارجية تأتى فتقع فى ذهننا اعنى اشياء تدركها حواسنا . وعلى هذا فعلى أثر تسلط ذوق ما فى الاشياء المذوقة يتكون عندنا الكلام الذى نعبر به عن هذا الكيف الخاص . وتبعا لتدخل اللون يتكون الكلام الذى نعبر به عنه . فاذا كان هذا هكذا فليس الكلام هو الذى يمثل ما هو فى الخارج بل هو الشيء الخارجى الذى يعين الكلام . لا يمكن ان يقال : ان الكلام هو على الوجه الذى عليه الاشياء المرئيـة او المسموعة بحيث ان الكلام بافتراضه يمكن ان يستدل به على الموجودات والموضوعات الخارجية . يقول غرغياس : لانه اذا كان الكلام هو ايضـا موضوعا فهو يختلف بالاقل عن جميع الموضوعات الاخرى . ومثال ذلك

أية مسافة لا تكون بين الاشياء المرئية وبين الكلمات التى تعبر عنهـــا ؟ وفى الحق انه انما يختلف العضو الذى تدرك به الاشياء المرئية والذى يدرك به الكلام الذى يعبر عنها • وعلى ذلك فالكلام لا يمكن ان يبين الجزء الاعظم للاشياء الخارجية بذواتها ، كما ان اكثر الاشياء لا يمكن على التبادل ان يبين بعضها طبع البعض الآخر •

تلك هى ادلة غرغياس التى هى على قدر قيمتها تفسد كل مقياس للحق ، لانه ليس بعد من مقياس ما دام ان الموجود ليس موجودا ، وانه لا يمكن ان يعلم ، وانه ليس قابلا لان ينقل علمه الى الغير •

راجع أيضا Hypotyposes Pyrrhoniennes ك ٢ ب ٦ ف ٥٧ و ٥٩ و ٦٤ ـ ص ١٣٤ و ١٣٦ من طبعة سنة ١٨٤٢

فهرس

كتاب الكون والفساد

مقدمة المترجم

بارتلمى سانتهيلير

(اصول الفلسفة الاغريقية)

الكون والفساد

الكتاب الأول

صفحة

صفحة

الكتاب الثانى

صفحة

فى ميليسوس وفى اكسينوفان وفى غرغياس

مذاهب ميليسوس

صفحة

مذاهب اكسينوفان

مذاهب غرغياس

الإشـراف اللغـوى : عبد الرحمن حجازى
الإشـراف الفنـى : حســـن كـــامل

تم طبع هذا الكتاب من نسخة قديمة مطبوعة



أرسطو طاليس

الكون والفساد

إن العالم الإغريقى قد أنتج الآداب والعلوم والفنون التى ننسج الآن على منوالها، وشاطر بحظ عظيم فى تقدم المدنية المسيحية حتى وصلت إلى ما هى عليه الآن، فى حين أن العالم الهندى ما أنتج إلا البرهمانية والبوذية؛ فهو نازل عن العالم الإغريقى بمراحل على الرغم من المزايا المتعددة التى يكون من الظلم عدم الاعتراف له بها. بين العالم الإغريقى وبين العالم الهندى تأتى بلاد فارس التى توسطت بين العالمين فى المكان كما هى فى الزمان، ولكنهما لم تشغلا مركزًا يذكر لها ولم يستفد منها الإغريق إلا المجد الخالد الذى أحرزه أمثال ملتياد وليونيداس وطيمستوكل والإسكندر.

التصميم الأساسى للغلاف: أسامة العبد
لوحة الغلاف: محمود مراد



